
دراسات اسلامية
في علم نفس النمو
مرحلة الطفولة، مراحل النمو
ومقومات التربية
سعيد كاظم العذاري


بسم الله الرحمن الرحيم

سرشناسه: العذاری، سعیدکاظم، ۱۳۳۹
عنوان و نام پدیدآور: دراسات اسلامية في علم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو و مقومات التربية/ سعيد كاظم العذاري.
مشخصات نشر: قم: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر، ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهری: ۵۴۳ ص.
شابک: ٦-٦٤٢-١٩٥-٩٦٤-٩٧٨
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی.
یادداشت: کتابنامه: ص. ۵۳۷ - ۵۴۳؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع: روان‌شناسی رشد؛ کودکان -- روان‌شناسی
شناسه افزوده: جامعة المصطفى ﷺ العالمية. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ﷺ
رده بندی کنگره: ۱۳۹۱ ٤د٤ع/BF ۷۱۳
رده بندی دیویی: ۱۵۵
شماره کتابشناسی ملی: ۲۷۹۷۳۰۲

دراسات إسلامية في علم نفس النمو

مرحلة الطفولة

مراحل النمو ومقومات التربية

سعيد كاظم العذارى



مركز المصطفى العالمي
للترجمة والنشر

دراسات إسلامية في علم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو ومقومات التربية

المؤلّف: سعيد كاظم العذاري

الطبعة الأولى: ١٤٣٣ق / ١٣٩١ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

● **المطبعة:** اسراء ● **السّعر:** ١٧٥٠٠٠ ريال ● **عدد النسخ:** ٥٠٠

نشكر اعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطبع والنشر حتى مراحله الاخيرة.

● **الإعداد الفني:** علي‌اكبر زندي ● **الإخراج الفني:** علي‌اكبر زندي ● **الإشراف النهائي:** السيد مهدي عمادي المجد

● **مقوّم النص:** الدكتور السيد عبدالهادي الشريفي ● **مصمم الغلاف:** باسم الرسّام ● **المشرف على الإنتاج:** مهدي منفرد

● **المقابلة الفنية:** علي سليماني اميري ● **الإشراف الفني:** السيد مهدي عمادي المجد ● **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله يزداني

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ والصلوة والسلام على النبيّ الأمين محمّد ﷺ وآله الهداة المهديين وعترته المنتجبين و اللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعة عشر قرناً على طيلة تاريخها العلمي المشرف مستوىً من التغيّر المستمرّ في الحركة إلى الأمام على صعيد الثقافة والحضارة الإسلامية فأوجد تطوّراً منهجيّاً في العلوم الرئيسة المختصّة بالشريعة كـ: الفقه الاسلامي وعلم الكلام والفلسفة والأخلاق... وتبعاً لهذا الجانب ترك التطوّر انطباعا موازياً بيّنا في العلوم الأدواتية كـ: المنطق وعلم الرجال والحقوق... .

وفي ضوء انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية المعظمّة وحدثها الداعي إلى رؤية دينية حديثة في نطاق الحكم بغضون القرن الداعي إلى الانفلات من ظلّ الدين والأيديولوجية الدينية وما يعرض في مسرح أحداثه من تطوّر في مسار نظريّات العلاقات الدولية أو تصاعد الأسئلة المعرفيّة المتعلّقة بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغلة لذهن الإنسان الحاضر وكذلك ما حصل من توسّع لدى علم الوجود الإنساني في ظلّ الأحداث والمتغيرات المعنية بهذا الجانب؛ جعلت المفكّر الإسلامي في أعلى مستوى من المسؤولية أكثر ممّا سلف خاصّة في الدول الإسلامية التي باتت في

محاولة ضرورية لمواجهة الشعارات الخوّاء في عصر العولمة في ضوء التدقيق والملاحظة والنقد البنّاء لاجتياح أيّ فقرة يخشى أن تسبّب مشكلات في مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوي النيّر لضرورة الوقوف على آخر المستجدّات الفكرية في حقولها المتعدّدة والاستعانة بضروب من التحقيق العلمي الرصين بمعايير عالمية حيّة لتوظّف في نطاق الدين والشريعة للإجابة على المتطلّبات العصرية والمنطلق الداعي إلى التكامل و التعالي في ظلّ الدين والتزام نظامه في العلم والحياة من جهة أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزة العلمية مسؤولية وضع حدّ لردع الجانب العولمي وتبعاته المنحطّة على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤية التصدّي لهذا الأمر في عناية من مؤسسي الحوزة العلمية هذه الشجرة الطيبة الذي ﴿...أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، سيّما الإمام الخميني رحمه الله الراحل وقائده المبجّل الإمام السيّد علي الخامنئي دام ظله الوارف في الوقت الراهن.

وقد سعت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية في ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمي الهامّ.

وإنّ هذا الدراسة **دراسات إسلامية في علم النفس النمو** جاءت بجهود فضيلة الأستاذ **سعيد كاظم العذاري** متوافقة مع نسق الرؤية السائدة المتّبعة وهذه الأهداف السامية.

كما ندعو أصحاب الفضيلة والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءة وخبرات علمية ومنهجية عصرية بالمساهمة معنا والمشاركة في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّة المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّة بإعداد الكتاب للطباعة والنشر.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

القسم الرابع: النمو الديني

القسم الخامس: النمو الانفعالي والعاطفي

القسم السادس: النمو الاجتماعي

القسم السابع: النمو الأخلاقي

القسم الثامن: النمو الجنسي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار.

مرحلة الطفولة، هي نقطة البدء لحياة كبيرة، وهي مرحلة هامة من مراحل حياة الإنسان، وهي الأساس في إنشاء وتنشئة مقومات الشخصية الإنسانية في جميع مراحلها ومظاهرها، حيث تؤثر فيها تأثيراً واضحاً ملموساً، إيجابياً أو سلبياً، تبعاً لأسس ومقومات التربية المتبنّاة من قبل الأسرة والمجتمع والدولة.

ولهذا أولت التعاليم والإرشادات الإسلامية والوضعية، اهتماماً خاصاً بهذه المرحلة، وتابعت الطفل من مرحلة انعقاد النطفة أو ما قبلها، وكلّ ما يؤثّر في نموه العقلي والجسمي والنفسي، تأثيراً مباشراً أو غير مباشر، وقد تباينت التعاليم تبعاً لتباين المتبنّيات الفكرية، والنظرة إلى الكون والحياة والإنسان، فقد كانت التعاليم الإسلامية إلهية المصدر، صادرة ممّن له إحاطة تامة بحركات وسكنات الإنسان، وممّن له إحاطة بكينونته وخصائصه.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على التعاليم الإسلامية المتمثّلة بالقرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وعلى دراسات علماء النفس والأخلاق والإجتماع،

إضافة التي تجاربنا الميدانية التي دامت أكثر من ثلاثين عاماً، بمتابعة المظاهر والظواهر السلوكية لقطعات وشرائح عديدة من الأطفال، والقيام بإجراء اختبارات متنوّعة عليهم.

وتبقى الدراسات الوضعية دراسات غير متكاملة؛ لأنّها ابتعدت عن عنصر الغيب في مرتكزاتها الذهنية، وملاحظاتها الظاهرية في تحليل الشخصيّة الإنسانيّة.

وفي جميع الأحوال، فإنّ مرحلة الطفولة تتطلّب إبداء عناية إضافية واهتمام جدّي من قبل الوالدين أولاً والمربّين ثانياً، في تعليم وتربية الطفل من أجل استثارة عناصر الخير والصلاح في النفوس، واستحثاث الطاقات الكامنة في جميع مقوّمات الشخصيّة الناشئة؛ لتتكامل في المراحل اللاحقة، بسير النمو الجسمي والعقلي والديني والانفعالي والاجتماعي والأخلاقي والجنسي، سيراً حثيثاً متوازناً متّجهاً نحو التكامل والتوازن؛ لينسجم مع قواعد وأسس الخير والصلاح والاستقامة.

وإنّ مظاهر النمو في هذه المرحلة، متصلة الأوشاج متداخلة فيما بينها، فكلّ مظهر يؤثّر ويتأثّر بغيره من المظاهر، ويبقى للنمو الديني أو نمو روح التديّن الأثر الفعّال في سائر مظاهر النمو.

والكتاب الماثل بين يديك ـ أيها القارئ العزيز ـ قد تتبّع مظاهر النمو ومقوّمات التربية في مرحلة الطفولة، وبَحثَها ضمن فصول:

الفصل الأوّل: المقوّمات الأساسية للنمو.

الفصل الثاني: النمو الجسمي.

الفصل الثالث: النمو العقلي.

الفصل الرابع: النمو الديني.

الفصل الخامس: النمو الانفعالي والعاطفي.

الفصل السادس: النمو الاجتماعي.

الفصل السابع: النمو الأخلاقي.

الفصل الثامن: النمو الجنسي.

وفي جميع الفصول راعينا الاختلاف والتباين في مستويات تلقي القرّاء المختلفة، متجنبين المصطلحات الغامضة؛ لتعمّ الفائدة جميع المستويات.

والله ولي التوفيق.

سعيد كاظم العذاري

١٨ ذي الحجة ١٤٢٩ق

القسم الأول

المقوّمات الأساسية للنمو

تمهيد

حرص المنهج الإسلامي على الاهتمام والعناية بالطفل؛ لأنّه رجل المستقبل، وحرص على صحته البدنية والنفسية قبل أن يولد، بإعطاء الإطار الذي يتحرّك فيه، وتهيئة الأسباب والعلل والعوامل الدخيلة في نشوئه وتكوينه، والتي تعدّ بمثابة الوقاية له من كثير من عوامل الضعف بجميع مظاهرها وألوانها ومجالاتها.

وقد ابتدأ بإرشاداته وتوجيهاته، ابتداءً من انتقاء الزوج وانتقاء الزوجة على أسس صالحة وسليمة مادامت لها مدخلية في نشوئه وتكونه، فقد ابتدأ معه من مرحلة ما قبل اقتران والديه أحدهما بالآخر، ثمَّ مرحلة انعقاد النطفة، ومروراً بالمحيط الأوّل له وهو رحم الأم؛ حيث يلعب دوراً كبيراً ومؤثراً على مستقبله وحركته في الحياة؛ لأنّه يتأثّر بهذا المحيط سلباً أو إيجاباً، وفي جميع مظاهر ومراحل النمو.

وفيما يلي نستعرض هذه الخطوات أو المراحل:

العوامل المؤثّرة في اختيار شريك الحياة

إنّ اختيار شريك الحياة، هو المقدّمة الأولى الموصلة للزواج، والزواج لا يقتصر على صرف الطاقة الجنسيّة الحبيسة أو المخزونة، ولا ينحصر بتهدئة الشهوة الجامحة، بل هو حياة متكاملة تخلق السكن للنفس والراحة للجسم، والأنس للروح والضمير، والاستقرار للحياة والعيش، وتساهم في دفع الزوجين للعمل الاجتماعي ضمن الأهداف العليا للحياة الإنسانية.

والزواج مسؤولية مشتركة، لخلق الأجواء الفكرية والعاطفية والسلوكية التي تجعل الأسرة تعيش الهناء والسعادة والتفتح على الحياة الإنسانية بجميع أبعادها ومقوّماتها، وإعداد الذريّة من أجل إدامة المسيرة الإنسانية وامتدادها، وسيرها نحو الكمال والسمو والارتقاء.

ومن هنا فإنّ اختيار شريك الحياة ينبغي أن يخضع لضوابط وموازين تتناسب مع الدور الملقى على عاتق الشريكين، إنْ أرادا للحياة أنْ تسير سيراً متّجهاً نحو تحقيق، الفضائل النفسية من العدالة والشجاعة والعفّة والعقل...، وتحقيق الرفاهية والخير والسعادة للمجتمع الإنساني.

وبما أنّ الناس متفاوتون في متبنياتهم الفكرية والعاطفية والسلوكية، فإنّ لهذا التفاوت تأثيراً في اختيار شريك الحياة، حيث الاختلاف في العوامل المؤثّرة في الاختيار من إنْسان لآخر ومن مجتمع لآخر.

والقاعدة الأساسية في الاختيار، هي النظر إلى التوافق العقائدي والنفسي والخُلقي؛ لأنّه الأساس المشترك في التفاهم والانسجام في النظرة إلى الحياة والمجتمع.

وفيما يلي نستعرض العوامل المؤثرة للاختيار، طبقاً لإرشادات المنهج الإسلامي، وللواقع الذي نعيشه.

أوّلاً: التوافق العقائدي

للعقيدة المشتركة دور كبير في اختيار شريك الحياة، ولها تأثيرها الملموس على مسيرة الحياة الزوجية، فهي التي تجعل الإيمان، أو الشعور الباطني بها حركة سلوكية في الواقع، وتحوّل هذه الحركة إلى عادة ثابتة؛ فتبقى فيها الحركة السلوكية متفاعلة مع ما يحدد لها من تعاليم وبرامج، وفي ظلّ المنهج المتبع للعقيدة يقوم الزوجان بأداء دورهما في الحياة والتقيّد بالحقوق والواجبات المحدّدة لهما، والسير على ضوء الضوابط والموازين والمعايير الواحدة، سواء في العلاقات القائمة بينهما، أو علاقاتهما مع الأبناء، أو علاقاتهما مع أفراد المجتمع.

والاعتقاد الواحد ضمان لعدم الاختلاف والتناحر، وضمان لإزالته إنْ وقع في بداية الحياة الزوجية أو منتصفها.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون بعضهم أكفّاء، لبعض في عقد النكاح، كما أنّهم متكافئون في الدماء».[1]

---

١. *السرائر*: ٥٥٨/٢.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، ونحن عنده:

إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه.

قلت: يا رسول الله، وإنْ كان دَنِيّاً في نسبه؟

قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إنّكم إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.[١]

وجاءه رجل يستأمره في النكاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم، انكح وعليك بذوات الدين، تربت يداك».[٢]

وهنالك اتفاق عام، على أنّ التماثل الديني يساعد على التفاهم والانسجام، واختلافه يعتبر عائق لنجاح الزواج والتكيّف له.[٣]

والمنهج الإسلامي، لا يمنع زواج المسلم من إمرأة مخالفة لمذهبه لعقيدته، كأنْ تكون مسيحية أو يهودية، ويكتفي بمنع المسلمة من الزواج من المسيحي أو اليهودي.

وإذا تزوّج المسلم إمرأة من غير دينه، فإنّه يجب أنْ يراعي متبنياتها العقائدية والعبادية، وأنْ يمنحها الحرية الكاملة في إقامة شعائرها، وأنْ لا يتدخل في مواقفها وممارساتها التي تتخذها وفقاً لعقيدتها ما لم تصطدم بالمصلحة العامة للأسرة وللمجتمع، بل فرض الإسلام على الزوج المسلم أنْ يصطحبها إلى مكان عبادتها إنْ طلبت منه ذلك.[٤]

ثانياً: التوافق الخُلُقي

الإنسان بطبعه يميل إلى من يوافقه ويجانسه خُلقياً، ويشابهه في السلوك والموقف، فالإنسان الذي يحبُّ القيم الصالحة، ويسعى لتجسيدها في عملياً، يكون

---

١. *تهذيب الأحكام*: ٣٩٤/٧.

٢. *المصدر*: ٤٠١.

٣. *علم اجتماع العائلة*: ٢٣٢.

٤. أنظر: *حقوق الأمم والأديان في الإسلام*، *للمؤلف*.

في أنْس وألفة مع الذين يجسدونها كذلك، والعكس صحيح، وإذا تتبعنا حركة الأسر لوجدنا أنّ أغلب الأزواج متجانسون في أخلاقهم وسيرتهم العملية حتى يصل الأمر إلى التطابق الكلّي، أمّا بإيمانهم بوحدة القيم السلوكية، أو تأثّر أحدهم بخلق الآخر وسيرته الواقعية.

قال إبراهيم الكرخي للإمام جعفر الصادقعليه السلام:

إنّ صاحبتي هلكت (رحمها الله) وكانت لي موافقة، وقد هممت أنْ أتزوج.

فقال له: انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرِّك، فإنْ كنتَ فاعلاً، فبكراً تنسب إلى الخير وحسن الخلق. واعلم:

ألا أنّ النساء خُلقن شتى	فمنهنّ الغنيمة والغرام
ومنهنّ الهلال إذا تجلّى	لصاحبه، ومنهنّ الظلام
فمن يظفر بصالحهنّ يسعد	ومن يعثر فليس له انتقام[1]

والإسلام يدعو إلى الاقتران بالشريك الصالح، الذي يتّصف بالصفات الصالحة والخصائص الحميدة؛ لصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور وفي أعماق الضمير وفي السلوك، وفي الواقع الاجتماعي، وللمساهمة في نشر الفضائل الأخلاقية في جميع ميادين الحياة.

وقد تواترت الروايات التي تؤكّد على اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة، المتصفَين: بالطهارة، والعفّة والصدق، والأمانة، والرحمة، والبرّ، وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل.

ومن أجل المحافظة على سلامة الفرد والأسرة والمجتمع، وإنقاذهم من الانحراف والرذيلة شدّد الإمام جعفر الصادقعليه السلام على عدم الاقتران بالمنحرفين جنسياً والذين اشتهروا بين الناس.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ٤٠١/٧.

قال عليه السلام:

لا تتزوجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوّجوا الرجل المستعلن بالزنا إلّا أنْ تعرفوا منهما التوبة.[١]

وحذّر عليه السلام من تزويج شارب الخمر وقال: «من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها».[٢]

والتوافق الخلقي هو مقدمة موصلة للتوافق الروحي والنفسي، والانسجام في العلاقات، سواءً كان خُلقاً صالحاً أم طالحاً، والعكس صحيح، فإنّ التناقض والاختلاف في الخُلق والسلوك العملي، يؤدي لا محالة إلى عدم الانسجام وإلى إشاعة الاضطراب والقلق في أجواء الحياة الزوجية، إلّا في حالات نادرة يكون فيها أحد الزوجين صابراً مضحّياً من أجل شريك حياته.

وقد يساهم أحد الزوجين في إصلاح وتغيير زوجه نحو الأفضل، إنْ كان يتمتّع بوعي ثاقب وبقدرة عالية على التأثير والإقناع، وهذا أمر مرغوب فيه، فمن يتمكّن من إبعاد شريك الحياة المختار عن الانحراف والانحطاط، فليقترن به لسد منافذ الانحراف والتضييق على وجوده واستشرائه.

وغالباً ما يكون الاقتران بالمخالف، ناجماً عن الحبّ الذي لا يراعي أحياناً الصفات التي يحملها الحبيب، من حيث الحسن والقبح السلوكيّين، أو ناجماً عن قلّة القدرة على التشخيص.

ثالثاً: التوافق في إشباع الحاجات والرغبات

جُبِل الإنسان على الميل والانجذاب إلى من يُشبع حاجاته ورغباته، أو يساهم في

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٣٠٥.

٢. *تهذيب الأحكام*: ٣٩٨/٧.

إشباعها دون النظر إلى شخصيته نظرة كلّية، فهو محبوب ومرغوب فيه، ما دام مؤهلاً لإشباع حاجات ورغبات المقترن به، وهذا الاختيار قد يكون شعورياً أحياناً ولا شعورياً أحياناً أخرى، فالذي تتركّز رغبته وحاجته على حبٍّ الجمال فإنّه يختار الشريك الجميل، وإنْ كان مخالفاً له في كثير من الأمور، وقد يرغب الإنسان في الشريك الموافق له في الطباع والصفات النفسية؛ فيميل الذكي إلى الذكي، والأحمق إلى الأحمق، والعصبي المزاج إلى مثله، والهادئ إلى مثله، والقوي الشخصية إلى مثله.

وقد يميل الإنسان إلى مخالفه في الطباع والصفات النفسية؛ لأنّه يشبع رغباته وحاجاته، فالشخص المتكبّر قد يميل للمتواضع الذي يشبع رغبته وحاجته إلى الكبرياء، والمحبّ للسيطرة والتوجيه، يميل للمطيع المستسلم للخضوع والسيطرة، والذي يحب انتقاد الآخرين ولومهم، يميل إلى من يشبع هذه الرغبة فيختار المتقبل للنقد والصابر على اللوم، وهكذا في سائر الرغبات والحاجات، فالعصبي قد يميل إلى الهادئ وبالعكس، والقوي قد يميل إلى الضعيف وبالعكس؛ والعدواني قد يميل للمسالم وبالعكس.

والاختيار هنا، ناظر إلى من يشبع الحاجات والرغبات التي تختلف باختلاف أصناف الشخصية الإنسانية، فيختار صفة أو أكثر في شريكه، ويغضّ النظر عن الصفات الأخرى، ولا غرابة في الأمر حينما ننظر إلى الواقع، فالبعض يختار المرأة الجميلة، أو أنّ المرأة تختار الرجل الجميل وإنْ كان مخالفاً لها في اعتقادها أو مخالفة له، ويختار أحياناً إمرأة قبيحة المنظر، ولكنّها تشبع فيه حاجة أو رغبة ملحّة عليه.

ولا يقتصر الاختيار على الجوانب النفسية والطبيعية، بل يتعدّى ذلك للجوانب الماديّة والمصلحيّة، فقد يرغب الإنسان في إمرأة لا تتوفر بها أي خصيصة حسنة، غير أنّها تشبع رغبته وحاجته إلى المال، فيكون ناظراً إلى مالها وثروتها، وكذا الحال مع المرأة التي تتزوج باختيارها رجلاً غنياً، وإنْ كان ذميم الخَلق والخُلق، أو يكبرها سناً، لأنّه يشبع فيها الحاجة إلى المال والثروة.

والمنهج الإسلامي لا يعارض حرية الإنسان في الاختيار، ولا يقيّده بقيود تحطّم رغباته وحاجاته الموضوعية؛ لأنّه مكرّم في أصل الخلقة والكينونة، إلّا أنّه أراد من الإنسان أنْ يتطلّع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع، وأراد منه أنْ يتعالى على عقال المطامع الأرضية؛ والأعراض الزائلة الفانية، ويجعلها خادمة للحياة لا مخدومة، وهو لا يحقّر رغبات وحاجات النفس الإنسانية المشروعة ليهجرها أو يزهد فيها، إنّما أراد لها أنْ توزن بموازين روحية معنوية؛ ليستمتع بها الإنسان وهو حرّ طليق، ليسمو في الآفاق العليا للحياة.

ومن هنا أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على الاختيار المناسب لنظرته السامية للحياة، والذي يرفدها بالخير والسعادة والهناء، وهو الاختيار على أساس التديّن في جانبه التصوري والسلوكي.

قال صلى الله عليه وآله:

تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحبّها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

إذا تزوج الرجل المرأة لمالها أو جمالها لم يرزق ذلك، فإنْ تزوجها لدينها رزقه الله (عزّوجل) جمالها ومالها.[2]

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله اختيار حسن الدين على حسن الوجه، فقال:

لا يختار حسن وجه المرأة على حسن دينها.[3]

وهذه الإرشادات توجه الإنسان إلى اختيار الأفضل ولا تمنع من اختيار القائم على الأسس الأخرى كحسن الوجه وكثرة المال ونوعية الحسب.

---

١. *سنن أبي داود*: ٢١٩/٢.

٢. *من لا يحضره الفقيه*: ٣٩٣/٣.

٣. *كنز العمّال*: ٣٠٤/١٦.

وهذّب رسول الله الاختيار بتهذيب النوايا الدفينة للإنسان والتي لا تنسجم مع الروح التكاملية للمنهج الإسلامي وإنْ كانت مباحة ومشروعة.

قال ﷺ:

من نكح إمرأة حلالاً بمال حلال، غير أنّه أراد بها فخراً ورياءً وسمعة لم يزده الله بذلك إلّا ذلاً وهواناً.[١]

رابعاً: التوافق العرقي والطبقي

من خصائص الإنسان الاجتماعية أنّه يميل إلى الذين ينتمون معه إلى نفس الانتماء العرقي والقومي، وهذه حقيقة ناجمة عن الأُنس والأُلفة الحاصلة من الوشائج والصلات والعلاقات الدائمة والمتكرّرة، ويتجذّر الميل أو الحب للعائلة وللقبيلة وللوطن وللقومية بمرور الأجيال ومرور الأيام؛ لوحدة الانتماء ووحدة اللّغة ووحدة العادات والتقاليد، ووحدة المصالح والمصير.

والنظر إلى الواقع الاجتماعي، يلقي الضوء على الاختيار تبعاً للانتماء والتوافق العرقي؛ فالعربي يميل إلى العربية، والفارسي إلى الفارسية، والتركي إلى التركية، وفي نطاق القومية الواحدة، يميل الإنسان إلى اختيار من ينتسب إلى وطنه ومحلته، ويختار غالباً الأقرب منه نسباً، كالمرتبطين به بعمومة أو خؤولة ثمَّ يتصاعد إلى المنتمين إلى قبيلته وهكذا، تبعاً لنوعية العلاقات ونوع الانسجام والتوافق المطبق على رغباته وطباعه النفسية.

وقد يميل الإنسان إلى طبقته الاجتماعية، فيتمّ الاختيار على أساس طبقي أو مهني؛ فطبقة الأعيان تميل إلى مماثلها، والأغنياء يميلون إلى الأغنياء، والفقراء إلى الفقراء.

وقد يؤثر القرب المكاني في الاختيار، فيختار الإنسان شريكه في حدود ميدانه الصغير المحدود، المرتبط به برابطة جوار، أو عمل أو وظيفة.

---

١. *عقاب الأعمال*: ٣٣٣.

والاختيار، طبقاً لهذه العوامل، مع مراعاة العوامل الأخرى، كالتوافق العقائدي والخُلقي، من شأنه أنْ يحقّق الانسجام ويحقق الاستقرار والهدوء، ومن ثمّ السعادة والهناء للاشتراك في محاور عديدة واحدة.

وقد يؤدي مخالفة هذه العوامل في الاختيار إلى عدم التوافق وعدم الانسجام في الحياة الزوجيّة؛ لاختلاف العادات والتقاليد؛ واختلاف البيئة الاجتماعيّة، إضافة إلى اختلاف اللغة والعناصر الأخرى، وقد أثبت الواقع صحة ذلك، فمن تزوّج إمرأة تختلف عن عرقه وطبقته، سرعان ماتصطدم أعرافهما وتقاليدهما بعضها ببعض، فبعض القبائل محافظة وبعضها منفتحة، وبعض القبائل أو الأعراق أو القوميات، تتعامل مع المرأة تعاملاً يختلف عن غيرها من حيث إطلاق الحرية وتقييدها، ومن حيث تكريمها وعدمه، ومن نظرتها إلى الواجبات والحقوق المترتّبة على الزوجين، وعلى سبيل المثال: إنّ الرجل المنحدر من قبيلة أو قومية متأصلة في الكرم والجود وحبّ الضيافة، إذا تزوج إمرأةً من قبيلة أو قوميّة لا تهتمّ بمثل هذه الأمور، فإنّ الأمر سيولد كثيرا من المشاكل والصعاب داخل الأسرة، فالرجل يحبّ أنْ يكون منزله في خدمة الضيوف، بينما لا ترغب زوجته في ذلك، أو ليس لها القابلية على خدمة الضيوف، بسبب نشأتها في بيئة مخالفة، فيؤول الأمر إلى الشجار والنزاع كلّما قدم ضيف عليهما، وإذا أصر كلٌّ منهما على موقفه ازداد الشجار والنزاع وقد يؤدي إلى انفصال العلاقة الزوجية، كما حصل في كثير من الأُسر.

ومثال آخر: إنّ أعراف بعض القبائل تشجّع على سكن الابن المتزوّج مع أمه وأبيه وإخوانه وأخواته، وتفرض على الزوجة أنْ تقوم بمراعاة أوامر وتوجيهات جميع العائلة، وتعطي لهم حقَّ التدخل في كل شيءٍ، فلو تزوج رجل من إمرأة تنتمي إلى قبيلة أو طبقة أخرى، تختلف عاداتها وتقاليدها عن قبيلته وطبقته، فالخلاف بين الزوجين يكون محتمل الوقوع، كما نراه في الواقع.

وموقف المنهج الإسلامي إزاء هذا الاختيار موقف حيادي، فلا يعطّل العادات والتقاليد والرغبات والآمال التي لا تصطدم بنظرته للحياة الزوجية، إلّا أنّه وضع قائمة بالإرشادات والتوجيهات والنصائح، وترك حقّ التنفيذ إلى الإنسان نفسه، فهو يختار الموقف الأصلح له ولسيرته الزوجية والاجتماعية.

وأول البدء أنّ المنهج الإسلامي وجّه الأنظار للزواج من الأباعد من أجل تقوية النسل، والحصول على صفات وراثية جديدة، لأنّ الزواج من الأقارب إذا تكرّر بمرور الزمن فإنّه يبقى محافظاً على نفس الخصائص الوراثية، والتي تؤدي إلى ضعف النسل ـ في كثير من الأحيان ـ وخصوصاً إذا كانت بعض العوائل مصابة بمرض وراثي.

قال رسول الله ﷺ: «لا تنكحوا القرابة القريبة فإنّ الولد يخلق ضاوياً».[1]

فالزواج من الأقرباء المتكرّر عبر أجيال عديدة يؤدي إلى ضعف النسل ونحافة الوليد، ودعوة رسول الله ﷺ دعوة إرشادية إلى تقوية النسل؛ من أجل إدامة الحياة واستمرار حركتها.

ووضع الإمام جعفر الصادق عليه السلام قاعدة كلية في اختيار الزوج، دون النظر إلى انتمائه العرقي والقومي فقال: «الكفو أنْ يكون عفيفاً وعنده يسار».[2]

وكان رسول الله ﷺ يشجّع على الزواج القائم على أساس الكفاءة الدينية والخلقية دون النظر إلى العوامل الأخرى، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

إنّ رجلا كان من أهل اليمامة يقال له: جويبر أتى رسول الله ﷺ منتجعاً للإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلاً قصيراً ودميماً وعارياً، وكان من قباح السودان، فضمه رسول الله ﷺ لحال غربته... ثم أنّ رسول الله ﷺ أمر أنْ يتخذ للمسلمين سقيفة فعملت لهم، وهي الصفّة ثم أمر الغرباء والمساكين أنْ يظلوا فيها نهارهم

---

١. *المحجة البيضاء*: ٩٤/٣.

٢. *تهذيب الأحكام*: ٣٩٤/٧.

ولـيلهم... فكـان رسـول اللهﷺ يتعاهـدهم بـالبرّ والتمـر والـشعير... إنّ رسـول اللهﷺ نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة منه ورقّة عليه، فقال له: يا جويبر لو تزوجت إمرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك، فقال له جويبر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، من يرغب فيَّ، فو الله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال، فأيّة إمرأة ترغب فيّ؟

فقال له رسول اللهﷺ: يا جويبر، إنّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرّف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً، وأعزّ بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها، فالناس اليوم كلّهم أبيضهم وأسودهم وقرشيّهم وعربيّهم وعجميّهم من آدم وإنّ آدم خلقه من طين، وإنّ أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم، وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلّا لمن كان أتقى لله منك وأطوع.

ثم قال له: انطلق يا جويبر، إلى زياد بن لبيد، فإنّه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم، فقل له: إنّي رسول الله إليك، وهو يقول لك: زوّج جويبراً ابنتك الذلفاء. فانطلق جويبر برسالة رسول اللهﷺ، إلى زياد بن لبيد... .

فقال له زياد: إنّا لا نزوّج فتياتنا إلّا أكفاءنا من الأنصار، فانصرف يا جويبر حتى ألقى رسول اللهﷺ فأخبره بعذري.

فانصرف جويبر وهو يقول: والله ما بهذا نزل القرآن، ولا بهذا ظهرت نبوة محمدﷺ، فسمعت مقالته الذّلفاء بنت زياد، وهي في خدرها، فأرسلت إلى أبيها... فقالت له: والله ما كان جويبر ليكذب على رسول اللهﷺ بحضرته، فابعث الآن رسولاً يردّ عليك جويبراً...

ثم انطلق زياد إلى رسول اللهﷺ... فقال له رسول اللهﷺ: يا زياد، جويبر مؤمن، والمؤمن كفوءٌ للمؤمنة، والمسلم للمسلمة فزوّجه يا زياد، ولا ترغب عنه... فخرج زياد فأخذ بيد جويبر ثمَّ أخرجه إلى قومه، فزوّجه على سنة الله(عزّ وجلّ)، وسنة رسولهﷺ وضمن صداقه... .[١]

---

١. الكافي: ٥/٣٤٠ ـ ٣٤١.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زوّج مقداد بن الأسود، ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب، وإنّما زوّجه لتتضع المناكح، وليتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله، وليعلموا أنْ أكرمهم عند الله أتقاهم.[١]

ولو تتبعنا سيرة الأولياء والصالحين لوجدنا، أنّ اختيارهم يقع على التوافق الديني والخلقي، دون النظر إلى الصفات الإضافية الأخرى، كالانتماء العرقي أو الطبقي أو القومي، فهم يختارون الزوجة المؤمنة الصالحة، سواء كانت قريبة أو كانت غريبة، أو من قومية أخرى، وقد وجدنا أنّ أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأحفاده من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، قد تزوّجوا نساءً من مختلف القبائل والقوميات، وأنّ أغلب أمهاتهم من غير قريش، ومن غير العرب فقد تكون روميّة أو فارسيّة أو سنديّة، وكان الانسجام والوئام قائماً بينهما على الرغم من اختلاف الانتماء العرقي والقومي.

ومن أجل إدامة المحبّة والوئام والألفة والانسجام بين الزوجين المختلفين في انتمائهما، وضع المنهج الإسلامي موازين وقواعد ثابتة للتعامل، ووضع واجبات وحقوق ثابتة تحقّق التوافق والانسجام أنْ روعيت من قبل الزوجين، وبهذه يمكن إزالة جميع ألوان المشاكل التي تعترضهما، وإلاّ فإنّ العلاقة الزوجية لا تستمر في مسيرتها إلى نهاية الشوط؛ لاختلاف العادات والتقاليد الحاكمة على كلٍّ منهما.

خامساً: التوافق في العمر

للتوافق في عمر الزوجين دور كبير في خلق الانسجام والوئام في علاقاتهما، ونقصد بالتوافق هو التماثل في العمر، شاب وشابّة، وكهل وكهلة، وشيخ وشيخة، وإنْ اختلفا في عدد السنين.

---

١. *الكافي*: ٥/٣٤٤.

والظاهرة البارزة أنّ أكثر حالات الزواج يتساوى فيها الزوجان بالعمر، أو يزيد عمر الزوج على الزوجة زيادة غير ملحوظة في العرف من خمس إلى عشر سنين، أمّا حالات الزواج الأخرى فإنّها نادرة كزواج الشابة من كهل أو شيخ، أو زواج الشاب من امرأة تكبره سناً وتزيد على عمره زيادة ملحوظة.

والزواج المفضّل هو الزواج الذي يتوافق فيه الزوجان في العمر، ويكون كلّ منهما قريباً لشريكه في كثير من مظاهر الشخصيّة، وفي النظرة إلى الحياة وإلى المجتمع، وفي النظرة إلى شريكه، إضافة إلى موقفهم من الحاضر والمستقبل، وهم متساوون في الفهم والإدراك والنضج، ومتساوون من ناحية النشاط والحيوية العضلية والذهنية، ومتساوون في الحكم على الأشخاص والمواقف والأحداث، ومتساوون في التفاؤل.

أمّا الاختلاف الشاسع في العمر، فإنّه كثيراً ما يؤدي إلى عدم الانسجام وعدم التوافق الروحي والنفسي، فالشابُّ مثلاً، يمتلك طاقة حيوية جسدية وذهنية أكثر من غيره، بينما يميل غيره إلى الضعف، وخصوصاً في الطاقة الجنسية التي تلعب دوراً كبيراً في خلق الانسجام عند إشباعها بصورة سليمة.

والشاب يستغرق في المستقبل، بينما الكهل يستغرق في الحاضر، أمّا الشيخ فإنّه يستغرق في الماضي ويتخوّف من المستقبل لقربه من الموت، والشاب يتّصف بالشجاعة والإقدام والحماس المتزايد، ويتّصف الكهل بالاحتياط والتريّث، ويمرّ الشيخ بمرحلة الخوف وتنتابه الهواجس، والشاب قليل التجارب والكهل كثير التجارب، والشيخ يصل إلى مرحلة النضج بعد التجارب الكثيرة.

والشاب يحبّ اللّعب والمرح والحركة، بينما يميل الكهل إلى العمل، ويميل الشيخ إلى الاستراحة.

وهذه الاختلافات تؤدي غالباً إلى عدم الانسجام والتفاهم، وتكون عائقاً لنجاح الزواج والتكيّف له.

أو يؤدي الاختلاف في العمر إلى وفاة أحد الشريكين قبل الآخر كما نلاحظه في الواقع.

فالأحرى بمن يريد الزواج أنْ يختار من يناسبه في العمر، ليكون قريباً منه في الخصائص والصفات والرغبات.

والمنهج الإسلامي لا يتدخل مباشرة في الاختيار، بل ترك الأمر إلى الإنسان نفسه، ليختار من يراه مناسباً له في العلاقة الزوجية، سواءً وافقه في العمر أم خالفه.

ولربَّما يرد السؤال عن زواج رسول الله ﷺ، من أم المؤمنين عائشة، ومن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، وهو يكبرهما سنّاً. وفي الجواب، نقول: إنّ هنالك حكمة من هذا الزواج، قدّرها رسول الله ﷺ في سيرته العملية في بداية الدعوة وفي منتصفها، إضافة إلى أنّ الظروف التي عاشها ﷺ تختلف عن ظروفنا الحاضرة، وقد تزوج ﷺ خديجة وهي تكبره سناً في ظروف تختلف عن ظروفنا، إضافة إلى ذلك، أنّ هنالك مصالح عامة لا نعلمها نحن في نظرتنا الضيقة للحياة.

سادساً: الاختيار على أساس الجمال الجسدي

من الحقائق الموضوعية، أنّ الرجال أكثر ميلاً إلى جمال الجسد ومحاسن البدن من المرأة، فالرجل ميّالاً إلى حسن الوجه وحسن الصورة وحسن اللسان وحسن الجسد ككل، أمّا المرأة، فإنّها أقلّ ميلاً لمثل هذه الخصائص، والرجل بطبعه أقلّ جمالاً من المرأة، من حيث لون البشرة وتقاسيم الوجه، على عكس المرأة فهي أكثر جمالاً منه، وإنْ كان كلّ منهما جميلاً في ذاته.

وقد راعى المنهج الإسلامي هذه الحقيقة فلم يعطّلها أو يبدّلها، وراعى أيضاً بعض المصالح الواقعة في ديمومة الحياة واستمرارها.

قال رسول الله ﷺ:

إذا أراد أحدكم أنْ يتزوج، فليسأل عن شَعْرها كما يسأل عن وجهها؛ فإنّ الشَعر أحد الجمالين.[١]

ومن أجل إرشاد الناس إلى حسن الاختيار الجمالي، كانﷺ إذا أراد أنْ يتزوّج إمرأة بعث إليها من يحدّد مواصفاتها ويقول للمرسلة: «**شمّي عوارضها وانظري إلى عرقوبيها**».[٢]

وفي رواية: شمّي ليتها، وهي صفحة العنق.[٣]

والعرقوب: عصب موثق خلف الكعبين.

ووجّه أمير المؤمنينؑ الأنظار إلى بعض الخصائص الجذّابة في جسد المرأة وقال: «تزوّجوا عيناء سمراء مربوعة عجزاء، فإنْ كرهتها فعليّ الصداق».[٤]

ومن خلال استطلاع آراء الشباب، وجدنا أنّ الأغلبية منهم يرغبون في هذه الصفات مجتمعة.

وراعى رسول اللهﷺ، رغبة الرجال في الزواج من الباكر، فقال: «تزوّجوا الأبكار فإنّهنّ أطيب شيء أفواهاً».[٥]

وقالﷺ: «أفضل نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً».[٦]

وراعىﷺ الرغبة العامة والمصلحة العامة في امتداد النسل البشري، وقدّمها على الجمال إنْ دار الأمر بين الخيارين.

قالﷺ:

تزوّجوا بكراً ولوداً، ولا تزوّجوا حسناء جميلة عاقراً؛ فإنّي أُباهي بكم الأمم يوم القيامة.[١]

---

١. من لا يحضره *الفقيه*: ٣٨٨/٣.

٢. *كنز العمال*: ٢٩٨/١٦.

٣. من لا يحضره *الفقيه*: ٣٨٨/٣.

٤. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٣/٧.

٥. *الكافي*: ٣٣٤/٥.

٦. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٤/٧.

وراعى ﷺ ميل الرجل إلى قوة المرأة الجنسية، فحثّ على اختيار الشديدة الرغبة في المباشرة الجنسية.

قال ﷺ: «خير نسائكم العفيفة الغلمة».[٢]

ومن أجل إشباع هذه الرغبة فإنّ المنهج الإسلامي؛ جوّز النظر إلى الجنس المقابل حين الخطبة، سواءً كان نظراً إلى الوجه أو الشعر، أو كان إلى الجسم من خلف الثياب الرقيقة؛ ليتعرف الرجل الأكثر ميلاً للجمال على محاسن ومفاتن المرأة المراد التزوّج منها.

ولهذا حرّم الإسلام تدليس المرأة، وذلك بأن تكتم عيوبها، وتظهر بمظهر غير مظهرها الحقيقي، وحثّ على الصدق في تبيان العيوب البدنيّة لكلٍّ منهما.

الاختيار على أساس الوراثة والبيئة

الاختيار المفضّل، هو الاختيار القائم على أساس الدقّة في متابعة العوامل الأساسية المؤثرة في تكوين الشخصيّة، وهي: الوراثة، والبيئة الاجتماعيّة.

وهذان العاملان لهما تأثيرهما الواضح على تكوين الشخصية بجميع مقوماتها الفكريّة والعاطفيّة والسلوكيّة، وبمعنى أخر، أنّ لهما تأثيراً على صحة الإنسان البدنية والنفسية، وهي التي تحدّد نظرته للحياة وللمجتمع، وتحدّد رغباته ودوافعه، وتحدّد مزاجه النفسي وتوازنه العاطفي، ولهما دور كبير في تحديد ضميره وإنسانيّته.

ويمكن وضع قانون واقعي يحدّد تأثير هذين العاملَين:

الوراثة + البيئة = الشخصيّة

وقد أكّد المنهج الإسلامي على هذا الاختيار، واعتبره من أهم الاختيارات المفضّلة، وهو الجامع لأغلب، بل لجميع عوامل الاختيار المتقدّمة.

---

١. *الكافي*: ٣٣٣/٥.

٢. *المصدر*: ٣٢٤.

وهذا الاختيار سيكون منسجماً مع طبيعة الإنسان الذي يميل إلى اختيار شريكِ حياته من الأسر الكريمة العريقة ومن البيئة الصالحة ـ إنْ ساعدته الظروف الموضوعية على ذلك ـ وهذا الميل وليد تفاعلات عديدة تبدأ عملها منذ عهد الطفولة، ثمَّ تتبلوّر أكثر فأكثر في هذين العاملَين.

والتأكيد على هذين العاملين ظاهرة بارزة في توجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال صلى الله عليه وآله: «تخيّروا لنطفكم فإنّ العِرقَ دسّاس».[1]

ومصطلح (العِرْق) يقابله في الاصطلاح المعاصر، مصطلح الجينات genes، والتي تحملها الصبغيات (الكروموسومات) chromosomes، التي تحويها نواة الخلية الناجمة عن البويضة الأنثوية ovum المخصّبة من الحيوان المنوي الذكري sperm.

والأبناء من حيث البناء والتكوين يتأثرون بالصفات الوراثية التي يحملها الآباء والأمهات وإنْ علو، سواءً كانت صفات نفسيّة وعقليّة أو جسميّة وبدنيّة، وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنّ العرق دسّاس.

وقد أثبت صلى الله عليه وآله: أنّ للآباء والأجداد ـ وإنْ بعدوا ـ تأثيراً على بناء الشخصيّة.

وقد فسّر الإمام جعفر الصادق عليه السلام ظاهرة الانتقال الوراثي بصورة أكثر تفصيلاً، وأثبت أنّ لجميع الأجداد دوراً في انتقال الصفات الوراثيّة، وهو إشارة إلى الصفة الوراثية المنتحية، أي المختفية في أحد الأجيال السابقة وراء الصفة المتغلّبة، ويطلق على الأولى recessive trait، وعلى الثانية dominant trait.

قال عليه السلام:

إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أنْ يخلق خلْقاً، جمع كلَّ صورة بينه وبين أبيه إلى آدم، ثمَّ خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولنّ أحد: هذا لا يشبهني، ولا يشبه شيئاً من آبائي.[2]

---

١. *المحجة البيضاء*: ٩٣/٣.

٢. *علل الشرايع*: ١٠٣/١.

والمقصود من الصورة، هي الصفة الوراثيّة النفسيّة أو الجسديّة، فلو أنّ صفة متنحيّة بقيت على وضعها عدة أجيال فإنّها ستظهر إنْ وجدت معها صفة متنحية أخرى حين الإخصاب، والعقل لا يمنع من وجود صفة متنحية استمرت على وضعها المتنحّي عدة أجيال.

وقد أثبت العلماء المعاصرون صحة هذه النظريّة ـ التي صاغها الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ فالشخص يرث من جميع أجداده، وقد تظهر فجأة بعض الصفات الشخصيّة التي لم تظهر لعدة أجيال.[1]

وإنّ وراثة المولود لا يحدّدها أبواه المباشران فقط، بل هو يرث من جدوده وآباء جدوده وجدود جدوده وهكذا... أنّ أثر الجدود الأبعاد يقلّ كل ما زاد بعدهم، وعلى هذا نستطيع القول: بأنّ نصف الوراثة من الأبوين، وربعها من الجدود، وثمنها من آباء الجدود، وهكذا.[2]

وكلّما قرب الحامل للصفات الوراثيّة من الوليد، كلّما زاد أثره. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه الحقيقة العلميّة.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين**».[3]

وقال أيضاً: «تخيّروا لنطفكم فإنّ النساء يلدن أشباه أخوانهنّ وأخواتهنّ».[4]

الصفات المنقولة بالوراثة

إنّ تحذير رسول الله صلى الله عليه وآله من العِرْق الدسّاس، ناظر إلى الصفات النفسيّة والروحيّة

---

١. *ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية*: ٥٢٧/٢.

٢. *علم النفس التربوي*، د. فاخر عاقل: ٣٩.

٣. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٢/٧.

٤. *كنز العمّال*: ٢٩٥/١٦.

والخلقيّة التي تنتقل بالوراثة، أو يكون العامل الوراثي خالقاً للاستعداد في نفس الوليد للاتصاف، بصفة من الصفات التي يحملها الآباء أو الأجداد.

والوراثة تؤثر في النمو العقلي، والصحة العقلية والانفعالية، وتتوقّف مكانة الإنسان في الحياة إلى حدّ كبير على كفاءاته التي تحددها الوراثة إلى حدّ بعيد، والمواقف والعقائد والقيم تتأثر بمكانة الإنسان في الحياة، وهكذا فإنّ الوراثة تؤثر ولو بصورة غير مباشرة في المواقف والعقائد والقيم.[١]

والوراثة تحدّد مدى احتماليّة إصابتنا بأمراض دون أخرى.[٢]

وقد أثبت كثير من العلماء؛ دورَ الوراثة في تحديد الصفات النفسيّة والروحيّة والعقليّة للإنسان، كوراثة الجنون، ومرض انفصام الشخصية.

ويرى لوسين: أنّ الطبع هو مجموعة الاستعدادات الوراثية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان.[٣]

ويقول بيرون: إنّ ابني وهو منسوب إليّ، ولكنّي أرى أجداه الماضين ينازعوني هذا الملك العزيز لديّ، فإنّهم يشوهون طهارة النفس، ويكدرون صفاء روحه بما رسب في أعماقهم من نزعات شريرة مجهولة انتقلت إليه بالوراثة.[٤]

ونلفت الانتباه، إلى أنّ الوراثة تؤثّر في تحديد جميع صفات الشخصيّة، حيث تخلق الاستعداد في النفس، فإذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرعت وإلاّ ذبلت واضمحلت.

والصفات التي يمكن توريثها، هي باختصار:

١. الصفات الجسميّة.

---

١. *علم النفس التربوي*، د. فاخر عاقل: ٦٣/٦٢.

٢. *علم النفس العام*: ٩٤.

٣. *الشخصية وأثر معاملة الوالدين في تكوينها*: ٤٠.

٤. *النظام التربوي في الإسلام*: ٥٧.

٢. الصفات العقليّة: كحدّة الذكاء أو البلادة، والطباع النفسيّة والعقليّة، إيجابيّة أو سلبيّة، وصدق النظر في الميول والاهتمامات والاتجاهات.

٣. الطباع والسجايا: كالاهتمام أو عدم المبالاة، والرعونة وحدّة الطبع، وسرعة الإجابة أو الخمول والجمود، والإحساس أو تعب الأعصاب، والانشراح والاكتئاب.

٤. الميل في أعضاء الجسد نحو القوة أو نحو الضعف.

٥. وظائف الأعضاء الجسديّة ونوعها.

٦. المزاج العصبي.

٧. غرابة الطبع وشواذ الحالات العصبيّة.[١]

وهنالك نقلات وراثية لبعض الصفات، تنسحب على المورثات التي تستقرّ في البويضة المخصّبة، وقد أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى نماذج منها، حيث حذّر من الزواج من بعض القبائل والعوائل فقال:

لا تزوجوا إليهم فإنّ لهم عرقاً يدعو إلى عدم الوفاء.[٢]

وفي نص ثانٍ:

فإنّ لهم أرحاماً تدلّ على غير الوفاء.[٣]

وفي نص ثالث:

فإنّ لهم أصولاً تدعوهم إلى غير الوفاء.[٤]

وقد دلت السيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وآله، وبعض الصحابة، وأهل البيت عليهم السلام، على أنّهم يختارون الزواج من الأسر الصالحة الأعراق، أو يزوجون بناتهم من هذه الأسر، لتأثير الوراثة على الجوانب العقليّة والنفسيّة من الشخصيّة، وعلى الطباع والسجايا.

---

١. *سيكولوجية النمو والارتقاء*: ٨١

٢. *وسائل الشيعة*: ٣٨/٢٠، مقدمات النكاح، باب ٣١، ح ٤.

٣. *المصدر*: ٨٢ مقدمات النكاح، باب ٣١، ح ٢.

٤. *المصدر*: ٨٣ مقدمات النكاح، باب ٣١، ح ٥.

وتفاعل الوراثة مع البيئة في تكوين شخصيّة الإنسان في جميع مراحل النمو؛ ابتداءً بمرحلة الإخصاب ومرحلة الحمل، ولهذه البيئة (الرحم) تأثيرات هامّة على الجنين، لأنّها الإطار الذي يتحرك فيه، وتنعكس الحالات النفسيّة والروحيّة والعاطفيّة التي تمرّ بها الأم على جنينها، وشهور فترة الحمل، تؤثر في الثبات العاطفي للطفل، وعلى توازنه العصبي والنفسي.

وفي مرحلة الرضاعة، يكون للبن المُرضع أُمّاً كانت أُمٌّ أجنبية، تأثيرها على الوضع الصحي والعاطفي للطفل، وهي أهم المراحل في البناء العاطفي للطفل.

وفي مرحلة الطفولة المبكّرة، يكون للبيئة دور كبير، في نمو الطفل اللغوي والعقلي والاجتماعي، وهي مرحلة تشكيل البناء النفسي، الذي تقوم عليه أعمدة الصحة النفسيّة والخلقيّة.

وهكذا تحدّد البيئة الصفات الشخصيّة للإنسان من جميع جوانبها الفكريّة والعاطفيّة والسلوكيّة، ونقصد بالبيئة: جميع ما يرتبط بالإنسان من مؤسسات تربوية: توجّه سلوكه الوجهة الملائمة لمتبنياتها ومناهجها وبرامجها، وخصوصاً الأسرة، والجيران، والمحلة، والمدرسة، والمدينة، ووسائل الإعلام المختلفة.

ولتأثير البيئة على تكوين الشخصية، أكّد رسول الله ﷺ، على اختيار الزوجة من بيئة صالحة، وحذّر من الاختيار الذي لا ينظر إلى نوعية البيئة، فقال ﷺ: «أيها الناس إيّاكم وخضراء الدمن».

قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال ﷺ: «المرأة الحسناء في منبت السوء».[1]

وجاءت تعاليمه الشريفة مؤكدة على اختيار الصالحين من الأزواج، الذين ترعرعوا في بيئة صالحة.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ٤٠٣/٧، *فردوس الأخبار*: ٤٦٤/١.

وبيّن الإمام جعفر الصادقعليه السلام، بعض الخصائص والصفات التي تخلقها من خلال التربية والتوجيه ومن خلال الإيحاء والمعاشرة، دون أنْ يكون للوراثة دخل فيها.

قالعليه السلام:

المكارم عشرة، فإنْ استطعت أنْ تكون فيك فلتكن، فإنّها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في ولده، ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد، ولا تكون في الحرّ: صدق البأس، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافأة على الصنائع، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، ورأسهن الحياء». [١]

وقد قامت السيرة النبوية، وسيرة الصالحين على هذا الاختيار بلحاظ البيئة والوراثة على حدّ سواء.

وقد أرشدت منظمة الصحّة العالمية طالبي الزواج: أنْ يختاروا زوجات ترعرعن في بيئة صالحة، وتناسلن من نطفة انحدرت عن أصل كريم. [٢]

فحص صنف الدم قبل الإقدام على الزواج

يؤكد علماء الوراثة خطورة الاختلاف بين نوع دم الأم ودم الجنين، من حيث العامل الريزيسي، وهو أحد مكونات الدم ويتحدّد وراثياً، فإذا كان العامل الريزيسي عند كلٍّ من الأُم والابن موجباً أو سالباً، فلا توجد مشكلة.

أما إذا كان عند الأُم سالباً Rh ـ وعند الجنين موجباً +Rh بوراثة هذا العامل من أبيه، فإنّ ذلك يؤدي الى:

١. تكوين أجسام مضادة.

٢. اضطراب في توزيع الأوكسجين.

---

١. *الخصال*: ٤٣١/٢.

٢. *قضايا المرأة*: ١٠٥.

٣. عدم نضج خلايا الدم.

٤. تدمير كريات الدم الحمراء عند الجنين.

٥. تلف المخ والضعف العقلي.

وربما يؤدي الى:

١. موت الجنين.

٢. الإجهاض.

٣. موت الجنين بعد ولادته بقليل.

وإذا تمَّ تشخيص هذا الاضطراب مبكراً، وتمَّ علاجه خلال الأسابيع الستة الأولى من حياة الطفل، فإنّ الأمل في الشفاء كبير.

ولإغراض الوقاية ينصح المقبلين على الزواج، بمعرفة نوع العامل الريزيسي عند الطرفين.[١]

ومن خلال متابعتنا لهذا الموضوع متابعة عملية، اطلعنا على أنّ هنالك نوعاً من الحقن المائعة، تحقن بها الأم عن طريق الدم ـ قبل الحمل ـ وبعد الولادة؛ استعداداً للطفل الثاني، واطلعنا أيضاً أنّ بعض الأجنة يولدون سالمين على الرغم من اختلاف دم الأم ودم الجنين، وقد لاحظنا ذلك في عدة حالات لم يفحص الزوجان عن صنف دمهما إلّا بعد إنجاب الطفل الثاني أو الثالث.

---

١. *علم نفس النمو*: ٨٥ عن: mc cad less.

تحكّم ظروف المباشرة الجنسيّة في خصائص الوليد

لا يستطيع علماء الطبيعة والوراثة، إجراء دراسة دقيقة حول تحكّم ظروف المباشرة الجنسية في خصائص الوليد، والإنسان لا يصلح أنْ يكون موضعاً نموذجياً لمثل هذه الأبحاث، لأسباب عديدة ومتنوّعة:

١. لا يمكن التحكّم في التزاوج في الإنسان؛ لأسباب دينية واجتماعية.

٢. لا يمكن التحكّم في ظروف المباشرة الجنسية؛ لأسباب أخلاقية وعرفية، حيث يرفضها أغلب الناس متدينين أم منحرفين.

٣. طول عمر الإنسان، وهذا لا يساعد على تتبّع أكثر من جيل من قبل باحث واحد، أو عدد من الباحثين.

٤. عدد الأفراد المولودين قليل؛ وبذا يكون عدد أفراد الأسرة قليلاً غير كاف للدراسات الوراثية.

٥. طول فترة الحمل تعيق الدقّة في الدراسات.

والأهم من كل ذلك، عجز العلماء والباحثين عن تتبع حركة الحيامن المتوجّهة لإخصاب البويضة الأنثوية، ولا نتوقع أنْ يصلوا إلى هذه المعرفة مهما كانت الأجهزة المخترعة لتتبّع حركة الحيامن، وأنا أقطع بأنّ العلم مهما تطوّر لا يقوى على ذلك.

وتوضيح ما أقول: إنّ مني الزوج أو الرجل المقذوف داخل المهبل، يحتوي على ٢٠٠ مليون إلى ٣٠٠ مليون حيمن، وأنّ الزوجة أو المرأة تمتلك حوالي ٣٠ ألف بويضة، ينضج منها حوالي ٤٠٠ بويضة خلال فترة الخصوبة من سنّ البلوغ حتى سن اليأس.

وتتمّ عملية الإخصاب عند ما يصل الحيوان المنوي إلى البويضة، باختراق غلافها الخارجي والتصاقه بنواتها، والمدّة المقرّرة لذلك هي ثلاثة أيّام، فأيّ باحث أو أيّ جهاز يستطيع تتبّع حركة واحد من الحيامن من مجموع ٢٠٠ مليون أو أكثر، وحركة واحدة من البويضات.

والأصعب من ذلك هو متابعة المرحلة التالية للإخصاب، حيث تتّحد الخليتان الذكرية والأنثوية، وتكونان خلية كاملة ذات ٢٣ زوجاً من الصبغيات (الكروموسومات)، تتكاثر بالانقسام الذاتي إلى خليتين، ثمّ إلى أربع ثمّ إلى ثمان وهكذا، بحيث تتكوّن كلّ خليّة من الخلايا الجديد من نفس العدد من الصبغيات (٤٦) وهي صورة من الصبغيات الأصليّة في البويضة المخصّبة.

ومن الدقّة أيضاً أنّ الصبغيات تحوي عدداً كبيراً من الجينات المسؤولة عن انتقال الصفات الوراثية.

وعلى هذا الأساس، فيستحيل متابعة هذه الحركة التناسلية منذ الإذعان والتصديق الوجداني بالأحاديث الشريفة، التي وردت عن رسول الله ﷺ وتلقّاها أبناؤه وأحفاده من بعده، والأحرى بالعلماء والباحثين، أنْ يتابعوا الصفات والخصائص الظاهرية للإنسان ويطابقوها مع الأحاديث الشريفة.

والأحرى بالفقهاء والمتخصصين بالعلوم الدينية، أنْ يتابعوا الأحاديث الواردة من حيث صحّتها وعدمها بمتابعة الرواة الناقلين لها، وسائر الخطوات المتعلّقة بالسند.

فهذه الروايات تنصّ على، تأثير ظروف المباشرة على خصائص الوليد، وعلى حدوث بعض الطفرات الوراثية فيه، أو خلق الاستعداد فيه للاتصاف بصفة معيّنة إنْ

تهيأت لها الظروف المناسبة، فالظروف الجوّية والنفسية والذهنية التي تحيط بالمباشرة، لها تأثير على خصائص الوليد، وأقرب الشواهد على الإذعان والتصديق بذلك ما اكتشفه العلماء بإمكان زيادة حدوث الطفرات الوراثية بالطرق الاصطناعية التالية.[١]

١. الأشعّة السينية.

٢. الأشعّة الذّرية.

٣. التعريض لدرجات حرارة مرتفعة أو منخفضة.

٤. الأشعة فوق البنفسجية.

٥. المواد الكيميائية.

وفيما يلي نستعرض مبادئ الوراثة التي تنسجم مع الأحاديث الشريفة، والتي تحدّد تأثير ظروف المباشرة الجنسيّة على خصائص الوليد.

أولاً: أثر الاضطراب والهدوء في نقل الصفات الوراثية

قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام:

إنّ الرّجل إذا أتى أهله بنفس ساكنة، وجوارح غير مضطربة، اعتلجت النطفتان كاعتلاج المتنازعين، فإنْ علت نطفة الرجل نطفةَ المرأة، جاء الولد يشبه أباه، وإنْ علت نطفة المرأة نطفةَ الرجل أشبه أمّه.

وإذا أتاها بنفس مزعجة وجوارح مضطربة غير ساكنة، اضطربت النطفتان فسقطتا عن يمنة الرحم ويسرته، فإنْ سقطت عن يمنة الرحم، سقطت على عروق الأعمام والعمّات، فيشبه أعمامه أو عماته.

وإنْ سقطت عن يسرة الرحم، سقطت على عروق الأخوال والخالات، فيشبه أخواله وخالاته.[٢]

---

١. *أساسيات في علم الوراثة*: ٨٨

٢. *بحار الأنوار*: ١٦٩/٤٠.

وهنالك روايات أخرى وردت بألفاظ عديدة، فبدلاً من كلمة (علت) وردت كلمة (غلبت) أو (سبق ماء الرجل ماء، المرأة).

وظاهر الروايات هو سبق الحيمن في الحركة للبويضة، فالحيمن يتحرّك باتّجاه الرحم، وتتحرّك البويضة من المبيض إلى الرحم عن طريق قناة (فالوب)، فإذا سبق الحيمن البويضة في الحركة وكان أنشط منها، خرج الوليد يشبه أباه، وإذا كان الحيمن بطيء الحركة وأقل نشاطاً، فإنّ الوليد يشبه أمّه.

والشطر الثاني في حال المباشرة الجنسية المضطربة، فإذا نزلت البويضة من المبيض الأيمن واتّصل بها الحيمن، واستقرّت في الجانب الأيمن من الرحم، خرج الوليد يشبه أعمامه وعمّاته، وإذا نزلت البويضة من المبيض الأيسر، واتّصل بها الحيمن واستقرّت في الجانب الأيسر من الرحم، خرج الوليد يشبه أخواله وخالاته.[١]

وإذا رجعنا إلى عملية الإخصاب لاحظنا: أنّ الكروموسومات بما تحمل من جينات تتّحد مع بعضها البعض لتكوّن خلية كاملة ذات ٢٣ زوجاً تتكاثر بالانقسام، لتتحدّد من هذه التفاعلات صفات الوليد.

والكروموسومات، يحمل كلّ منها نوعين من الجزئيات العضوية، هي: البروتينات، والأحماض النووية، وتنقسم الأحماض النووية إلى قسمين: الحامض النووي الرايبوزي منقوص الأوكسجين DNA، والحامض النووي الرايبوزي غير المنقوص RNA.

والمعلومات الوراثية، تكمن في الأحماض النووية، وأكثر دقّة تكمن في الحامض DNA، وهو يحتوي على زوج من القواعد النيتروجينية، وهنالك رسول يحمل الرسائل الوراثية من DNA إلى الرايبوسوم ـ مسئول عن صنع البروتين ـ ويسمّى بـ M-RNA، ويقوم الناقل T-RNA بحمل الأحماض الامينية في السيتوبلازم.

---

١. يفرز المبيضان بويضة بالتناوب، ويحدث التلقيح في قناة (فالوب) قبل وصول البويضة إلى الرحم.

وتكوين الرسول يحتاج إلى طاقة يستمدّها بمساعدة انزيم معيّن، ثمّ ينفصل الرسول RNA عن سلسلة DNA، ثمّ يخترق النواة ويذهب إلى السيتوبلازم، ويتحرّك كلّ ناقل ليرتبط بالرسول، وبذلك تجتمع الأحماض الأمينية المحمولة عل النواقل، طبقاً لتسلسل القواعد النيتروجينية على الرسول.[١]

وهكذا فإنّ الرسول M-RNA كلّما كان ذا طاقة أقوى؛ نقل الخصائص الوراثية الكامنة في DNA القادم من كروموسومات الزوج، فتغلّبت صفات الزوج على الوليد دون صفات أمّه والعكس صحيح.

وإذا كان الزوج في حال اضطراب وقلق، فإنّ الرسول M-RNA سينقل الصفات المتنحية للأجداد التي يحملها الأعمام، كصفة ظاهرة، أو يحملها الأخوال، فيخرج الوليد شبيهاً بأخواله أو أعمامه ـ والله العالم ـ.

ثانياً: أثر قراءة القرآن في تحديد جنس الوليد

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

> من أراد أنّ يولد له ولد ذكَر، فليضع يده اليمنى على السرّة من الجانب الأيمن[٢] عند الجماع، وليقرأ: سورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ سبع مرات، ثمّ يجامع، فإنّه يرى ما أراد.
>
> ويقول كل يوم عند الصباح والمساء سبعين مرة: (سبحان الله) وعشر مرات: (أستغفر الله)، وتسع مرات: (سبحان الله العظيم)، ويقول في العاشرة: أستغفر الله ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُمْ مِدْرَارًا * وَيمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.[٣]

من الحقائق التي بيّنها القرآن الكريم؛ أنّ الزوج هو الذي يحدّد الوليد دون الزوجة.

---

١. لزيادة الاطّلاع، يراجع كتاب: *أساسيّات في علم الوراثة*.

٢. المقصود سرة الزوجة.

٣. *جامع الأخبار*: ٢٨١؛ نوح: ١٠ ـ ١٢.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.[١]

فالمنيّ هو المسؤول عن تحديد الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، وهذه حقيقة علمية ثابتة اكتشفها علماء الوراثة فيما بعد، حيث إنّ تفاعل الكروموسومات الذكرية والأنوثة في الزوج الثالث والعشرين منها، هو الذي يحدّد الجنس ذكراً أم أنثى.

حيث إنّ كروموسومات الذكر هي XY، وكروموسومات الأنثى هي XX.

فعند التزاوج أو الإخصاب، تتّحد جاميتات الذكر والأنثى، فإذا اجتمع كروموسوم جنسي X مع X كان الناتج أنثى، أي XX.وإذا اجتمع كروموسوم جنسي Y مع X كان الناتج ذكراً، أي XY.

والخطوات التي يقوم بها الزوج ـ المسؤول الوحيد عن تحديد جنس الوليد ـ لها تأثير ملحوظ على توجيه الكروموسومات Y للاتحاد بالكروموسوم X.

والظاهر أنّ قراءة القرآن وبصوت جميل، ووضع اليد اليمنى على السرّة، يؤثر على الكروموسوم Y الدقيق في حجمه، فلدقّته في الحجم تؤثر عليه نبرات الصوت، إضافة إلى تأثره بالاستقرار والاطمئنان النفسي الذي يحمله الزوج في خلجاته وخواطره، فينطلق للاجتماع بالكروموسوم الأنثوي X فينتج XY، إضافة إلى تدخّل اليد الغيبية، وبالوسائل والأسباب الطبيعية الموضوعة كقوانين لتحديد الجنس.

وهذه الخطوات مجرّبة من قبل العديد من الأزواج، حيث كانت نتيجة هذا العمل هو إنجاب الذكور.

---

١. القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

ثالثاً: تأثير الظروف الزمانية والفلكية

ذكر الإمام محمد الباقر عليه السلام: الظروف الزمانيّة والفلكيّة التي تكره فيها المباشرة الجنسية وإنْ كانت مشروعة، فقال:

ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وفي اليوم الذي تنكسف فيه الشمس، وفي الليلة التي ينخسف فيها القمر، وفي الليلة وفي اليوم اللّذين يكون فيهما الريح السوداء والريح الحمراء والريح الصفراء، وفي اليوم والليلة اللذين يكون فيهما الزلزلة...

وايم الله، لا يجامع أحد في هذه الأوقات التي نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنها، وقد انتهى إليه الخبر، فيرزق ولداً فيرى في ولده ذلك ما يحبّ.[1]

وفي رواية أخرى: رأى في ولده ما يكره.[2]

والاحتمال الوارد هو تأثر الجينات بهذه الظروف، والتخلّف عن وظيفتها أو حدوث الخلل في نقل الصفات الوراثية كاملة، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الخوف والقلق الحاصل من هذه الآفات السماوية يخلق الاضطراب النفسي والعصبي في الوليد.

وخير مثال واقعي على هذا المبدأ الوراثي، ما نراه في مواليد العراق عقب العدوان الأمريكي على الشعب العراقي، حيث إنّ الخوف والقلق والاضطراب الذي خلّفته دول العدوان، إضافة إلى التهديدات المستمرة ـ والتي فاقت خطورتها خطورة الزلزال أو الرياح العاصفة ـ أدّت إلى مواليد مشوّهة وناقصة.

رابعاً: تأثير الأوقات والأيام والليالي

ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله: جملة من المكروهات التي تؤدي إلى حدوث طفرات وراثية في الوليد، أو تخلق استعدادات نفسية سلبية:

---

١. *الكافي*: ٥: ٤٩٩.

٢. *مستدرك الوسائل*: ١٤/٢٢٤.

١. لا تجامع إمرأتك أوّل الشهر ووسطه وآخره، فإنّ الجنون والجذام والخبل يسرع إليها وإلى ولدها.

٢. لا تجامع إمرأتك بعد الظهر، فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، يكون أحول.

٣. لا تجامع إمرأتك في ليلة الفطر، فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، لم يكن ذلك الولد إلّا كثير الشّر.

٤. لا تجامع أهلك في ليلة الأضحى، فإنّه إنْ قضي ولد، يكون له ستّ أصابع أو أربع أصابع.

٥. لا تجامع إمرأتك في النصف من شعبان، فإنّه إنْ قضي ولد، يكون ذو شامة وشعرة في وجهه.

٦. لا تجامع في أوّل ساعة من الليل، فإنّه إنْ قضي ولد، لا يؤمن أنْ يكون ساحراً ومختاراً للدنيا على الآخرة.

٧. لا تجامع إمرأتك بين الأذان والإقامة، فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، يكون حريصاً على إهراق الدماء.[١]

وذكر رسول الله ﷺ جملة من المندوبات المؤثّرة إيجاباً في خلق استعدادات نفسية إيجابية:

١. عليك بالجماع في ليلة الاثنين، فإنّه إنْ قضي ولد، يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قُسم له.

٢. إذا جامعت في ليلة الثلاثاء فإنّه إنْ قضي ولد يكون شهيداً ويرزق الله له الشهادة، ويكون طيّب النكهة، رحيم القلب، سخيّ القلب، طاهر اللسان.

٣. وإنْ جامعت في ليلة الخميس فإنّه إنْ قضي ولد يكون حاكماً أو عالماً.

٤. وإنْ جامعتها يوم الخميس عند الزوال فإنْ قضي ولد لا يقربه الشيطان.

٥. وإنْ جامعتها ليلة الجمعة، فإنْ قضي ولد يكون خطيباً قوالاً مفوّهاً.

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢١٠؛ *جامع الأخبار اسبزواری، محمدبن محمد*: ٢٧٨.

٦. وإنْ جامعتها يوم الجمعة بعد العصر، فإنْ قضي ولد يكون معروفاً ومشهوراً عالماً.

٧. وإنْ جامعتها ليلة الجمعة بعد العشاء، فإنْ قضي ولد يرتجى أنْ يكون له ولد من الإبدال إنْ شاء الله.[١]

وإذا نظرنا إلى الواقع لوجدنا هذه الحالات حادثة، ولكنّ علماء الوراثة فسّروها بالطفرات الوراثية وبالتأثيرات البيئية، وفسّرت بوجود خلل في الكروموسومات أو الجينات، ولم يشخّصوا سبب هذا الخلل.

فقد ذكر بعض العلماء أنّ متلازمة XYY التي تحتوي على كروموسوم Y الزائد، يتّصف أصحابه بضخامة الجثّة، كما يتصفون بالتخلف والعدوانية في السلوك، حيث اكتشفت معظم هذه الحالات في السجون بنسبة ٢ إلى ١٢٪ من المسجونين، أمّا نسبتهم في المجتمع بكليته، فتبلغ حوالي واحد لكلِّ ألف، واستخلص الباحثون إلى أنّ الصبغية الزائدة Y هي السبب لهذه الأعراض.[٢]

وهنالك ظاهرة الغباء المنغولي، ويمتاز المصابون بها بعيون منحرفة، وتخلّف عقلي شديد، حيث تتراوح نسبة الذكاء لديهم بين ٢٠ـ٦٠، ويعد هذا المرض من أكثر أسباب التخلّف العقلي انتشاراً، كما يظهر بنسبة واحد لكلّ ٥٠٠ـ٦٠٠ من المواليد.[٣]

ويرى العلماء أنّ هذه الظاهرة ناجمة عن وجود كروموسوم زائد في الخلايا الجسمية، وبذلك يصبح عددها (٤٧) بدلاً من (٤٦) كروموسوم، والزيادة هذه ناتجة عن عدم انفصال زوج الكروموسومات الجسمية رقم (٢١) انفصالاً طبيعياً أثناء الانقسام الاختزالي، وبذلك يصبح ممثّلاً بثلاث كروموسومات بدلاً من كروموسومين.[٤]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢١٠.

٢. *الطفولة*: ٩٥.

٣. *المصدر*.

٤. *أساسيات في علم الوراثة*: ١٢٥.

وهنالك ظاهرة أخرى يكون الوليد فيها مؤنثاً، ولكنّ الأثداء غير بارزة النمو، ويكون الصدر عريضاً، وغالباً ما تكون الأنثى عقيمة، إضافة إلى التخلّف العقلي.

وهذا الوليد يحمل كروموسوم جنسي (X) واحد، وعدد الكروموسومات في خلاياهم الجسمية هو (٤٥) بدلاً من (٤٦) كروموسوماً، وقد أوضحت الدراسات الوراثية: أنّه لا علاقة لسنّ الأم في هذه الظاهرة، وأنّ المسؤول في عدم الانفصال هو الأب.

ومعدّل ظهور هذه الظاهرة منخفض، وذلك بسبب ارتفاع معدّل الوفيات في الأجنّة.[١]

وقد أكّدت بعض الروايات: على أنّ الولد إذا سلم من السقط ـ أي الموت قبل أوأنّه ـ فإنّه سيصاب بالخبل و الجنون في حالات المباشرة أثناء بعض الأوقات.

خامساً: دور الحواسّ السمعيّة والبصريّة

قال رسول الله ﷺ: «لا تتكلّم عند الجماع، فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، لا يؤمن أنْ يكون أخرساً».

وقال ﷺ:

> ولا ينظرن أحد في فرج إمرأته، وليغضّ بصره عند الجماع، فإنّ النظر إلى الفرج يورث العمى، يعني في الولد.[٢]

فالكلام والنظر يؤثّر على الجينات المسئولة عن الخصائص الوراثية، ويبطل عمل بعضها بعد اتّحاد الخلايا ثمّ انقسامها وتمايزها، فبعد تخصّص الخلايا تتكوّن ثلاث طبقات: أحدها الطبقة الخارجية ectoderm، وتكوّن الجهاز العصبي، والحواسّ، والجلد، والشعر، والأظافر، والأسنان.

ويحدث الخلل في تكوين حاسّة السمع والنظر، فيؤدّي إلى إصابة الوليد بالخرس والعُمى، وقد يسلم من العُمى ليظهر في نسله في الجيل الثاني.

---

١. *المصدر*: ١٢٤.

٢. *مكارم الأخلاق*: ٢٠٩.

وهذه الحقيقة تستحقّ الدراسة من قبل علماء الوراثة، عن طريق متابعة ظواهر الخرس والعمى، والتعرّف على أسبابها.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

إيّاك والجماع حيث يراك صبيّ يحسن أنْ يصف حالك... فإنّك إنْ رزقت ولداً كان شهرة علماً في الفسق والفجور.[1]

فنظر الصبي إلى المباشرة الجنسية يؤثر على استعدادات الوليد ـ الناجم عن المباشرة ـ من ناحية الاتصاف بالانحراف.

سادساً: دور الظروف البدنيّة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا تجامع إمرأتك من قيام، فإنّ ذلك من فعل الحمير، فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، يخاف أنْ يكون بوّالاً في الفراش كالحمير البوّالة تبول في كل مكان.[2]

بعد انقسام الخلايا وتخصّصها، تتكوّن ثلاث طبقات، ومنها الطبقة الوسطى mesoderm، وتكوّن بدورها الجهاز العضلي والعظمي والدوري، والجهاز البولي.

والجهاز البولي يخضع في تكوينه لظروف اتّحاد الكروموسومات والجينات ثمّ انقسامها، ولدقّة الخلايا فإنّها تتأثّر بالحالات غير الطبيعيّة، كالمباشرة الجنسيّة من قيام، والتي تؤدّي في النهاية إلى حدوث خلل في جهاز السيطرة على البول، فيتبوّل الوليد تبوّلاً لا إرادياً.

ومن الظروف المؤثرة في خصائص الوليد، هي الاختضاب؛ قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لا تجامع أهلك وأنت مختضب؛ فإنّك إنْ رزقتَ ولداً كان مخنّثاً.[3]

---

١. *وسائل الشيعة*: ١٣٤/٢٠.

٢. *مكارم الأخلاق*: ٢١٠.

٣. *طب الأئمة مصادر الروايات*: ١٣٢.

ومن الظروف المؤثَّرة هي ظروف السفر، حيث تؤثر أوضاع البدن وما يرافقها من استعدادات بدنيّة ونفسية على الاستعدادات النفسيّة والسلوكيّة للوليد.

قال رسول الله ﷺ:

إذا خرجت في سفر، فلا تجامع أهلَكَ تلك الليلة؛ فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، ينفق ماله في غير حقّ.

وقال ﷺ:

لا تجامع أهلَكَ إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيام ولياليهنّ؛ فإنّه إنْ قضي بينكما ولد يكون عوناً لكلّ ظالم.

سابعاً: دور الظروف المكانيّة

قال رسول الله ﷺ:

لا تجامع إمرأتَك تحت شجرةٍ مثمرةٍ؛ فإنّه إنْ قضي بينكما ولد يكون جلّاداً أو قتّالاً.

وقال ﷺ:

لا تجامع إمرأتَكَ في وجه الشمس وشعاعها، إلّا أنْ يُرخى ستر فيستركما؛ فإنّه إنْ قضي بينكما ولد، لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت.

وقال ﷺ:

لا تجامع أهلك على سقوف البنيان؛ فإنّه إنْ قضى بينكما ولد يكون منافقاً مرائياً مبتدعاً.

ثامناً: تأثير الظروف الذهنيّة

قال رسول الله ﷺ: «لا تجامع أهلَك بشهوةِ إمرأةِ غيرِك، فإنْ قضي بينكما ولد يكون مخنّثاً، مؤنّثاً، مخبلاً».[1]

حذّر رسول الله ﷺ من تخيّلِ إمرأةٍ ثانيةٍ أثناء المباشرة الجنسيّة مع الزوجة، وهذه

---

١. ورد هذا الحديث والأحاديث المتقدّمة في الكتب التالية: *جامع الأخبار*: ٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ *مكارم الأخلاق*: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

الحالة المرضيّة منتشرة في أوساط بعض أو كثير من الأزواج الذين يتعرّضون لإثارات وقتيّة أو دائمة بمحض إرادتهم فيلتجئون إلى زوجاتهم، ويباشروهنّ جسدياً، أمّا أذهانهم فتتخيّل إمرأة أخرى، وهذه الظاهرة لها تأثير على تفاعل الكروموسومات، حيث يحدث الخلل في عملية الانقسام الاختزالي، ممّا يؤدّي إلى عدم انفصال كروموسومات الجنس وخصوصاً XY، فحينما تتّحد مع الكروموسوم X ينتج: XXY.

ويكون مظهر الفرد ذكراً (ذا سمات أنثوية، ويكون الدافع الجنسي لديه ضعيفاً، ويظهر لديهم أحياناً بعض التخلّف العقلي، ويعاني كثير من المصابين بهذا المرض من مشكلات التكيّف... ويبدو أنّ انتشار هذا المرض واسع نوعاً ما؛ إذ يقدّر بواحد لكلّ ٤٠٠ شخص طبيعي).[١]

وقد أثبت علماء الوراثة هذه الظاهرة، إلّا أنّهم لم يستطيعوا تحديد السبب، والأحرى بهم أنْ يجعلوا هذا الحديث الشريف نصب أعينهم، ليطوّروا آراءهم على وفقه؛ لعجزهم عن إجراء التجارب على الجنس البشري، ويا حبّذا، أنْ يجعلوا هذا الحديث موضوع احتمال أو نظرية كسائر النظريّات؛ ليتابعوا صحّتها من خلال الظواهر الواقعية، ولتكن النظرية بهذه الصياغة: إنّ تخيّل الرجل إمرأة أخرى أثناء المباشرة مع زوجته، يؤدي إلى تكوين وليد يحمل الرمز XXY.

ومن الظروف الذهنية المؤثّرة في خصائص الوليد، هي: المباشرة الجنسية بعد الاحتلام.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

> يكره أنْ يغشى الرجل المرأة وقد احتلم، حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإنْ فعل ذلك فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ إلّا نفسه.[٢]

فالذهن قبل الغسل يبقى مشغولاً بالحلم الذي رآه، أمّا بعد الاغتسال، فإنّ الطاقة الجسديّة والذهنيّة ستتبدّل وتكون أكثر فعّالية وحيويّة؛ ليباشر الزوج زوجته بلا انشغال ذهني مسبق.

---

١. *الطفولة*: ٩٤.

٢. *مكارم الأخلاق*: ٢١٢.

العلاقات الجنسيّة قبل الحمل وبعده

الإرشادات الجنسيّة النافعة

يستحسن للزوجين أداء المباشرة الجنسيّة ليلاً، لأنّ الليل خير وقت للهدوء والسكينة، فلا ضجيج ولا صخب، ولا انشغال بعمل أو موعد، وأجواؤه ملائمة لإظهار العواطف والأحاسيس وتبادل الغزل والغرام، ثم يعقبه النوم الذي يعوّض عن الجهد المبذول في المباشرة.

ولذا أكد أهل البيت عليهم السلام على زفاف العروس ليلاً، وحذّروا من اختيار النهار.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «زفّوا عرائسكم ليلاً...».[1]

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«إنّ من السنّة التزويج بالليل؛ لأنّ الله عزّ وجل جعل الليل سكناً، والنساء إنّما هنّ سكن».[2]

ولمّا بلغ الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّ رجلاً تزوّج في ساعة حارّة عند نصف النهار، قال: ما أراهما يتّفقان، فافترقا.[3]

---

١. *الكافي*: ٣٦٦/٥.

٢. *تهذيب الأحكام*: ٤١٨/٧.

٣. *الكافي*: ٣٦٦/٥.

ووردت روايات عديدة تحذّر من المباشرة في أوّل الصباح، وقبل طلوع الشمس، وفي وقت مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وفي أوّل الليل، وفي نهار بعض الأيام؛ لأنّ النهار وخصوصاً أوّل الصباح يؤدي إلى خسران النشاط والحيوية ـ بعد المباشرة ـ فيخرج الزوج إلى العمل مرهقاً متعباً، وتبقى الزوجة تشعر بالإعياء عندما تريد تدبير أمور المنزل، أو حينما تريد تذهب إلى العمل خارج المنزل، أمّا الليل فإنّه يساهم في الاستسلام للنوم الهادئ العميق الذي هو العامل المساعد على الراحة بعد المباشرة.

ويستحسن الانشغال بالدعاء قبل المباشرة، وذِكرِ الله تعالى بالبسملة، عند أوّل خطوة من المباشرة، أي القول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عند الإيلاج؛ والبسملة أو ذكر الله عموماً يخلق الطمأنينة في قلب الزوجين؛ لأنّهما يشعران بالارتباط بمنعم الوجود وبمنعم الرحمة والبركة والخير، وترتبط المباشرة من جراء ذلك بارتباط مقدّس يتعالى على الشهوات البهيميّة، وتصبح المتعة للنفس والروح والضمير والجسد في آن واحد.

ويكره استقبال القبلة أو استدبارها أثناء المباشرة.

ومن الإرشادات النافعة، أنْ لا يباشر الزوج زوجته بعد تناول الطعام مباشرة؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى إضعاف القوى البدنيّة، ويسبّب أمراضاً للجهاز الهضمي، بل وحتى الجهاز التنفسي، وقد يؤدي الاستمرار على ذلك إلى إنهاك البدن إنهاكاً قد يؤدي إلى الموت قبل أوانه.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

> ثلاثة يهدمن البدن وربما قتلن: دخول الحمّام على البطنة، والغشيان على الإمتلاء، ونكاح العجائز.[1]

ويستحسن قطع الكلام عند التقاء الختانين، أو عند قرب الوصول إلى هزّة الجماع؛ لأنّ ذلك قد يؤدي إلى إصابة الجنين ـ المتأتي من هذه الممارسة ـ بالخرس.

---

١. *وسائل الشيعة*: ٢٠/٢٥٥.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

اتّقوا الكلام عند ملتقى الختانين؛ فإنّه يورث الخرس.[١]

ومن المستحسن تهيئة قطعة قماش أو منديل لكلّ منهما، ليكون المسح بعد المباشرة مستقلّاً، وللحيلولة دون امتزاج المادة الممسوحة، لأنّ الامتزاج يؤدي إلى زرع العداوة والكراهية بين الزوجين، وهذا ليس رجماً بالغيب وإنّما أثبتت التجارب صحته، فقد وجد كثير من الأزواج أنّ بعض المشاكل والمشاحنات بدأت تتضاءل وتنتهي، حينما التفتا إلى هذه الحقيقة، بأنّهما كانا يمسحان بمنديل واحد.

وهذه الحقيقة، أكّد عليها رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه وإرشاداته قائلاً:

لا تجمع إمرأتك إلّا ومعك خرقة، ومع أهلِك خرقة، ولا تمسحا بخرقةٍ واحدةٍ فتقع الشهوة على الشهوة، فإنّ ذلك يعقب العداوة بينكما، ثمّ يؤدّيكما إلى الفرقة والطلاق.[٢]

ومن أجل ضمان حدوث الحمل، ينبغي للزوجة أنْ تستلقي على ظهرها بعد المباشرة، وتستسلم للنوم العميق الهادئ، لكي تصل المادة المنويّة إلى البويضة، فيقوم أحد الحيامن بإخصابها، وقد أثبتت التجارب أنّ النوم أو الإستلقاء على الظهر يساعد على الحمل.

ومن الأخطاء الشائعة قيام الزوجة بعد المباشرة، أو بعد الإستيقاظ من النوم باستعمال الماء البارد لتنظيف المهبل، لأنّ الأجزاء المختلفة للأعضاء الجنسية تكون محتقنة بالدم وخصوصاً بعد المباشرة الجنسيّة بوقت قصير، وأنّ استعمال الماء البارد يكون أشبه بشخص يتصبّب عرقاً ثمّ يغمر نفسه بماء بارد، فإنّ ذلك يؤثر على الصحة البدنيّة.

وفي جميع الأحوال ينبغي الاهتمام بنظافة الأعضاء الجنسية للزوجين قبل وبعد المباشرة؛ للحفاظ على صحتيهما.

---

١. *الكافي*: ٤٩٨/٥.

٢. *وسائل الشيعة*: ٢٥٣/٢٠.

الوقت المناسب للحمل

تبدأ مرحلة الدورة الشهرية بما تتضمّنه من فترة الحيض الأوّل menarche، وتستمر لمدة ٣٠ ـ ٤٠ سنة، وبعد ذلك تتوقّف عند بلوغ الأنثى سنّ اليأس، وتستمر إلى أكثر من ذلك عند بعض النساء، تبعاً لنسبها العرقي أو بيئتها الجغرافيّة، ولكنها ظاهرة استثنائيّة في هذا القرن.

وتبدأ الدورة الشهرية ـ الحيض ـ الثانية بعد ٢٨ ـ ٢٩ يوماً عند أغلب النساء، وقد يحدث الاضطراب عند بعضهنّ فتتأخر مواعيدها، وتتراوح فترة الحيض مدّة ٣ ـ ٧ أيام، وفي بعض النساء إلى عشرة أيام.

وحدّدت الشريعة أقل الحيض بثلاثة أيام، وأكثره بعشرة أيام، وما زاد عن ذلك فهو استحاضة.

ويقسّم علماء الفسيولوجيا دورة الحيض إلى ثلاث مراحل[1]:

أوّلاً: مرحلة الإنهيار: وتبدأ في اليوم الأوّل وتستمر أربعة أيام في المتوسّط، وفيها يتحطّم الغشاء المخاطي للرحم نتيجة إفرازات الهرمونات التي تفرزها الحويصلة الناضجة، وتقع الخلايا الطلائيّة على بقيّة الغشاء، وتمرّ إلى الخارج مع كمية من الدم يبلغ وزنها بين ١٠ إلى ١٠٠ غرام، ويكون خروج الدم والمخاط من الرحم.

ثانياً: مرحلة التكاثر: وتستمر من اليوم الرابع إلى اليوم الرابع عشر، وفيها تنمو الطبقة السطحية للغشاء المخاطي، وتحدث عملية التبييض في نهاية المرحلة، وهي المرحلة التي تخرج فيها البويضة إلى الخارج.

ثالثاً: مرحلة الإفراز: وهي مرحلة ما قبل الحيض، وتكون من اليوم الرابع عشر، إلى اليوم الثامن والعشرين، وتنتهي بنزول الدم وتكسير الغشاء المخاطي.

---

١. *علم النفس التربوي*: ٦٢٢.

ويحدث الحمل بعد التقاء الحيمن بالبويضة، وفي جميع الحالات الطبيعية، ستمر البيضة وحدها نحو الرحم مرّة كلّ ثمانية وعشرين يوماً.

وأصلح وقت للحمل، هو الأسبوع الثاني الذي يلي الحيض مباشرة، وأقل الأوقات مناسبة الأسبوع الذي يسبقه، ويمكن أن يحدث في أي وقت، وإنْ كان الوقت الأكثر احتمالاً هو نحو اليوم الرابع عشر قبل بداية الحيض المتوقّع.[1]

وهنالك حالات استثنائيّة تكون فيها البويضة الأنثوية أو مجموعة منها محجوزة في المبيضين، وتحت وطأة الهياج الجنسي، والتمدّد الحاصل من الحركة أثناء المباشرة الجنسيّة، قد تنزلق وتنساب واحدة من البويضات لتستقرّ في الرحم في فصل في غير أوانه، لتلتقي هناك بالمادّة المنويّة؛ لكي يحدث الحمل.[2]

وقد يحصل دون إيلاج باحتكاك ذكر الزوج مع مهبل الزوجة، فتبدأ أحد النطف أو الحيامن بالحركة داخل السائل الذي يفرزه المهبل، وتصل إلى الرحم، بل قد يحدث الحمل أحياناً دون فضّ غشاء البكارة.

ففي رواية، أنّ إمرأة نكحها رجل مسنّ فحملت، فزعم أنّه لم يصل إليها، وأنكر حملها ـ وكانت بكراً ـ فالتبس الأمر على الخليفة، فسألها: هل افتضّك الشيخ؟ فقالت: لا، فقال: أقيموا عليها الحدّ، فقال الإمام علي عليه السلام:

إنّ للمرأة سمّين: سمّ البول، وسمّ المحيض، فلعلّ الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سمّ الحيض فحملت منه.

فسئل الشيخ المسنّ، فقال: قد كنت أُنزل الماءَ في قُبلها من غير وصول إليها بالافتضاض.

فقال الإمام عليه السلام: «الحمل له، والولد له».[3]

---

١. *الموسوعة النفسيّة الجنسيّة*: ٢٢٧.

٢. *الحياة الجنسية السليمة*: ١٣٤.

٣. *وسائل الشيعة*: ٣٧٩/٢١.

واحتمال الحمل دون فضّ البكارة، أو دون إيلاج يستدعي الحذر عند إزالة السائل المنوي في الحمّام، أو في قطعة قماش لاحتمال وصوله إلى غير الزوجة، كبنتها مثلاً.

وأقلّ الحمل ـ أي بقاء الجنين في بطن أمه ـ ستة أشهر، وأكثره تسعة أشهر، والشكّ ثلاثة أشهر في حال الطلاق مثلاً، فتكون المدة سنة واحدة، وما نسب إلى البعض من أنّ أكثر الحمل سنة أو سنتين فهو خلاف للواقع وللتجارب العلمية. قال الإمام علي عليه السلام:

يعيش الولد لستة أشهر، ولسبعة أشهر، ولتسعة أشهر، ولا يعيش لثمانية أشهر.[1]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

أقصى مدّة الحمل تسعة أشهر، ولا يزيد لحظة، ولو زاد ساعة لقتل أُمّه قبل أنْ يخرج.[2]

وينبغي للزوجة أنْ تستقبل الحمل بفرحٍ واستبشار، وتزيل عن نفسها المخاوف والهواجس من عسر الولادة وصعوبتها الولادة لكي يتمتّع الوليد بالتوازن الانفعالي.

المحيط الأوّل للطفل

رَحِم الأم، هو المحيط الأوّل الذي ينشأ به الإنسان، ولهذا المحيط تأثيراته الإيجابية والسلبيّة على الجنين؛ لأنّه الإطار الذي يتحرّك فيه، ويعتبر الجنين جزءاً من الأم، تنعكس عليه جميع الظروف التي تعيشها الأم، وقد أثبتت الدراسات العلميّة تأثير الأم على نمو الجنين الجسدي والنفسي، فالاضطراب والقلق والخوف والكبت وغير ذلك، يترك أثره في اضطراب الوليد عاطفياً.[3]

فالجنين يتأثر بالأم ومواصفاتها النفسية وما يطرأ عليها في مرحلة الحمل من عوامل إيجابيّة أو سلبيّة، وإنّ :

---

١. *الكافي*: ٥٢/٦.

٢. *المصدر*.

٣. *علم النفس التربوي*، الدكتور فاخر عاقل: ٤٦ ـ ٤٧.

الاضطرابات العصبية للأم توجّه ضربات قاسية إلى مواهب الجنين قبل تولّده، إلى درجة أنّها تحوّله إلى موجود عصبي لا أكثر، ومن هنا يجب أنْ نتوصل إلى مدى أهمية التفات الأم في دور الحمل إلى الابتعاد عن الأفكار المقلقة، والهمّ والغمّ، والاحتفاظ بجوٍّ الهدوء والاستقرار.[1]

وشهور فترة الحمل تؤثر في الثبات العاطفي للطفل[2] إيجاباً أو سلباً.

وقد أكّد الإسلام على هذه الحقيقة قبل أنْ يكشفها علماء النفس في يومنا هذا. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

الشقي من شقى في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه.[3]

والمقصود من الشقاء والسعادة في بطن الأم، هو تلك الانعكاسات التي تطرأ على الجنين؛ تأثراً بالحالة الصحيّة الجسديّة والنفسيّة للأم، فتولّد فيه استعداداً للشقاء أو للسعادة، فبعض الأمراض الجسديّة تؤثر على الجنين فيولد مصاباً ببعضها، وتلازمه الإصابة إلى الكبر فتكون مصدر الشقاء له، أو يكون سالماً من الأمراض فتكون السلامة ملازمة له، وكذلك الحالة النفسيّة والعاطفيّة، فالقلق أو الإطمئنان، والاضطراب أو الاستقرار، والخوف أوعدمه، وغير ذلك يؤثّر في الجنين ويبقى ملازماً له ما لم يتوفّر له المحيط الاجتماعي المثالي لكي ينقذه من آثار الماضي.

أو الوقائية التي اتخذها الإسلام لإبعاد الجنين عن الظواهر السلبيّة المؤثّرة في النمو الجسدي والنفسي:

أ) الاهتمام بغذاء الأُم

من الحقائق الثابتة، أنّ صحة الجنين الجسدية تتناسب طردياً مع صحة الأم، ومن

---

١. *الطفل بين الوراثة والتربية*، عن كتاب نحن والأبناء: ٢٧.
٢. *مشاكل الآباء في تربية الأبناء*: ٢٦٣.
٣. *بحار الأنوار*: ٤٤/٣.

العوامل المؤثّرة في صحة الأُم الغذاء، ونحن نلاحظ أنّ المجاعة في بعض البلدان كان لها تأثير واضح في صحة الوليد، فالضعف الجسدي والأمراض الجسديّة والتشوهات في الخلقة، ترجع أسبابها إلى المجاعة وسوء التغذية، والعكس صحيح.

لذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بالاهتمام بغذاء الحامل، وخصوصاً الغذاء الذي له تأثير مباشر على الصفات النفسيّة والروحيّة للجنين ومن هذه الأغذية المؤثرة:

السفرجل:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

كلوا السفرجل فإنّه يجلو البصر وينبت المودّة في القلب، وأطعموه حبالاكم؛ فإنّه يحسّن أولادكم.[1]

اللّبان:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

اطعموا نسائكم الحوامل اللّبان، فإنّه يزيد في عقل الصبي.[2]

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

أطعموا حبالاكم اللّبان، فإنْ يكن في بطنهنّ غلام، خَرجَ ذكي القلب عالماً شجاعاً، وإنْ يكن جارية حسن خَلقها وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها.[3]

التمر:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإنّ ولَدَها يكون حليماً نقياً».[4]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ١٧٢.

٢. *المصدر*: ١٩٤.

٣. *المصدر*.

٤. *المصدر*: ١٦٩.

وقد وضع أهل البيت عليهم السلام جدولاً متكاملاً في أنْواع الأغذية المفيدة في صحة الجسم، كما ورد في كتاب الأطعمة والأشربة من كتابي *الكافي*، و*مكارم الأخلاق*، كالرمّان، والتين، والعنب، والزبيب، والبقول، والسلق، والفواكه الأخرى، وكذلك، اللحم، والهريسة، والخضروات.

إضافة إلى منعها من الأغذيّة المضرّة للصحة الجسديّة والنفسيّة، كالميتة، والدم، ولحم الخنزير والخمر، وكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأطعمة والأشربة المحرّمة.

وقد دلّت الدراسات الميدانية على الاهتمام بغذاء الحامل، فإنّ أهم التأثيرات البيئيّة قبل الولادة هو صحة الأم الحامل، حيث إنّ الأمراض التي تتعرّض لها الأم ـ خصوصاً تلك ـ التي ينتج عنها ارتفاع درجات الحرارة والتي تؤدي إلى التأثير السلبي على الجنين النامي، كما أنّ إصابتها بأي من الأمراض المزمنة، قد تكون سبباً مباشراً في ظهور عيوب خلقيّة في الأطفال، تؤثر فيما بعد في سلوكهم بشكل أو آخر.

وأثبتت بعض الدراسات أنّ الأطفال الذين أنجبتهم أمهات مصابة بسوء التغذية الشديد، كانوا مصابين في أجهزتهم العصبية، وذلك لأنّ سوء التغذية في بداية الحمل يمكن أنْ يؤثر في تكوين الغلاف الدهني للألياف العصبية، وكذلك فإنّ سوء التغذية الشديد في بداية الحمل، من شأنه الإقلال من عدد الخلايا المخّ وبالتالي الإنْقاص من حجم المخّ.

ولابدّ من الإشارة إلى أنْ تناول الأم الحامل للعقاقير والمواد الكيماوية يؤثر تأثيراً متفاوتاً على الجنين.[1]

---

١. *علم النفس العام*: ١٠٢ ـ ١٠٣.

ب) الاهتمام بالصحة النفسيّة للحامل

اختيار المنزل الواسع

قال الإمام الصادقعليه السلام: «من السعادة سعة المنزل».[١]

وقالعليه السلام: «للمؤمن راحة في سعة المنزل».[٢]

إنّ أثر سعة المنزل على سعادة الإنسان من الحقائق الثابتة.والإسلام يشجّع على ذلك، فإذا كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً يتبنّى الإسلام منهاجاً له في الحياة، فسيكون للتكافل الاجتماعي دور في إشباع هذه الحاجة، وغيرها من الجاحات، وفي حالة عدم قدرة الرجل على شراء أو إيجار المنزل الواسع، فيمكنه أنْ يطمئن الزوجة على العمل وبذل الجهد من أجل الحصول عليه ويؤملها بذلك، أو يشجعها على الصبر الجميل، وما أعدّه الله تعالى لهما من الثواب والحسنات على ما يعانونه من فقر، فإنّ ذلك يجعلها مطمئنة ومرتاحة البال وإنْ كان المنزل ضيقاً.

توفير المستلزمات الضرورية للمرأة

عن عبد الله بن عطا قال:

دخلت على أبي جعفرعليه السلام فرأيت في منزله نضداً ووسائد وأنماطاً ومرافق، فقلت ما هذا؟ قال: «متاع المرأة».[٣]

فالمستلزمات التي تحتاجها المرأة في المنزل ضرورية، كالوسائد والمتّكآت والمفارش الملوّنة، إضافة إلى الملابس الجميلة وبعض الأثاث المنزليّة، تؤثر في راحتها وسعادتها، فمن الضروري توفيرها لها حسب القدرة والإمكانات، وفي حالة عدم القدرة

---

١. *مكارم الأخلاق*: ١٢٥.

٢. *المصدر*: ١٣١.

٣. *المصدر*.

عليها جميعاً أو على بعضها فيمكن للرجل إقناعها بما أعدّه الله تعالى لها من النعيم في الدار الآخرة، إضافة إلى زرع الأمل في نفسها بتحسين أوضاعها وإشباع حاجاتها.

حسن التعامل مع المرأة

حسن التعامل مع المرأة وخصوصاً الحامل، يجعلها تعيش حياة سعيدة مليئة بالارتياح والاطمئنان والاستقرار النفسي والروحي، فلا يبقى للقلق والاضطراب النفسي موضع في قلبها وروحها.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

وأما حقّ رعيتك بملك النكاح، فأنْ تعلم، أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأُنساً وواقيةً، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أنْ يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه، ووجب أنْ يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، فإنّ لها حق الرحمة والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللذة.[1]

وحسن التعامل يكون بالسيرة الحسنة معها، والرفق بها وإسماعها الكلمات الجميلة، وتكريمها ووضعها بالموضع اللائق بها، واعتبارها شريكة الحياة، وإشباع حاجاتها الماديّة والروحيّة، والتعامل معها كإنسانة أكرمها الإسلام، وإشاعة جوٍّ المنزل بالسرور والبشاشة والمودّة والرحمة، وإدخال الفرحة على قلبها، والحفاظ على أسرارها إلى غير ذلك من التعاليم التي أكدّ عليها الإسلام، ومنها مساعدتها في بعض شؤون البيت التي لا تستطيع انجازها، والصبر على بعض أخطائها ومساوئها التي لا تؤثر على نهجها الإسلامي، والتفاهم في حلّ المشكلات اليومية بأسلوب لا يثير غضبها، وتجنب كلّ ما يؤدي إلى الإضرار بصحتها النفسية كالغيرة في غير مواضعها، والتعبيس في وجهها، أو ضربها أو التقصير في حقوقها.[2]

---

١. راجع: الأحاديث في: *تحف العقول*: ١٨٨.

٢. راجع: *إرشاد القلوب*: ٧٥، *مكارم الأخلاق*: ٢٤٥، *المحجة البيضاء*: ١٩/٣.

ومن حسن التعامل مساعدة ومعاونة المرأة في بعض أمور البيت، ولنقتد برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في ذلك.

عن الإمام علي عليه السلام قال:

دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة جالسة عند القدر وأنا أنقّي العدس، قال يا أبا الحسن، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اسمع مني ـ وما أقول إلّا من أمر ربّي ـ ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلّا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام.

يا علي، ساعة في خدمة العيال خير من عبادة ألف سنة...

يا علي، خدمة العيال كفّارة للكبائر، وتطفئ غضب الربّ، ومهور حور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات.

يا علي، لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة.[1]

إشاعة المودة داخل الأسرة

إشاعة المودة داخل الأسرة، من أهم العوامل والمقوّمات المؤديّة إلى سكن النفس وهدوء الأعصاب وطمأنينة النفس، ولها دور أساسي في تماسك الأسرة وتقوية بنائها، واستمرار كيانها الموحّد، بل لها دور أساسي في بناء المجتمع في جميع نواحيه، وجعله مجتمعاً متماسكاً يسوده الوئام والسلام والتراحم والتكافل، يسعى أفراده للوصول إلى قمة السمو والتكامل.

والمودّة والمحبّة والرحمة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والتعاون الواقعي في علاج جميع المشاكل والمعوّقات الطارئة على الأسرة، وعلاج جميع الأزمات التي تؤدي إلى القلق والاضطراب والتفكك والانهيار الأسري.

---

١. *جامع الأخبار*: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

وعلاقات المودة والمحبّة والرحمة ضرورية في جميع المراحل التي تعيشها الأسرة، ويعيشها الوالدان وسائر أفراد الأسرة، ومنها: مرحلة الحمل والولادة، ومرحلة حضانة الطفل؛ لأنّ لها تأثيرات إيجابية على الوالدين وعلى الأطفال، وهي الكفيلة بتحقيق التوازن النفسي والاستقرار العاطفي للأطفال.

والمودة واجب شرعي، فتكون إدامتها استجابة للشارع المقدس وتقرّباً لله تعالى، ولهذا أوصى الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك فقال:

وأمّا حقّ رعيتك بملك النكاح، فأنْ تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقيةً، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أنْ يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه، ووجب أنْ يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإنْ كان حقّك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإنّ لها حق الرحمة والمؤانسة... .[1]

فينبغي أنْ تبدأ المودة بين الوالدين أو بين الزوجين، وهي المقدّمة الموصلة إلى إشاعة المودّة داخل الأسرة، ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وآله المودّة مقياساً ومعياراً للتفاضل والقرب من الخير.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي».[2]

ومن مقدّمات ومقوّمات المودّة، احترام وتكريم الزوجة، بل هي أفضل مصداق لها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من اتّخذ زوجة فليكرمها».[3]

ومن مصاديق المودة هي الإحسان إلى الزوجة، ولهذا أكّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على ذلك قائلاً: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته».[4]

---

١. *تحف العقول*: ١٨٨.

٢. من لا *يحضره الفقيه*: ٢٨١/٣.

٣. مستدرك *الوسائل*: ٥٥٠/٢.

٤. من لا *يحضره الفقيه*: ٢٨١/٣.

والإحسان إلى الزوجة يجعلها تعيش سعيدة مطمئنة، فتبادل زوجها الإحسان والاحترام والتكريم والطاعة عن قناعة ورضىً وقبول، وتتبع إرشاداته وتوجيهاته دون جزع؛ لقناعتها بخلقه، وجميع ذلك عامل مساعد على إشاعة المودة حيث تترشّح من مودتها إلى مودة سائر أفراد الأسرة، وخصوصاً الأطفال.

وأكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على أهمية المودة، وأكّد على وصية جبرائيل عليه السلام وهي توصية إلهية، فقال:

أوصاني جبرائيل عليه السلام بالمرأة، حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة.[١]

وفي هذه الوصيّة دلالة واضحة على مقابلة الزوجة بالمودة والدوام عليها في جميع الظروف والأحوال مهما كانت المواقف والممارسات الصادرة منها، والمودة تستلزم الصبر على الإسائة وتحمّل أخطائها المقصودة وغير المقصودة، فبالمودة يستطيع الزوج جذب قلب الزوجة له، مهما كانت أوضاعها النفسيّة، ولهذا لا ينبغي قطع أواصر الزوجية إلّا في الحالات الشاذة، ومنها الفاحشة المبيّنة.

وأكمل مجالات ومظاهر المودّة تحمّل الإسائة من قبل الزوجة وعدم مقابلتها بالمثل.

وقد شجّع الإمام محمد الباقر عليه السلام على ذلك، فقال:

من احتمل من إمرأته ولو كلمة واحدة، أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنة.[٢]

والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله في تعامله مع زوجاته يخفف الكثير من التشنّجات، وكذلك الاقتداء بأئمة أهل البيت عليهم السلام، في تحمّلهم لأذى زوجاتهم.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

كانت لأبي عليه السلام إمرأة، وكانت تؤذيه وكان يغفر لها.[٣]

---

١. *المصدر*: ٢٧٨.

٢. *مكارم الأخلاق*: ٢١٦.

٣. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٧٩/٣.

فتحمّل الإسائة ومقابلتها بالعفو والغفران والتسامح، من شأنه إدامة المودة والمحبّة والحيلولة دون تفاقم المشاكل التي تديم القلق والاضطراب داخل الأسرة.

وأكّد الإمام محمد الباقر عليه السلام على حسن التبعّل، فقال: «جهاد المرأة حسن التبعّل».[١]

وأكد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على انفتاح الزوجة مع زوجها؛ لأنّه أحد العوامل المساعدة على إدامة المودة والرحمة والمحبّة، وكسب ودّ الزوج، فقال:

> خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست معه درع الحياء.[٢]

وفي مقابل تحمّل الزوج لإسائة الزوجة؛ أوصى، أو حثّ أهل البيت عليهم السلام الزوجة بتحمّل إساءة الزوج والصبر عليها.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «وجهاد المرأة أنْ تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته».[٣]

وشجّع الإمام جعفر الصادق عليه السلام على التفاهم لتجنّب الخلافات الحادّة والمتشنّجة، من أجل إدامة المودّة داخل الأسرة، فقال:

> خير نسائكم التي إنْ غضبت أو أغضبت، قالت لزوجها: يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى عني.[٤]

ومن العوامل المساهمة في إشاعة المودة وإدامتها هي تقيد الزوجين أو الوالدين بالحقوق والواجبات الموضوعة لهم من قبل الشارع المقدّس، ومراعاة حقوق بقية أفراد الأسرة، فبالتقيد بها، تنتظم العلاقات وتتعمق المحبّة والرحمة في القلوب والضمائر، ومن ثمّ في المواقف العملية والممارسات السلوكية.

---

١. *المصدر*: ٢٧٨.

٢. *الكافي*: ٣٢٤/٥.

٣. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٧٧/٣.

٤. *مكارم الأخلاق*: ٢٠٠.

وبالإضافة إلى مراعاة الحقوق والواجبات الموضوعة من قبل الشارع المقدّس، ينبغي مراعاة الحقوق والواجبات الإضافيّة الموضوعة من قبل الزوجين تبعاً لاختلاف الظروف والأحوال، وجميع ذلك كفيل بإشاعة المودّة وإدامتها.

وإشاعة المودّة لها تأثير واضح على جميع مراحل نمو الطفل، ابتداءً بمرحلة الحمل وبقيّة المراحل، كما دلّت على ذلك أغلب الدراسات الميدانية، ففي أحد هذه الدراسات، وجد الباحثون نماذج ثلاثة من الأطفال الجانحين:

١. فريق غير اجتماعي وهجومي.

٢. فريق اجتماعي.

٣. فريق مضطرب عاطفياً.

أمّا الأطفال من الفريق الأوّل، فقد جاء معظمهم من بيوت عانوا فيها من كراهية الوالدين.

أما أطفال الفريق الثاني، فقد جاءوا من بيوت لا تعاملهم بكراهية، وإنّما كانوا ينتمون إلى أسر كبيرة العدد، وكانت ظروف تربيتهم متراخية إلى حدّ كبير.

أمّا أطفال الفريق المضطرب عاطفياً، فقد كانوا مظلومين في أسرهم.[١]

ودرس العالم (بولدوين) آثار الديمقراطية في البيت على نمو شخصيات ١٧ طفلاً، فوجد أنّ ديمقراطية البيت تخرّج أطفالاً نشطين، غير هيابين، مخططين، فضوليين، ميالين إلى التزعّم.

أمّا الأطفال الذين يأتون من بيوت متسلّطة، فقد وجد أنّهم ميالون إلى الهدوء والسكون والكسل، محدودي الفضول، ضعاف الخيال.[٢]

ولقد أثبتت بعض الدراسات التي دارت حول التفكك العائلي، أنّ بين ٨٣٩ طفلاً ارتادوا العيادات النفسية العصبية، كان منهم ٥٥١ أي ٦٥/٥٪ قد أتوا من عائلات مفككة.

---

١. *علم النفس التربوي*، د.فاخر عاقل: ١١٢.

٢. *المصدر*: ١١١.

كما أجريت دراسات عديدة أخرى في بلدان مختلفة ومنها الولايات المتحدة الأمريكية، دلت الإحصاءات فيها على أنّ الأطفال الذين يأتون من بيوت قد تحطمت؛ بسبب اليتم أو الطلاق أو الهجر أو الانفصال؛ هم أطفال سيئو التوافق بالنسبة للأطفال الذين ينتمون إلى بيوت أكثر استقراراً.[١]

مرحلة الولادة

تبدأ مراسيم الولادة منذ اليوم الأوّل إلى اليوم السابع من الولادة؛ للحفاظ على صحة الطفل الجسديّة والنفسيّة معاً، فأول عمل يقوم به الوالدان، هو إسماع الطفل: (اسم الله تعالى)، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد له مولود فليؤذّن في أُذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليقم في اليسرى فإنّها عصمة من الشيطان الرجيم.[٢]

ولأهمية الأذان والإقامة في أُذن الطفل، أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن وصايا عديدة:

يا علي إذا ولد لك غلام أو جارية، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقم في اليسرى؛ فإنّه لا يضرّه الشيطان أبداً.[٣]

والعصمة من الشيطان هي تحصين للطفل من الانحراف، بتقوية الإرادة، وهذه الوصايا وإنْ لم يبحثها علماء النفس وعلماء التربية، ولكنّها من الحقائق التي أثبتتها التجارب المتكرّرة لمن طبّقها في منهجه التربوي، مع مراعاة الوصايا الأخرى في جميع مراحل الطفولة.

ويستحب تسمية الوليد بأحسن الأسماء، ولا أحسن من اسم (محمد) وهو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

---

١. *فلسفة في التربية والحرية*، د. علي ماضي: ١٠٠.

٢. *الكافي*: ٦/٢٤.

٣. *تحف العقول*: ١٧.

لا يولد لنا إلّا سمّيناه محمداً، فإذا مضى لنا سبعة أيام، فإنْ شئنا غيّرنا وإنْ شئنا تركنا.[١]

وأكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه التسمية بقوله:

من ولد له أربعة أولاد لم يسمِّ أحدهم باسمي، فقد جفاني.[٢]

وكان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يحثّون المسلمين على تسمية أبنائهم وبناتهم بالأسماء التالية: (عبد الرحمن ـ وباقي أسماء العبودية لله ولصفاته ـ محمد، أحمد، علي، الحسن، الحسين، جعفر، طالب، فاطمة).[٣]

ولم يشجّعوا على بعض الأسماء من قبيل: (الحكم، مالك، حارث).[٤]

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله (يغيّر الاسم القبيح).[٥]

فقد ورد أنّه كانت ابنة لعمر يقال لها: عاصية، فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله: جميلة.[٦]

وعن سعيد بن المسيّب عن أبيه عن جده، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال له: «ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل».[٧]

والأسماء الجميلة، تحصّن الطفل من السخرية والاستهزاء من قبل الآخرين، فلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال في الأسماء المستهجنة.

ومن مراسيم الولادة، العقيقة، وهي ذبح شاة في المناسبة، وحلق رأس الطفل كما جاء في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «عقّ عنه واحلق رأسه يوم السابع، وتصدّق بوزن شعره فضة».[٨]

---

١. *الكافي*: ١٨/٦، باب الأسماء والكنى، ح ٤.
٢. *المصدر*: ١٩، باب الأسماء والكنى، ح ٦.
٣. *المصدر*: ١٩، باب الأسماء والكنى.
٤. *المصدر*: ٢١/٦.
٥. سنن *الترمذي*: ٨٠٦.
٦. *صحيح مسلم*: ٣٣٥/٢.
٧. سنن *أبي داود*: ٩٢٦.
٨. *الكافي*: ٢٧/٦.

والعقيقة التي هي مصداق للصدقة تمنع من البلاء، وتقي الطفل من المخاطر، ولعلّ فيها آثار نفسية حسنة للطفل حينما يترعرع، ويفهم أنّ والديه قد اعتنوا به في ولادته، وهي ذكرى حسنة عند من وصلته تلك العقيقة أو بعضها.

ومن مراسيم الولادة الختان، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اختنوا أولادكم لسبعة أيام فإنّه أطهر وأسرع لنبات اللحم...».[1]

---

١. *المصدر*: ٣٤.

القسم الثاني

النمو الجسمي

النمو الجسمي

يخرج الوليد من بطن أمه كامل التكوين من الناحية الجسميّة، فأجهزته كاملة ومستعدّة للعمل، وتكون الأطراف غير متماسكة، والعظام ليّنة، والعضلات ضعيفة، ويلاحظ نمو الهيكل العظمي تحوّله من نسيج غضروفي طري إلى عظام صلبة فيما بعد، ويكون الوزن حوالي ٣ كيلو غرام.

ويبدأ الوزن في التناقص عقب الولادة مباشرة، ولعلّ السبب يرجع إلى عملية التوافق اللازمة للظروف الجديدة، كما ترجع إلى تأخر قيام الجهاز الهضمي بعمله بعض الوقت، ثم يبدأ الوزن بالزيادة حوالي ٢٥٠ غرام في الأسبوع.

ويلاحظ وجود فرق في الحجم والطول والوزن، بين الذكر والأُنثى حيث يكون الذكر أكبر و وأطول وأثقل من الإناث عادة.

وهنالك فروق بين طفل وآخر، في الحجم والطول والوزن، وفي الصفات الجسمِيّة الأخرى.

وقد توجد إختلالات في الجسم عند البعض، وهي ناجمة عن عوامل وراثية، أو ناجمة عن تعرض الأم إلى بعض المشاكل الجسمية والنفسية في مراحل الحمل.

والنمو الجسمي يمكن تقسيمه إلى عدة أقسام:

أولاً: النمو الفسيولوجي.

ثانياً: النمو الجسمي الخارجي.

ثالثاً: النمو الحركي.

فالنمو الفسيولوجي، هو نمو الأجهزة الداخلية، والنمو الجسمي الخارجي، هو النمو الظاهر للعيان من أعضاء الجسم، أمّا النمو الحركي، فهو النمو العملي.

أولاً: النمو الفسيولوجي

أهم أوجه نشاط الوليد، هي: المص، والبلع، والهضم، والإخراج، والنوم.

وتكون ضربات القلب أسرع منها عند الكبار، ثمّ تتناقص حيث تصل إلى حوالي ١٦٠ ضربة في الدقيقة الواحدة، بينما تصل عند الكبار إلى ٧٢ ضربة في الدقيقة.

ويكون التنفس أسرع منه عند الكبار ثمّ يتناقص.

ويكون ضغط الدم أضعف منه عند الكبار ثم يزداد مع النمو.

ويحتاج إلى التبّرز أربع أو خمس مرات في اليوم، وإلى التبوّل حوالي ثمان عشرة مرّة في اليوم.

ويقضي معظم وقته في النوم، حيث تتحقق الراحة عند النوم فتنخفض حرارة الجسم ويقل النشاط الجسمي.

وينمو الجهاز العصبي بسرعة كبيرة، ويزداد وزن وحجم المخ، وتزداد بقية أجزاء الجهاز العصبي تعقيداً وتمايزاً وتفصيلاً مع التقدم في النمو، وتستمرّ الخلايا العصبية ومحاورها وتشعباتها في النمو، ويزداد ارتباط الخلايا العصبيّة بالعضلات تدريجياً، ويتم التحكّم التدريجي في الحركة الإرادية من يوم لآخر.

ويؤثر اضطراب إفرازات الغدد الصماء بالزيادة أو النقصان في النمو.

ويزدا الجهاز التنفسي في الحجم، وتزداد الرئتان سعة.

وحجم معدة الرضيع صغيرة وتفرغ بسرعة؛ ومن ثمَّ يأخذ كميات صغيرة من الغذاء في مرات عديدة.

وتكون قدرة الرضيع على ضبط عملية التبرز أكثر من قدرته على ضبط عملية التبول.

ويلاحظ في هذه المرحلة كثرة النوم ثم تتناقص بالتدريج، ويلعب فقدان الراحة الجسمية والضوضاء والانفعال والبلل، دوراً كبيراً في قلة النوم أو عمقه.

وبعد مرحلة الرضاعة يزداد نمو الجهاز العصبي، حيث يصل وزن المخ في نهاية مرحلة الطفولة المبكّرة إلى ٩٠٪ من وزنه الكامل عند الراشد.

ويزداد تحول الغضاريف إلى عظام، ويزداد نمو الجهاز العضلي، وتكون العضلات الكبيرة أسرع نمواً من العضلات الصغيرة.

ويصبح التنفس أكثر عمقاً وأبطأ من ذي قبل.

وتتباطئ نبضات القلب وتصبح أقل تغيراً، ويزداد ضغط الدم ازدياداً ثابتاً.

ويتراوح عدد ساعات النوم بين ١١ ـ ١٢ ساعة، وتقل ساعات النوم بالتقدّم في العمر.

ويزداد حجم المعدة، ويستطيع الجهاز الهضمي هضم الغذاء الجامد.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى، يتزايد ضغط الدم ويتناقص معدل النبض، ويستمر بهذه الصورة.

ويزداد طول وسمك الآليات العصبية وعدد الوصلات بينهما.

ويقل عدد ساعات النوم بالتدريج.

وفي مرحلة الطفولة المتأخّرة، يزداد تعقّد وظائف الجهاز العصبي، وتزاد الوصلات بين الألياف العصبية، ولكنّ سرعة نموها تتناقص.

وفي سن ١٠ سنوات يصل وزن المخ إلى ٩٥٪ من وزنه النهائي عند الراشد.

ويبدأ التغيّر في وظائف الغدد، وخاصة الغدة التناسلية استعداداً للقيام بالوظيفة التناسلية، حتى تنضج مع بداية المراهقة، حيث يبدأ بلوغ الإناث قبل الذكور.

ويقل عدد ساعات النوم حتى يصل إلى ١٠ ساعات في منتصف هذه المرحلة.

النمو الفسيولوجي

يعتبر النمو الفسيولوجي في مرحلة ما بعد الولادة، ومرحلة الرضاعة من أهم العوامل المؤثّرة على الطفل في مستقبله الصحي وما يرتبط به من مظاهر النمو الأخرى؛ ولهذا ينبغي الاهتمام ببناء أنسجته الداخلية عن طريق الرضاعة، لأنّها المصدر الأساسي والوحيد لتغذية الطفل في الأشهر الأولى من حياته.

وأفضل آليات الرضاعة هو الرضاعة الطبيعية، حيث إنّ حليب أو لبن الأم هو الغذاء المفضّل للطفل من ناحية صحته الجسمية والحركية، ومن ناحية صحته في جميع مجالاتها ومظاهرها: العاطفية والانفعالية والعقلية والاجتماعية.

وقد دلت الدراسات والتجارب والخبرات، أنّ الأم أفضل من تمنح الحنان والدفء العاطفي، بدافع غريزة الأمومة التي أودعها الله تعالى في المرأة حيث: تصب ركائز مشاعر الطفل وأحاسيسه من أولى أيام الرضاعة.[1]

وقد أثبتت الدراسات الميدانية: أنّ أفضل غذاء للطفل هو لبن الأم، فالرضاعة الطبيعية تعتبر غذاءً كاملاً في الشهور الأولى للرضيع، ولقد أثبت العلم، أنّه لا يوجد الآن بديل له كل الصفات والمميّزات التي يشتمل عليها لبن الأم، الذي يحتوي ضمن مكوناته على عناصر وقائيّة تحمي الطفل من أمراض لا حدّ لها، ومن أهم فوائد لبن الأم:

١. لبن الأم، ينقل إلى الطفل من الأم بعض المواد التي تحصّنه من الأمراض، ومنها: نوبات الإسهال والقيء والوعكات المعوية.

---

١. *الطفل بين الوراثة والتربية*: ٨٢/٢ عن كتاب: *عقدة الحقارة*: ٩.

٢. إنّ لبن الأم، يحتوي على جميع العناصر والمواد التي يحتاجها الطفل في الشهور الستة الأولى من عمره، ممّا يغنيه عن تناول أي فيتامينات أو معادن أو عصائر في هذه الفترة، كما يحتوي على كثير من الفوائد الغذائيّة، ومنها الكولوستروم، وهو السائل الأصفر الذي يسبق نزول لبن الأم في الأيام الأولى بعد الولادة، والذي يحتوي على مواد تحمي الطفل من الإصابة بالعدوى والتلوّث، كما أنّ لبن الأم يكون نظيفاً ومعقّماً في كلّ حين.

٣. إنّ لبن الأم، ترتفع فيه نسبة الكولسترول، فإذا تعوّد الطفل على تناول هذه المادة، تنخفض نسبة إصابته بتصلّب الشرايين وبقية الأمراض المرتبطة بالكولسترول فيما بعد.

٤. إنّ لبن الأم يحتوي على نسبة كبيرة من الدهنيات التي تدخل مباشرة في تكوين خلايا المخ، ويضمن للطفل فرصة أكبر للنمو الطبيعي للجهاز العصبي ومعدلاً أكبر للذكاء.

٥. الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن يكون ارتباطهن بالطفل أوثق وحبّهن له أكبر، والأطفال كذلك يكونون أقل توتراً وأهنأ وأسعد حالاً، وتشير بعض الدلائل إلى أنّ هذا التقارب قد يكون ذا آثار بعيدة المدى على مستقبل الطفل.

٦. إنّ لبن الأم يمنع من البدانة عند الكبر؛ فقد دلت الدراسات على أنّ الأطفال الذين يعتمدون في غذائهم على الرضاعة الصناعية، أكثر تعرضاً للبدانة في الكبر بنسبة ٤٠٪ من الأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية.[١]

وجاءت روايات أهل البيت عليهم السلام، ووصاياهم مؤكّدة على التركيز على حليب الأم، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه».[٢]

فحليب الأم أفضل غذاء للطفل من الناحية العمليّة إضافة إلى أنّ عملية الرضاعة يشعر الطفل من خلالها بالأمان والطمأنينة والرعاية، وفي الحالات الاستثنائية التي تعيق

---

١. *قاموس الطفل الطبي*، محمد رفعت: ١٥ ـ ٣١.

٢. *الكافي*: ٦/٤٠، باب الرضاعة، ح ١.

عملية الرضاعة، بسبب قلة حليب الأم أو بسبب مرضها أو فقدانها بطلاق أو موت، أكّد أهل البيت عليهم السلام على اختيار المرضعة المناسبة والملائمة ضمن مواصفات معيّنة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انظروا من ترضع أولادكم فإنّ الولد يشبُّ عليه».[1]

فالحليب ونوعيّة المرضعة يؤثر على الطفل من ناحية نموه الجسدي والنفسي.وقد أثبتت التجارب صحة تعاليم أهل البيت في هذا المجال.

وهنالك مواصفات عند المرضعة حبّذها أهل البيت عليهم السلام في الاختيار.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «استرضع لولدك بلبن الحسان، وإياك والقباح فإنّ اللبن قد يعدي».[2]

وقال: «عليكم بالوضاء من الظّؤرة فإنّ اللبن يعدي».[3]

وجاء النهي عن استرضاع الطفل عند بعض المرضعات، فنهى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن الاسترضاع عند المجوسية، فعن عبد الله بن هلال قال: سألته عن مظائرة المجوسي، فقال: «لا، ولكن أهل الكتاب».[4]

وجعل الاسترضاع من الكتابيات؛ مشروطاً بمنعهنّ من شرب الخمر: فقال عليه السلام: «إذا أرضعن لكم فامنعوهن من شرب الخمر».[5]

وعن علي بن جعفر عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: سألته عن الرجل المسلم، هل يصلح له أنْ يسترضع اليهودية والنصرانية وهنّ يشربن الخمر؟ قال: «امنعوهن من شرب الخمر، ما أرضعن لكم».[6]

---

١. *المصدر*: ٤٤، من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ١.

٢. *المصدر*: ٤٤، باب من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ١٢.

٣. *المصدر*: ٤٤، باب من يكره لبنه ومن لا يكره. الوضاء؛ ح ١٣ الحسن والنظافة.

٤. *المصدر*: ٤٢، باب من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ٢.

٥. *المصدر*: ٤٢، باب من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ٣.

٦. *وسائل الشيعة*: ٤٦٥/٢١، باب ٧٦ من كتاب النكاح، ح ٧.

ونهى الإمام جعفر الصادقعليه السلام من الاسترضاع من المرأة الزانيّة، والتي تكوّن لبنها بسبب الزنا فقال: «لا تسترضعها ولا ابنتها».[1]

وقال الإمام محمد الباقرعليه السلام: «لبن اليهودية والنصرانية والمجوسية أحبّ الي من لبن ولد الزنا».[2]

والحكمة في النهي هو تأثير اللبن على طباع الطفل، فالمرأة الزانية تعيش حالة القلق والاضطراب النفسي والشعور بالإثم والخطيئة من أول يوم انعقاد الجنين، وتبقى على هذه الحالة في جميع فترات الحمل وفي أثناء الولادة، وهذا القلق والاضطراب يؤثر في التوازن الانفعالي للطفل.

وأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله بالوقاية من لبن البغيّة والمجنونة فقال:

توقوا على أولادكم من لبن البغيّة والمجنونة فإنّ اللبن يعدي.[3]

وقالصلى الله عليه وآله: «لا تسترضعوا الحمقاء فإنّ الولد يشبه عليه».[4]

وقال الإمام محمد الباقرعليه السلام: «إنّ علياً كان يقول: لا تسترضعوا الحمقاء، فإنّ اللبن يغلب الطباع».[5]

الفطام

الرضاعة الطبيعية تشبع في الطفل حاجاته إلى الغذاء، وحاجته إلى الإشباع العاطفي، وهي تحقّق له النمو في جميع مظاهره: البدني، واللغوي، والعاطفي، والعقلي، ولهذا فمن الأفضل استكمال الوقت اللازم لإكمال الرضاعة.

---

١. *الكافي*: ٤٢/٦، باب من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ١.
٢. *المصدر*: ٤٢، باب من يكره لبنه ومن لا يكره، ح ٥.
٣. مكارم *الأخلاق*: ٢٢٣.
٤. *المصدر*: ٢٣٧.
٥. *المصدر*.

والأفضل أنْ يبدأ الفطام بالتدريج؛ بتعويد الطفل أو تمرينه على الاستغناء عن بعض وجبات الرضاعة، ومن الأفضل، أنْ يبدأ ذلك ببلوغ الطفل الشهر الرابع من العمر، حيث أكدت الأبحاث العلمية:

أنّه في هذا العمر تقلّ كمية المخزون في كبد الطفل من الحديد، ولذلك يصبح ضرورياً تزويده بالحديد من مصادر أخرى، وقد ثبت أنّ لبن الأم فقير جداً في هذه المادة، وفي هذا العمر يمكن للطفل هضم المواد النشوية دون خوف.[1]

ثمّ يستمر الفطام التدريجي في العام الثاني، بتقليل عدد مرات الرضاعة واستبدالها بوجبات غذائية، وزيادتها يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر إلى قرب نهاية العام الثاني، حيث يتم الفطام النهائي، وينبغي أنْ يكون عن استعداد من الرضيع وقبول بالأمر الواقع، وبمعنى آخر أنْ لا تقوم الأم بإكراهه على الفطام وخصوصاً عن طريق وضع مادة ذات مرورة شديدة على حلمة الثدي، لأنّ ذلك يعدّ بمثابة الصدمة لمشاعر وأحاسيس الطفل؛ حيث يتفاجأ بذلك بعد أُنسه بثدي وحضن أمّه، وهذه الصدمة تؤثر على توازنه العاطفي والانفعالي، فلا يستبعد أنْ تصبح لديه رغبة في العدوان، تتجسّد ببعض الممارسات، كالعضِّ، والصراخ، والعناد، والاعتداء على بقية الأطفال، وأحياناً الاعتداء على أمّه، وضرب رأسه بالجدار أو الأرض.

إرشادات في الرضاعة والتغذية

١. إرضاع الطفل من الثديين، وعدم الاقتصار على ثدي واحد.

قال الإمام جعفر الصادقؑ لأم إسحاق بنت سليمان:

يا أم إسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد، وأرضعيه من كليهما، يكون طعاماً والآخر شراباً.[2]

---

١. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٥.

٢. *الكافي الكليني*، محمدبن يعقوب: ٤٠/٦.

٢. مدة الرضاع واحد وعشرون شهراً.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الرضاع واحد وعشرون شهراً، فما نقص فهو جور على الصبي».[١]

٣. أنْ يُترك الطفل على الثدي، ثمّ الثدي الآخر للحصول على أكبر قدر يريده من ثدي الأم،ولا يترك الثدي قبل أنْ يتمّ الرضاعة إلى حد الشبع.

٤. أنْ تكون الأم مستريحة وهي تقوم بعملية الرضاعة، ثمّ تمس برفق وجنة الطفل.

٥. أنْ لا يضغط الثدي على أنف الطفل مما يجعل تنفسه عسيراً.

٦. ينبغي إبعاد الثدي عن أنفه بين وقت لآخر؛ لكي يتنفّس بارتياح، ويتمكّن من الرضاعة.

٧. ينبغي مساعدة الطفل على إخراج الهواء الذي يبتلعه مع اللبن، ويتم ذلك بأنْ يحمل الطفل على الكتف عمودياً، ويربت على ظهره برفق، وبعد إتمام إخراج الهواء، قد يرغب الطفل في الرضاعة لفترة أخرى، فينبغي مراعاة ذلك.

٨ في بداية الشهر الرابع ينبغي إمداد الرضيع بالسوائل، مثل عصير البرتقال أو العنب، وشوربة الخضار، وماء الفول، بعد تصفيته وإضافة قليل من الماء إليه.

ويعطى الطفل ابتداءً ملعقة أو ملعقتين تزداد تدريجياً.

٩. ينبغي إعطاء الطفل أحد مركبات فيتامين «أ»؛ للوقاية من الكساح.

١٠. تعريض جسم الطفل إلى أشعة الشمس بعيداً عن الأماكن المتربة؛ حتى يتمكن من الحصول على الأشعة فوق البنفسجية.

١١. في الشهر الخامس والسادس، ينبغي إعطاؤه صفار البيض المسلوق، والعدس المصطفى.

---

١. *المصدر*.

١٢. في الشهر السابع، يمكن إعطاؤه الكبد المسلوق؛ والبطاطة؛ والخضر والفاكهة.

١٣. في الشهر الثامن، يبدأ إعطاؤه اللحم الأحمر المسلوق.

١٤. بعض المأكولات قد تفقد شهية الطفل كالحلوى والشكولاتة.

١٥. لا ينبغي إكراه الطفل على أكل بعض المواد التي لا يرغب فيها.

١٦. تجنّب فطام الطفل، في أشهر الصيف الحارّة، والأفضل اختيار الأشهر الباردة.

١٧. تجنب الفطام، إذا كان الطفل مصاباً باضطراب في الجهاز الهضمي؛ أو كان في دور النقاهة من أي مرض من الأمراض.

١٨. تجنب الفطام؛ إذا كان الطفل بطيء النمو، أو ضعيف الشهيّة أو مضطرباً انفعالياً.

١٩. وصايا أهل البيتعليهم السلام:

وفي هذه المرحلة أوصى أهل البيتعليهم السلام بالاهتمام بغذاء الأم، المصدر، الأساسي لتكوين الحليب من حيثُ الكمية والنوعية، وكان التركيز على (الرطب أو التمر) في إطعام الأم؛ لتأثيره على الرضيع، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

ليكن أول ما تأكل النفساء الرّطب... قيل: يا رسول الله فإنْ لم يكن أوان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة، فإنْ لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم.[1]

وأوصى الإمام جعفر الصادقعليه السلام بأكل أحد أنواع التمر وهو البرني فقال: «أطعموا البرني نساءكم في نفاسهنّ تحلم أولادكم».[2]

وفي رواية عنهصلى الله عليه وآله: «اطعموا نساءكم التمرَ البرني في نفاسهنّ تجمّلوا أولادكم».[3]

ووضع أهل البيتعليه السلام لائحةً بالمواد الغذائيّة المهمّة في النمو والصحة.[4]

فخبز الشعير، وقاية من الأمراض، وسويق الحنطة، ينبت اللحم ويشد العظم

---

١. *المصدر*: ٢٢، باب ما يستحب أن تطعم الحبلى، ح ٤.

٢. *المصدر*: ٢٢، ما يستحب أن تطعم الحبلى، ح ٥.

٣. مكارم *الأخلاق*، *الطبرسي*، *الحسن بن الفضل*: ١٦٩.

٤. *الكافي*: ٣٠٥/٦ وما بعد.

ويسهّل الهضم، وسويق العدس، يسكّن هيجان الدم، ويقلّل من حرارة الجسم، واللحوم وخصوصاً لحم الدراج، يقلل من الغضب، والهريسة، تنشط الجسم وتمنحه الحيوية، والزيتون، يطرد الرياح، والعنب، يقلل الغضب، والسفرجل، يقوّي القلب، والخس، يصفي الدم، كما أكدوا على: العسل والبيض واللبن وسائر أنواع الفواكه.وتنتقل فوائد هذه المواد من الأم إلى الرضيع.

ثانياً: النمو الجسمي الخارجي

يبدأ الجسم بالنمو في مرحلة الرضاعة، وهي مرحلة انطلاق القوى الكامنة، حيث تشهد نمواً سريعاً، فيبدأ ظهور الأسنان في الشهر السادس، وتظهر الأسنان في مجموعتين: الأولى تعرف بالأسنان اللبنية المؤقتة وعددها ٢٠، والثانية الأسنان الدائمة وعددها ٣٢، وظهور الأسنان عملية عنيفة، قد يصاحبها ارتفاع درجة الحرارة والإسهال.

وينمو حجم العضلات، ويزداد الطول، ويزداد حجم وعدد العظام بالتقدم في العمر، كعظم الرسغ.

وينمو الوزن، وينمو الرأس بمعدل أبطأ من الأطراف، حيث يسرع نمو الجذع، ثمّ الذراعين، ثمّ الساقين.

ويكون الذكور أكبر حجماً، وأثقل وزناً، وأطول قامة من الإناث، وتظهر الأسنان مبكّرة عند الإناث قبل الذكور.

تأثير بعض العوامل على النمو الجسمي، ومنها:

١. التغذيّة.

٢. النوم المنتظم.

٣. حرية الحركة.

٤. الوقاية من الأمراض.

وبعد مرحلة الرضاعة يتضمن النمو الجسمي، التغيّر التشريحي، كمّاً وكيفاً وحجماً وشكلاً ووضعاً ونسيجاً.

وتستمر الأسنان في الظهور، ويكتمل عدد الأسنان المؤقتة ويبدأ تساقطها لتظهر الأسنان الدائمة.

وينمو الرأس نمواً بطيئاً، ويصل في نهاية هذه المرحلة إلى مثل حجم الراشد.

وتنمو الأطراف نمواً سريعاً، وينمو الجذع بدرجة متوسطة.

ويزداد الوزن بمعدل كيلو غرام واحد في السنة بصورة تقريبية.

وينضج نمو الهيكل العظمي، وتبدأ الغضاريف فيه بالتحول إلى عظام، وتزداد حجماً وعدداً وصلابة مع النمو.

ويسير النمو العضلي بمعدل أسرع؛ مما يزيد في الوزن، وتنمو العضلات الكبيرة قبل العضلات الصغيرة الدقيقة، ويلعب النمو العضلي دوراً كبيراً في تدعيم جهود الطفل في التحكم في جسمه وضبط حركاته.

ويكون الذكور أقل وزناً من الإناث، ويمتازون بالتفوق بالنسيج العضلي، بينما تتفوق الإناث في النسيج الشحمي.

وتبدأ سرعة النمو في التباطؤ، حيث يكون التغير في النمو تغيراً في النسب الجسمية أكثر منها مجرد زيادة في الحجم، ويصل حجم الرأس إلى حجم رأس الراشد.

ويزداد طول الأطراف حوالي ٥٠٪ من طولها في سن الثانية، بينما طول الجسم نفسه يزيد في هذه المرحلة بحوالي ٢٥٪ فقط.

وتتساقط الأسنان اللبنية، وتظهر الأسنان الدائمة، أربعة أنياب في السنة السادسة، وبعدها ثمانية قواطع حتى السنة الثامنة.

ويكون الذكور أطول قليلا من البنات، بينما يكونان متساويين في الوزن في نهاية هذه المرحلة.

وتتميّز مرحلة الطفولة المتأخرة ببطء معدل النمو قياساً لسرعته في السابقة والمرحلة اللاحقة، وتتعدل النسب الجسمية، وتصبح قريبة الشبه بها عند الراشد.

وتستطيل الأطراف ويزداد النمو العضلي، وتكون العظام أقوى من ذي قبل.

وتظهر في السنوات من ١٠ ـ ١٢ ثمان أضراس أمامية، أولى تحلّ محلّ الأضراس المؤقتة، وتظهر أربعة أنياب تحل محل الأنياب المؤقتة.

ويشهد الطول زيادة ٥٪ في السنة، وفي نهاية المرحلة تحدث طفرة في نمو الطول، ويشهد الوزن زيادة ١٠٪ في السنة.

ويقاوم الطفل المرض، ويتحمل التعب ويكون أكثر مثابرة وفعالية.

وفي هذه المرحلة يكون الذكور أكثر نصيباً من الإناث في النسيج العضلي، واقل منهن في النسيج الشحمي، وتلاحظ زيادة في الطول والوزن عند الإناث أكثر من الذكور.

وتبدأ ظهور الخصائص الجنسية الثانوية لدى الإناث قبل الذكور في نهاية هذه المرحلة.

تأثير النمو الجسمي على الشخصيّة

على الرغم من أنّ الخصائص الجسميّة خصائص قائمة بذاتها إلّا أنّ لها تأثيراً واضحاً في الخصائص والمقوّمات للشخصيّة الإنسانيّة، وأنّ للنمو الجسمي تأثيراً واضحاً في بقية مظاهر النمو.

وهذا التأثير لا يقوم على العلاقة المباشرة، أو بمعنى آخر لا يكون علة تامة لإيجاد تغيّر في مظاهر النمو الأخرى، وإنّما يؤثر بتوسّط العوامل البيئيّة والاجتماعيّة، حيث يقوم النمو الجسمي بدور العامل المساعد، أو يخلق الأجواء المناسبة والمهيأة لأنماط النمو الأخرى.

ومن الأمثلة على هذه الحقيقة هو الترابط بين حسن الوجه وحسن السيرة، وهذا هو المستفاد من أقوال رسول الله ﷺ:

ابتغوا الخير عند حسان الوجوه.
التمسوا المعروف عند حسان الوجوه.
اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه.[١]

فالشخص الذي يتمتع بوجه حسن، يشعر منذ طفولته بأنّه من المرغوب فيهم، ويجد من خلال ملاحظته للواقع الاجتماعي أنه معترف به اجتماعياً، وأنّ الأضواء مسلطة عليه، بل يشعر بالمحبوبية، وهذا الشعور يجعله مطمئناً متفائلاً، ينظر إلى الناس نظرة ودّ ومحبّة كما ينظرون إليه، وتتعمق الثقة بنفسه وبالمجتمع الذي يعيش به، وهذه الظروف تجعله متكيّفاً تكيّفاً حسناً مع أسرته ومجتمعه، وفي هذه الحالة لا يتوقع منه إلّا الخير والمعروف، وحسن السيرة الاجتماعيّة.

وفي باب التفرّس في الغلام وما يستدل على نجابته، وردت رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إذا كان الغلام ملتاث الأُدرة، صغير الذكر، ساكن النظر، فهو ممّن يرجى خيره ويؤمن شره، وإذا كان الغلام، شديد الأُدرة، كبير الذكر، حاد النظر، فهو ممن لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه».[٢]

وقد أثبتت الدراسات والتجارب الحديثة صحة هذه الآراء، فالنمو الجسمي، ونمط الجسم يؤثر في مقومات الشخصية، وفي مظاهر النمو الأخرى، فالشخص القوي البنيّة، والمفتول العضلات يميل إلى السيطرة وتولّي المراكز القيادية، حيث إنّ هذه الخاصيّة الجسميّة لها تأثير على تعامل الآخرين معه، وخصوصاً في مرحلة الطفولة، فالأطفال نتيجة لقوته يخافون منه ولا يستطيعون منافسته ويجتنبون مواجهته، وبذلك يكتسب الثقة العاليّة بنفسه، ويشعر بفتوته وقدرته على الزعامة، وعلى العكس من ذلك، فالشخص النحيف يميل إلى الخوف والابتعاد عن المنافسة، فينسحب من العلاقات

---

١. *المصنف*، *الصنعاني*، *عبدالرزاق*: ١٠/٩.
٢. *الكافي*: ٥١/٦؛ الأُدرة: نفخة في الخصية، والمراد هنا نفس الخصية أي مسترخي الخصية.

الاجتماعية، وتنمو معه هذه الأنماط السلوكية، فيصبح ميّالاً للوحدة والتأمل.

فالنمط الجسمي قد يؤدي بالشخص إلى دور اجتماعي متوقَّع منه، يتأكد بالخبرة والاحتكاك، وهذه التوقعات الاجتماعية بدورها تؤثر في سلوك الفرد، وتشكّل من النماذج السلوكية التوافقية أي تحدد بالتالي شخصيته.[١]

ودرس Lindergard و Nyman مجموعة من ٣٢٠ رجلاً، فوجد أنّ العوامل العضلية مرتبطة بوهم العظمة والثقة بالنفس مقابل التطرف والفضول، وكلما قويت عضلاته كلما زاد اتسامه بوهم العظمة، وزادت ثقته بنفسه، وكلّما قلت عضلاته كان هادئاً انفعالياً ومحنكاً.[٢]

وفي دراسة على الأطفال وجد Burt ارتباطات بين السمنة في بنية الجسم، والانفعالات المبهجة، وبين النحولة في الجسم، ومنحى الكبت والكآبة، وفي دراسات قام بها Rees و Egsenk في ثلاث دراسات على الراشدين وكلا الجنسين، وجدا أنّ النحاف لهم نزعة أكبر إلى الانطواء الذاتي... ولهم نزعة أعلى إلى المظاهر الجسمية للتوتر الانفعالي، والاختلال والوظيفي اللاإرادي، بينما ذوو الأشكال الواسعة لهم نزعة كبيرة إلى الانبساط ونزعة أعظم إلى العلامات الهستيرية.

وقد حصل Sanford، ومشاركوه على النتائج نفسها، فقد وجدوا أنّ الطويل القامة النحيف، يكون مرتبطاً بالاختلال الوظيفي اللاإرادي، ودلائل مظهر الهبوط العقلي، والشكل العريض الثقيل، يرتبط سلبياً بالاختلال الوظيفي اللاإرادي مع مشاعر الاطمئنان، وتعبير ذاتي مفعم بالحيوية.[٣]

وفي دراسة قام بها Epps و Parnell على ١٧٧ إمرأة سجينة ـ في سجن الأحداث ـ قورنت بـ١٢٣ فتاة جامعية من نفس العمر، فقد وجد أنّ المنحرفات، كنَّ أثقل في

---

١. *علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية*، *القوصي*، د. *عبدالعزيز*: ٢٧٣.

٢. *مدخل في علم النفس*، السامرائي، هاشم جاسم: ٢٨٨.

٣. *المصدر*: ٢٨٥.

بنية الجسم، وأكثر عضلات وأكثر شحماً.[1]

ونكرر القول: إنّ مواصفات الجسم ليست علة تامة للتغيّر في الشخصية، أو التأثير في بقية مظاهر النمو، وإنّما يمكن اعتبارها علة ناقصة أو عاملا مساعداً مهيئا للاتصاف بهذه الصفة النفسية والسلوكية أو تلك.

وعلى ضوء ذلك ينبغي أخذ هذه الآراء بنظر الاعتبار، عندما يراد تربية الأطفال أو التعامل معهم أو مشاركتهم في وضع الحلول اللازمة لمشاكلهم التربوية والاجتماعية، وأنْ تنمى اهتمامات الأطفال بالتعرف على نواحي القوة والضعف، مع الاهتمام من قبل الوالدين والمربين بالبرامج التي تساعد على تحسين النمو الجسمي.

ثالثا: النمو الحركي

يقضي الوليد معظم الوقت مستلقياً على ظهره، ويكون عاجزاً تماماً على الجلوس والانتقال.

وتكون حركاته عشوائية تلقائية متنوعة، سريعة غير منتظمة، ويستثيرها أدنى صوت ولا يستطيع الحركة الإرادية.

وسلوك الوليد الحركي، سلوك انعكاسي بسيط جداً ليس فيه إرادة أو اختيار، فمعظم حركاته انعكاسية أي رد فعل غير إرادي للمؤثرات، وعلى سبيل المثال يقفل جفنه عند لمس العين أو تعرضها لضوء ساطع.

ويكثر الصراخ والحركة عند الجوع والتبوّل والتبرّز أو التقيؤ.

ويستطيع المص و البلع بصورة لا إرادية منذ اللحظات الأولى من ولادته.

وقد وجد أنّ الوليد السوي السليم، يبدأ في مص أصابعه قبل الوليد الناقص النمو أو المريض.

---

١. *المصدر*: ٢٩٧.

ويستجيب الوليد بكل جسمه للمؤثرات القوية، كالضوء القوي أو الصوت القوي.

وبعد انتهاء المرحلة بابتداء مرحلة الرضاعة، يتمكن الرضيع من ضبط حركة الجسم خاصة العضلات الإرادية، ويتحكم في حركة الرأس ثم الجذع ثمّ الأطراف.

ويبدأ برفع أجزاء جسمه، ثمّ يبدأ بالجلوس، ثمّ الوقوف والحبو، ثمّ المشي.

وتتطوّر قدرته على تناول الأشياء والقبض عليها، ويبدأ بالسيطرة على حركاته في السنة الثانيّة.

ويعتمد النمو الحركي على قوة الطفل وسرعته، وفي تنظيمه لحركات الجسم المختلفة.

وطبقاً لنمو الرضيع المتدرّج، ينبغي مراعاة الوالدين لجملة من المواقف اتجاهه:

١. إتاحة الحرية له في الحركة وعدم الحدّ منها، حيث إنّ النمو الحركي يشبع حاجته إلى حبّ الاستطلاع والتجربة وتنمية مهاراته، وله دور في نموه العقلي والاجتماعي.

٢. عدم التعجيل في إجباره على الجلوس والحبو والمشي؛ لأنّها تعتمد على قواه الجسميّة والحركيّة.

٣. عدم بذل الجهد لتعليمه أي مهارة حركيّة لم يستعد لها.

وبعد نهاية مرحلة الرضاعة، يدخل الطفل مرحلة النشاط الحركي المستمر، وتمتاز حركاته بالشدة وسرعة الاستجابة والتنوّع وتزايد التحسن، ويكتسب مهارات حركية جديدة كالجري والقفز والتسلق وركوب الدراجة، والحفر والرمي، ويبدأ باستخدام القلم، فيقلّد غيره بالكتابة والرسم، ويستطيع تشكيل بعض الأشكال عن طريق الطين الاصطناعي.

ويتأثر النمو الحركي بجملة من العوامل ومن أهمها:

١. الحالة الجسميّة.

٢. الصحة العامّة.

٣. القدرة العقليّة.

٤. التوازن الانفعالي.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى تنمو العضلات بنوعيها: الكبيرة والصغيرة.

ويحب الطفل العمل اليدوي، ويحب تركيب الأشياء، ويشاهد النشاط الزائد، وتعلم المهارات الجسمية والحركية اللازمة للألعاب، كالجري والتسلق والتوازن في ركوب الدراجة ذات العجلتين، ويستطيع العوم في النهر، أو المسبح في بداية السنة الثامنة.

ويستمر نشاطه الحركي ولا يتوقف إلّا في حالة التعب والإرهاق. وتختفي الحركات الزائدة غير المطلوبة أو الحركات العشوائية.

ويستطيع أنْ يعتمد على نفسه وإشباع حاجاته بنفسه، كالدخول إلى الحمام ولبس الملابس، وما شابه ذلك.

ويستخدم الطين الاصطناعي أو الطبيعي في تشكيل أشكال أكثر دقة من ذي قبل.

ويكون قادراً على الكتابة والرسم، حيث يستطيع رسم إنسان أو حيوان أو شجر، ويلاحظ عليه حب الرسم بالألوان.

وتتميز حركة الذكور بالعنف، أو المشقة، كالتسلّق، والجري، ولعب الكرة، بينما تكون حركة الإناث، أقل وأهدأ كمّاً وكيفاً.

وفي مرحلة الطفولة المتأخرة تكون الحركة والنشاط هي الغالبة، وتزداد قوة وطاقة وسرعة، والطفل في هذه المرحلة لا يستطيع السكون بلا حركة مستمرة.

ويزداد اللعب مثل الجري والمطاردة، وركوب الدراجة ذات العجلتين، والعوم، والسباق، والألعاب الرياضية المنظمة.

ويميل الطفل إلى العمل وإبراز كفاءاته ومهاراته، ويودّ أنّه لو يصنع شيئاً إلى نفسه.

ويقوم الذكور باللعب المنظّم القوي الذي يحتاج إلى مهارة وشجاعة وعمل عضلي عنيف، بينما تقوم الإناث باللعب الهادئ واللعب الذي يحتاج إلى تنظيم.

وفي هذه المرحلة وطبقاً للثقافة المتّبعة فإنّ أغلب الأطفال يميلون إلى اللعب أو

العمل الذي يعبّر عن روح المغامرة، وإنْ كان فيه اعتداء على بعض ممتلكات الآخرين، كالسطو على بستان مثمر أو ما شابه ذلك.

اللعب عند الأطفال

اللعب عند الأطفال هو أهم مصاديق النمو الحركي، بل هو المظهر الواضح له، سواء كان لعباً عبثياً أو هادفاً، فهو راجع إلى ثقافة الأسرة وثقافة المجتمع وخصوصاً ثقافة المدرسة.

ولا يمكن أنْ نتصوّر طفلاً لا يلعب، بل نجد من خلال متابعة الأطفال أنّ اللعب حقيقة واقعية في جميع المجتمعات المتقدّمة والمتأخرة، وكما دلت الدراسات التاريخية والاجتماعية والتربوية، باستثناء الأطفال المعوّقين.

حيث يبدي الطفل السوي، سهولة في اللعب، ويبدي تنوّعاً في نشاطه بشكل يتكيّف مع جميع الألعاب، ويبدي الرضى عما يفعله بشكل واقعي، ويتفحّص ويجرّب مختلف الألعاب، ولا يصاب بالذعر إذا اتسخت ملابسه أو تبللت نتيجة اللعب، ويبدي خيالاً في استخدام المواد، ويميل إلى الألعاب ذات الطابع البنائي، ويحتفظ بتوازنه إجمالاً، ويتمكّن من العودة إلى حالة الهدوء إذا اهتاج.

أمّا الطفل غير السوي، فإنّ لعبه يتميز بالتشتت والتبعثر، ويسيطر عليه الجمود والتشويش، ويتميّز بالإفراط أو التفريط، ويبدو عليه خائفاً منطوياً على ذاته، كثير الحذر والتحفظ في تفحّص المواد والإقدام على اللعب بها.[١]

وقد اختلفت آراء علماء النفس في حقيقة اللعب، أو دوافع اللعب، وقد استغنينا عن ذكر هذه الآراء ما دام اللعب حقيقة موضوعية، سواءً كانت فطريّة أم مكتسبة.

واللعب استعداد فطري، يتمّ من خلاله التخلّص من الطاقة الزائدة، وهو مقدمة

---

١. *الفحص النفسي*، حجازي، مصطفى: ١٢٨ ـ ١٢٩.

للعمل الجدّي الهادف، وفيه يشعر الطفل بقدرته على التعامل مع الآخرين، وبمقدرته اللغوية والعقليّة والجسديّة، ومن خلاله يكتسب الطفل المعرفة الدقيقة، وهو ضروري للطفل في هذه المرحلة والمرحلة التي تليها، فالطفل (يتعلّم عن طريق اللعب، عادات في الذات والتعاون والثقة بالنفس... والألعاب تضفي على نفسيته البهجة والسرور وتنمي مواهبه وقدرته على الخلق والإبداع).[١]

ومن خلال اللعب يتحقق: النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والانفعالي للطفل... ويتعلّم الطفل من خلاله المعايير الاجتماعية، وضبط الانفعالات والنظام والتعاون... ويُشبع حاجات الطفل مثل حبُّ التملّك... ويشعر الطفل بالمتعة ويعيش طفولته.[٢]

فاللعب حاجة ضرورية للطفل، فلا يمكن أنْ نتصوّر أو نرى طفلاً لا يلعب، وحتى الأنبياء والصالحين فإنّهم مرّوا في مرحلة اللعب، وإنْ اختلفوا عن الآخرين في طريقة وأسلوب اللعب، ولذا جاءت الروايات لتؤكّد على إشباع هذه الحاجة، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين...».[٣]

ووردت رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله بتعبير آخر: «الولد سيّد سبع سنين...».[٤]

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يرخى الصبي سبعاً...».[٥]

فالروايات تؤكد على أنّ مرحلة ما قبل الثامنة من العمر هي مرحلة اللعب، وعلى الوالدين أنْ يمنحا الطفل الحريّة في اللعب دون ضغط أو إكراه، باستثناء الألعاب الخطرة التي يجب إبعادها عن الطفل، أو إبعاده عنها.

---

١. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢. *العلاج النفسي الجماعي للأطفال، ميليا عبدالفتاح*: ١٦٢.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٢، الطبرسي، الحسن بن الفضل.

٤. *المصدر*.

٥. *المصدر*: ٢٢٣.

والحرية في اللعب تعني عدم تدخل الوالدين في اختيار وقت اللعب أو نوعه أو أسلوبه، ما دام اللعب لا ينافي الأخلاق العامة، ولا خطورة فيه على الطفل أو على الآخرين، والطفل في هذه المرحلة لا يحبّذ تدخل الوالدين في شؤونه، ولا يحبّذ كثرة الأوامر الصادرة إليه.

وأفضل اللعب عند الطفل هو اللعب الذي يختاره أو يصنعه بنفسه، أو يكتشف بنفسه طريقة جديدة للعب، أو طريقة خاصة لاستعمال اللعب، ومن الأفضل للطفل أنْ يقوم الوالدان بتوفير اللعبة التي يحتاجها الطفل، وتكون منسجمة مع رغباته، يقول الدكتور سپوك:

> إنّنا يجب أنْ نترك له قيادة الأمر بنفسه، وأنْ يتبع ما يقوله له خياله، بهذا فقط تصبح اللعبة مفيدة، إنّها يجب أنْ تكون معلّمة له، ولابدّ أنْ يخضعها لأفكاره، وعندما يجد نفسه في حاجة إلى مساعدة أحد الوالدين لإدارة الكمية من المشاكل الطارئة مع لعبته، فلابد أنْ يساعده الوالدان.[١]

ويؤكد جميع علماء النفس والتربية على حرية الأطفال في اللعب (إذا حاول الأطفال رسم برنامج خاص لهم في أعمالهم فلا تمنعوهم من ذلك؛ لأنّ مواصلة تطبيق خطّة مرسومة دون وقوف العوائق في طريق ذلك، عامل فعّال في تكوّن الشخصيّة عندهم).[٢]

وكان رسول الله ﷺ يشجّع الحسن والحسين على المصارعة بينهما، فإنّه ﷺ دخل ذات ليلة بيت فاطمة عليها السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام فقال لهما: «قوما فاصطرعا...».[٣]

وعن صفوان الجمال قال:

> ...أقبل أبو الحسن موسى، وهو صغير ومعه عناق مكيّة، وهو يقول لها اسجدي لربك، فأخذه أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه... .[٤]

وكان رسول الله ﷺ ايمنح الحرية الكاملة للحسن الحسين في التعامل معه، فكان

---

١. *مشاكل الآباء*: ١٠٦.

٢. *الطفل بين الوراثة والتربية*، فلسفي، محمدتقي: ٦٤/٢، عن كتاب نحن والأبناء: ٥٦.

٣. *بحار الأنوار*، المجلسي، محمدباقر: ١٨٩/١٠٣.

٤. *الكافي*: ٣١١/١، باب ٧١ من كتاب الحجة، ح ١٥.

الحسن والحسين عليهما السلام أحياناً يركبان ظهر النبي صلى الله عليه وآله، ويقولان: حَلْ حَلْ، فيقول صلى الله عليه وآله: «نعم، الجملُ جملكما».[١]

ومثل هذه العملية تتكرر في علاقة الطفل مع أبيه، إذ يقوم الأطفال بالركوب على ظهر أحد الوالدين في الصلاة، ولذا يجب على الوالدين عدم تعنيف الطفل على ذلك وترك الحريّة له، فإنّه سيتركها بمرور الزمن.

وقد يفهم من بعض الروايات، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، كان يسهّل مثل هذه العملية وإنْ كانت على مرأى المجتمع، فعن عبد الله بن زبير قال:

إنّا أحدّثكم بأشبه أهله إليه وأحبهم إليه، الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع، فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.[٢]

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يشارك الحسن والحسين عليهما السلام في فعلهما، ومشاركته لا تعني التدخل في شؤونهما، وإنّما يشارك متصرّفاً، كأنّه أحدهما فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يبرك للحسن والحسين عليهما السلام، ويخالف بين أيديهما وأرجلهما، ويقول: «نعم الجمل جملكما».[٣]

ومشاركة الوالدين أو أحدهما للأطفال في اللعب ضروري جداً، وهي من (أهم العوامل لتنمية قدرات الطفل، وأهمّها أنْ يصبح مستقلّاً وقويّ الشخصيّة).[٤]

وأفضل طرق المشاركة في اللعب، أنْ يتكلّم الوالدان مع الأطفال بالكلمات والعبارات التي يفهمونها والمتناسبة مع مستواهم اللغوي والعقلي، وبمعنى آخر أنْ يتصرّف وكأنّه طفل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان عنده صبي فليتصاب له».[٥]

---

١. *بحار الأنوار*: ٢٩٦/٤٣.

٢. *مختصر تاريخ دمشق ابن منظور، محمدبن مكرم*: ١٠/٧.

٣. *مستدرك الوسائل، الميرزا النوري*: ٦٢٦/٢.

٤. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٢٢.

٥. *من لا يحضره الفقيه، الصدوق، محمدبن علي*: ٣١٢/٣، باب فضل الأولاد، ح ٢١.

وقد أكد علماء التربية هذه الحقيقة، يقول موريس تي شي:

> يجب أنْ تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء، أنْ تعملوا معهم، أنْ تشاركوهم في اللعب... أنْ تتحدثوا معهم بعبارات الود والصداقة... إنّ الفرد يجب أنْ يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال، ويتكلم بلغة يفهمونها.[١]

واللعب مع الأطفال يمنحهم الإحساس بالمكانة المرموقة، ويُدخِل عليهم البهجة والسرور فيجب (على الكبار الخضوع لرغبة الصغار إذا طلبوا منهم اللعب معهم).[٢]

واللعب وسيلة من وسائل التربية والإعداد للعمل الجدّي: فهو وسيلة لفهم نفسيات الأطفال، والوقوف على استعداداتهم، ووسيلة لتعليمهم وتربيتهم اجتماعياً وخلقياً.[٣]

ويعتبر لعب الأطفال تعبيراً حقيقيا عن سلوكهم السوي أو المضطرب: فالطفل أثناء لعبه يعبّر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها، ويسقط ما بنفسه من انفعالات تجاه الكبار على لعبه.[٤]

ومن هنا فعلى الوالدين مراقبة الأطفال في لعبهم دون أنْ يشعروا بالمراقبة، فسيحصلون على معلومات متكاملة عن جميع الجوانب لدى الطفل، في التفاعل الاجتماعي بينهم، وملاحظة الأحاديث والانفعالات التي تصاحب اللعب، وملاحظة أسلوب تعبير الطفل عن رغباته وحاجاته ومخاوفه ومشكلاته، وخصوصاً في حالة التكرار المتزايد، وملاحظة سلوك الأطفال من حيث اللين والعنف، والاضطرابات العاطفية، وملاحظة آرائه بوالديه، وخصوصاً في حالة تمثيل الطفل لدور الأب أو دور الأم، ومن خلال المراقبة والملاحظة يمكن التعرف على نموه اللغوي والعقلي

---

١. *الطفل بين الوراثة والتربية*: ٩٧/٢.

٢. *قاموس الطفل الطبي*: ٣١٧.

٣. *علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية*: ٢٣٩.

٤. *علم النفس العلاجي*: ١٥٢.

والعاطفي، ويأتي دور الوالدين بعد المراقبة في وضع منهج متكاملٍ للتوجيه والتربية ينسجم مع حالة الطفل العاطفيّة والعقليّة.

والملاحظة والمراقبة غير المباشرة أكثر فائدة ونفعاً من الملاحظة والمراقبة المباشرة.

الرسم عند الأطفال

الرسم هو مصداق من مصاديق النمو الحركي، تجتمع فيه المهارة العقلية والنفسيّة، وقد يحدث في أغلب الأحيان عندما يملّ الطفل من اللعب، أو يجد الظروف غير مناسبة للعب، لضيق المكان الذي يتواجد فيه، أو عدم ارتياح الوالدين للعب في أوقات خاصّة، أو رغبته في تقليد الآخرين.

والرسم يعبّر عن شخصية الطفل في أغلب الأحيان، حيث يعبّر فيه عن خوالجه أو أعماقه، وقد دلّت الدراسات على أنّ :

الرسم يعكس وجهاً من التجربة الوجودية للطفل: أحلامه، رغباته، مخاوفه، اهتماماته، موقعه، من خلال الموضوعات التي يختارها لرسمه والمتون التي يكوّنها، وهو بذلك يُنبأ عن علاقاته العاطفية مع العالم الذي يحيط به؛ حركة الاقتراب أو الابتعاد، الشهيّة أو الخوف اللذين يميزان روابطه بالناس والأشياء، ولكنّه ليس مجرد تعبير، إنّه بالنسبة للطفل وسيلة لتقديم ذاته إلى الآخرين.

الطفل يجب أنْ يرسم؛ كي يرى الآخرون رسمه... ثم إنّ الرسم يتجاوز التعبير إلى محاولة حل مشكلة الطفل مع العالم ومع ذاته، فمن خلال الوظيفة الإسقاطية للرسم، يستطيع أنْ يتحرّر من وطأة المآزم الداخلية أو المآزم العلائقيّة.[1]

وقد لاحظنا من خلال دراستنا الميدانية العديد من رسوم الأطفال الذين عبّروا فيها عن أوضاعهم النفسية والأسرية والاجتماعية السارّة والمحزنة، وعبّروا فيها عن آمالهم وآلامهم ومشاعرهم المكبوتة.

---

١. *الفحص النفسي*: ١٣٢.

فطفل قد رسم شخصاً بصورة ضخمة ووحشية، فسألناه لمن هذه الصورة؟ فأجاب إنّها لوالدي، ثمّ سألناه لماذا رسمت والدك بهذا الشكل؟ فأجاب: إنّه يصرخ في وجهي ويضربني، ولا يسمح لي باللعب، ولا يشتري لي ما أحتاجه.

وطفل رسم والدته بصورة وحشية، وأجاب بما يشابه جواب الطفل الأول.

وطفل رسم صورة لوالده وهو ماسك بيده، وآخر رسم صورة لوالدته، وهو راكب على متنها.

وطفل رسم صورة لطفل يضرب رجلاً بالعصا؛ معبّراً فيها عن كراهيته للمعلم.

وأحياناً يرسم الطفل صورة لفأرة أو قطّة وصغارها، فيعبّر بذلك عن علاقاته بأمه.

فينبغي ملاحظة رسوم الأطفال للتعرّف على أوضاعهم النفسية، ومدى التفاؤل والتشاؤم الذي يحيط بهم، ومراعاة آلامهم وآمالهم، ومعرفة مستوى تفكيرهم، لتكون هذه الملاحظات مقدمة لمعرفة ودراسية شخصياتهم والمساهمة في إرشادهم وتوجيههم وتربيتهم، ومن ثمّ حلّ مشاكلهم.

والرسوم هي خير وسيلة للتخفيف عن معاناتهم؛ والتغلب على النوازع المكبوتة، فينبغي تشجيعهم على الرسم بتوفير مستلزماته، لكي لا يتوجّه الطفل للرسم على الجدار أو بعض الأدوات المنزليّة.

وفي جميع الظروف ينبغي تشجيعهم على الرسم، بتقديم بعض الهدايا لهم، وتمرينهم على الرسم الذي يعبّر عن البهجة والتفاؤل.

الرياضة في المنهج الإسلامي

الرياضة في منهج رسول الله ﷺ، وسيلة لتقوية الجسم وتمرينه على الحركة والنشاط؛ لكي يكون صاحبه قادراً على تحمل المسؤولية والأمانة المناطة به، وأنْ يكون عنصراً فعّالاً في الحياة، يبني ويعمّر ويصلح الكون والمجتمع، ويعد القوة

اللازمة لإصلاح الأنفس والأوضاع وإحقاق الحق والخير، وإبطال الباطل والشر.

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الرمي فإنّه خير لعبكم».[١]

وشجع ﷺ، على تعليم الأبناء بعض أنواع الرياضة فقال: «علّموا أبناءكم الرمي والسباحة».[٢]

وحول رياضة المرأة قال ﷺ: «المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المريد وجه الله عزّ وجل».[٣]

وعن سلمة بن الأكوع قال:

مرّ رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإنّ أباكم كان رامياً، إرموا وأنا مع بني فلان». فامسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟» قالوا: كيف نرمي وأنت معهم، فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم».[٤]

ودخل ﷺ ذات ليلة بيت فاطمة ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهما: قوما واصطرعا، فقاما ليصطرعا.[٥]

وسابق رسول الله ﷺ أسامة بن زيد.[٦]

وقال رسول الله ﷺ:

اركبوا وارموا، وإنْ ترموا أحبّ إلي من أنْ تركبوا، كلّ لهو المؤمن باطل إلّا في ثلاث؛ من تأديبه الفرس، ورميه عن قوسه، وملاعبته إمرأته، فإنّهنّ حق؛ ألا أنّ الله عزّ وجل ليدخل في السهم الواحد ثلاث الجنة: عامل الخشبة، والمقوّي في سبيل الله، والرامي به في سبيل الله.[٧]

---

١. *المصنف*: ٢١/٩.

٢. مستدرك *الوسائل*: ٢٦٦/٢.

٣. فردوس *الأخبار*، *الدليلي*، شيرويه: ٤٩١/٤.

٤. نيل *الأوطار*: ٢٤٥/٨.

٥. مستدرك *الوسائل*: ٥١٧/٢.

٦. حلية *المتقين*: ٧١٣.

٧. *الكافي*: ٥٠/٥.

وروي أنّه صلى الله عليه وآله قال: «من علم الرمي ثم تركه فليس منّا أو قد عصى».[١]

وعن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، أجرى الخيل التي أُضمرت من الحفياء إلى مسجد بني زريق، وسبّقها من ثلاث نخلات، فأعطى السابق عذقاً، وأعطى المصلّي عذقاً، وأعطى الثالث عذقاً.[٢]

والمُصَلِّي: من خيل السِّباق: الذي يتلو السابق.

وعن طلحة بن زيد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

أغار المشركون على سرح المدينة، فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه، فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله... فركب فرسه في طلب العدو، وكان أوّلَ أصحابه، لحقه أبو قتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وآله سرج دفتاه ليف، ليس فيه أشر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً، وتتابعت الخيل، فقال أبو قتادة: يا رسول الله، إنّ العدو قد انصرف، فإنْ رأيت أنْ نستبق؟ فقال نعم، فاستبقوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله سابقاً عليهم... .[٣]

وعن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه كان يحضر الرمي والرهان.[٤]

وكان أهل البيت عليهم السلام، يشجعون أبناءهم على تعلّم الرمي، فقد سأل هشام بن عبد الملك، الإمام الباقر عليه السلام عن تعلّمه للرمي، وممّا جاء في ذلك:

قال هشام للإمام عليه السلام:

يا محمد، لا يزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك، لله درّك، مَن علّمك، وفي كم تعلمته، فقال: أبي، قد علمت أنّ أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ثم تركته.[٥]

---

١. *وسائل الشيعة*: ٢٥٥/١٩.

٢. *الكافي*: ٤٨/٥.

٣. *الكافي*: ٥٠/٥ و٥١.

٤. *المصدر*: ٤٩/٥.

٥. مستدرك *الوسائل*: ٢٦٦/٢.

وأراد رسول اللهﷺ، من الرياضة أنْ تكون وسيلة من وسائل التربيّة البدنيّة والنفسيّة التي تتمثل في الانفتاح مع الآخرين، فهي ليست مقتصرة على ملء الفراغ، بل هي وسيلة للنمو وللعلاقات مع الآخرين، والتربية للنفس، لتتقبل النصر أو الهزيمة وخصوصاً في السباق غير العوضي، أو السباق الذي يترتب عليه عوض من مال أو مشابه له.

قال رسول اللهﷺ: «لا سبق إلّا في خفّ، أو في حافر، أو نصل».[1]

والسبق: العوض الذي يوضع بين أهل السباق فمن سبق أخذه.

ونهى رسول اللهﷺ، عن الرياضة العبثية التي لا يستفاد منها في التربية البدنية أو النفسية، فقد دلّت الروايات على أنّهﷺ، نهى عن التحريش بين البهائم.[2]

النشاط الترويحي

النشاط الترويحي، حاجة هامة في حياة الأطفال ينبغي الاهتمام به، وإبداء العناية فيه؛ لكي لا يدخل الملل والكسل إلى الجسم ومن ثمّ النفس والروح، والنشاط الترويحي له أثره الفعّال في الصحة الجسميّة والنفسيّة.

ومن مصاديق النشاط الترويحي، تمتّع النظر بجمال الطبيعة، كالنظر إلى الخضرة، والوجه الحسن، والماء الجاري.

قال رسول اللهﷺ: «النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر، والنظر إلى الخضرة يجلو البصر».[3]

وقال أيضاً: «أديموا النظر إلى الماء الجاري، فإنّه يذهب بالغم».[4]

---

١. *سنن أبي داود*: ٨١٤.

٢. *سنن الترمذي*: ٥١٩.

٣. *فردوس الأخبار*: ٤٣/٥.

٤. *المصدر*: ١٣٧/١.

وشجّع رسول الله ﷺ على السفر، وجعله مقدمة للصحة والغنيمة، فقال: «سافروا تصحّوا، سافروا تغنموا».[1]

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «في حكمة آل داود عليه السلام، أنّ على العاقل أنْ لا يكون ظاعناً إلّا في تزوّد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو طلب لذة في غير محرم».[2]

وبيّن الإمام علي عليه السلام مكاسب النشاط الترويحي والحركي، فقال:

سافروا تغنموا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا، وحجّوا تستغنوا.[3]

وشجّع رسول الله ﷺ؛ على السفر الجماعي، ولم يحبذ السفر الانفرادي، فقال: «ألا أنبئكم بشرّ الناس؟» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «من سافر وحده، ومنع رفده، وضرب عبده».[4]

ومن النشاط الترويحي الحداء، والشعر في السفر، قال رسول الله ﷺ: «زاد المسافر الحداء، والشعر ما كان منه ليس فيه خنا».[5]

ومن النشاطات الترويحية، هي طرائف وبدائع الحكمة، قال الإمام علي عليه السلام: «روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنّها تكلّ كما تكلّ الأبدان».[6]

ومن الفعاليات الترويحية والرياضية في آن واحد، هي السير على الأقدام.

روي: أنّ قوماً مشاة أدركهم رسول الله ﷺ، فشكوا إليه شدّة المشي، فقال لهم: استعينوا بالنسل.[7]

---

١. *المحاسن، البرقي، احمدبن محمد*: ٣٤٥.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٢٢/٧٣.

٣. *دعائم الإسلام، المغربي، النعمان بن محمد*: ٣٤٢/١.

٤. *من لا يحضره الفقيه*: ١٨٦/٢.

٥. *المصدر*: ١٨٩/٢.

٦. *الكافي*: ٨٤/١.

٧. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٠١/٢.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

... لقد كان أكثر من حجّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله مشاةً، ولقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بكراع الغميم، فشكوا إليه الجهد والطاقة والإعياء، فقال: شدّوا أُزُرَكم واستبطنوا، ففعلوا ذلك فذهب ذلك عنهم.[1]

ومن خلال تجربتي الميدانية، فإنّي أوجّه أنظار الآباء والمربّين إلى تشجيع الأطفال على المشي لمسافات طويلة، فإنّ المشي رياضة وترويح عن النفس، وخصوصاً إذا كان لغرض الزيارة لأحد الأماكن المقدّسة، كمكّة والمدينة، وكزيارة المشاهد المقدّسة في العراق، وإيران، وسوريا؛ فالزيارة مشياً على الأقدام لها آثار إيجابية دنيوية قبل أنْ تكون أُخروية، ففيها تنمية للجسم وتنشيط لجميع أنسجته الداخلية، وفيها القضاء على روتين الحياة، والتحرّر من الملل، وفيها تمتد العلاقات الاجتماعية إلى خارج المحلة أو المدينة، ويتعارف الزائر على أصناف عديدة من أفراد المجتمع، وفي أثنائها يعيش الزائر أُنساً حقيقياً مع المفاهيم والقيم الصالحة، وهي فرصة لتوجيه وتربية الأطفال والشباب وإرشادهم إلى ما ينفعهم في الحياة.

وقد جرّبت الزيارة، فوجدت نفسي وروحي تعيش في قمة الهناء والسعادة، فلم أشعر بشدة الحرّ في شهر تموز وآب، ولا شدّة البرد في شباط وآذار.

وشاهدت أطفالاً يسيرون مستأنسين وسعداء، تتراوح أعمارهم بين الرابعة والعاشرة، ويرفضون أنْ يساعدهم أحد في حملهم، فيشعرون بكرامتهم واستقلالهم، وينفّسون عن طاقتهم النشطة من خلال المشي.

وقد استطلعت آراء البعض منهم عن الآثار التي ترتّبت على مسيرهم مشيّاً على الأقدام للزيارة، فكانت الأجوبة:

١. صحة في الجسم.

---

١. *المصدر.*

٢. تغيّر في المستوى الدراسي، بازدياد الذاكرة وسرعة الحفظ.

٣. الراحة النفسية التي تدوم أكثر من شهر أو شهرين بعد الزيارة.

٤. التمرين على الصبر والتحمّل.

٥. التمرين على الإيثار ونكران الذات.

٦. تنمية الروح الاجتماعيّة.

٧. الحصول على معلومات في كثير من جوانب المعرفة.

٨ الارتباط بالله تعالى.

٩. تحسّن الأخلاق.

ولذا أحث الآباء على اصطحاب الأطفال معهم في أوقات الزيارة، فإنّ لها تأثيراً ملموساً على جميع مقوّمات شخصياتهم، كما واقترح على المعلمين والمدرّسين في المراحل الابتدائية والمتوسطة، أنْ يشجعوا الأطفال على هذه السنّة الحسنة، سواءً كانت لزيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو قبور أئمة المذاهب، لأنّها المرتع الخصب للإصلاح والتربية والتنمية بجميع أبعادها ومجالاتها ومظاهرها، حيث يتعلّم الطفل قواعد وآداب السلوك والتعامل والعلاقات مع الآخرين، وهي فرصة لتبادل المعلومات والخبرات والتجارب، وهي تغني عن المعسكرات الكشفية بل هي البديل الأفضل لها، حيث تتحقق التربية، ويتحقق التعليم، وخصوصاً إذا أشرف المربّون على مثل هذه الرياضة الروحية والبدنيّة.

وهي فرصة للاقتداء بصاحب المقام الشريف الذي قطعت مئات الكيلومترات من أجل زيارته.

وأنا أتكلّم عن تجربة طويلة في ذلك منذ طفولتي وإلى يومنا هذا.

ملاحظات عامة حول النمو الحركي

إنّ النمو الحركي هو نشاط وحيوية، له تأثيره الملموس على الصحة البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية، ولذا ينبغي التعامل معه بموضوعيّة لإدامته واستمرار وجوده في جميع مراحل العمر، وخصوصاً مرحلة الطفولة، ولهذا جاءت الروايات الشريفة؛ لتحذّر من الكسل والارتخاء والجمود والتقوقع.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «الكسل يضر بالدين والدنيا».[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

> إياك والكسل والضجر، فإنّهما مفتاح كلِّ سوءٍ، إنّه من كسل لم يؤد حقّاً، ومن ضجر لم يصبر على حق.[2]

وقال الإمام علي عليه السلام:

> «التواني سجيّة النوكى وإيثار الدعة يقطع أسباب المنفعة وآفة العمل البطالة وآفة النجح الكسل وكن ممّن لا يفرط به عنف ولا يقعد به ضعف» و«من التواني يتولد الكسل والتواني فوت» و«التواني في الدنيا إضاعة وفي الآخرة حسرة» و«من دام كسله خاب أمله» و«من ضعف جدّه قوي ضدّه» و«من أطاع التواني ضيّع الحقوق» و«من أطاع التواني أحاطت به الندامة».[3]

فالنمو الحركي له تأثيراته الإيجابية على جميع مقومات الشخصية، ويمكن توجيهه واستثماره ليكون فعالية نافعة تساهم في إقرار المفاهيم والقيم الصالحة في المجتمع، ويكون مقدمة للبناء والإعمار في شتى المجالات.

وجمود أو ضعف النمو الحركي، هو مقدمة لأغلب المفاسد التي تواجه الإنسان

---

١. *تحف العقول*، *ابن شعبة الحرّاني*: ٢٢٠.

٢. من لا *يحضره الفقيه*: ١٦٩/٣.

٣. *تصنيف غرر الحكم*، *الآمدي*، *عبدالواحد*: ٤٦٣.

الطفل، أو المجتمع، حيث إنّ آثاره السلبية شاملة لجميع جوانب الشخصيّة وجميع جوانب الحياة الماديّة والمعنويّة.

ولهذا ينبغي خلق الأجواء الصالحة للنمو الحركي ابتداءً من مرحلة الرضاعة، وتوجيه النمو الحركي توجيهاً سليماً هادفاً واعياً، ليساهم في البناء والإعمار والإصلاح في جميع المجالات.

وعلى ضوء ذلك ينبغي مراعاة بعض مقوّمات النمو الحركي السليم:

١. منح الحرية للطفل ابتداءً بمرحلة الرضاعة ليتحرّك، وعدم تقييده إلّا إذا صادف أمراً خطيراً عليه.

٢. عدم التعجيل في إجباره على المشي إذا لم يكن مهيئاً لذلك.

٣. توجيه النشاط الحركي الزائد نحو وجهات نافعة.

٤. تشجيع الطفل أثناء لعبه، ومنحه بعض المكافآت؛ إنْ استطاع توجيه نشاطه في أعمال نافعة ومفيدة.

٥. إبعاد الأشياء الثمينة القابلة للتحطم عن متناول يده.

٦. إبعاد الأدوية والسموم عن متناول يده.

٧. توفير ما يحتاجه من وسائل وأدوات مرتبطة باللعب أو النمو الحركي.

٨. الحذر من تشغيله وهو في عمر مبكّر.

٩. التدريب على المهارات الحركيّة.

١٠. التشجيع على تنويع النشاط الحركي.

١١. التدريب على بعض الألعاب الرياضيّة المنظّمة.

١٢. التشجيع على الهوايات المتنوّعة.

١٣. إقامة المسابقات بين المتكافئين في نموهم الجسمي والحركي.

١٤. مراعاة الفوارق بين الذكور والإناث، والفوارق بين الذكور والذكور، والإناث والإناث.

١٥. مساعدة الأطفال المنعزلين للدخول في النشاطات الحركيّة.

١٦. مساعدة الأطفال المعاقين في أعادة الثقة بالنفس، وإشراكهم في النشاطات المناسبة لوضعهم الصحي.

١٧. التحذير من الإدمان على مشاهدة التلفاز.

١٨. بناء مراكز رياضيّة خاصّة بالأطفال.

١٩. إقامة المعسكرات الكشفيّة.

القسم الثالث

النمو العقلي

مقدمة في معنى العقل

سمي العقل عقلاً؛ لأنّه يعقل صاحبه عن التورّط في المهالك، أي يحبسه.

وقيل: هو التمييز الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان.

وَعقِلَ الشيءَ: فَهِمه.[1]

وهو نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية، ويطلق على العلم المستفاد من ذلك، فيكون الأوّل هو العقل المطبوع والثاني العقل المسموع.

وقد يراد به قوة النفس، أو ما يقابل الجهل والعقل: الفهم والإدراك.[2]

وهو القوة المهيأة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: عقل.

والى الأول أشار رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل».

والى الثاني أشار صلى الله عليه وآله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدىً أو يردّه عن ردىً».[3]

---

١. *لسان العرب، ابن منظور*: ١١/٤٥٨ ـ ٤٥٩.

٢. مجمع البحرين، *الطريحي*: ٥/٤٢٥ ـ ٤٢٦.

٣. *المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني*: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

ويطلق العقل في الأحاديث على ثلاث معانٍ:

١. قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما، ومعرفة أسباب الأمور، ونحو ذلك، وهذا هو مناط التكليف.

٢. حالة وملكة تدعو إلى اختيار الخير والمنافع واجتناب الشر والمضار.

٣. التعقّل بمعنى العلم، ولذا يقابل بالجهل لا بالجنون.[١]

قال رسول الله ﷺ:

> العقل نور في القلب، نفرّق به بين الحقّ والباطل، وبالعقل عُرف الحلال والحرام، وعُرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام، وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم إلى هدىً ويصدُّهم عن ردى.[٢]

وقال ﷺ:

> العقل ثلاثة أجزاء، فمن تكن فيه فهو العاقل، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الظن بالله.[٣]

ومن الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا ... لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع[٤]

والعقل هو أوّل الروحانيين، أيّ الجواهر المجرّدة واللطيفة كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال:

> إنّ الله عزّ وجل خلق العقل، وهو أوّل خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدْبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل.

---

١. *وسائل الشيعة*: ٢٠٨/١٥.

٢. *العقد الفريد*: ٢٤٨/٢.

٣. *جامع الأخبار*: ٥٢٠.

٤. *ديوان الإمام علي*: ٩٢.

فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي... ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً... .[١]

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه التي لم يطّلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرّب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينيه، والحكمة لسانه، والرأفة همّه، والرحمة قلبه.

ثمّ حشاه وقوّاه بعشرة أشياء: باليقين، والإيمان، والصدق، والسكينة، والإخلاص، والرفق، والعطيّة والقنوع والتسليم والشكر... .[٢]

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

إنّ أولّ الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلّا به؛ العقل الذي جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم.

فبالعقل عَرَف العباد خالقهم، وأنّهم مخلوقون، وأنّه المدبّر لهم وأنّهم المدبّرون، وأنّه الباقي وهم الفانون.

واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنّ له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول.

وعرفوا به الحَسَن من القبيح، وأنّ الظلمة في الجهل، وأنّ النورَ في العلم، فهذا ما دلّهم عليه العقل.[٣]

والعقل جوهر خارج عن البدن مخلوق قبله، وقد ركّبه الله تعالى في الملائكة وفي بني آدم، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام:

إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، ومَن غَلَبتْ شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم.[٤]

---

١. *الكافي*: ٢١/١، كتاب العقل والجهل.

٢. *الخصال*: ٤٢٧/٢.

٣. *الكافي*: ٢٩/١، كتاب العقل والجهل.

٤. *علل الشرايع*: ١٠٢.

والعقل كما جاء في المعاجم الفلسفية:

١. جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها.

٢. قوة النفس التي يحصل بها تصوّر المعاني وتأليف القضايا والأقيسة، وقوة تجريد تنتزع الصور من المادة، وتدرك المعاني الكلية.

٣. قوة الإصابة في الحكم، أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبح.

٤. قوة طبيعية للنفس مهيأة لتحصيل المعرفة العلميّة، وهذه المعرفة غير المعرفة المستندة إلى الوحي والإيمان.

٥. مجموع المبادئ القبلية المنظِمة للمعرفة كمبدأ الغائية، وعدم التناقض.

٦. الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق.

٧. مجموع الوظائف النفسِيّة المتعلّقة بتحصيل المعرفة كالإدراك، والتداعي، والذاكرة، والتخيّل، والحكم، والاستدلال.[1]

وفي معجم آخر ورد كالتالي:

١. بوجه عام: ما يميز به الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

٢. يطلق على أسمى صور العمليات الذهنيّة بعامّة، وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة.

٣. يراد به أيضاً المبادئ اليقينيّة التي يلتقي عندها العقلاء جميعاً، وهي: مبدأ الهوية، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ العليّة.

وقُسّم من قديم الى:

١. نظري: ينصب على الإدراك والمعرفة.

٢. عملي: ينصب على السلوك.[2]

---

١. *المعجم النفسي، لجميل صليبا*: ٢/٨٨ ـ ٨٩.

٢. *المعجم الفلسفي، لمجمع اللغة العربية*: ١٢٠.

العقل عند أرسطو

يرى أرسطو: أنّ العقل جزء من النفس الإنسانية أو وظيفة من وظائفها، وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

العقل الهيولاني أو العقل بالقوة: وهو الجزء المستمد من النفس لقبول معاني الأشياء.

العقل بالفعل أو العقل المستفاد: وهو ما يحصل للعالم عند مباشرة العقل للمدركات.

العقل الفعّال: وهو المرتبة التي يصل إليها العقل عندما يدرك تلك المعاني وينتزعها فعلاً من المدركات الخارجية الحسيّة.[١]

العقل عند الفلاسفة المسلمين

العقل عند ابن سينا والفلاسفة المسلمين؛ له أربع مراتب وهي:

١. العقل الهيولاني: وهو عقل الإنسان في طوره الأول، فهو مجرّد استعداد لم يقبل أي إدراك، ولكنّه يستطيع أنْ يحصل على الإدراكات.

وسمي بالهيولاني لشباهته الهيولى الأولى في خلوّها عن جميع الفعاليات.

٢. العقل بالملكة: وهي المرتبة التي تعقل فيها الأمور البديهية من التصورات والتصديقات. كالكلِّ أكبر من الجزء.

٣. العقل بالفعل: وهو العقل بالملكة الذي فاضت عليه ماهيات الأشياء المجرّدة. مثل فكرة الجماد و... .

وبعبارة أخرى، هي: مرتبة تعقّل النظريات باستنتاجها من البديهيات.

٤. العقل المستفاد: وهو العقل الذي تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه، يعقلها ويعقل أنّه يعقلها بالفعل.

---

١. *توجيه المتعلّم*: ٣١، عن *كتاب النفس* لأرسطو: ١٠٨.

وبعبارة أخرى: عقله لجميع ما استفاده من المعقولات البديهية والنظرية، المطابقة لحقائق العالم العلوي والسفلي، باستحضاره الجميع والتفاته إليها بالفعل.[1]

العقل عند الغزالي

يطلق العقل بالاشتراك على أربعة معانٍ:

١. الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم.

٢. إنّه بعض العلوم الضرورية، كاستحالة المستحيلات.

٣. علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإنّ مَنْ حنّكته التجارب وهذّبته المذاهب يقال: إنّه عاقل في العادة.

٤. أنْ تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أنْ يَعرف عواقبَ الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها: عاقلاً.

والأول والثاني هو (العقل بالطبع)، والثالث والرابع هو (العقل بالاكتساب).[2]

معان أُخري للعقل

يطلق العقل على ثلاثة أوجه لدى الجمهور:

١. وقار الإنسان وهيئته، ويكون حدّه أنّه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

٢. ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكليّة، فيكون حَدّه: أنّه معانٍ مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح.

٣. صحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حَدّه: أنّه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.[3]

---

١. *النفس البشرية عند ابن سينا*: ١٧ ـ ١٨، *بداية الحكمة*: ١٤٤، *نهاية الحكمة*: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

٢. *إحياء علوم الدين*: ١/٨٥ ـ ٨٦.

٣. *المعجم الفلسفي*، لجميل صليبا: ٢/٨٥.

وذهب آخرون

١. وجود مستقل قائم بذاته، ومعبّر عن نفسه من خلال تأثيراته المفترضة في السلوك الإنساني.

٢. برفض الوجود المستقل، هو مجموعة الوظائف المنظِّمة لعلاقة الإنسان ببيئته الخارجيّة، وبتوقّف هذه الوظائف يزول العقل.

٣. مجموعة الظواهر السلوكيّة التي تصدر عن الإنسان.

٤. مجرّد وجود اعتباري تقرّره طبيعة الاتفاقات الاجتماعيّة القائمة في وضع إنساني معيّن.

٥. قبس من النور الأعلى، وهبة الإنسان، ليسترشد به في ظلمات الحياة.[1]

وعُرّف أيضاً بأنّه: القوة الشعورية أو القوة الفكرية، التي تعطي الإنسان قوة التأمل والمراجعة، والترجيح، والحكم بين الأشياء أو الطرق والوسائل العديدة التي سيواجهها الإنسان عند الحصول على مطلوبه.[2]

العقل عند علماء النفس

أمّا المحدَثون من علماء علم النفس والتربية فيغلب على تعبيراتهم عن العقل وقدراته؛ الذكاء أو القدرات، وهم يختلفون في بعض نواحي هذه القدرات.

فقد عرّفه سبيرمان بأنّه: «القدرة على إدراك العلاقات، بسيطة كانت أم صعبة خفية».

وعرّفه ركسي نايت بأنّه:

القدرة على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء أو الأفكار، وعلاقتها بعضها ببعض.

وعرفه ثورندايك بأنّه: «القدرة على مجرد تكوين ترابطات».[3]

---

١. *فلسفة التربية*: ٢٠٩.

٢. *الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر*: ٢٣٩.

٣. توجيه *المتعلم*: ٣١ ـ ٣٢.

والعقل على ضوء ما تقدّم هو قدرة وقوة وملكة، تميّز الإنسان عن غيره من المخلوقات الأرضية، وهو القوة التي تنير الإنسان للهداية وتعيقه عن الضلالة، فبه تدرك الأسباب والعلل وحقائق الأمور، وبه يميز الخير من الشرّ، والصلاح من الفساد، وهو ملكة تدعو إلى اختيار الخير والمنافع، واجتناب الشر والمضار والمفاسد، والعقل هو المحرّك للإنسان بجوانحه ومشاعره ومسيرته، وبما أنّه قد ركّب مع الشهوة فإنّه قد يضعف أو يتأثّر بالظروف المحيطة.

مراحل النمو العقلي

عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل آتيه وأكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كله، ومنهم آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي ثم يردّه عليّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأكلّمه فيقول: أعد عليّ.

فقال:

> يا إسحاق، وما تدري لما هذا؟ قلت: لا، قال: الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأمّا الذي تكلمه بكلامك فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك، فذاك الذي ركّب عقله في بطن أمّه، وأمّا الذي تكلّمه بالكلام، فيقول: أعد عليّ، فذاك الذي ركّب عقله فيه بعد ما كبر، فهو يقول لك: أعد عليّ.[1]

فالنمو العقلي الذي تتضّح شدّته أو ضعفه، يتوقف على بداية نشوئه وهو يمرّ بالمراحل التالية:

١. النشوء في زمن تخصيب الحيمن للبويضة.

٢. النشوء بعد التخصيب وبعد ولوج الروح.

٣. النشوء بعد الولادة.

---

١. *الكافي*: ٢٦/١، كتاب العقل والجهل.

فالعقل يتأثر بظروف النشأة، وبظروف البيئة الحسيّة والاجتماعية، حيث يتأثر بالمؤثرات الحسيّة في عهد الطفولة، فيبدأ عقله بملاحظة المحسوسات وبحفظ صورها، ثم يتطوّر وينمو بالتدريج، حيث تزداد القدرة على الفهم والإدراك والاستدلال بمرور الزمن، وتزداد القدرة على تعميم الحقائق المجرّدة في بداية المراهقة.

وينمو العقل في جميع أطواره وأبعاده ومراتبه، وخصوصاً المهارة العقلية، حيث أنّ النمو العقلي في هذا المورد يستقر عند قوته أو ضعفه في أحد المراحل الزمنية.

وفيما يلي نستعرض النمو العقلي في مرحلة الطفولة وما بعدها حتى مرحلة الاستقرار.

النمو العقلي في مرحلة الرضاعة

دراسة النمو العقلي في مرحلة ما بعد الولادة، من الأمور الصعبة لعدم توفر الوسائل الخاصة اللازمة لذلك، ولكن يمكن القول: إنّ دور الوراثة هو تحديد الإمكانيات الأساسية للنمو العقلي ونمو الذكاء، ويأتي دور البيئة والمحيط؛ ليحددا الصورة النهائية للنمو العقلي، فالحالة الاجتماعية والاقتصادية، والوضع النفسي والانفعالي، ودرجة الرعاية والاهتمام، تمهّد الطريق أمام تحقيق استثمار العوامل الوراثية ونقلها من دور القوة إلى دور الفعل العملي الواقعي.

أمّا في مرحلة الرضاعة، فإنّ الحواس تساهم في التعرف على الأشياء المحيطة بالرضيع، ويكون الذكاء في هذه المرحلة حسيّاً حركيّاً.

وقد حدّد «جيزل» معايير للنمو العقلي العام في هذه المرحلة ومنها:

الشهر الرابع: يتتبع الرضيع ببصره ضوءاً يتحرك ببطء، ويحرّك الذراعين بقصد إزاحة ورقة صغيرة ملقاة على وجهه وهو في حالة استلقاء على ظهره.

الشهر السادس: يميز بين الوجوه المألوفة والغرباء، ينظر إلى أسفل إذا وقع من يده شيء.

٩ الشهر التاسع: يستجيب لصورة نفسه في المرآة، يقبض على حلقة مربوطة في خيط علق فوق الرأس مباشرة ويشدّها إلى أسفل.

الشهر الثاني عشر: يضع مكعباً في وعاء إذا طلب منه ذلك دون أيّ إشارة، يضع ثلاث مكعبات فوق بعضها البعض ليكوّن منها برجاً بعد أنْ يرى إجراء هذه العملية أمامه.

سنة ونصف: يميز بين الطبق والكوب، يشير إلى جزأين من أجزاء الجسم: العين والأنف، يبني برجاً من أربعة مكعبات.

سنتان: يرسم خطاً أفقياً بعد أنْ يراه عمل مرة أمامه، ينفذ ثلاثة أوامر بسيطة، يبني برجاً من ستة مكعبات، يكوّن جملة من ثلاث كلمات، يعرف اسمه.[1]

ويبدأ في التعلّم من خلال: الخبرات البسيطة، والنشاط، والأخوة، ويساعد هذا تماماً في تعلّم اللغة والانفعالات، والميول، والنظام.

والتعلّم هنا يكون بطيئاً نسبياً وينمو عن طريق المحاولة والخطأ.

ويرتبط التذكّر بالقدرة على استخدام الألفاظ، ويتطوّر التذكّر فيشمل الأفراد، ثمَّ حركاتهم ثمَّ ألفاظهم ثم أشكالهم، ويستطيع تذكّر الأمور التي ترتبط بالانفعال السارّ والمفرح، وينسى الأمور المرتبطة بالانفعال المؤلم والمحزن، وهذه قد تكبت في اللاشعور.

وفي العام الثاني، يمكن للرضيع أنْ يفهم الصور التي يراها في الكتب والمجلات المصوّرة، حيث يكون شغوفاً بتقليب صفحاتها.

ويتأثر النمو العقلي والذكاء، بالمحيط الثقافي الأسري، وبالعوامل الحضاريّة.

ويجب العمل في هذه المرحلة على رعاية النمو العقلي، بإشباع حاجة الرضيع إلى الاستكشاف، وحبِّ الاستطلاع، واختبار قدراته والتعبير عن نفسه.

---

١. *علم نفس النمو*: ١٣٨.

النمو العقلي في مرحلة الطفولة المبكّرة

تبدأ هذه المرحلة من نهاية مرحلة الرضاعة حتى دخول المدرسة، أي ما بين السنة الثالثة ونهاية السنة السادسة، وقد تسمى بمرحلة الحضانة.

وتمتاز هذه المرحلة بحب الاستطلاع والاستكشاف بكثرة، ويطلق عليها أحياناً «مرحلة السؤال» لكثرة أسئلة الطفل حيث يكرر كلمات: لماذا، ماذا، متى، كيف، أين؟، فهو يريد التعرّف على كلّ شيء يثير انتباهه، ويريد فهم الخبرات التي يمرّ بها، وهو قد يفهم الإجابات وقد لا يفهمها، وأحياناً لا يقتنع بالجواب.

يقول بياجية:

> إنّ الذكاء في هذه المرحلة وما بعدها يكون تصوّرياً، تستخدم فيه اللغة بوضوح، وقد يتصل بالمفاهيم والمدركات الكلية.[1]

وتزداد القدرة على الفهم بالتقدم في العمر، وتزداد القدرة على التعلم من الخبرة والمحاولة والخطأ.

ويزداد التذكّر المباشر، ويكون تذكّر العبارات المفهومة أيسر من تذكّر العبارات الغامضة، ويمكنه تذكّر الأرقام أو عدّها وخصوصاً من ١ إلى ١٠.

ويكون التفكير في هذه المرحلة ذاتياً ويدور حول نفسه، ويظهر التفكير الرمزي والخيالي أكثر من ظهور التفكير المنطقي، إلّا إذا كان الطفل يتمتع بذكاء جيد.

النمو العقلي في مرحلة الطفولة الوسطى

وتبدأ هذه المرحلة من سن الدخول إلى المدرسة، أيّ من السادسة أو السابعة، وتنتهي في نهاية السنة التاسعة أو العاشرة.

والدخول إلى المدرسة أصبح حقيقة مفروضة لا يمكن تجاوزها أو التخلف عنها

---

١. *المصدر*: ١٧٤.

إلّا في ظروف وحالات استثنائية، والمدرسة تؤثّر تأثيراً إيجابياً على الطفل المستعد للتوافق معها كحياة اجتماعية جديدة.

وتلعب المدرسة دوراً أساسياً وهاماً في حياة الطفل، وهي تساعد الوالدين على التعليم والتربية، وتعوّض عن جهودهم في هذا المجال، حيث تساهم مساهمة فعالة ومباشرة في التعليم، حيث تعلّم الطفل:

١. القراءة والكتابة والمسائل الرياضية والفكرية.

٢. أنماط متنوعة من السلوك الجيد.

٣. المهارات المتنوعة في الرياضة والرسم والفن.

٤. توسيع المعلومات الثقافيّة.

٥. التمرين على العلاقات الاجتماعيّة.

وينمو الذكاء بالتدريج، وتزداد قدرة الطفل على الحفظ، وخصوصاً حفظ آيات من القرآن الكريم، وأبياتاً من الشعر المرتّبة كنشيد أو أنشودة.

وينمو التفكير من تفكير حسّي وملموس إلى تفكير مجرّد، وينمو التفكير الناقد لدى الطفل في نهاية هذه المرحلة.

وينمو التخيّل فينتقل من الأوهام إلى الواقعيات، حيث يزداد اهتمامه بالواقع وبالحقيقة.

وينمو حب الاستطلاع، ويميل الطفل إلى استماع الحكايات والقصص، والاستماع إلى الراديو ومشاهدة التلفزيون، وخصوصاً مشاهدة أفلام الكارتون، ومشاهدة الحيوانات والطيور والأسماك.

ومن العوامل المساعدة على النمو العقلي في هذه المرحلة:

١. المستوى الثقافي والعلمي للأسرة.

٢. المستوى الاجتماعي للأسرة.

٣. المستوى الاقتصادي للأسرة.

٤. طبيعة العلاقة بين الطفل ووالديه من حيث الحريّة والاستبداد.

٥. الوضع النفسي والانفعالي للوالدين وللطفل.

وينبغي في جميع مراحل الطفولة مراعاة ما يلي:

١. إتاحة الفرصة للطفل ليستكشف بنفسه، ومنحه الحرية ليجرّب عن طريق المحاولة والخطأ، وعدم قمع هذه الرغبة في مهدها.

٢. مساعدة الطفل على التحول من عالمه الخيالي إلى عالم الواقع.

٣. تشجيع الهوايات المتعددة للطفل.

٤. تنمية الابتكار عند الطفل.

٥. البدء مع الطفل بالمحسوسات، والانتقال بالتدريج إلى المعنويات.

٦. عدم إكراه الطفل على القراءة والكتابة، وهو غير مستعد لها إلّا أنْ يدخل في العمر الذي يؤهله لها.

٧. الاهتمام بالأسلوب القصصي لتعليم الطفل، ابتداءً بالقصص الخيالية المعقولة، وانتهاءً بالقصص الواقعية.

٨ الإجابة على أسئلة الطفل بما يناسب مستواه العقلي، وتعليمه كيف يسأل ومتى يسأل.

٩. تقديم أسئلة للطفل لتمرينه على التفكير السليم.

وظيفة الوالدين والمعلمين في مرحلة الطفولة

ينبغي أنْ يراعي الوالدان والمعلمون ما يلي:

١. تزويد الطفل بالمعلومات المناسبة عن المدرسة قبل دخولها، وتشجيعه على الالتحاق بها.

٢. من الأفضل لأحد الوالدين اصطحاب الطفل إلى المدرسة، وخصوصاً في الأسبوع الأوّل لتمرينه على الحياة الجديدة التي تغيب فيه والدته أو والده عنه لخمس ساعات يومياً.

٣. ينبغي تعاون الوالدين مع المدرسة، في تحمّل مسؤولية النمو العقلي والتعليمي عند الطفل، وتعليمه القيم الخلقية والدينية، والنظام، والصحة.

٤. جعل مستوى طموح الطفل متناسباً مع إمكانياته، وقدراته العقلية ومستوى ذكائه.

٥. تشجيع حبِّ الاستطلاع وتنمية روح الابتكار، من خلال اللعب والرسم والأشغال اليدوية.

٦. تنمية روح الاستقلال النسبي عند الطفل، وتدريبه على الاعتماد على نفسه.

٧. الاهتمام بالثواب والمكافأة وتهيئة الأجواء المشجعة للطفل، والتقليل من العقوبات قدر الإمكان.

٨ عدم تحميل الطفل فوق طاقته من معلومات ومفاهيم ومعارف.

٩. مراعاة مستوى الذكاء والفهم والإدراك المتعدّد والمتنوّع بتنوع جنس الطفل، وبتنوع الفوارق الفرديّة بين طفل وآخر.

النمو العقلي في مرحلة الطفولة المتأخّرة

وهي المرحلة التي تبدأ من السنة العاشرة وتنتهي في بداية مرحلة المراهقة.

ويتوسع النمو العقلي ونمو الذكاء في هذه المرحلة، وفيها يصل الطفل إلى حوالي نصف إمكانيات نموه العقلي ونمو الذكاء في المستقبل.

وتنمو مهارة القراءة حيث يبدأ الطفل بقراءة الكتب الخارجة عن منهجه الدراسي وخصوصاً القصص والروايات والأحداث التاريخية، وقراءة المجلات والصحف، وقراءة ما يحتاجه في الاطلاع على العلاقات الاجتماعية وحوادثها.

وينمو التفكير المجرّد، ويقوم الطفل باستخدام المفاهيم والقيم الكليّة، ويستطيع تفسيرها بدرجة أفضل من قبل، ويكون قادراً على تقييم الأشخاص والحركات، والتجمعات والمواقف والأحداث، وملاحظة الفوارق بينهما.

وتنمو الذاكرة ويكون الطفل أكثر قدرة على الحفظ، وينمو لديه التخيّل الواقعي الإبداعي، ويزداد لديه حبّ الاستطلاع.

وتزداد القدرة على تعلّم ونمو المفاهيم، كمفاهيم: العدل، والظلم، والصواب، والخطأ، بل تزداد قدرته على إدراك المفاهيم بجميع مجالاتها، ويتعلّم المعايير والموازين والقيم الخلقيّة، ويبدأ بتبني منهجه في الحياة كتبني عقيدة معينة، ويتوجّه بالتدريج إلى ظاهرة الانتماء لتجمع، أو تيار، أو حركة، أو ما شابه ذلك.

وتزداد في هذه المرحلة القابليّة على النقد في جميع مجالاته ومظاهره، وخصوصاً نقد الكبار.

وظيفة الوالدين والمربين في مرحلة الطفولة المتأخرة

انا أَهم ما ينبغي مراعاتة من قبل الوالدين والمربين:

١. تشجيع الطفل على التعلّم والتحصيل، وعدم إشغاله بالأمور والأعمال الخارجة عن دراسته إلّا في وقت الفراغ، وخصوصاً في العطل الرسمية ومنها العطلة الصيفيّة.

٢. تنمية حبِّ الاستطلاع، والاكتشاف، والمواهب.

٣. تدريب الطفل على: ممارسة النقد والنقد الذاتي الموضوعي والبنّاء، وإبعاده عن احتراف النقد، وإنّما الاقتصار على نقد الأفكار والمواقف والممارسات الخاطئة، والكفّ عن النقد حين يتم إصلاح الأفكار، أو البرهنة على صحتها من قبل الذين تمّ نقدهم.

٤. عدم إلقاء المسؤولية الكاملة على المدرسة بل لا بدّ من تقاسم المسؤولية بينها وبين الوالدين، أو الأسرة.

٥. تشجيع الطفل على مجالسة العلماء والواعين في أغلب حقول المعرفة، ومنها المعرفة الدينيّة والاجتماعيّة.

٦. تشجيع الطفل على أنْ يتعلم من خبراته الخاصّة أكثر ممّا يتعلّم من خبرات الكبار، حيث يبحب أن يقتصر دورهم على مساعدته في تجاوز الأخطاء والاشتباهات.

٧. عدم إكراه الطفل على تخصص معين، كالتخصص العلمي أو الأدبي، بل مراعاة رغبته في ذلك، واستعداداته العقليّة.

وبعد إتمام مرحلة الطفولة يبدأ الطفل بالتوجّه نحو الاستقرار، من حيث القوة والضعف.

قال الإمام علي عليه السلام:

الجمال في اللسان، والكمال في العقل، ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على رجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغهما غلب عليه أكثرهما فيه.[1]

أشار الإمام علي عليه السلام إلى المهارة العقليّة: قوة الذكاء وضعفه حيث أنّها تبقى دون ثبات إلى ثماني عشرة سنة، ثمّ تتضح لتكون كاشفة عن المستوى العقلي الذي سيستقر عليه الفرد، بغض النظر عن التجارب، أي يكشف عن ثبوت المهارة العقلية الذاتية التي تحددها بالأصل الوراثة والاستعدادات الفرديّة الذاتيّة.

أمّا استكمال النمو فقد حدّده الإمام علي عليه السلام بالثامنة والعشرين من العمر فقال:

...ويستكمل عقله في ثمانٍ وعشرين سنة، فما كان بعد ذلك فإنّما هو بالتجارب.[2]

ويرى الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور «محمود البستاني» أنّ الإمام علياً عليه السلام يشير إلى توقف النمو عند الثامنة والعشرين، ويعبر عن تطور العقل في السنين اللاحقة ـ بالنضج العقلي ـ ويسميها بمراحل النضج العقلي وليس النمو العقلي.[3]

ومن مراحل النضج العقلي قول الإمام عليه السلام:

إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين، فقد بلغ أشده، وإذا بلغ أربعين سنة فقد انتهى منتهاه.[4]

---

١. *بحار الأنوار*: ٩٦/١.

٢. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٥/٢.

٣. *دراسات في علم النفس الإسلامي*: ١٣٠.

٤. *مستدرك الوسائل*: ٣٥٣/٢.

وقوله عليه السلام:

يزيد عقل الرجل بعد الأربعين إلى خمسين وستين، ثم ينقص عقله بعد ذلك.[1]

فالزيادة في هذين النصين هي زيادة في نضج العقل لا في نمو العقل، وبعبارة أخرى زيادة ناجمة عن التجارب، أمّا النقيصة فهي مقترنة مع خفوت قوى الفرد بكاملها مع الشيخوخة.[2]

وتزداد القدرات العقليّة مع التقدّم في العمر، ويسرع النمو في مرحلة المراهقة بجوانب متعددة[3] نلخّصها بالنقاط المختصرة التالية:

١. زيادة القدرة على تعميم الحقائق.

٢. زيادة القدرة على الفهم.

٣. القدرة المتزايدة للتعامل مع التجريد.

٤. تطور الذاكرة والتصوّر.

٥. القدرة على حلّ المشاكل.

٦. زيادة القدرة على الاتصال مع الآخرين.

٧. القدرة على الانسجام والتوافق مع الآخرين.

٨. القدرة على اتخاذ القرارات.

٩. فهم المفاهيم الخلقيّة.

---

١. *بحار الأنوار*: ١٣١/١.

٢. *دراسات في علم النفس الإسلامي*: ١٣١.

٣. *المدخل في علم النفس*: ١٨١ ـ ١٨٢.

نمو الذكاء

تعريف الذكاء

الذكاء: هو مهارة عقلية، ولذا جاءت جميع التعاريف متقاربة مع بعضها البعض، وفيما يلي نستعرض بعضاً منها:

كوهلر: الذكاء هو القدرة على الاستبصار.

بيرت: القدرة المعرفيّة الفطريّة العامّة.

دير بورت: الاستعداد للتعلّم والاكتساب بالخبرة.

دريفر: طريقة الحصول على الغاية التي حددتها الغريزة.

ستانفيلد سارجنت: الاستعداد للتعلم، والتكيّف، والحفظ، وتطبيق المعرفة في حلّ لمشكلات.[١]

وذكر (فريمان) أنّ هناك ثلاثة أسس لتعريف الذكاء:

الأوّل: يؤكد الأساس العضوي للذكاء، حيث يعتبر الذكاء قدرة عضوية تقوم على أساس التركيب الجسمي للفرد، ومعنى ذلك أنّ الفروق بين الناس في الذكاء ترجع إلى العوامل الوراثية.

---

١. *علم النفس المعاصر*: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

الثاني: يؤكد الصفات الاجتماعية في الذكاء، فهو ينتج من التفاعل بين العوامل الاجتماعية التي تؤثر في الفرد.

الثالث: التعاريف السيكولوجية، حيث يحكمون من خلال ملاحظة بعض المظاهر السلوكية التي يظهر فيها الذكاء.

ومن التعاريف السيكولوجية ما ذكر في آراء بعض علماء النفس:

بينية: الذكاء يظهر في القدرة على اتخاذ تجاه محدد، والاستمرار فيه، والقدرة على التكيّف، والقدرة على النقد الذاتي.

أبنيج هاوس: نشاط فعّال يؤدي إلى التكامل وفهم العناصر المختلفة، وتوحيدها في شكل موحّد له معنى خاص.

تشيدن: القدرة العامة على تكييف تفكير الفرد شعورياً للمواقف الجديدة ولظروف الحياة.[١]

سبيرمان: القدرة على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء، أو الأفكار وعلاقتها بعضها ببعض.

ثورندايك: القدرة على مجرد تكوين ارتباطات. واقترح ثلاثة مستويات للذكاء:

الأول: الذكاء المجرّد، ويتضمّن استعمال جميع الرموز اللغوية والأرقام وغيرها.

الثاني: الذكاء الاجتماعي، وهو القدرة على تفهّم الناس ومسايرتهم.

الثالث: الذكاء الميكانيكي، وهو السمة التي تنمو خلال ما يمنح للفرد من فرص تعليمية، نتيجة لميوله وذلك على أساس من الذكاء الفطري.

وأدخل مسميات عدة على طبيعة الذكاء منها: الانتباه، والاستيعاب، والاستحضار، والتعرّف، والتفكير الانتقائي و العلاقي، والتجريد والتعميم، والاستدلال الاستقرائي الاستنباطي.

---

١. *علم النفس بين النظرية والتطبيق*: ٩٢ ـ ٩٣.

وعرّفه ستودارد: بأنّه القدرة على تحقيق أنشطة تتصف بما يأتي: الصعوبة، التعقيد، التجريد، الاقتصاد في الجهد والوقت، القيمة الاجتماعية، الأصالة.[١]

أدوارد كلاباريد: الذكاء: هو القدرة على المعرفة والقدرة على التكيّف مع الواقع.

ثيرستون: هو قدرة القدرات وموهبة المواهب، والمحصلة العامة لجميع القدرات العقليّة المعرفية الأولية.[٢]

وعرّف الذكاء: بأنّه عبارة عن قابلية الإنسان في أنْ يجابه المواقف المحيطيّة الجديدة، فيجد الحلول الممكنة لما فيها من مشاكل؛ فيستثمرها لمنفعته، أو يكيّف حياته بموجبها فيدرأ ما فيها من أخطار على قدر الإمكان.[٣]

وفي المعجم الفلسفي، ورد بأنّ الذكاء: سرعة الفهم وحدّته، وقدرة النفس على حلّ المسائل النظرية والعملية.

والفرق بين الذكاء والعقل، أنّ الذكاء مصحوب بالدوافع الانفعالية، والعقل مجرد منها.[٤]

وعلى ضوء ما تقدّم يمكن وضع تعريف أو معنى إجمالي للذكاء، يتلخّص في أنّه: القدرة العقليّة التي تتصف بصفات من أهمها:

أوّلاً: الإدراك للحقائق بوجه عام وفي جميع أو أغلب مظاهرها ومحاورها.

ثانياً: استيعاب وحفظ المعلومات حول الحقائق.

ثالثاً: العمل بمقتضى هذا الإدراك وتلك المعلومات، ومراعاتها في التعامل مع الواقع وفي جميع الظروف والأحوال، والمواقف الفرديّة والاجتماعيّة.

---

١. *علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية*: ٧١.

٢. *توجيه المتعلّم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي*: ٣١ ـ ٣٢.

٣. *تربية الإنسان الجديد*: ٢٨.

٤. *المعجم الفلسفي*، لجميل صليبا: ١/٥٩٠.

التعلّم

التعلّم ليس عملية سهلة وبسيطة، بل هو عملية معقّدة؛ لأنّ دورها هو: مساعدة الإنسان وخصوصاً الطفل على إدراك المفاهيم والحقائق والقيم، وتنمية خبراته في جميع النواحي الإدراكية والوجدانية والسلوكية والاجتماعية، لكي يكون قادراً على التكيّف مع البيئة والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، والنجاح في الحياة بالتغلّب على مشاكلها وصعوباتها وتعقيداتها.

ومجالات التعلّم عديدة ومتنوعة وهي تشمل جميع جوانب ومقوّمات الشخصيّة ومن أهمها:

١. المفاهيم والأفكار المتعلّقة بالكون والحياة والإنسان.

٢. العواطف اتجاه الوجودات والموجودات بجميع مظاهرها، ابتداءً بواجب الوجود وهو الله تعالى، وممكن الوجود وهو الإنسان، والمجتمع، كالأسرة والعشيرة والمحلّة والمدينة، والوطن.

٣. السلوك والمواقف والممارسات العلمية.

والتعلّم في مجال آخر، هو تعلّم متطلبات البدن والجسم والروح، للمحافظة على الصحة البدنيّة والصحة النفسيّة، لتعلّق الصحة العامة بهما، كالصحة العقلية والانفعالية.

ولأهمية التعلّم والعلم؛ كانت أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله مبتدأة بالقراءة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.[١]

وحصر القرآن الكريم الخشية من الله تعالى بالعلماء، والخشية هي قمّة السمو والارتقاء والتكامل.

قال سبحانه وتعالى:﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾.[٢]

وجعل العلم أحد أسس التفاضل والتقييم، كما جاء في قوله تعالى:﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[٣]

وأكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على العلم والتعلّم والتعليم فقال:

أغدُ عالماً أو متعلّماً، أو مستمعاً أو محباً، لا تكن الخامس فتهلك.[٤]

فحثّ على الدوران في دائرة العلم بحيث يكون محوراً لحركة الإنْسان، واعتبر البعيد عن العلم هالكاً؛ لأنّه لا يبصر طريقه ولا يهتدي في حركته الفكريّة والعلميّة، فيبقى يعيش في دوامة من التخبّط والعشوائيّة لا يميز بين الصحيح والقبيح، ولا يقوى على مواجهة المصاعب والتعقيدات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح».[٥]

وحثّ رسول الله صلى الله عليه وآله على السؤال والاستفسار؛ لأنّه مقدّمة موصلة للعلم والتعلّم، فقال:

سائلوا العلماء وخاطبوا الحكماء وجالسوا الفقراء.[٦]

وقال صلى الله عليه وآله:

---

١. العلق: ١.

٢. فاطر: ٢٨.

٣. المجادلة: ١١.

٤. *فردوس الأخبار*: ٥٢٢/١.

٥. *تحف العقول*: ٣٣.

٦. *المصدر*: ٢٨.

العلم خزائن ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله؛ فإنّه يؤجر أربعة: السائل والمتكلّم والمستمع والمحبّ لهم.[١]

واعتبر الإمام علي عليه السلام الملق والحسد أمراً حسناً ما داما مقدمة لطلب العلم، فقال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق والحسد إلّا في طلب العلم».[٢]

وتأتي أهمية العلم والتعلّم لما لها تأثير على النمو العقلي.

قال الإمام علي عليه السلام: «العلم مصباح العقل».[٣]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كثرة النظر في العلم يفتح العقل».[٤]

وقال عليه السلام: «لا يفلح من لا يعقل، ولا يعقل من لا يعلم».[٥]

وفي الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام وردت بعض الأبيات الشعرية:

إذا كنت ذا علم ولم تك عاقلاً فأنْت كذي نعل وليس له رجل

وإنْ كنت ذا عقل ولم تك عالماً فأنْت كذي رجل وليس له نعل[٦]

وقد توصل العلماء إلى هذه الحقيقة بأنّ:

الثقافة التي يكسبها الإنْسان خلال حِقَب تاريخي تتفاعل مع تطوره الفيزيقي، وتزيد بالتالي من تلافيف دماغه وقوة عقله، وهذا يعني أنّ إمكاناته مازالت تتفتح بتفتح عقله على المعرفة، ولا شكّ أنّ معرفته بإمكانياته ينبغي أنْ تشتمل على معرفة بمشاعره النفسية، فقد بلغ حتى الآن في محاولاته لفهم أسرار كيانه الداخلي مرحلة لا بأس بها، وأنّ معرفته للدماغ البشري وآلياته، وفهمه للدوافع الشعورية أو اللاشعورية، تساعده على معرفة الحوافز التي تدفعه إلى التصرّف الشاذ، وأصبح إنْسان اليوم قادراً إلى حد ما على الاستجابة الملائمة لتحدّي الظروف المناوئة الصادرة عن الطبيعة، أو عن أي

---

١. *المصدر*.

٢. *المصدر*: ١٤٣.

٣. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٣.

٤. *بحار الأنوار*: ١/١٥٩.

٥. *الكافي*: ١/ ٢٦.

٦. *ديوان الإمام علي*: ١١٩.

إنْسان آخر، أو عن المجتمع بشكل عام، وحين كان بالأمس القريب لا يستطيع الإجابة إلّا بالاستسلام والخضوع والضلال، أخذ يدرك شيئاً فشيئاً بعض الحقائق الكبرى عن ذاته وعن مجتمعه وعن الكون المحيط به.[١]

أهميّة التعلّم والتعليم في مرحلة الطفولة

التعليم في هذه المرحلة ضروري للطفل، فهي مرحلة للمبادرة إلى التعليم، لنضوج القوى العقلية عند الطفل، وللرغبة الذاتية لدى الطفل في (اكتساب المهارة العلميّة).[٢]

والطفل في هذه المرحلة لديه الاستعداد التام لحفظ كل ما يُلقى على مسامعه، والتعليم في هذه المرحلة يساعد على رسوخ المعلومات في ذهنه وبقائها محفوظة في الذاكرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل الذي يتعلّم في صغره كالنقش في الحجر».[٣]

وقال صلى الله عليه وآله: «حفظ الغلام كالوسم على الحجر».[٤]

وقال الإمام علي عليه السلام: «من لم يتعلّم في الصغر لم يتقدّم في الكبر».[٥]

ولضرورة تعليم الطفل أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الوالدين به: «مروا أولادكم بطلب العلم».[٦]

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله تعليم الطفل باباً من أبواب الرحمة الإلهية للأب فقال:

رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتالف له وتعليمه وتأديبه.[٧]

والتعليم حق للطفل على والديه، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «...وأما حقّ الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه...».[٨]

---

١. *فلسفة في التربية والحرية*: ٣٨.
٢. *حديث الى الأمهات*: ٢١٧.
٣. *كنز العمّال*: ١٠/٢٩٤.
٤. *المصدر*: ١٠/٢٣٨.
٥. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٣.
٦. *كنز العمّال*: ١٦/٨٤٥ ح ٤٥٩٥٣.
٧. *مستدرك الوسائل*: ٢/٦٢٦.
٨. *تحف العقول*: ١٩٤.

وقال رسول الله ﷺ: «من حقِّ الولد على والده ثلاثة: يحسّن اسمه، ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ».[1]

والتعليم على القراءة والكتابة، في عصرنا الراهن، تقوم به المؤسسات التعليميّة وخصوصاً المدرسة، ولكنّ ذلك لا يعني انتفاء الحاجة إلى الوالدين في التعليم، بل يجب التعاون بين المدرسة والوالدين في التعليم.

ويجب أنْ يكون التعليم غير مقتصر على القراءة والكتابة، بل يكون شاملاً لكلّ جوانب العلم في مجالاته المختلفة، كعلوم الطبيعة، والعلوم الْإنْسانية: كالأدب، والتاريخ، والفلسفة، وغيرها، إضافة إلى التركيز على الجوانب الروحية والعبادية. قال رسول الله ﷺ في تأكيده على تعليم القرآن:

> ...ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين فكسيا حلّتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنة.[2]

وتعليم القرآن يكون شاملاً لجميع جوانبه، ابتداءً بتعلّم القراءة الصحيحة وفق أحكام وقواعد التجويد، ثمّ التشجيع على الحفظ مع مراعاة المستوى العقلي للطفل، وحاجاته النفسيّة، والتعليم على التفسير الصحيح لبعض الآيات والسور التي يحتاجها الطفل في هذه المرحلة، وخصوصاً ما يتعلق بالجانب العقائدي والأخلاقي، والجانب الفقهي المتعلّق بالأحكام الشرعية المختلفة من العبادات والمعاملات.

وفي هذه المرحلة يجب تعليم الطفل على كيفية العبادات ومقدماتها، كالوضوء والصلاة، قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

> ...حتى يتمَّ له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفّيك، فإذا غسلهما، قيل له: صلِّ، ثم يترك حتى يتمّ له تسع سنين، علّم الوضوء... .[3]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٠.

٢. *الكافي*: ٤٩/٦، ح ١، باب بر الأولاد.

٣. *من لا يحضره الفقيه*: ١٨٢/١.

والطفل بحاجة لتعلّم الحديث؛ لتحصينه من التأثر بالتيارات المنحرفة، قال الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أنْ يسبقكم إليه المرجئة».[١]

وقال الإمام الحسنعليه السلام موضّحاً ما تعلّمه من رسول اللهصلى الله عليه وآله:

علمني جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله كلمات أقولهن في قنوت الوتر: اللّهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولّني فيمن تولّيت.[٢]

ويجب على الوالدين تعليم الطفل على كل ما ينفعه في حياته، ففي الرواية التالية يعلم أمير المؤمنينعليه السلام ولده الحسنعليه السلام على الخطابة، قائلاً:

يا بني قم فاخطب حتى أسمع كلامك، قال: يا أبتاه كيف أخطب وأنا أنظر إلى وجهك استحيي منك؟ فجمع علي بن أبي طالبعليه السلام أمهات أولاده، ثمّ توارى عنه حيثُ يسمع كلامه... .[٣]

ومن مصاديق التعليم، تعليم الرمي والسباحة كما تقدّم، ولأهمية التعليم شجع رسول اللهصلى الله عليه وآله المعلّم والصبي، والوالدين على حدٍ سواء، فقالصلى الله عليه وآله: «إنّ المعلم إذا قال للصبي: بسم الله، كتب الله له وللصبي ولوالديه براءة من النار».[٤]

وكان أمير المؤمنينعليه السلام يشجّع على تعليم الأطفال شعر أبي طالبعليه السلام، فعن جعفر بن محمد الصادقعليه السلام قال:

كان أمير المؤمنينعليه السلام يعجبه أنْ يروى شعر أبي طالب، ويدوّن، وقال: تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله، وفيه علم كثير.[٥]

---

١. *الكافي*: ٤٧/٦، باب تأديب الولد، ح ٥.

٢. مختصر *تاريخ دمشق*: ٥/٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٣٥١/٤٣.

٤. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٥/٢.

٥. *المصدر*.

التعلّم والتفكّر النافع

إنّ التعلم يجعل الإنْسان يفكّر فيما تعلمه، وعن طريق التفكير والتفكّر، تنفتح الآفاق أمامه ليتعلّم أموراً جديدة لم يكن يعرفها من قبل، حيث يربط بين المعلومات المتوفّرة لديه، ومن ثمّ ينظّم هذه المعلومات، فيصل إلى شيء جديد يزيد من علمه وتعلمه.

والتفكير في جميع المراحل، ومنها مرحلة الطفولة، هو كلّ نشاط عقلي يعتمد على الرموز كأدوات، فيستعيض بها عن الأشياء والموجودات والأشخاص والمواقف.

والرموز التي يستخدمها الطفل في تفكيره وتفكرّه، لها أدوات مختلفة، ومن أهمها:

١. الصور الذهنيّة والمعاني.

٢. الألفاظ والأرقام.

٣. الذكريات.

٤. الإشارات والتعبيرات والإيماءات.

٥. الخبرات.

٦. القواعد الكلية.

واستخدام الرموز لا يعني قطع الصلة مع الواقع أو العالم الخارجي، حيث يقترن التفكير في أغلب الأحيان بالملاحظة الخارجية، ومعالجة الأمور معالجة فعليّة حركيّة.

والتفكير والتفكّر يشمل جميع العمليات العقليّة، ومنها:

١. التصوّر والتذكّر والتخيّل.

٢. الفهم والاستدلال والبرهان.

٣. التعليل والتعميم.

٤. التخطيط.

٥. النقد.

٦. الحكم على المقدمات والنتائج.

والتفكير يُعين الطفل على استعراض الماضي، والانتفاع من خبراته وتجاربه، وهو إعانة على التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له، ومعرفة عواقب أعماله وممارساته.

والتفكير يوفر للإنْسان جملة من الفوائد والمنافع ومنها:

١. الوقت والجهد.

٢. العصمة من أخطاء التجربة في الواقع.

٣. حلّ، المشاكل قبل اختبارها عملياً.

٤. تجنب الأخطار الناجمة والاختبار العملي قبل التفكير.

وفي جميع الأحوال، فإنّ التفكير يساهم في علاج المشاكل والصعوبات التي تواجه الطفل في جميع جوانبها ومظاهرها وصورها، سواءً كانت مشاكل ماديّة أو اجتماعيّة أو عاطفيّة أو فكريّة أو ما شابه ذلك، حيث يدور التفكير في أجواء المشاكل والصعوبات، ويقوم بعدة خطوات هي:

١. الشعور بالمشكلة.

٢. تحديد المشكلة من حيث النوع والكم.

٣. فرض الفروض والتخمينات كحلول محتملة.

٤. الاعتماد على الفروض والتخمينات وربطها بالخبرات والتجارب.

٥. اختبار أحد الفروض.

ولأهمية وضرورة التفكير والتفكّر، زخر القرآن الكريم بمئات الآيات التي تدعو إلى التفكير والتفكّر، والتدبّر والاستدلال.

وزخرت كتب الحديث كذلن بمئات الأحاديث الشريفة الداعية إلى التفكير والتفكر. نختار منها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام في هذا المجال:

«الفكر جلاء العقول»، «الفكر إحدى الهدايتين»، «التدبير بالرأي والرأي بالفكر»، «ما ذلّ من أحسن الفكر»، «فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة»، «لا تخل نفسك من

فكرة تزيدك حكمة، وعبرة تفيدك عصمة»، «بالفكر تنجلي غياهب الأمور»، «عليك بالفكر فإنّه رشد من الضلال ومصلح الأعمال»، «طول التفكير يعدل رأي المستشير»، «من كثرت فكرته حسنت عاقبته»، «من طالت فكرته حسنت بصيرته»، «الفكر يهدي إلى الرشاد»، «الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل»، «الفكر يوجب الاعتبار ويؤمن العثار ويثمر الاستظهار»، «أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل، والرويّة قبل الكلام»، «الفكر في العواقب ينجي من المعاطب»، «إذا قدّمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمر»، «ثمرة الفكر السلامة».[1]

وينبغي التعلّم والتفكّر بما هو واقع يحيط بالإنسان وينفعه في مراحل عمره المتنوعة، والابتعاد عن الفروض الذهنية والمنطقية التي لا منفعة فيها للفكر أو للعاطفة أو للسلوك، ولا تقع مقدّمة للحاجة أو الابتلاء الواقعي.

قال الإمام علي عليه السلام:

أولى الأشياء أنْ يتعلمها الأحداث، الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها.[2]

وفي وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام قال:

واعلم يا بنيّ، إنّ أحبّ ما أنْت آخذ به من وصيتي، تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنّهم لم يدعوا أنْ نظروا لأنْفسهم كما أنْت ناظر، وفكّروا كما أنْت مفكّر، ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عمّا لم يكلّفوا، فإنْ أبت نفسُك أنْ تقبل ذلك دون أنْ تعلم كما علموا، فليكن طلبك ذلك بتفهّم وبتعلّم، لا بتورط الشبهات، وعلق الخصومات... .[3]

ولو أمعنا النظر في الآيات القرآنية والروايات، لوجدناها تؤكد على النظر والفكر وتعلّم جميع ما يتعلق بنفع الإنْسان كفرد ومجتمع، وبالأساس ما يؤدي إلى تهذيب النفس وإصلاح السريرة؛ لأنّها أساس الصلاح في المجتمع الإنْساني.

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٥٦ ـ ٥٨.

٢. شرح *نهج البلاغة*: ٣٣٣/٢٠.

٣. *نهج البلاغة*: ٣٩٤ الكتاب رقم ٣١.

ومن أهم مجالات العلم والفكر، كما جاء في القرآن والحديث:

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.[١]

وتشير الآية الكريمة إلى جملة من العلوم ومنها:

١. العلوم الطبيعية ومنها: علم الأحياء، وعلم النبات.

٢. علم الفلك.

٣. علم طبقات الأرض وعلم النبات.

٤. علم الفيزياء والكيمياء.

٥. علم الرياضيات والمنطق والفلسفة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.[٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.[٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.[٤]

وتشير الآيات الكريمة إلى دراسة كلٍّ من:

٦. سنن التاريخ.

٧. تاريخ الشعوب والأقوام، والتاريخ الإنساني.

قال سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾.[٥]

---

١. يونس: ١٠١.

٢. فاطر: ٤٣.

٣. آل عمران: ١٣٧.

٤. النمل: ٦٩.

٥. فصّلت: ٥٣.

وتشير الآيات الكريمة إلى جملة من العلوم:

٨ علم الطب أو علم الأبدان.

٩. علم النفس.

١٠. علم اللغات.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[1]

وتشير الآية الكريمة إلى جملة من العلوم التي يجمعها عنوان التفقّه في الدين، ومنها:

١١. العقائد وعلم الكلام.

١٢. الأخلاق والتربية.

١٣. الاقتصاد والسياسة والاجتماع.

١٤. فقه العبادات والمعاملات.

١٥. القضاء والحكم بين الناس.

وقد أشارت مجموعة من الروايات المتقدّمة إلى جملة من العلوم والفنون ومنها:

١٦. علم الحديث.

١٧. الخطابة.

١٨. النحو.

الاستدلال

الاستدلال: هو عملية عقليّة تستهدف الوصول إلى نتيجة مجهولة، ابتداءً من مقدّمات معلومة وخبرات سابقة.

والاستدلال يقتضي تدخل العمليات العقليّة العليا:

١. التذكر: وهو إدراك علاقات بين خبرات ماضية وخبرات حاضرة، وبين الخبرات بعضها ببعض.

٢. الحكم: وهو إدراك علاقة بين معنيين.

٣. الاستنتاج: وهو إدراك علاقة بين مقدّمات ونتائج.

٤. التعليل: وهو إدراك علاقة بين علّة ومعلول.

٥. الفهم: وهو إدراك علاقة بين معلوم ومجهول.

٦. التعميم: وهو إدراك علاقة بين الخاص والعام.

خطوات الاستدلال

الاستدلال بمعنى آخر: هو عملية تستهدف حلّ مشكلة، وهو يستلزم عدة خطوات:

١. الشعور بوجود مشكلة.

٢. تحديد أبعاد المشكلة، وهو ينطوي على عدة عمليات:

أ) تقدير قيمة كل عنصر من عناصر المشكلة.

ب) جمع البيانات والمعلومات.

ج) استرجاع المعلومات المختلفة.

د) التأليف بين هذه العمليات، والنظر إلى نتيجته.

٣. وضع عدة فروض أو احتمالات، أو اقتراحات حلول مؤقتة، تبقى في طور التجربة.

٤. مناقشة الفروض والاحتمالات والاقتراحات وتجربتها؛ للتعرف على صحة كلٍّ منها لاختيار الأصوب أو الأقرب للصواب.وهذه الخطوة تتطلّب:

أ) التريّث وعدم التسرّع في الحكم.

ب) النقد الموضوعي لكلِّ حالة.

٥. التحقيق من صحة الحلّ الأخير، وإمعان النظر مرّة أخرى بجمع بيانات ومعلومات أخرى، للوصول إلى الرأي الأصوب النهائي.

وهذه الخطوات ليست خطوات يحتاج لها كلّ إنْسان، فقد يصل بعضهم إلى الحلّ دون اتّباعها، فقد يصل الحل إلى الذهن آنياً، وقد لا يصل بعضهم إلى الحل، وإنْ التزم بخطواتها، وهذه الخطوات ليس بالضرورة أنْ تكون متعاقبة.

وفي موضوع استدلال الطفل، نجد أنّ الطفل، في كثير من الأحيان يتّصف بالتخبط والمحاولات غير الاستدلالية للوصول إلى الحل، إلّا أنّ ذلك ليس صفة ملازمة له، فالأطفال وخصوصاً الأذكياء منهم يلتجأون إلى الاستدلال لحل مشاكلهم، أو مواجهة الصعوبات والأزمات التي تقع في طريقهم.

والأسئلة التي يوجهها الأطفال للكبار عن الأحداث والمواقف وما يتعلق بها من أسباب وعوامل؛ تدلّ على تعبيره عن مشاكل تواجهه فيبحث عن حلّ لها، وإذا أعطيت له بعض الحلول الجاهزة فإنّه قد لا يقتنع بها أحياناً.

خصائص استدلال الطفل

يرى بعض الباحثين في علم النفس: أنّ استدلال الطفل تعوزه الدقة والضبط، لأسباب عديدة منها:

١. قلّة خبرته.

٢. قلة ثروته اللغوية، ممّا يجعله عاجزاً عن التعبير عن أفكاره.

٣. غموض المعاني في ذهنه.

٤. عجزه عن إدراك العلاقات المجرّدة.

٥. ضعف قدرته على النقد والتحقيق.

٦. تسرّعه في التعميم، ووثوبه إلى النتائج من مقدّمات غير كافية.

٧. تقديره الأمور من ناحية ذاتية غير موضوعية.

٨. أحكامه على الأشياء والأشخاص والسلوك أحكام ناقصة، فهو يحكم على هؤلاء من حيث فائدتهم أو ضررهم له، لا من حيث حقيقتهم، أو من حيث المعايير الاجتماعيّة.

٩. غلبة الانفعال والهوى والتحيّز على عقله.

غير أنّ تقدّمه في السن والذكاء، واكتسابه عادات صحيحة للتفكير كفيل بأنْ يجعل استدلاله أكثر وضوحاً وتنظيماً وتجريداً.[١]

ويرى العالم الانجليزي «بيرت»: أنّ الطفل يستطيع ابتداءً من السن السابعة أنْ يفكر تفكيراً منطقياً.

ويرى العالم السويسري «بياجية»:

أنّ الطفل لا يستطيع أنْ يستدلّ استدلالاً منطقياً قبل الحادية عشرة أو الثانية عشرة،

---

١. *أصول علم النفس*: ٣٤٤.

إذ يعجز عن إدراك ما بين المقدّمات والنتائج من علاقات منطقية، كما أنّه كثيراً ما يقلب الأوضاع فيجعل النتيجة سبباً والسبب نتيجة، أي يعجز عن التعليل الصحيح.[١]

نقد الآراء المتقدّمة

على الرغم من تقديرنا للمستوى العلمي، لـ «بيرت» و«بياجية»، و «الدكتور أحمد عزت راجح»، وتثميناً للخدمات العلميّة التي رفدوا بها الساحة العالميّة، إلّا أنّ لنا رأياً آخر حول استدلال الطفل.

فالطفل قادر على الاستدلال بحدود معلوماته ومقدماته التي توصّل إليها من خلال التعليم والتلقين، فهو غير قاصر، وإنّما يعود سبب القصور إلى المحيط الأسري والاجتماعي والعلمي الذي ترعرع فيه، وجميع ما ذكر من أسباب عدم الدقة والضبط في استدلال الطفل تعود إلى تنشئته العلميّة والأسريّة والاجتماعيّة، فلو توفرت له الظروف والأجواء المناسبة لاستطاع الاستدلال بحدود مستواه العقلي المنسجم مع عمره الزمني، فهو ليس دائماً يتصف بالتسرّع أو غلبة الانفعال والهوى والتحيّز، ولا أن أحكامه تنطلق دائماً من خلال الفائدة أو الضرر الذاتيين، ولا أبالغ إذا قلت: إنّ هذه الصفات هي من مختصات الكبار الذين يستدلون على بعض الأحداث والمواقف من خلال الحكم النفعي، ومن خلال مرتكزاتهم المذهبية أو القومية أو الحزبية أو ما شابه ذلك، أمّا الطفل فإنّه ببراءته سيحكم على الكثير من الأمور موضوعياً، إذا كان يمتلك حصيلة من المقدّمات والمعلومات الصحيحة.

وما أقوله ليس ضرباً من الخيال، وإنّما ناجم عن ملاحظات ميدانيّة، حيث لاحظنا أنّ طفل اليوم يختلف عن طفل الأمس؛ وخصوصاً في مرحلتنا الراهنة التي تزخر بالعلم والمعرفة وسعة الاطلاع من قبل الوالدين ومن قبل المعلمين، وعموم أفراد

---

١. *المصدر*: ٣٤٥.

المجتمع، في زمن قلّت فيه الأمية والجهل، وتوسّعت فرص التعليم بعد انتشار وسائل الإعلام والثقافة ودخولها لأغلب الأسر.

فالطفل الذي تتهيأ له فرص التعليم وفرص الإرشاد والتوجيه، يمكنه الانطلاق لممارسة الاستدلال الصحيح المتناسب مع عمره، ومن هذه الفرص:

١. إيجاد المعلومات والمقدّمات اللازمة.

٢. توضيح المفاهيم والمعاني.

٣. تحديد شروط ومقومات الاستدلال الصحيح.

٤. التدريب على التريّث والتأنّي قبل الوصول إلى نتائج كليّة.

٦. التدريب على منهج علمي مبسّط في الاستدلال، والتدريب على عدم الميل مع الرغبات.

٧. إيجاد أجواء الحرية المناسبة لتفكير الطفل، وعدم التدخّل المباشر في طريقة الاستدلال.

٨. التشجيع على الاستقلال في الاستدلال.

٩. التدريب على النقد للمواضيع والمعلومات التي يتلقّاها الطفل، وتشجيعه على المناظرة مع غيره من الصغار أو الكبار.

١٠. تشجيعه على اختيار عدّة أجوبة أو حلول لما يجري، أو لما يلاحظ من أمور ووقائع.

١١. احترام آرائه وعدم السخرية بها، وإنْ كانت خاطئة.

١٢. تشجيعه بتكريمه الماديّ والمعنوي.

١٣. تشجيعه على مبدأ الشورى أو المشاورة والاستفادة من آراء الآخرين.

١٤. تقوية شعوره بالثقة بالنفس.

١٥. توفير وسائل الإيضاح التي يحتاجها.

١٦. توفير الظروف والأجواء المناسبة لاختيار وسائل اللعب العلميّة والرياضيّة والمنطقيّة، والتقليل من وسائل اللعب العبثي، والموازنة بين وسائل لعبه البدنية والعقليّة.

١٧. تدريبه على الصبر المتواصل في مواجهة المشاكل والصعوبات التي مرّ بها.

وبذلك يستطيع الطفل أنْ يمارس الاستدلال الصحيح، أو ينطلق نحوه لكي يكون الإبداع والابتكار هو المستشري في حياتنا.

قصص من الواقع

في مقام تبيان صحة آرائنا في القدرات الاستدلالية للطفل، نلفت أنظار القارئ الكريم إلى نماذج من القصص الواقعية التي لاحظناها من خلال التجارب الميدانيّة المباشرة.

القصة الأولى: لاحظ أحد الأطفال البالغ من العمر خمس سنين، أنّ والديه يدخلون الحمّام سويّة، فسأل والدته عن ذلك فأجابته: إنّي أساعد والدك في غسل ظهره بالصابون.

وبعد فترة أو زمن معيّن تشاجر والده مع والدته دون أنْ يعرف السبب، وتخلل الشجار كلمات نابية، ومنها اتهام والده لوالدته بأنّ لها علاقة مع غيره، وتطوّر الأمر فأخبرت أهلها بالاتهام، وكادت تحدث مشكلة كبيرة تشترك فيها عائلة الوالدين، وعائلة من اتهم بالعلاقة.

وفي هذه الأجواء التفت الطفل لوالدته، وقال لها: أعتقد أنّ السبب في المشكلة أنّك لم تقومي بغسل ظهر والدي في الحمّام، ممّا أدّى لانزعاجه، فلو ساعدتيه على غسل ظهره وإزالة الأوساخ منه فلعله يهدأ، فالتفتت والدته لرأيه، وتوصلت إلى نتيجة واقعية، وهي أنّ عصبية زوجها ناجمة عن عدم إشباع رغبته الجنسيّة، وبالفعل هدأ الزوج وانتهت المشكلة واعتذر ل زوجته، فقد التفت الطفل إلى أصل المشكلة، ولم يلتفت إليها الكبار.

القصة الثانية: تشاجر زوج مع زوجته، فاضطرت للذهاب إلى بيت أهلها، وقرّرت عدم

العودة إلى بيت زوجها إلّا بالاعتذار، وهدّدها الزوج بالطلاق إنْ لم تعد صاغرة، وتدخل أهل الزوجين بالأمر فتوسّعت المشكلة، فلا الزوج مستعد للتنازل لها، ولا هي مستعدة للتنازل.

وفي هذه الأجواء فكّر أحد إخوان الزوجة البالغ من العمر سبع سنين، وتوصّل إلى حلٍّ ناجح، فأخبر الزوج أنّه مدعو من قبل أحدِ الأقرباء في بيته، وأخبر الزوجة وهي أخته بأنّها مدعوة في البيت نفسه، فذهب كلّ منهما إلى ذلك البيت، فتمت المصالحة هناك، وعاد الاثنان إلى منزلهما.

القصة الثالثة: سمع الطفل البالغ من العمر خمس سنين، أنّ والده يرغب في السفر إلى العراق ـ كردستان العراق ـ فقال له: إذا سافرت إلى العراق يقتلك صدّام، فأجابه الوالد: إنّ صدّام لا يستطيع الوصول إلى المنطقة التي يعيش فيها الأكراد، فسأله الابن، لماذا لا يستطيع، فقال له: إنّ أمريكا تحمي الأكراد من صدام، فقال له الابن: أليست أمريكا مجرمة، فقال: نعم، فقال: كيف تحمي أمريكا المجرمة الأكراد «الحبابين» أي غير المجرمين من صدام المجرم، إنّ أمريكا تريد أنْ تسرق نقودهم، وإذا سرقت نقودهم، ولم يبق لهم نقود فإنّها ستنهزم.

وبعد ستة أشهر دخلت القوات العراقية كردستان، فقال الابن لوالده: إنّ أمريكا لم تحمي الأكراد، فهل نفدت نقودهم، أم أنّهم لم يعطوها للأمريكان.

فقد أدرك الطفل بمعلوماته المحدودة أنّ الأمريكان يراعون مصلحتهم.

القصة الرابعة: حينما بدأت بوادر الفتنة الطائفية في العراق بالظهور، سأل طفل في التاسعة من عمره أحد المعلمين: هل إنّ السنّة مسلمون؟ قال: نعم، وهل أنّ أمريكا مسلمون؟ فقال: لا، وهل نحن مسلمون؟ قال: نعم، قال الطفل: أنا أرى أنّ الأمريكان هم الذين يقتلون المسلمين، وإذا ماتوا جميعهم فسوف يأخذون بيوتهم ونقودهم، فقال المعلم: ما هو دليلك؟

قال الطفل: كان كلّ من رعد وسليم يملكان كرة فيلعبان سوية، ولم يسمحا لي باللعب معهم إلّا إذا تشاجرا، فإنّ الفرصة تسنح لي باللعب مع كلّ منهم، فكنت كلما تصالحا أعمل على إعادتهما للتشاجر، فاكتب على باب رعد: ألعن أبا رعد، وأكتب تحته اسم سليم، وأكتب على باب سليم: ألعن أبا سليم، واكتب تحته اسم رعد، فتسيء العلاقة بينهما، فأعود للعب مع كل منهما.

وسمع طفل شيعي من أهل الكاظمية، أنّ السنة يقتلون كلّ من اسمه عليّ أو حسن أو حسين، فقال: إنّ بعض أصدقائي من السنّة اسمهم علي وحسن وحسين، فالسنّة لا يكرهون أئمتنا.

وسمع طفل سنّي من أهل الأعظمية، أنّ الشيعة يقتلون أهل السنة، فأجاب: أليس أهل الكاظمية شيعة؟ فقال له أبوه: نعم، فقال: لماذا لم يقتلونا؟ ونحن كل ليلة جمعة نذهب إلى الكاظمية ونتجول فيها؟

وبعد التأمّل بهذه القصص، نرى أنّ الطفل لديه القدرة على الاستدلال، بل يكون في بعض الأحيان أكثر من الكبار إصابة للحقيقة، لاتصافه بالبراءة وعدم التحيّز، وعدم انسياقه وراء المرتكزات الفئوية، لعدم تجذرها في أعماقه، ولا أبالغ إذا قلت: إذا عجز الكبار عن التحليل الواقعي للأحداث والمواقف، فليزودوا الطفل بمعلومات ومقدّمات صحيحة، ليرشدهم إلى الرأي والتحليل الأصوب.

الانتباه

الانتباه: هو توجيه الشعور إلى ظاهرة من الظواهر، وتجميع الفاعلية النفسيّة حول الظاهرة لجعلها تامة الوضوح، وبعبارة أخرى: هو توجيه الذهن والمشاعر نحو ظاهرة معينة خارجيّة حسيّة أو داخليّة نفسيّة.

والانتباه هو نوع من الاختيار، فالإنْسان أمام مجموعة من الوجودات الخارجية والذهنية، فالعالم الذي يعيش فيه يزخر بعديد من المنبّهات: البصرية والسمعية والشمية والذوقية، وكذلك الجسم هو مصدر لكثير من المنبهات الصادرة من أحشائه وعضلاته ومفاصله، ويزخر ذهنه بسيل من الأفكار والخواطر.

والإنْسان لا ينتبه إلى هذه المنبهات في آن واحد، بل يختار ما يهمّه وما يستجيب لحاجاته، فالانتباه هو اختيار لمنبّه واحد، قد يكون خارجياً أو داخلياً.

والاختيار: هو استعداد الإنْسان وتهيؤه لملاحظة ظاهرة دون أخرى، أو التفكير بشيء دون آخر، وتوجيه الشعور وتركيزه في ظاهرة معيّنة، لملاحظتها أو أدائها أو التفكير فيها.

أنواع الانتباه

أولاً: الانتباه بحسب الموضوع

إذا اتجه الانتباه إلى ظاهرة أو موضوع خارجي سمي: خارجياً، وإذا اتجه إلى ظاهرة داخلية سمي: داخلياً.

١. الانتباه الخارجي: وهو على نوعين:

أ. الانتباه الحسي: وهو تجميع الحواس حول ظاهرة معينة محسوسة في الخارج، بالنظر أو السمع أو اللمس أو الشم أو الذوق.

ب. الانتباه الحركي: وهو تجميع وتنظيم حركاتنا وترتيبها حتى تتطابق مع الظواهر الخارجية، كترتيب الفلاح حركاته للزراعة، وترتيب الطبيب حركاته للعلاج.

٢. الانتباه الداخلي: وهو على نوعين:

أ. الانتباه البسيط، وهو النظر إلى الحياة الداخلية حيث ينظر إلى أفكاره وذكرياته من حيث هي متولّدة من ظواهر خارجيّة.

ب. الانتباه العميق، وهو النظر إلى الأحوال الشخصيّة من حيث هي داخلية ذاتيّة، ومحاولة دراستها وتحليلها لأهداف أخلاقيّة أو أدبيّة.

ويسمى الانتباه الداخلي بالتأمل الباطني أو الاستبطان.

ثانياً: الانتباه بحسب الأسباب المولّدة له

١. الانتباه الآلي أو القسري: يتولد هذا الانتباه من سبب خارجي مباشر دون إرادة أو اهتمام، كالانتباه إلى صوت عال أو صرخة مدويّة، أو ظاهرة سماوية كالبرق والرعد، وأحياناً يكون الانتباه بسبب فكرة ثابتة مسيطرة على الإنسان تذهب لتعود بين فترة وأخرى دون رغبة منه، كمن يتعرض لصدمة انفعالية أو مظلوميّة أو إحباط مفاجئ.

٢. الانتباه التلقائي: يتولد هذا الانتباه من اهتمام الإنْسان بظاهرة معيّنة وميله إليها أو رغبته فيها، وهو انتباه غير مصحوب بجهد فكري أو نفسي، فهو انتباه سهل يسير، وأحياناً يتوجّه إلى شيء أو ظاهرة غير مرغوب فيها من أجل تجنّبها.

والانتباه التلقائي ليس نابعاً من العوامل الخارجيّة، وإنّما هو نابع من بعض العوامل منها:

أ) المزاج.

ب) الثقافة المكتسبة.

ت) التفكير الشخصي.

ث) المشاغل الحاضرة.

ج) قابلية الانفعال من حيث الاندفاع والانكماش.

ثالثاً: الانتباه الإرادي، وهو الانتباه الذي يتطلّب بذل الجهد وتجميع الحواس حول ظاهرة معيّنة، وخصوصاً إذا كانت غير مرغوب فيها، كالانتباه إلى محاضرة مضطر إليها، والانتباه إلى حديث أو قصة مملّة من قبل أستاذ أو صديق، اضطراراً أو حياءً أو خوفاً.

والجهد المبذول، هو جهد لكبح جماح النفس التي لا تروم الانتباه، فإذا تعّود الإنسان على كبح جماح نفسه إيماناً منه باستحباب ذلك، أو استسلاماً للأمر الواقع، فانّ الجهد المبذول يتناقص.

وقد يتحول هذا الانتباه إلى انتباه تلقائي بالتمرين على التحمّل والصبر؛ رغبة في الثواب وتجنّباً للعقاب، أو مداراةً للآخرين؛ لكسب ودّهم أو الابتعاد عن شرّهم.

والانتباه الإرادي، قد لا يقوى عليه الكثير من الأطفال، وخصوصاً إذا كان المعلم أو المربي أو المتكلم لا يحسن التعبير، أو كان الموضوع المطروح صعباً، وخصوصاً في المرحلة الأولى من المدرسة وفي أيامها الأولى بالذات، لانتقال الطفل من بيئة الأسرة إلى بيئة أخرى، ولذا فمن الأفضل للمعلم أنْ يبتدئ في الأيام الأولى بسرد القصص الجميلة التي تنسجم مع عقليّة الطفل، كقصص الحيوانات، أي يكون أبطال

القصة من الحيوانات أو من الطيور، وينبغي أنْ يمنح المعلم الأطفال الفرصة المناسبة للعب، وأنْ يتقدّم لهم بأسئلة بسيطة، ويستمر على هذا الحال إلى أنْ يحدث أُنسٌ بين الطلاب والمعلم، وتحدث محبّة ومودّة، ثم يشرع بالتعليم دون أنْ يرهق الطالب (الطفل) بواجبات وتكاليف عديدة.

وظيفة الانتباه

الانتباه من الفعاليّات المهمّة في حياة الإنسان؛ لأنّه يرشده إلى التكيّف مع الظروف والأحوال الاجتماعيّة، فهو مرغم على معرفة الظروف والأحوال المحيطة به، ومرغم على الربط والتوفيق بينها وبين ميوله ورغباته؛ لكي يكون منسجماً مع المجتمع وإنْ خالف ميوله ورغباته، بالعمل على أساس المحاور المشتركة للتوفيق والتوازن.

والانتباه، يعين الإنسان على معرفة مقوّمات شخصيّته الفكريّة والعاطفيّة والسلوكيّة بتأملاته المتواصلة وبتقييمه لنفسه، ومعرفة قربها وبعدها عن ثوابته التي تبناها كمنهج في الحياة.

والانتباه يوازن بين الإرادة والرغبات، ويحرك الإنسان نحو مراعاة المصلحة العليا، فيفكّر ويتأمّل أيهما أصلح أو أيهما أنْفع له، فيحكم الإرادة وإنْ أضرّت ببعض ميوله ورغباته الآنية، فمثلاً: يحكّم إرادته في مساعدة المحتاجين وإنْ كانت ميوله ورغباته في جمع المال.

نتائج الانتباه

١. الزيادة في الحفظ والتذكّر والفهم والإدراك والاستدلال وكذلك الذكاء.

٢. وضوح المفاهيم والتصورات.

٣. تنظيم الأفكار وتنسيقها، وتحديد العلاقات بينها من حيث العموم والخصوص أو التساوي.

٤. تطوير الأفكار والعواطف والممارسات.

٥. التقييم الموضوعي للذات، ومعرفة قربها وبعدها عن المنهج والدستور الذي تبنّاه في حياته الفكريّة والاجتماعيّة.

٦. معرفة الصواب والخطأ.

مشتتات الانتباه

مشتتات الانتباه، أو شرود الذهن ومن ثم الحواس ظاهرة سلبيّة تجعل الإنسان منحدراً نحو الجهل والجهالة، وتمنعه من مواصلة طريق العلم والأدب والنشاط الحركي، وتبعده عن النجاح في علاقاته الاجتماعيّة، وتجعله يتعثّر ويتأخّر في أغلب مجالات الحياة.

ومشتتات الانتباه عديدة متنوعة ومنها:

أولاً: العوامل الجسميّة

١. الإرهاق الجسمي والتعب.

٢. قلة النوم أو انعدامه.

٣. عدم الانتظام في تناول وجبات الطعام.

٤. سوء التغذية.

٥. اضطراب الجهاز الهضمي.

٦. اضطراب الجهاز التنفسي.

٧. الأمراض المزمنة.

ثانياً: العوامل النفسية

١. عدم الاهتمام بالظاهرة أو الموضوع المراد الانتباه إليه.

٢. عدم الميل للظاهرة أو الموضوع.

٣. انشغال الفكر بأمور أخرى.

٤. الإفراط والتفريط في التأمل الذاتي.

٥. القلق والاضطراب وفقدان الأمن.

٦. الشعور بالنقص أو الذنب.

٧. سيطرة الوساوس غير المنطقيّة.

ثالثاً: العوامل الاجتماعية

١. المشكلات المستعصيّة.

٢. الخلافات العائليّة المستمرة.

٣. فقدان أحد الوالدين بطلاق أو موت.

٤. عدم الانسجام مع المجتمع.

٥. الحاجة المادية.

رابعاً: العوامل الفيزيقيّة

١. الانقطاع الدائم للضوء أو عدم كفايته.

٢. ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة.

٣. سوء التهوية.

٤. الضوضاء، وخصوصاً في المسائل العقلية لا العلمية.

٥. كثرة الآفات السماوية كالزلازل والعواصف.

تنمية الانتباه عند الأطفال

المقصود من تنمية الانتباه، هو تنمية الانتباه الإرادي، بحيث يتوجّه توجهاً ذاتياً وعن قناعة ذاتيّة بعيدة عن الاكراه أو الاجبار؛ لأنّه لا يجدي نفعاً في مواصلة الانتباه.

ويمكن تنمية الانتباه بالممارسات التالية:

١. إيجاد الميل والشوق إلى المعلم والتعلّم قبل مرحلة الدخول في المدرسة.

٢. تقليل عدد الدروس في المرحلة الابتدائية الأولى، والاقتصار على درسين أو ثلاثة في اليوم بدلاً من أربعة أو خمسة.

٣. تقليل وقت الدرس من أربعين أو خمسين دقيقة إلى ثلاثين دقيقة.

٤. زيادة دروس الرياضة والرسم والفن.

٥. التغيير من مكان الدرس، بأنْ ينقل المعلم طلابه إلى حديقة أو بستان مرّة في الأسبوع أو الشهر.

٦. تقليل عدد الطلاب داخل الصف.

٧. تنمية حبّ الاطلاع في أعماق الطالب.

٨ الاعتماد على الأسلوب القصصي.

٩. ربط المعلومات بظواهر محسوسة.

١٠. استخدام اللطائف أثناء التعليم.

١١. تنمية روح المنافسة بين الطلاب.

١٢. وضع مكافآت ماديّة ومعنوية لجميع الطلاب مع اختلاف في الكم والنوع بالنسبة للمتفوقين وغير المتفوقين.

١٣. توفير الغذاء للطلاب كالحليب والفاكهة والحلويات.

١٤. استخدام وسائل الإيضاح.

١٥. علاج مشاكل الطلاب.

١٦. منح الحرية للطلاب للتعبير عن آمالهم وآلامهم وهمومهم واهتماماتهم.

١٧. التقليل من العقاب.

١٨. أنْ يمارس المعلّم دور الأب الحنون الرحوم، وأنْ يكون طلق الوجه كثير الابتسامة، واسع الصدر.

١٩. الرعاية المعنويّة للطلاب وعدم إهمال أيّ واحد منهم.

٢٠. تجنّب زرع الخوف من الامتحانات في عقول وقلوب الطلاب.

٢١. إعطاء أسئلة الامتحان إلى الطلاب ليراجعوها في بيوتهم، خصوصاً في المراحل الابتدائية الثلاث.

٢٢. مساعدة الطالب على تنظيم وقته في البيت بإرادته وتشجيعه على ذلك، بأنْ يخصص لكلِّ نشاط وقتاً معيّناً:

أ) الدراسة.

ب) اللعب.

ج) مشاهدة التلفزيون وخصوصاً أفلام الكارتون.

د) النزهة في حديقة أو بستان.

هـ) زيارة أصدقائه من الاطفال بصحبة ذويه أو بمفرده أحياناً.

و) الاستراحة والاسترخاء.

ز) النوم.

والأهم من ذلك تنمية طموح الطالب الطفل ليكون ذا شأن عظيم في المجتمع، والإيحاء له بأنّه سيحقق طموحه بالانتباه إلى المعلّم أو المربّي، ومحاولة ربطه بالمثل الأعلى المنسجم مع طموحه، وتشجيعه للإقتداء به.

مقاييس الذكاء

اختلف العلماء في تحديد التعريف الحقيقي للذكاء، وكذلك اختلف عموم الناس في ذلك، والذكاء يختلف في التعريف تبعاً للمتبنيات الفكريّة، فعالِم الدين ينظر إلى الذكاء نظرة تختلف عن نظرة عالِم الاجتماع، أو عالِم السياسة أو غير ذلك.

وعلى العموم هنالك اتفاق عرفي أو ارتكاز ذهني متّفق عليه عند أغلب العلماء وأغلب الناس، وهو امتياز الذكي ببعض المميزات أو الخصائص ومنها:

١. أشد يقظة أو أسرع في الفهم من غيره.

٢. أقدر على التعلّم وأسرع.

٣. أقدر على تطبيق ما تعلّمه لحلّ ما يواجه من مشكلات.

٤. أقدر على إدراك العلاقات بين الأشياء والألفاظ والأعداد والأفكار.

٥. أقدر على الابتكار والإبداع إذا تهيأت أسبابه.

٦. الوصول إلى الهدف بأقصر وأسرع الطرق.

٧. أقدر على التعرّف في عواقب أعماله.

٨. أنجح في الدراسة والتعلّم.

٩. أقدر على تحديد الأوليات.

١٠. أقدر على ربط الحاضر بالماضي والمستقبل.

وعلى ضوء ذلك يمكن تمييز الذكي عن غيره، ويمكن تمييز الأذكياء بدرجات متفاوتة من قبل العلماء، أو من قبل عموم الناس من خلال الملاحظة المباشرة أو التجربة أو تقديم الأسئلة، ولكنّ تحديد نسبة مئوية للذكاء قد تكون صعبة أو أكثر صعوبة، ولكن اتفق علماء النفس على قانون رياضي أو قاعدة رياضيّة لقياس نسبة الذكاء وهو كالتالي:

نسبة الذكاء = العمر العقلي ÷ العمر الزمني × ١٠٠

فالطفل الذي يبلغ من العمر ٧ سنوات، وعمره العقلي ٧ سنوات، أي يكون قادراً على الفقرات التي يجيب عنها الطفل العادي البالغ من العمر ٧ سنوات، تكون نسبة ذكائه ١٠٠، أي يكون ذكاؤه متوسطاً أو عادياً.

٧ ÷ ٧×١٠٠=١٠٠

والطفل البالغ من العمر ٥ سنوات وعمره العقلي ٧ سنوات، أي يكون قادراً على الفقرات التي يجيب عنها الطفل العادي البالغ من العمر ٧ سنوات، تكون نسبة ذكائه كالتالي:

٧ ÷ ٥×١٠٠=١٤٠

أي يكون متفوق جداً.

والطفل البالغ من العمر ٩ سنوات وعمره العقلي ٧ سنوات، تكون نسبة ذكائه كالتالي:

٧ ÷ ٩×١٠٠=٧٧/٧٧٪

أي يكون ضعيف الذكاء.

وتستعمل مقاييس الذكاء في المجتمع الذي يؤمن بفائدتها في أغراض عديدة، وهي أكثر انتشاراً في البلدان المتطوّرة والمتقدّمة، ومن هذه الأغراض:

١. قياس المعارف.

٢. التوجيه التربوي.

٣. الاختيار التربوي.

٤. التشخيص التربوي.

٥. التوجيه المهني.

٦. الاختيار المهني.

٧. تشخيص الضعف العقلي.

٨ تقسيم الأفراد.[١]

ومقاييس الذكاء لا تقتصر عل جانب من جوانب المعرفة، بل هي شاملة لجميع الجوانب، وكلّ جانب متوقّف على الخبرة العلميّة ومقدار ونوع المعلومات التي حصل عليها المراد معرفة نسبة ذكائه، فقد يكون الإنسان أو الطفل ذكياً في جانب من جوانب المعرفة وأقل ذكاءً في جانب آخر، فكثيراً ما نجد أنْ البعض قد يكون أذكى الآخرين في المسائل الرياضية والحسابية، إلّا أنّه ليس ذكياً في أمور وجوانب مهنية، فلا يستطيع أنْ يصلح عطلاً كهربائياً، وقد يكون الإنْسان ذكياً في الأمور الميكانيكيّة إلّا أنّه أغبى الأغبياء في الرياضيات وأنْ تعلمها.

وأنا أرى أنّ جانب المسائل الرياضيّة والمنطقية هي أفضل الجوانب في تشخيص الذكاء، وما عداها فإنّه يعتمد على الخبرة والممارسة.

وعلى أساس هذا القانون يصنّف علماء النفس الأفراد من حيث نسبة ذكائهم التصنيف التالي:

المعتوه دون: ٢٥.

---

١. *علم النفس التربوي*: ٣٧٢.

الأبله: ٢٥ـ٥٠.

الأحمق: ٥٠ـ٧٠.

ضعيف العقل: ٧٠ـ٨٠.

سوي دنيء: ٨٠ـ٩٠.

متوسط أو اعتيادي: ٩٠ـ١١٠.

متفوّق: ١١٠ـ١٢٠.

متفوق جداً: أكثر من ١٤٠.

الموهوب وهو ذو القدرة العقلية العالية جداً.

العبقري وهو ذو إبداع وإنجاز عظيم.

ولم يتحدّث علماء النفس عن صنف «المعصوم» وهو الصنف الذي يتّصف بجميع صفات الكمال وفي جميع مقوّمات الشخصية، وهو القمّة في كلِّ شيء، والقدوة في كلِّ شيء.

قال الإمام علي الرضاعليه السلام:

يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس.[1]

ونسبة الذكاء تعتمد على الوراثة بشكل أساسي، وبالتعليم والتدريب بشكل ثانوي، حيث يؤدي التعليم والتدريب دور إنماء وتطوير الذكاء الوراثي، فالمعتوه وهو دون ٢٥ يمكن أنْ يصبح أبلهاً بالتعليم والتدريب وهكذا.

مقياس المؤلِّف

اتجه الباحثون في البداية إلى قياس بعض الإمارات والصفات الجسميّة، كقياس

---

١. *عيون أخبار الرضا*: ١٦٩/١.

الرأس وأبعاد الجمجمة، ولكن وجدوا أنّ الارتباط بين القوة العقليّة والصفات الجسميّة ارتباط ضعيف.

وتوجهوا بعد ذلك إلى تقدير بعض القدرات العقليّة والجسميّة البسيطة، كالقدرة على التمييز الحسّي، ودرجة الحساسية للألم، وسرعة الحركة، والقدرة على تحمّل التعب، ولكن ثبت لديهم خطأ هذا التقدير.

وتوجهوا بعد ذلك إلى قياس العمليات العقلية العليا، كالتفكير والفهم والتخيّل، إلى أنْ ظهر العالم الفرنسي «بنيه» وقد توصل إلى أنّ الذكاء يتمثل في أربع قدرات عقلية هي: الفهم، الابتكار، النقد، القدرة على توجيه الفكر وجهة معيّنة واستبقاؤه في هذا الاتجاه، فبدأ بصياغة أنواع من الاختبارات في هذه القدرات، وقد عدّل ونقّح اختباراته، وكان آخر تعديل له عام ١٩١١.

وقد ترجم مقياسه إلى عدّة لغات وطبق في كثير من البلدان، وجريت عليه تعديلات ومنها تنقيح العالم الأمريكي «ترمان» عام ١٩٣٧.

وظهر إلى الساحة العلمية عدد من المقاييس ومنها: مقياس «بنتر وباترسون»، مقياس «ألفا»، مقياس «بيتا»، مقياس «ميرا».

وعند متابعتي لتفاصيل هذه المقاييس وجدتها مقاييس قد وضعت لفترة زمنية قديمة، وفي ظروف مخالفة لظروف العصر الراهن، وهو عصر التطوّر في كلّ شيءٍ حيث أصبح العلم في متناول الجميع، وهي مقاييس قد وضعت لحضارة أخرى غير حضارتنا، فهي تختلف عنها بأنّها راعت ظروف البلد الذي وضعت له.

ولذا ارتأيت أنْ أضع مقياساً للذكاء، ينسجم مع الظروف التي عشناها في العراق، وفي بعض الدول الإسلامية، حيث جاء هذا المقياس من خلال التجربة النظريّة والميدانيّة التي عشتها من خلال عملي في الإشراف على بعض الجمعيات الإصلاحية، ومن خلال عملي ومسؤوليتي كداعية ومبلّغ، ومن خلال سلسلة من التجارب على

عينات من الأطفال، فجاء هذا المقياس نتيجة تجربة ميدانيّة طويلة، أرجوا أن يجد طريقه إلى التطبيق العملي.

وهذا المقياس، الغرض منه تنمية الذكاء أكثر من مقياسيّه؛ لصعوبة وضع علامات للأجوبة تتناسب مع الذكاء الحقيقي، فيترك الأمر للوالدين أو المربين لتقييم ذكاء الأطفال على المستوى التقريبي.

مستوى ٣ سنين

١. يعرض عليه خمسة لعب، ويطلب منه تسميتها.

٢. يعرض عليه خمسة لعب، ثمّ يطلب منه تسميتها دون أنْ يراها.

٣. توضع لعبه على مكان متوسط العلو، مع وضع وسادة أو خشبة، ويطلب منه تناول اللعبة.

مستوى ٤ سنين

١. يطلب منه تسمية أربع طيور.

٢. يطلب منه تسمية أربع حيوانات أليفة من غير الطيور.

٣. يُسئل عن كيفية إدخال عصفور فوق الشجرة أو الجدار إلى داخل أحد الغرف القريبة من مكانه.

مستوى ٥ سنين

١. يطلب منه إخفاء قطعة معدنية أو كرة صغيرة في مكان معين داخل الغرفة، لمعرفة قدرته على اختيار المكان الأفضل للاختفاء.

٢. إخفاء قطعة معدنية عنه، والطلب منه إيجادها ومراقبة تحركاته في البحث، فهل يختار اختياراً عشوائياً أم اختياراً تأملياً.

٣. يطلب منه إخفاء نفسه في مكان معين، فهل يختار المكان المتوقّع الاختفاء فيه أم غيره.

٤. يعرض عليه ١٥ شيئاً مثل: كتاب، قلم، قطعة نقود، الخ، ثم يطلب منه إعادة تسمية ١٠ منها بعد إخفائها عن نظره.

٥. يتم تحفيظه مجموعة من سور القرآن الكريم، كالفاتحة، والتوحيد، والكوثر، ثمّ يطلب منه إعادتها.

مستوى ٦ سنوات

١. يعرض عليه ٢٠ شيئاً ثم يطلب منه إعادة ١٥ منها بعد إخفائها عن نظره.

٢. يتم تحفيظه مجموعة من سور القرآن الكريم، ومجموعة من الأحاديث الشريفة، ثمّ يطلب منه إعادتها.

٣. تعرض عليه صور لوجه إنسان، قد حذفت منها بعض الأجزاء، ويطلب منه الإشارة إلى الأجزاء المحذوفة.

٤. يسئل عن الموقف الذي يتخذه في ظرف اختفاء والده عنه أثناء الزحام في مدينة أخرى.

مستوى ٧ ـ ٨ سنوات

١. تقرأ عليه مجموعة من ألأحاديث النبوية الشريفة، ثـمّ يطلب منه إكمالها بعد القراءة وبعد حذف كلمة واحدة منها من قبيل:

تنظفوا فإنّ الإسلام نظيف.

الجنّة تحت أقدام الأمهات.

خير الناس من نفع الناس.

خيركم من تعلم القرآن وعلّمه.

من غشّنا ليس منّا.

٢. يطلب منه حفظ مجموعة من السور القرآنية الصغار، ثمّ إعادتها عن ظهر غيب.

٣. يسأل منه قراءة بعض الأحاديث الشريفة، ثمّ يسأل عمن قائلها، من قبيل:

قال رسول اللهﷺ: «ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت».

قال رسول اللهﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

قال الإمام عليعليه السلام: «من خاف الله قلّت مخافته».

قال الإمام عليعليه السلام: «التوبة تستنزل الرحمة».

٤. تقرأ عليه أسماء عدد من الأنبياءعليهم السلام، ويطلب إعادة أسماء ٤ منهم.

محمد، آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، صالح، يعقوب، يوسف.

٥. تعطى له ١٢ حصاة ويطلب منه توزيعها على ٤ أوعية بالتساوي.

٦. تعطى له صورة إنْسان أو حيوان موزّعة على مجموعة من المكعبات، ويطلب منه تنظيمها لتكون صورة كاملة.

مستوى ٩ـ١٠ سنوات

١. يطلب منه قراءة مجموعة من الأحاديث النبويّة الشريفة، ثمّ تحذف منها كلمتان، ثمّ يطلب منه إكمال الكلمة المحذوفة من قبيل:

اعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فهو يراك.

من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم.

عينان لا تمسّهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

الجهاد أربع: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في مواطن الصبر، وشنآن الفاسق.

٢. يطلب منه تنظيم مجموعة من الكلمات لتكون جملة مفيدة، والأفضل اختيار الأحاديث الشريفة.

المسلمون ـ المسلم ـ سلم ـ لسانه ـ مِن ـ ويده ـ مَن.

الحسد ـ الحسنات ـ تأكل ـ يأكل ـ الحطبَ ـ النارُ ـ كما.

دعا ـ من ـ ليس ـ منّا ـ عصبيّة ـ إلى.

السلاح ـ حمل ـ مَن ـ علينا ـ فليس ـ منّا.

٣. يطلب منه قراءة أسماء سور القرآن الكريم، وإعادة تسمية ١٠ منها عن ظهر غيب.

٤. لو سرق طالب قلم طالب آخر، ثم تأثّر بنصيحة واعظ ديني، وأراد التوبة فكيف يعيد القلم إلى صاحبه؟

ـ يعيده دون علمه. درجة كاملة

ـ يخبره ويعتذر منه.

ـ يظهر القلم ويقول: عثرت عليه فمن هو صاحبه.

ـ يسلّمه المعلّم ويدعي أنّه عثر عليه.

٥. لو سرق طالب شيئاً منك فكيف تعيده؟

ـ تعيده دون علمه. درجة كاملة

ـ تأخذه بالقوة.

ـ تقدّم شكوى ضدّه.

ـ تنصحه بإعادته.

٦. أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين:

القطّة والعصفور ـ التفاح والرمان ـ الماء والشاي ـ السيارة والطائرة ـ المربع والمستطيل.

٧. اختر كلَّ كلمتين بينهما علاقة ممّا يأتي:

خشب ـ عصفور ـ سيارة ـ عنب ـ فحم ـ رمّان ـ سمنت ـ حمامة ـ سفينة ـ تراب ـ التفكير ـ الحبّ ـ الصدق ـ الكرم ـ الخيال ـ البغض ـ الأمانة ـ الشجاعة.

٧. أكمل الأرقام التالية على ضوء العلاقة بينهما:

١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ ؟ ـ ؟ ـ ؟ ـ ؟.

٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ؟ ـ ؟ ـ ؟ ـ ؟.

٨. ضع أعداداً مناسبة في المعادلة التالية:

٦* ؟ = ؟ ÷ ؟ = ١٤.

٦٤ ÷ ؟ = ؟ * ؟ = ؟ * ؟ = ٦٤.

٩. لفظ يلتصق بكل شيء، ما هو؟

١٠. «قيل قتل فيل قبل طلوع الشمس»، تكتب الجملة وتحذف منها النقاط، ويطلب منه وضع النقاط على الكلمات الأربعة الأولى.

١١. أذكر شيئين يطابق الاسم فيها لون الشيء؟

١٢. ما هو السائل الذي يتصلب بالحرارة؟

١٣. فيل، فلفل، فلافل، كم فاء في ذلك؟

١٤. أخت خالك من أمّه وأبيه، ولكنّها ليست خالتك، من تكون؟

مستوى ١١ ـ ١٢ سنة

١. يطلب منه قراءة الأحاديث الشريفة التالية، ثم يكملها بعد حذف ٣ كلمات منها.

قال رسول الله ﷺ:

لا تصلح الإمامة إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي، حتى يكون لهم كالوالد الرحيم.

قال الإمام علي عليه السلام:

من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحقّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبها.

قال الإمام علي عليه السلام:

أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم.

٢. يطلب منه قراءة أسماء السور في القرآن الكريم، ثمّ إعادة ٢٠ منها عن ظهر غيب.

٣. هنالك محاور، أو مصطلحات جامعة لهذه الشخصيّات، حاول توزيعها على المحاور أو المصطلحات المشتركة؟

علّي بن أبي طالب، جعفر الصادق، أبو بكر، أبو حنيفة، محمد بن إدريس الشافعي، عمر بن الخطاب، أحمد بن حنبل الشيباني، عثمان بن عفان، مالك بن أنس الأصبحي.

٤. أجب عن الأسئلة التالية:

ماذا بين السماوات والأرض؟

ما هو آخر العالم؟

٥. خصائص القائد الإسلامي: العلم، العدالة، الكفاءة، الشجاعة، الإخلاص، الحلم، مداراة الناس، حماية الناس، تربية الناس، الحفاظ على الوحدة، الحكم بالعدل.

اذكر ٧ منها عن ظهر الغيب؟

٦. المحاور المشتركة التي تجمع المسلمين وتوحّد:

العقيدة، المصير، المصالح، العدو الواحد.

أعد هذه المحاور عن ظهر الغيب؟

٧. نظّم الكلمات التالية لتكون حديثاً شريفاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ولو ـ أرحامكم ـ بالسلام ـ صلوا.

المؤمن ـ كالبنيان ـ للمؤمن ـ يشد ـ بعضاً ـ بعضُه.

لا يؤمن ـ حتى ـ لأخيه ـ أحدكم ـ يحبّ ـ ما لنفسه ـ يحبّ.

٨. إذا أردت أنْ يطيعك المعلّم فماذا تعمل؟

٩. من القائل؟

«إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

النبي نوح، النبي يونس، النبي عيسى، النبي محمدﷺ.

«قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا».

النبي محمدﷺ، الإمام عليعليه السلام، أبو بكر، عمر بن الخطاب.

لولا علي هلك عمر.

أبو بكر، عثمان بن عفّان، عمار بن ياسر، عمر بن الخطاب.

١٠. مغالطات

لماذا يتساوى الليل والنهار في ٣٠ شباط؟

١١. ما هو الشيء الذي تراه؟

في القرن: مرة، وفي الدقيقة: مرتين، وفي السنة: لا تراه.

في الصبح: مرة، وفي المغرب: مرتين، وفي العشاء: ثلاث مرات: ولا تراه: في العصر.

١٢. شيء ميّت داخل المدرسة، يحمله إثنان أو ثلاثة، هو يتكلّم وهم لا يتكلمون، فما هو؟.

١٣. صفة محبوبة اشتهر بها العرب، فما هي؟

إذا جمعت الحرف الأول مع الثاني أعطت معنى: التقدّم.

إذا جمعت الحرف الرابع مع الثاني أعطت معنى: طعم معيّن.

إذا جمعت الحرف الأول مع الرابع أعطت معنى: الإستفهام.

١٤. طفل عمره سدس عمر أبيه، وبعد ١٢ عاماً يصبح عمره نصف عمر أبيه، فكم عمر كل منهما؟

١٥. زوار يمشون على الأقدام لزيارة قبر رسول الله ﷺ.

المجموعة الأولى تستريح كل ٣كم.

المجموعة الثانية تستريح كل ٤كم.

المجموعة الثالثة تستريح كل ٦كم.

المجموعة الرابعة تستريح كل ١٢كم.

فكم يقطعون من المسافة حتى يلتقوا معاً في مكان واحد؟

١٦. ضع حركات مناسبة على ما تحته خط في الآية القرآنية المباركة؟

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

١٧. ثلاثة عبروا جسراً:

الأول: رآه ومشى عليه.

الثاني: رآه ولم يمش عليه.

الثالث: لم ير الجسر ولم يمش عليه.

١٨. ما المقصود من ذلك؟

أ) وقاض قد قضى في الناس عدلاً — له كفٌّ وليس له بنان

رأيت الناس قد قبلوا قضاه — ولا نطق لديه ولا لسان

ب) وآكلة بغير فم وبطن — لها الأشجار والحيوان قوت

إذا أطعمتها انتعشت وعاشت — وإذا أسقيتها ماء تموت

مستوى ١٣ ـ ١٤ سنة

١. أكمل الأحاديث الشريفة؟

قال رسول الله ﷺ:

لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشدّ من الشريك شريكه والسيد عبده.

قال رسول الله ﷺ:

عوّدوا ألسنتكم الاستغفار، فانّ الله تعالى لم يعلمكم الاستغفار وهو يريد أن لكم.

قال الإمام علي عليه السلام:

من ترك المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميّت بين.

قال الإمام علي عليه السلام:

من عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بـالمصائب.

٢. أكمل الأبيات الشعرية التالية:

أ) إنّـي لآمـن مـن عـدوّ عاقـل وأخـاف خِلّـاً يعتريـه جنـون

فالعقـل فـن واحـد وطريقـه أدرى وأرصـد و___ فنـون

ب) جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة و___ في وطن

٣. شجرة فوقها عدد من العصافير، وفي الأرض عدد آخر، فهنالك حالتان:

أ) لو صعد أحد العصافير إلى فوق الشجرة تساوت أعداد العصافير.

ب) لو نزل أحد العصافير من فوق الشجرة، لأصبح عدد العصافير فوق الشجرة نصف عددها تحت الشجرة.

فكم عصفور فوقها، وكم عصفور تحتها؟

٤. زوار يسيرون مشياً على الأقدام لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

المجموعة الأولى تستريح كل ٦كم.

المجموعة الثانية تستريح كل ٨كم.

المجموعة الثالثة تستريح كل ١٢كم.

المجموعة الرابعة تستريح كل ١٨كم.

فكم يقطعون من المسافة حتى يلتقوا معاً في مكان واحد؟

٥. ما المقصود من الأحاديث الشريفة؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس بكذّاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً».

قال رجل من اليهود للإمام علي‌عليه‌السلام: «ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه»؛ فقال الإمام: «إنّما اختلفنا عنه لا فيه».

٦. قطار يسير بسرعة ١٠٠كم في الساعة، وخلفه نار تسير بسرعة الريح ١٥٠كم في الساعة، وستصل إليه بعد ثلاث ساعات، وفي جانبي الطريق مواد سريعة الاشتعال، فماذا يعمل الركاب لإنقاذ القطار وأنفسهم؟

٧. عاصمة الدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري تتكون من أربعة حروف.

١+٣ = أحد أعضاء الجسم يستعمل في العمل والمهنة.

٣+١ = أحد أعضاء الجسم المهمّة.

٨ شخص يحتفل بعيد ميلاده في الساعة واليوم واللحظة التي ولد فيها بالتاريخ الميلادي، وحينما وصل عمره إلى أربعين سنة، وجد أنّ عدد الاحتفالات التي أقامها كانت عشرة فكيف ذلك؟

٩. انظر ودقق في الأمثلة التالية، ثم أذكر أمثلة شبيهة بها.

ألف. كل فقير يستحق المساعدة.

بعض السائلين فقراء.

النتيجة: بعض السائلين يستحق المساعدة.

باء: كلّ تزوير غش.

كل غش حرام.

النتيجة: كل تزوير حرام.

١٠. زار أحد المسؤولين مدرسة، فظن أنّ عدد طلابها يساوي ١٠٠ طالب، فبادره أحد الطلاب بالقول: نحن+ مثلنا+ نصفنا+ ربعنا+ ١= ١٠٠.

فكم كان عددهم؟

١١. اجمع الأعداد التالية بدقيقتين وبخطوتين فقط.

١+ ٢+ ٣+ ٤+ ٥+ ٦+ ٧+ ٨+ ٩+ ١٠

١٢. قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظرة تؤذيه».

على ضوء هذا الحديث الشريف عدد ١٠ من الأمور التي يحرم التعامل فيها مع المسلمين؟

١٣. فأر في بئر، يصعد يومياً ٣ أمتار، ويهبط ٢ متر، فكم يوماً يستغرق وصوله إلى سطح الأرض، علماً بأنّ ارتفاع البئر ١٠ أمتار؟

١٤. وجد الشرطة رجلاً منتحراً بحبل في سقف غرفة مقفولة من الداخل، ولا يوجد سلّم أو شيءٌ يصعد عليه، فكيف استطاع الصعود إلى السقف؟

١٥. انظر بدقة إلى المربعات التالية: ستجد أنّ مجموع كلّ ثلاث مربعات يساوي ١٥ دون تكرار أيٍّ رقمٍ، وعلى ضوء ذلك أكتب مربعات مثلها، على أنْ يكون مجموع كلّ ثلاث مربعات يساوي ١٨ ومن جميع الجهات خلال ٣ دقائق.

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

١٦. دق قلبي دقائق دقيقة في دقيقتين، كم قاف في ذلك؟

١٧. لديك ٣٦٠ كغم من الطحين فكيف توزعه على ثلاث رجال وست نساء، على أنْ تكون حصّة المرأة نصف حصّة الرجل؟

١٨. لو كنت سفيراً لبلدك في إحدي الدول، وقد هددتك مخابرات تلك الدولة بكشف بعض أخطائك، أو أنْ تعمل جاسوساً لها، فما هو قرارك من أجل تقديم مصلحة الوطن على مصلحتك الشخصيّة؟

١٩. اقرأ الحديث النبوي الشريف، ثم أعد معناه عن ظهر غيب:

اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك.

٢٠. انظر جيداً إلى المسائل التالية:

٨٥٣ ـ ٣٥٨ = ٤٩٥ ٧٦٣ ـ ٣٦٧ = ٣٩٦ ٩٧١ ـ ١٧٩ = ٧٩٢

إذا طلبت من شخص أنْ يختار رقماً ثلاثياً، ثمّ يبدّل رقم الآحاد برقم المئات، ثمّ يستخدم عملية الطرح، فإذا كان رقم الآحاد بالناتج هو ٤، فكم يكون العدد الثلاثي الناتج؟

موانع ومعوّقات النمو العقلي

أولاً: الخلل الجسمي والبدني

دلت الدراسات والتجارب: على أنّ ضعف العقل ينتشر بين المرضى أكثر من انتشاره بين الأصحاء.[1]

ويرى الدكتور محمد ولاية بك: إنّ لكلِّ نوع من أنواع الجنون سببين أو أكثر من أسباب ثمانية وهي:

١. تناول المواد السامة.

٢. ضعف الأعضاء التي تقاوم تأثير هذه المواد السامة.

٣. عدم تناول مواد زلالية ذات قيمة غذائية عالية أو عدم هضمها.

٤. اختلال وظائف الهضم.

٥. عدم وجود كميات كافية من الفيتامينات في الأنسجة.

٦. قلة الأملاح المعدنية في الأنسجة.

٧. اختلال وظائف الغدد الصمّاء.

---

١. *علم النفس*: ٣٢٢.

٨ ارتجاج المخ، وضربة الشمس، وتناول المواد المخدّرة.

وترى الدكتورة اليزابث سفرون:

إنّ لجميع الاضطرابات التي تحدث في الوظائف العقليّة سواءً منها ما كان شعورياً وما كان غير شعوري علاقة وثيقة باضطرابات جسمانيّة خاصّة: إنّ هنالك علاقة بين مرض القلب والاضطرابات الوجدانيّة، وبين مرض الطحال ومرض الكسل والخمول، وبين اضطرابات المعدة والكآبة وضيق الصدر والضجر، وبين مرض الكلية أو عجز الأمعاء عن القيام بوظيفتها والتراخي أو التباطؤ في السلوك، وعمق التفكير، وضيق أفقه، وبين مرض الكبد وسوء الظن، وضيق الصدر والخشونة في معاملة الناس، وبين وجع الركب والتردد، وبين وجع الساق أو القدم وعدم القدرة على الابتكار، وبين الروماتيزم والعناء والتراخي في تحديد الغرض من العمل والسعي نحوه.[١]

وسوء التغذية يؤدي إلى الضعف العقلي وخصوصاً نقص فيتامين ب١، وهو يؤدي إلى ضعف الأعصاب ومن ثمّ ضعف العقل، ويوجد هذا الفيتامين بكثرة في الخبز الأسمر، وجنين القمح، والبقول، والفول السوداني والبندق، واللوز، والجوز، واللحوم.[٢]

وشاهد العلماء أنّ ضمور الغدد الدرقية يوقف النمو العقلي ويسبب البلاهة، وإذا ضعفت الغدد الدرقية بعد نمو العقل، أورثت صاحبها قلة الانتباه، وضعف ذاكرة وخيال، وفساد حكم واستدلال، وأفقدته حبّ الاطلاع.[٣]

وقد دلت الدراسات على أنّ إصابات الدماغ تحدث خللاً في الذاكرة، وفقدان الذاكرة المتقهقر كنوع شائع من فقدان الذاكرة، يحدث إمّا نتيجة لإصابات الدماغ، أو نتيجة المعالجة بالصدمة الكهربائية.[٤]

---

١. *توجيه المتعلّم*: ٢٨، عن كتاب *العلاج النفسي*: ١٣٦ ـ ١٣٧.

٢. *توجيه المتعلّم*: ٢٦، عن كتاب *الغذاء الكامل*: ٦١

٣. *علم النفس*، *جميل صليبا*: ٨٣

٤. *علم النفس التجريبي*: ٣٨.

وفي مقابل سوء التغذية، نجد أنّ للإسراف في الأكل إلى حدٍّ التخمة يؤدي إلى كثير من الأمراض المؤثرة تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الجهاز العصبي وعلى مسيرة النمو العقلي:

قال لقمان لابنه:

يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.[١]

ثانياً: الخلل الانفعالي

للخلل الانفعالي آثار وخيمة على النمو العقلي، وقد دلّت الدراسات والتجارب على أنّ: الكثير من الأطفال يتوقف نموهم الذكائي أو يبطئ بسبب ما يعانونه من حرمان عاطفي.[٢]

ودلّت الدراسات على:

أنّ جميع الانفعالات والاضطرابات النفسية تؤثر بإرسال الإشارات من الدماغ إلى الغدة الكظرية في الجسم، وهي الغدة فوق الكلية تفرز مادة الأدرنالين في الدم، وهذه المادة تسري في الجسم وتؤثر بصورة خاصة على عضلات الأوعية الدموية في الدماغ... فقد يصيبه تعب شديد وإجهاد مع عدم التركيز في الأمور وسرعة النسيان.[٣]

وللانفعالات أثر واضح في العمليات العقليّة؛ فالحالات التي يصحبها انفعال شديد، يختلّ فيها التفكير المنتظم، ولهذا كان من العبث مناقشة الغاضب مناقشة منطقيّة، لأنّ التفكير يرمي إلى ربط عدة أفكار بعضها ببعض، بينما الانفعالات تثبت في ذهن المرء فكرة واحدة، فالغاضب أو الحزين لا يسيطر على عقله إلّا فكرة واحدة، وهي التي أثارت غضبه أو حزنه.[٤]

ودلت الدراسات والملاحظات الميدانية والتجارب العلميّة: على أنّ للخوف أثره الواضح على كثير من العمليات العقليّة، فهو أحد العوامل الهامّة المؤدية إلى النسيان،

---

١. *إحياء علوم الدين*: ٨٢/٣

٢. *علم النفس العام*: ٣٤٥.

٣. *أسس الصحة والحياة*: ٢٩٩.

٤. *علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية*: ١٨١.

ودلّت الدراسات على أنّ: القلق يؤثر على استقبال وتخزين واسترجاع المعلومات».[١]

والحالات والظواهر الانفعالية، تمنع من التفكير السليم، وتمنع من التسلسل المنطقي في إدراك الحقائق، وتمنع من التروّي، وأشدها وطأة، هو الغضب السلبي الذي يجاوز حدّه ويحوّل إلى ممارسة سلوكية وعادة ثابتة تتأجج لأتفه الأسباب، وقد دلت الروايات على تأثيره في إعاقة وعرقلة النمو العقلي، كما ورد في أقوال الإمام علي عليه السلام:

«الغضب يفسد الألباب ويبعد عن الصواب».

«غير منتفع بالحكمة عقل معلول بالغضب والشهوة».[٢]

«الغضب مركب الطيش».

«بكثرة الغضب يكون الطيش».[٣]

«الحدة ضرب من الجنون؛ لأنّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مستحكم».[٤]

وللتعصّب أثره العلمي المتميز في تبني بعض المعقولات دون بعض، وغلق الذهن أمام مجالات واسعة من العلوم والأفكار.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّك للشيء يعمي ويصم».[٥]

ثالثاً: خلل المقدمات العقلية

حينما تكون المقدمات العقلية متسلسلة وتؤدى بتروي وبتوازن، فإنّ النمو العقلي يتخذ خطواته الطبيعية، ويحدث الخلل في المقدمات العقلية، فالغفلة الدائمة، والتسرّع، وطلب الفضول، والتمنيات غير الطبيعية، وإجهاد العقل، كل ذلك يساهم في إعاقة النمو العقلي، كما جاء في أقوال الإمام علي عليه السلام:

---

١. *مدخل علم النفس*: ٤٩٩.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٥.

٣. *المصدر*: ٣٠٢.

٤. *المصدر*: ٣٠١.

٥. *سنن أبي داود*: ٣٣٤/٤.

دوام الغفلة يعمي البصيرة.[١]

العجلة تمنع الإصابة.

لا إصابة لعجول.[٢]

ضياع العقول في طلب الفضول.

كفى بالمرء غفلة أنْ يصرف همّته فيما لا يعنيه.[٣]

الأماني تعمي أعين البصائر.

كثرة الأماني من فساد العقل.[٤]

إنّ للقلوب شهوة وإقبالاً، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإنّ القلب إذا أُكره عمي.[٥]

رابعاً: الموانع والمعوّقات النفسيّة

وهي الموانع النابعة من داخل النفس الإنسانيّة، بما تحمل من أهواء ورغبات، وما يتخللها من خصائص سلبيّة، وهي تشكّل غشاوة تسيطر على العقل وتمنعه من الانطلاق؛ لتعقل الأفكار والآراء والحوادث.

فالهوى يحجب عن الإنسان الرؤية بمنظار واقعي لما يحيط به، فلا يرى الأمور إلّا بما يتناسب مع الميول والأهواء حتى وإنْ كانت غير منطقية وغير واقعية، ولهذا أشار الإمام علي عليه السلام:

الهوى عدو العقل.

الهوى آفة الألباب.

سبب فساد العقل الهوى.

ما ضاد العقل كالهوى.

لا يجتمع العقل والهوى.

يسير الهوى يفسد العقل.[١]

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٢٦٧.

٢. *المصدر*: ٤٧٧.

٣. *نهج البلاغة*: ٥٢٤.

٤. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٥.

٥. *نهج البلاغة*: ٥٠٣.

وحذّر الإمامعليه السلام من حب الدنيا، لأنّه من الموانع والمعوقات عن التفكير الجدّي الواقعي، والنمو العقلي.

«سبب فساد العقل حب الدنيا».

«لحبّ الدنيا صمّت الأسماع عن سماع الحكمة، وعُميت القلوب عن نور البصيرة».[٢]

وحول دور الطمع في عرقلة النمو العقلي قالعليه السلام:

أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.[٣]

وحذّر الإمام موسى الكاظمعليه السلام منه فقال:

إيّاك والطمع، فإنّ الطمع مفتاح الذل، واختلاس العقل، واختلاف المروّات وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم.[٤]

وحذّر الإمام عليعليه السلام من الاغترار ببعض الإمكانات والطاقات لتأثيراتها السلبية على النمو العقلي فقال:

ينبغي للعاقل أنْ يحترس من: سكر المال، وسكر القدرة، وسكر العلم؛ وسكر المدح، وسكر الشباب، فإنّ لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار.[٥]

وللعجب تأثيره السلبي على النمو العقلي سواءً كان متعلقاً بالرأي أو بالقول أو بالسلوك.

قال الإمام عليعليه السلام:

«الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب»،[٦] «مَن أعجب بفعله أُصيب بعقله»، «المعجب لا عقل له»،[٧] «أول إعجاب المرء فساد عقله».[١]

---

١. *المصدر*.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٤.

٣. *تنبيه الخواطر*: ٤٩/١.

٤. *تحف العقول*: ٢٩٤.

٥. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٦.

٦. *المصدر*: ٦٥.

٧. *المصدر*: ٣٠٨.

خامساً: الموانع والمعوّقات الدينيّة

من الثوابت الدينية أنّ الله تعالى يفيض على العقول وينورها، لإدراك الحقائق والوصول إلى المعرفة الكاملة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً منحه عقلاً قويماً وعملاً مستقيماً».[٢]

وارتباط الإنسان بمنعم الوجود يجعله أهلاً لذلك اللطف والفيض، ونسيانه لله يكون سبباً لإغلاق منافذ ذلك اللطف، وبذلك يصبح العقل مضطرباً ومتأرجحاً لا يصل إلى قرار الحقيقة ومستودع المعرفة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه».[٣]

سادساً: الموانع الغريزية

للغرائز تأثيراتها الواضحة على الشخصية في عقلها وعاطفتها وإرادتها، وهي عوامل ضاغطة على عملية التدرّج المعرفي، فإذا تغلبت أطبقت على جميع عناصر التعقل وأعاقتها عن الحكمة والاتزان المنطقي.

وقد قسمت الروايات الغرائز إلى قسمين: عقل، وشهوة، وهما يتصارعان ليكوّنا الشخصيّة الإنسانيّة، وقد دلت الروايات أيضاً على التضاد بين الشهوة والعقل وعلى إعاقتها للنمو العقلي في جميع مراحله، قال الإمام علي عليه السلام:

«ذهاب العقل بين الهوى والشهوة».[٤]

«لا عقل مع الشهوة»، «قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل».[١]

---

١. *تحف العقول*: ١٥٢.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ٥٠.

٣. *المصدر*: ١٩٠.

٤. *المصدر*: ٦٥.

«إياك والشهوات، وليكن ممّا تستعين به على كفّها، علمك بأنّها ملهية لعقلك، مهجنة لرأيك، شائنة لغرضك، شاغلة لك عن معاظم أمورك».[٢]

والتجربة شاهدة، بأنّ من ينقاد لهذه الشهوة ـ الجنسيّة خصوصاً ـ ويسعى في تكثير ما يهيجها من النساء وتجديدهنّ والتخيّل والنظر، وتناول الأغذية والأدوية المحرّكة لها، يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر، وقد ينجر إفراطها إلى سقوط القوّة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل... والوقاع أضرّ الأشياء بالدماغ.[٣]

فالإفراط والتفريط هو الذي يؤدي إلى الاختلال والاضطراب العقلي على حدٍّ سواء.

سابعاً: الموانع السلوكيّة

وهي الموانع النابعة من السلوك والفعل الخارجي في الواقع العملي، وقد تكون بعض الموانع السلوكيّة متداخلة مع الموانع النفسية لصعوبة التمييز بينها.

وأوّل الموانع: التناقض بين العلم والسلوك، حيث إنّ ترك العمل بالعلم، أو بالقواعد العقليّة والمنطقيّة، أو عدم تطبيق ما تعلّمه في الواقع، كلّ ذلك يؤدي إلى إبقاء المعرفة في حدود ذهنية ضيقة، وعدم ترسّخها في وجدان الإنسان.

قال الإمام علي عليه السلام: «العلم يهتف بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل».[٤]

والتكبر كمظهر سلوكي ونفسي يمنع من النمو العقلي، حيث يتوقف في بعض المراحل الزمنية من النمو، إمّا لضيق رؤية القضايا والنظر إليها من منظار ضيق، وإمّا لغلق منافذ المعرفة والتعقل وعدم الانفتاح مع موجبات النمو.

---

١. *المصدر*: ٣٠٥.

٢. شرح *نهج البلاغة*: ٢٠/٢٦٥.

٣. *جامع السعادات*: ٢/١٠.

٤. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٥.

قال الإمام علي عليه السلام:

«شر آفات العقل الكبر»، «لا يتعلم من يتكبر»،[1] «التكبر عين الحماقة».[2]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

ما دخل قلب امرئ من الكبر شيئاً إلّا نقص عقله مقدار ذلك.[3]

وبيّن الإمام علي عليه السلام آثار الاستبداد بالرأي على النمو العقلي فقال:

«من استبد برأيه هلك»،[4] «من استغنى بعقله زل»،[5] «الاستبداد برأيك يزلّك ويهوّرك في المهاوي»، «المستبد متهوّر في الخطأ والغلط»،[6] «لا رأي لمن انفرد برأيه».[7]

وذكر الإمام علي عليه السلام موانع عديدة: كاللهو، واللجاجة، والخصومة، والنفاق، وعدم الحلم، وقلة الورع.

وقال أرسطو:

الرذيلة تفسد العقل وتجرّنا إلى الخطأ في المبادئ التي يجب أنْ تقود أفعالنا، والنتيجة الواضحة لكل هذا هي: أنّه محال أنْ يكون الإنسان مدبّراً في الواقع ما لم يكن فاضلاً.[8]

وقال الدكتور الكسيس كارل:

فكلّ خطيئة تؤدي إلى اضطرابات عقليّة أو اجتماعيّة، وهي اضطرابات لا يمكن علاجها على وجه العموم، فإذا كانت التوبة لا تشفي تليّف الأنسجة لدى السكّير، أو الأمراض العصبيّة لدى أولاده، فإنّها تعجز أيضاً عن إصلاح الاضطرابات

---

١. *المصدر*: ٦٥.

٢. *المصدر*: ٣٠٩.

٣. *سير أعلام النبلاء*: ٤٠٨/٤.

٤. *نهج البلاغة*: ٥٠٠.

٥. *الكافي*: ١٩/٨.

٦. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٥.

٧. *بحار الأنوار*: ٣٢٦/٧٥.

٨ *علم الأخلاق*: ١٤٩/٢.

الناجمة عن الحسد والإسراف الجنسي والغيبة والنميمة والبغضاء، كما أنّها كذلك لا تبعد الشقاء عن الشواذ الذين يولدون لأبوين مصابين بالعيوب.[١]

وقال سير رتشرد لفنجستون:

إنّ الإصلاح هو الأساس الذي تقوم عليه سلامة النفس البشرية وجمالها وهناؤها، والإثم هو الذي يفضي بها إلى السقم والضعف والتشويه.[٢]

ثامناً: العوامل الإقتصادية المتدنيّة

العوامل الاقتصادية المتدنيّة والرديئة والمتدهورة، تخلق ظروفاً معقدة تؤثر على جميع خصائص ومقومات النمو في جميع مجالاته، حيث يساهم الفقر والعوز المادي في خلق أوضاع قلقة ومضطربة ومنها:

١. سوء التغذية.

٢. الحرمان من الرفاهية في الملبس قياساً للآخرين.

٣. الحرمان من السكن المناسب حيث لا يجد الطفل مكاناً كافياً للقراءة والمطالعة.

٤. الشعور بالإحباط وكثرة الهموم.

٥. عدم القدرة على مواصلة التعلّم.

٦. كثرة المشاكل الأُسرية.

وهذه الظروف تمنع من التفكير الهادئ المنطقي، وتصرف العقل عن اهتماماته الأساسية إلى اهتمامات هامشية.

قال الإمام علي عليه السلام:

«إنّ الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم»، «الفقر يخرس الفطن عن حجته»، «الفقر ينسي».[٣]

---

١. *تأملات في سلوك الإنسان*: ٩٤.

٢. *توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي*: ٥٨.

٣. *تصنيف غرر الحكم*: ٣٦٥.

التنمية العقلية

العقل بحاجة إلى تنمية متواصلة وعناية إضافية واهتمام دائم تبدأ بتجاوز موانع نموه المتقدّمة وتتواصل باتخاذ الوسائل والممارسات الدخلية في التحريك والبعث إلى الأمام باتجاه النمو والتكامل والارتقاء.

وفيما يلي نستعرض بإيجاز خطوات وآليات التنمية العقليّة:

أولاً: الارتباط بالله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[1]

وقال الإمام علي عليه السلام: «دوام الذكر ينير القلب والفكر».[2]

وذكر ﷺ قوى العقل بعشرة أشياء فقال:

وقواه بعشرة أشياء: اليقين، والإيمان، والصدق، والسكينة، والوقار، والرفق، والتقوى، والإخلاص والعطيّة، والقنوع، والتسليم، والرضا، والشكر.[3]

---

١. *جامع الأخبار*: ٢٤٩.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ١٨٩.

٣. *إرشاد القلوب*: ١٩٧.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّ وجلّ أربعين يوماً ـ أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عزّ وجلّ أربعين يوماً ـ إلّا زهّده الله عزّ وجلّ في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه.[١]

ثانياً: الاهتمام بالصحة الجسميّة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

كلوا اليقطين، فلو علم الله أنّ شجرة أخفّ من هذه، لأنبتها على أخي يونس، إذا اتخذ أحدكم مرقاً فيه من الدباء، فإنّه يزيد في الدماغ وفي العقل.[٢]

والدباء: نوع من اليقطين.

وقال صلى الله عليه وآله: «سافروا فإنّكم إنْ لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً».[٣]

وقال أيضاً:

«ما طابت رائحة عبد إلّا ازداد عقله»، «الريح الطيبة تشد العقل».[٤]

وهنالك روايات عديدة في مجال تأثير الغذاء على النمو العقلي.

ثالثاً: التعلّم

قال الإمام علي عليه السلام: «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة».[٥]

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «آداب العلماء زيادة في العقل».[٦]

---

١. *الكافي*: ١٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص.

٢. *إرشاد القلوب*: ١٩٧.

٣. *مكارم الأخلاق*: ١٧٧.

٤. *دعائم الإسلام*: ١٦٥/٢ ـ ١٦٦.

٥. *إرشاد القلوب*: ١٩٨.

٦. *تحف العقول*: ٢٠٥.

وقيل للإمام جعفر الصادقعليه السلام: هل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال:

إنّ العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته، علم أنّ الله هو الحق، وأنّه هو ربّه، وعلم أنّ لخالقه محبّة، وأنّ له كراهية، وأنّ له طاعة، وأنّ له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنّه لا ينتفع بعقله، إنْ لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلّا به.[١]

وحثت الروايات على مصاحبة العاقل وإنْ كان مخطئاً في بعض مواقفه، فمصاحبته تزيد من النمو العقلي.

قال الإمام عليعليه السلام:

عليك أنْ تصحب ذا العقل وإنْ لم يحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم، فإنْ لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كل الفرار من اللئيم الأحمق.[٢]

ومن آليات التعلّم: السؤال والبحث.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

العلم خزائن، ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فإنّه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلّم والمستمع والمحب لهم.[٣]

وقالصلى الله عليه وآله: «سائلوا العلماء، وخاطبوا الحكماء، وجالسوا الفقراء».[٤]

وذكر الإمام الشافعي، شروط نيل العلم فقال:

أخي لن تنال العلم إلّا بستة ... سأنبيك عن تفاصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان[٥]

---

١. *الكافي*: ٢٩/١، كتاب العقل والجهل، ح ٣٤.
٢. *المحجة البيضاء*: ٣١١/٣.
٣. *تحف العقول*: ٢٨.
٤. *المصدر*.
٥. *ديوان الإمام الشافعي*: ١٣٣.

وقسّم رسول اللهﷺ مراحل العلم فقال:

أوّل العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث العمل به، والرابع نشره.[١]

رابعاً: التجربة

قال الإمام عليعليه السلام:

«العقل غريزة تربّيها التجارب»،[٢] «والعقل حفظ التجارب».[٣]

ويفهم من أقوال رسول اللهﷺ أهمية التجربة حيث يقول:

«لا حليم إلّا ذو عثرة، ولا حكيم إلّا ذو تجربة».[٤]

«لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين».[٥]

خ الاستفادة من تجارب الآخرين، ومن البحث والتنقيب، تكراراً ودواماً.

خامساً: تقسيم الوقت

قال رسول اللهﷺ:

ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً يكون له أربع ساعات من النهار:

ساعة يناجي فيها ربه.

وساعة يحاسب فيها نفسه.

وساعة يأتي أهل العلم الذين يبصّرونه أمر دينه وينصحونه.

وساعة يخلي بين نفسه ولذّتها من أمر الدنيا فيما يحلّ ويجمل.[٦]

---

١. *دعائم الإسلام*: ٨٢/١

٢. شرح *نهج البلاغة*: ٣٤١/٢٠.

٣. *نهج البلاغة*: ٤٠٢.

٤. *سنن الترمذي*: ٣٧٩/٤.

٥. *سنن أبي داود*: ٢٦٦/٤.

٦. *روضة الواعظين*: ٤.

سادساً: التفكير المتواصل

التفكير المتواصل ينمّي العمليات العقليّة، ويضمن الاستقامة والرشاد، وقد وضّح الإمام عليّ عليه السلام آثاره في التنمية العقليّة فقال:

«نبّه بالتفكر قلبك»،[1] «الفكر جلاء العقول»، «لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة»، «بالفكر تنجلي غياهب الأمور»، «صواب الرأي بإجالة الأفكار»، «من أكثر الفكر فيما تعلّم أتقن علمه وفهم ما لم يكن يفهم».[2]

خطوات تفصيلية للتنمية العقليّة:

١. التوكّل على الله، وطلب العون منه.

٢. الاقتداء بأرقى نماذج الشخصيّة الإنسانيّة.

٣. رفض الممارسات الخاطئة، كالتعصّب والاستبداد بالرأي والكبر.

٤. عدم اللهو، وعدم تشتيت الانتباه.

٥. مجانبة الأهواء.

٦. التوازن في إشباع الحاجات الأساسيّة.

٧. تطوير أساليب التعليم باستمرار.

٨. التدريب على استخدام الأسلوب العلمي في التفكير.

٩. تنظيم برامج علاجيّة لجميع مظاهر التخلّف في النمو العقلي.

١٠. إتاحة حرية التفكير، واستخدام الطرق الجديدة لحلِّ المشاكل.

١١. جعل مستوى الطموح ممكن التحقيق، ومتناسباً مع قدرات الإنسان في هذه المرحلة.

١٢. تكثيف نشاط وسائل الإعلام الصالحة.

١٣. تهيئة الأجواء المناسبة لقضاء أوقات الفراغ بما يساهم في تنمية الوعي والإدراك.

---

١. *الكافي*: ٢/٥٤.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ٥٧.

١٤. إقامة المسابقات العقليّة والفكريّة.

١٥. مواصلة إجراء الاختبارات العقليّة وتطويرها.

١٦. إقامة المناظرات العقليّة الدورية.

١٧. إشراك الأطفال في حلِّ المسائل والقضايا المختلفة.

١٨. إشراك الأطفال في وضع الخطط والبرامج التي تساهم في بناء وتطوير المدنيّة والحضارة.

١٩. التشجيع الدائم لجميع المستويات العقليّة.

٢٠. إصلاح البيئة العلميّة والثقافيّة.

خصائص النمو العقلي وآثاره العمليّة

للنمو العقلي الدور الأساسي في تغيير جميع مظاهر النمو للشخصيّة، حيث يدفعها للمضي في حركتها نحو التكامل والارتفاع إلى مستوى الأمانة والمسؤولية التي خلق الإنسان من أجلها، ويدفعها للتطلّع إلى آفاق أعلى وإلى اهتمامات أرفع؛ لتكون متفاعلة مع سمو المقاصد ونيل الأهداف.

والنمو العقلي، يجعل صاحبه مستبيناً لطريقه، عارفاً بالعوامل والسنن المتحكّمة بالكون والحياة والمجتمع، يميّز بين الصواب والخطأ، فلا يختلط عليه شيء مهما اختلطت العناوين والأسماء والصفات، ولا ينخدع بالمظاهر والظواهر، ويكشف الأخطاء ويعالجها، ويحدد الأوْلويات في حركته الحيّة في جميع مظاهرها، واضح الرؤية للحاضر والمستقبل، يعمل على تطوير الأساليب والآليات لتلائم مختلف الأهداف والغايات، وتكون لديه القدرة على التحليل الشامل للأسباب والعوامل الفاعلة في الحركة التاريخيّة والاجتماعيّة، والنتائج المترتبة في الواقع الموضوعي.

والنمو العقلي، يجعل صاحبه متجهاً سائراً نحو الكمال في جميع مظاهر النمو: الديني، والانفعالي، والاجتماعي والأخلاقي، وجميع مظاهر النمو الأفضل، هي من ملازمات النمو العقلي السليم، ولا نبالغ إنْ قلنا: بأنّ جميع مظاهر النمو تتناسب طردياً

مع النمو العقلي، ولهذا نجد ملازمة واضحة بين جميع مظاهر النمو العقلي في أرقى نماذج الشخصيّة الإنسانيّة؛ فحسن السيرة وصلاح الأخلاق، وحسن التكيّف الاجتماعي من خصائص وملازمات الأصحاء عقلياً، فالنمو العقلي السليم يوجّه الشخصيّة للإيمان بما وراء الطبيعة، والإيمان بالقوة المُنعمة للوجود، والمراقبة للإنسان في حركته ومسيرته، وقد أثبتت الدراسات هذه الحقيقة وكما قيل:

الإنسان حيوان يستطيع التقدّم والتطوّر عبر الفكر والروح والعقل، فيقترب بذلك من الله... ولعل ما يجعل الإنسان في هذه المنزلة من الاقتراب من الله، هو العقل البشري الخلّاق المبدع المفكّر الذي يستطيع أنْ يبلغ بالتفكير تصور وجود الله.[١]

ودلت الدراسات على «أنّ الذكاء يساعد على التكيّف للمشكلات»[٢] وبالتالي إلى القدرة على التكيّف الاجتماعي.

ومن خلال النظرة إلى الواقع نرى، أنّ الصلاح من ملازمة النضج العقلي السليم، ولذا فإنّ الفيلسوف (كانت) لا يستطيع أنْ يتصور إنْساناً عقلانياً يؤذي أخاه ويفتعل الشر.[٣]

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام آثار العقل السلوكيّة والعمليّة فقال:

وأفضل قِسم الله للمرء عقله، فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمان للمرء عقلَه، فقد، كمُلت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنّه على العقل يجري علمه وتجاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإنْ كان محظوراً عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله وإنْ كرمت أعراقه ومناصبه

ومن كان غلّاباً بعقل ونجدةٍ فذو الجدّ في أمر المعيشة غالبه[٤]

---

١. *فلسفة في التربية والحرية*: ١٢٦.

٢. *الطفل السوي وبعض انحرافاته*: ٣٣٣.

٣. *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*: ٢٧٢.

٤. *ديوان الإمام علي*: ٣٧.

وفيما يلي نستعرض الروايات الشريفة المتعلّقة بخصائص النمو والنضج العقلي، والآثار العمليّة المترتّبة عليها، ومنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»،[1] «إنّما يدرك الخير كلّه بالعقل ولا دين لمن لا عقل له»،[2] «العقل نور في القلب يفرّق بين الحق والباطل»،[3] «رأس العقل بعد الدِين: التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كلّ برٍّ وفاجر».[4]

«صفة العاقل أنْ يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن دونه، ويسابق من فوقه في طلب البرّ، وإذا أراد أنْ يتكلّم تدبّر، فإنْ كان خيراً تكلّم فغنم، وإنْ كان شراً سكت فسلِم، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقه الحياء ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل».[5]

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال:

«العاقل من رفض الباطل»،[6] «همّة العاقل ترك الذنوب وإصلاح العيوب»،[7] «أعقل الناس أقربهم إلى الله»، «أعقل الناس أبعدهم عن كل دنيّة»، «أعقل الناس أنظرهم في العواقب».[8]

«ما آمن المؤمن حتى عقل».[9] «على قدر العقل يكون الدين»، «العقل مصلح كل أمر».[10]

«العقل شفاء»، «العقل يحسّن الرؤية»، «العقل يوجب الحذر»، «أسعد الناس العاقل»، «بالعقل تنال الخيرات»، «بالعقل كمال النفس»، «ثمرة العقل الاستقامة»،

---

١. *روضة الواعظين*: ٤.

٢. *تحف العقول*: ٣٨.

٣. *إرشاد القلوب*: ١٩٨.

٤. *الأربعين حديثاً في حقوق الإخوان*: ٤٤.

٥. *بحار الأنوار*: ١٢٩/١.

٦. *المصدر*: ١٥٩/١.

٧. *المصدر*: ١٦٠/١.

٨ *تصنيف غرر الحكم*: ٥٢.

٩. *المصدر*: ٥٠.

١٠. *المصدر*: ٥١.

«ثمرة العقل مداراة الناس»، «زيادة العقل تنجي»، «إذا أكمل العقل نقصت الشهوة»، «من كمل عقله استهان بالشهوات»، «من عقل عفّ».[١]

«إنّ الصبر من قوى العقل؛ وبقدر موادّ العقل وقوتها يقوى الصبر».[٢]

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال:

دعامة الإنسان العقل، ومن العقل: الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً زكيّاً فطناً فهماً، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصّره ومفتاح أمره.[٣]

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تمَّ عقل امرء حتى يكون فيه خصال شتّى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره، ويستقلّ كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلّهم خيراً منه، وأنّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر».[٤]

ومن آثار النمو العقلي الإيجابية، القناعة، فالقناعة بدورها تجعل الإنسان يعيش الهناء والسعادة وإنْ كان فقيراً محتاجاً.

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرّع إلى الله عز وجل في مسألته بأنْ يكمل عقله، فمن عَقَل قَنع بما يكفيه، ومن قَنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.[٥]

والنمو العقلي له دور ملحوظ في النمو الديني، وهو بدوره يساعد على الاطمئنان

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٥٢ ـ ٥٣.

٢. شرح *نهج البلاغة*: ٢٠/٢٦٠.

٣. *بحار الأنوار*: ١/٩٠.

٤. *الكافي*: ١/١٩.

٥. *المصدر*: ١٨، كتاب العقل والجهل ح ١٢.

والاستقرار النفسي، أو التوازن النفسي، وهو المرتع الخصب للهناء والسعادة والسرور.

قال الإمام علي عليه السلام:

من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير احتملته عليها، واغتفرت فقد ما سواها، ولا أغتفر فقد عقل ولا دين، لأنّ مفارقة الدين مفارقة الأمن، فلا يتهنأ بحياة مع مخافة، وفقد العقل فقد الحياة، ولا يقاس إلّا بالأموات.[١]

وللنمو العقلي دور ملموس في النجاح وحسن العاقبة في كلِّ أموره، فله دور في العفّة والطهارة والتكيّف الاجتماعي، وعدم الوقوع في حبائل المغريات، حيث يكون في قمّة الوعي لتمييز الخطأ من الصحيح، حيث لا تلتبس عليه الأمور التي تواجهه في الحياة.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لا يفلح من لا يعقل، ولا يعقل من لا يعلم، وسوف يَنجب من يفهم، ويَظفر من يحلم، والعلم جُنّة، والصدق عزّ، والجهل ذلّ، والفهم مجد، والجود نجح، وحسن الخلق مجلبة للمودة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس، والحزم مسائلة الظن، وبين المرء والحكمة نعمة العالم، والجاهل شقي بينهما، والله وليّ من عرفه وعدوّ من تكلّفه، والعاقل غفور والجاهل ختور... ومن خاف العاقبة تثبّت عن التوغل فيما لا يعلم، ومن هجم على أمر بغير علم جدع أنْف نفسه، ومن لم يعلم لم يفهم، ومن لم يفهم لم يسلم، ومن لم يسلم لم يكرم، ومن لم يكرم يهضم، ومن يهضم كان ألوم، ومن كان كذلك كان أحرى أنْ يندم.[٢]

وضعف النمو العقلي له آثاره السلبيّة على الدين والدنيا.

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكّره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله، أفسد دينه ودنياه.[٣]

---

١. *المصدر*: ٢٧، كتاب العقل والجهل، ح ٣٠.
٢. *المصدر*: ٢٧، كتاب العقل والجهل، ح٢٩.
٣. *المصدر*: ١٧، كتاب العقل والجهل، ح ١٢.

القسم الرابع

النمو الديني

التديّن حاجة فطرية

التديّن أو الحاجة للارتباط بالمطلق، أو الغيب، بالإيمان بالخالق العظيم، وبإحاطته بسكنات وحركات الإنسان، وتحكّمه في الكون والحياة، واستشعار لطفه ورقابته، والإيمان بوجود يوم للثواب والعقاب هو حاجة فطرية مغروزة في النفس الإنسانية، وتنسجم مع العقل السليم الذي يؤمن بقانون العليّة، وقد دلّت الدراسات الميدانيّة التي قام بها أصدقاء لنا في بريطانيا وأمريكا والسويد والهند وروسيا، بأنّ أغلب الأطفال في السن الرابعة فما فوق، يسألون عن صانعهم وخالقهم، وهم لا يقتنعون بأنّهم خُلقوا دون خالق كبير وعظيم.

فالتدّين حاجة فطرية كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصّرانه ويمجسانه».[1]

والظاهر من الرواية الشريفة أنّ المولود يولد على فطرة الإسلام وليس على فطرة الدين المطلق، حيث تلعب التربية والإيحاء والتلقين، الدور الأكبر في تحريف وتزييف هذه الفطرة، بمعنى أنّ المولود يولد على فطرة الإيمان بآخر الرسل، أو الإيمان بوجود رسول للمرحلة الزمنية التي نعيشها.

---

١. *سنن الأوزاعي*: ٣٠.

والبرهان الساطع على فطرية التديّن هو:

ما أطْلعنا عليه علم الأنثروبولوجيا من انتحاء النفس البشرية عبر تاريخها الطويل، نحو التعبّد لشيء أو لشخص أو لإله، وبرهان أكثر سطوعاً هو ما يكتشفه التحليل النفسي من احتضان الإنسان لمشاعر التعبّد للمحبوب والاحترام والخشوع لله، وعن أنْ ضعف الوازع الديني أو زواله من النفوس قد سبب العديد من الأمراض النفسية... .

إنّ العديد من علماء النفس يعتقدون أنّ التديّن ضرورة قصوى من ضرورات الحياة البشرية، وانّ الإنسان متديّن بطبعه، وإنّ للعاطفة الدينية أصلاً عميقاً في الإنسان... إنّها عاطفة الاحترام بل الحبّ الذي تحسّه النفس نحو ما يعلو عليها.[١]

فوجود نظام بديع وعجيب يحوي ملايين بل مليارات الكواكب، ووجود نظام بديع للكائنات الحيّة ومنها الإنسان بعقله وأنسجته الداخلية ووظائفها وطريقة عملها، واختلاف صور وأشكال وبصمات الإبهام عند جميع البشر، كلٌّ ذلك يرشدنا إلى الفطرة السليمة بالإيمان بوجود قوة غيبية عاقلة مدبرّة لهذا الكون ومتحكّمة فيه.

وقد دلت التنقيبات على:

إنّ الإنسان حتى في أدوار ما قبل التاريخ، كان متأثّراً بفكرة الدين، فبشر (نندرتال) مثلاً كان يعيش في الدور الحجري قبل نحو مائة ألف سنة، ظهر بين مخلفاته ما يدل على أنّه متأثر بالدين، وعثر علماء البشريات في أنحاء أوروبا الغربية والشمالية، على آثار لمقابر دفن البشر الأوّل موتاه فيها، وقد أقام حول القبور أحجاراً كبيرة ووضع سقفاً من حجرة ضخمة.[٢]

ودلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على:

إنّ لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة ديناً، يسيرون على هديه ويخضعون لتعاليمه.[٣]

---

١. *فلسفة في التربية والحرية*: ١٢١.

٢. *تاريخ الأديان وفلسفتها*: ٩.

٣. *التكامل في الإسلام*: ٣/٤.

وفيما يلي نستعرض أقوال بعض العلماء والمفكّرين والباحثين حول نشأة التديّن، والحاجة الفطرية إليه:

جان ـ ر ـ إيورث:

لو كنا نعتقد أنّ التاريخ دليل صادق في الكشف عن حقيقة الإنسان لاستطعنا أنْ نقول: إنّ الإنسان كان يشعر دائماً من أعماق نفسه بضرورة الخضوع للمبدأ الأعلى الذي يفوقه كمالاً وقوة ويجمع كل وجوه الخير والخلق... ولا يمكن أنْ نجد في التاريخ أمة ولا حضارة إلّا أنْ تكون مقترنة بلون من ألوان الشعور الديني، ويمتد جذور هذا الشعور الأصيل في النفس إلى أعماق من التاريخ، لم ينكشف للإنسان شيء كثير من ملامحه بعد.[١]

الكسيس كارل:

في عقيدتي، أنّ الشعور الديني ينبع من أعماق الفطرة ويشكل غريزة أصيلة، ونزوعاً أصيلاً في نفس الإنسان... وكما يحتاج الإنسان إلى الماء والهواء كذلك يحتاج إلى الله.[٢]

كارل يونغ:

إنّ التدين، من النزعات الأساسية في الإنسان تلك التي تكمن في اللاوعي... والدين عبارة عن شعور بالاحترام والخشوع والحبّ والتعلّق بالمعبود، وهو تلك القوة في اللاوعي التي تسيطر على عناصر اللاوعي، وتنظم سلوك الإنْسان وتجعله سوياً، فتنقذه من الأمراض العصبيّة.[٣]

ويليام جيمس:

مهما كانت دوافع رغباتنا ومحركها قد نبعت من هذا العالم، فإنّ أغلب رغباتنا وأمنياتنا نبعت من عالم ما وراء الطبيعة؛ لأنّ أغلبها لا يتّفق والمقايسات الماديّة.[٤]

---

١. *دور الدين في حياة الإنسان*: ١٠٥، عن: موقع الدين من التجارب.

٢. *المصدر*: ١٠٦، عن: كتاب الدعاء.

٣. *تربية الإنسان الجديد*: ٣٩ ـ ٤٠.

٤. *الإنسان والإيمان*: ٢٣.

جورج سارتن:

إنّ الفن يظهر الجمال... والدين يجلب الحب... والعلم يتعامل مع الحق والصدق والعقل، ويكون سبباً في ذكاء النوع البشري، ونحن محتاجون إلى هذه الثلاثة، إلى الفن، وإلى الدين، وإلى العلم أيضاً، والعلم بصورة مطلقة واجب للحياة، ولكنّه لا يكفي لوحده.[١]

أريك فروم: «لا يوجد شخص لا يحتاج إلى دين».[٢]

المسيو بوشيت:

إنّ اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق اعتقاداً اضطراراً، قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده، مهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفولته، فلا يستطيع أنْ يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق، تلك العقيدة التي نشأت صامتة، وصار لها اكبر الآثار في حياته.[٣]

برودون: «إنّ ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أنْ تكشفه لنا عقولنا».[٤]

معجم لاروس للقرن العشرين:

إنّ الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانيّة... وإنّ الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالميّة الخالدة للإنسانية».[٥]

ونحن نرى أنّ الناس جميعاً مجبولون على الإيمان بالخالق تعالى، حيث تبدأ تساؤلات الإنسان منذ طفولته عن نشوء الكون ونشوئه هو، وعن مصيره في الحياة والممات، وعن جميع ما يتعلّق بالغيب وما وراء الطبيعة، والناس متساوون في موجبات

---

١. *المصدر*.

٢. المصدر.

٣. *دائرة معارف القرن العشرين*: ٤٨٣/١.

٤. المصدر.

٥. *الدين*: ٨٢

الهداية وموحيات الإيمان، فهي ممتزجة بكيانهم الذي زودتهم به الفطرة. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[١]

مراحل التديّن

تبدأ تساؤلات الإنسان عن نشوء الكون ونشوئه ونشوء ما يحيط به، منذ مرحلة الطفولة المبكّرة، وعلى الرغم من محدودية مدارك الطفل العقليّة والوجدانيّة، فإنّه مهيأ لقبول فكرة الخالق والصانع وواهب الوجود، لأنّ الإيمان حاجة فطرية وغريزة إنسانية مودعة في أعماق الوجدان.

ففي مرحلة الرضاعة وخصوصاً قبل نهايتها، قد يردد الطفل ما سمعه من كلمات: الله، الجنة، النار، الأنبياء، الملائكة.

وحينما يبدأ نموه اللغوي والعقلي بالتوسع فإنّه يردد هذه الكلمات، ويدرك معناها ولكنّه يتصورها أموراً محسوسة، فيدرك أنّ الله صانعه، ولكنّه يتصوره شيئاً مجسّماً أكبر وأضخم من الإنسان، ويفهم أنّه بعث أنبياءً للناس، ويكون تصوره عن الملائكة بأنّهم أجسام على هيئة الطيور الكبيرة ذوات الأجنحة، ويتصوّر الشيطان بأنّه وحش كبير أسود اللون، ويتصوّر أنّ الجنة حديقة زاهية، وأنّ النار هي أكبر من هذه النار وموجودة في مكان آخر.

وحينما يتقدم في العمر تبدأ تساؤلاته بالظهور عن حقيقة الله تعالى، وما هي كيفيته، وأين مكانه، ولماذا لا نراه؟ ومن خلق الله؟ وأين تسكن الملائكة وغيرها من الأسئلة، فتتكون لديه صورة عن هذه الوجودات الغيبيّة تتناسب مع أجوبة والديه أو معلميه.

---

١. لقمان: ٢٥.

وبازدياد نموه العقلي ونموه العلمي ونموه الاجتماعي، يقتنع بأنّ الله تعالى أمر غيبي ليس كمثله شيء وهو نور مطلق، باستثناء بعض الذين يعيشون في محيط وثني، أو محيط ديني يؤمن بالتجسيم، فإنّه يتصور بأنّ الله أشبه بالإنسان ولكنّه عظيم، ضخم الرأس والبدن والأطراف.

والطفل وإنْ كان يعيش في بيئة ملحدة إلّا أنّه يبقى يتسائل: من صنعنا؟ أو من صنع الإنسان الأول؟ فيحصل على الجواب المناسب لمتبنيات تلك البيئة، بأنْ يقال له: بدأ الإنسان خلية، ثمّ كائن حي صغير مائي أو برمائي ثمّ تطوّر نموّه بمرور ملايين السنين؛ ليصبح ما عليه من الصورة الحالية.

ويتأثّر الطفل في مراحله الأولى بوالديه، فيكون مقلِّداً لهما في كلِّ شيء بما في ذلك الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة، فينعكس إيمانهما عليه من حيث القوة والضعف والأصالة والسطحية، ومن حيث مصاديق التديّن العملية في الواقع الموضوعي، فالطفل يؤمن بالمفاهيم الدينية بالشكل والدرجة التي تحددها كلمات الوالدين، وبما يشاهده من انطباق القول مع الممارسة العملية؛ لأنّه في دور التقليد والمحاكاة إضافة إلى ثقته المطلقة بهما.

وإذا نظرنا بموضوعيّة وإمعان في مظاهر التدين لاستطعنا القول: بإنّ درجات الارتباط بالخالق تتناسب طردياً مع درجات الارتباط والعلاقة بالوالدين، فإنّ عمق العلاقة بهما وما يترتب عليها من حبّ وحنان وتقديس تجعل الطفل في نفس درجة الحب والحنان والتقديس للخالق الذي يؤمنان به، حيث إنّ الطفل يرسم في ذهنه صورة للخالق منتزعة من صورة والديه وتزيد عنها من حيث الإجلال والإكبار.

والطفل يراقب والديه من حيث درجات الارتباط بالله، فإذا وجد صدق والديه في الإيمان فسيكون صادقاً، وإذا وجد أنّهما غير صادقين أو منافقي الموقف، فهو يتأثر بهما ولهذا نتوقع صعوبة جذبه للإيمان والتدين في هذه المرحلة وفي مراحل العمر القادمة.

ويتناسب الوعي الديني تناسباً طردياً مع النمو العقلي المصحوب بالتربية الصالحة وبالرعاية الإلهية، لذا نجد الأنبياء والأولياء، قد كانوا في أعلى درجات الوعي الديني وهم في عمر الصبا.

والطفل كصاحب فطرة سليمة وبريئة أسرع من الراشد في تقبل العقيدة الدينيّة، وهو في مراحل حياته الأولى، وهو في طور البحث عن الحقيقة وفي طور التقليد ومحاكاة أفكار والديه.

عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول، وأنا أسمع: أتيتَ البصرة؟ فقال: نعم، قال كيف مسارعة الناس إلى هذا الامر ودخولهم فيه؟ قال: والله، لقليل، ولقد فعلوا وإنّ ذلك لقليل، فقال عليه السلام: «عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلِّ خير».[1]

مقوّمات النموّ الديني

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الإيمان عقد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»، «الإيمان قول معقول، وعمل معمول، واتباع الرسول، وعرفان بالعقول».[2]

«الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقر، وثمره العلم».[3]

«الإيمان عفيف عن المحارم، وعنيف عن المطامع».[4]

وقال الإمام علي عليه السلام: «جماع الدين في إخلاص العمل، وتقصير الأمل، وبذل الاحسان والكفّ عن القبيح».[5]

١. *الكافي*: ٩٣/٨.
٢. *فردوس الأخبار*: ١٤٨/١.
٣. *المصدر*: ١٤٩.
٤. *فردوس الأخبار*: ١٥٠.
٥. *تصنيف غرر الحكم*: ٨٥

الدين منهج الحياة، وهو عقد في القلب وحركة في الواقع، تترجم فيها التصورات والنصوص والافكار إلى علاقات وارتباطات وممارسات عمليّة، وهو ليس كلمة تقال فحسب، بل هو واقع حركي ينمو ويتدرج في النمو ليسمو صاحبه عن طريق النشاط والفعاليّة والحركة الدؤوبة.

ومن أهم مقومات النمو الديني:

١. إخلاص النيّة

قال الإمام علي عليه السلام:

«جميل النيّة سبب لبلوغ الأمنية»، «عوّد نفَسكَ حسن النيّة وجميل المقصد تدرك في مباغيك النجاح»، «تقرّب العبد إلى الله سبحانه بإخلاص نيته»، «على قدر الدين يكون خلوص النية».[1]

إخلاص النية يبعث صاحبها إلى النشاط والحركة باتجاه إصلاح النفس وتغييرها بمفاهيم وقيم الدين، وتحكيمها في فكره وعقيدته وسيرته، فيتسامى في سلم الإيمان والتديّن إلى أنْ يصل إلى الآفاق العليا.

٢. استشعار الرقابة الإلهية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل إيمان المرء أنْ يعلم أنّ الله معه حيثما كان».[2]

إنّ استشعار الرقابة الإلهية تجعل الإنسان مرتبطاً بغاية وهدف فلا عبث ولا لهو، بل تكون أفكاره وعاطفته وإرادته متّجهة نحو المطلق المهيمن، ويتتبعها سلوكه في نفس الاتجاه، فيبتعد عن التخبّط والتمزّق والمزاجيّة ويتوجّه نحو الآفاق العليا، واستشعار الرقابة الإلهية يزرع في أعماقه حالة التقديس للمنهج الموضوع من قبل المطلق العليم،

---

١. *المصدر*: ٩٢ ـ ٩٣.

٢. *جامع الأخبار*: ١٠٤.

وهذا التقديس يدفعه للعمل الدؤوب المتواصل على ضوء ما مرسوم له، مستبشراً بهذا الأداء، فيطيع مستسلماً عن قناعة لجميع الإرشادات والتوجيهات والأوامر، وينتهي عن النواهي فتسمو روحه، ويسمو عقله، وتسمو أخلاقه.

٣. ذكر الله تعالى

قال الإمام علي عليه السلام:

«الذكر نور ورشد»، «الذكر هداية العقول وتبصرة النفوس»، «ذكر الله نور الإيمان»، «الذكر نور العقول وحياة النفوس وجلاء الصدور»، «من ذكر الله سبحانه أحيى الله قلبه ونوّر عقله ولبّه»، «لا هداية كالذكر».[١]

وذكر الله تعالى، يعني الارتباط به وإدامة العلاقة معه في الواقع والأهداف والأساليب، ليكون منهجه حاكماً عليها وحاكماً على جميع مقومات الشخصية ويتم الذكر عن طريق:

- الصلاة المندوبة.
- قراءة القرآن.
- الدعاء.
- أوراد الذكر والتسبيح.
- مجالس الذكر.
- الالتقاء بمن يذكّر به تعالى.
- زيارة قبور الصالحين، وذكر يوم القيامة.
- ارتياد المساجد.
- التقوى والورع.

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ١٨٩.

قال الإمام علي عليه السلام:

«امنع حصون الدين التقوى»، «ما أصلح الدين كالتقوى»، «الورع يصلح الدين ويصون النفس ويزيّن المروّة»، «بصدق الورع يحصن الدين»، «سبب صلاح الدين الورع».[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع».[2]

حينما تكون التقوى ويكون الورع، ملكة راسخة في أعماق الإنسان، فإنّه يتسامى في جميع مقوّمات شخصيته، ويتوجّه بكل جوارحه وجوانحه إلى الآفاق العليا من الإيمان والتديّن، فلا يتردد ولا يتراجع ولا ينكص وهو ناظر إلى المفاهيم والقيم الساميّة، فلا يصدّه عنها أيّ معوق أو مثبّط.

٤. الخوف والرجاء

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

لا يكون الرجل مؤمناً، حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.[3]

الخوف والرجاء ليس انزواءً وانكماشاً، بل هو نشاط وفعاليّة في الفكر والعاطفة والسلوك، يدفع الخائف والراجي إلى العمل الدؤوب نحو التسامي والتكامل.

٥. إخلاص المشاعر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما».[4]

---

١. *المصدر*: ٢٧٠ ـ ٢٧١.

٢. *الكافي*: ٧٦/٢.

٣. *تحف العقول*: ٢٩٥.

٤. *المحجة البيضاء*: ٤/٨.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

من أوثق عرى الإيمان أنْ تحبَّ في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله وتمنع في الله.[١]

إنّ إخلاص المشاعر لله وللرسول وللمؤمنين، يخلق في النفس قدسيّة الأهداف وقدسيّة الحركة نحو المفاهيم والقيم الصالحة، والعمل على إرضاء المحبوب، والتسامي للوصول إلى المقامات العليا، فيزداد الإيمان والتديّن.

٦. التأسي والاقتداء بأرقى الشخصيّات

قال الإمام علي عليه السلام:

«أحبّ العباد إلى الله تعالى المتأسي بنبيّه صلى الله عليه وآله والمقتصّ أثره».

«إرضَ بمحمد صلى الله عليه وآله رائداً وإلى النجاة قائداً».

«اقتدوا بهدي نبيكم فإنّه أصدق الهدى واستنوا بسنته فإنّها أهدى السنن».

«طوبى لمن عمل بسنّة الدين واقتفى آثار النبيين».[٢]

إنّ التأسي بأرقى نماذج الشخصيّة الإنسانية يجعل الإنسان متوجهاً إلى الامتثال؛ لإرشاداتها وتوجيهاتها وهو كفيل بالارتقاء إلى الدرجات العليا من التديّن.

٧. الحياء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الحياء والإيمان في قرنٍ، فإذا سُلب أحدهما تبعه الآخر».[٣]

وقال صلى الله عليه وآله: «من لم يكن له حياء فلا دين له...».[٤]

وقال صلى الله عليه وآله:

استحيوا من الله تعالى حقَّ الحياء، من استحيا من الله حقَّ الحياء، فليحفظ الرأس

---

١. *الكافي*: ١٢٥/٢.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ١١٠.

٣. *كنز العمّال*: ١١٩/٣.

٤. *المصدر*: ١٢٥.

وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموتَ والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى، يعني من الله حق الحياء.[١]

الحياء هو استشعار الرقابة الإلهية والرقابة البشريّة، التي تتمثّل بالوالدين والأسرة، وبالمجتمع، وبالمدرسة، وبالحكومة، فالحياء يمنع الإنسان من ارتكاب الأخطاء والممارسات السلبية، ويمنعه من التقصير في واجباته ومسؤولياته، وبالتالي يدفعه إلى الرقي في سلَّم التكامل.

٨ الزهد

قال الإمام علي عليه السلام:

«عليك بالزهد فانّه عون الدين»، «حسن الزهد من أفضل الإيمان»، «الزهد أصل الدين».[٢]

الزهد في الدنيا راحة للعقل والقلب والنفس، فبه يتعالى الإنسان على الطمع والحرص والشح والبخل، وبه يمسك نفسه وإرادته من الاعتداء على أموال وممتلكات الغير، وبه يصفو الذهن والعقل من التفكير المضطرب بسبب الوضع الإقتصادي المتدهور الذي يحيطه، وبه تكون القناعة، فيتفرغ إلى اتباع الخطوات المتسلسلة التي توصله إلى التكامل الديني.

٩. محاسبة النفس

قال الإمام علي عليه السلام:

«اجعل من نفسك على نفسك رقيباً، واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً»، «حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا ووازنوها قبل أنْ توازنوا»، «من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب وأصلح العيوب».[٣]

---

١. *المصدر*: ١٨٨.

٢. *المصدر*: ٢٧٥.

٣. *المصدر*: ٢٣٦

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإنْ عمل صالحاً استزاد منه، وإنْ عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.[1]

محاسبة النفس من أكثر الخطوات تقرباً إلى التديّن الحقيقي، فبها يتعرّف الإنسان على أخطائه واشتباهاته وتقصيره في التخلّي عن مسؤوليته، وبها يتعرفّ على درجة قربه وبعده عن التكامل الديني، فيبدأ بإصلاح أوضاعه وإعادتها إلى الاستقامة والارتقاء بها نحو الآفاق العليا والاهتمامات الأرفع، ليصل إلى مدارج التكامل العليا للتديّن.

١٠. التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

وأمّا علامة التائب فأربعة: النصيحة لله في عمله، وترك الباطل، ولزوم الحق، والحرص على الخير.[2]

وقيل للإمام علي عليه السلام: ما التوبة النصوح؟ قال عليه السلام: «الندم بالقلب، واستغفارٌ باللسان، والقصد على أنْ لا يعود».[3]

التوبة فرصة للإنسان للعودة إلى الاستقامة والاستمرار في منهج التكامل بعد تجاوز الماضي وآثاره السلبيّة على العقل والقلب والإرادة.

والتوبة بمصاديقها الحقيقية وجه آخر للتكامل، لأنّها كما تقدّم في الحديث نصيحة لله في العمل، وترك الباطل ولزوم الحق، والحرص على الخير، فهذا الحرص يخلق الأجواء المناسبة للسمو والتكامل في كل ظرف وكل زمن بعيداً عن اليأس والقنوط.

---

١. *تحف العقول*: ٢٩٥

٢. *المصدر*: ١٥.

٣. *المصدر*: ١٤٦.

١١. الصبر

قال الإمام علي عليه السلام:

الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان له.[١]

وقال عليه السلام

الصبر ثلاثة: الصبر على المصيبة، والصبر على الطاعة، والصبر على المعصية.[٢]

إنّ ترقب السمو والتكامل بعد التوجه إليه لا يتقوّم إلّا بالصبر بجميع ألوانه، كالصبر على الآلام والمآسي والتعقيدات، والصبر على الطاعة بجميع ألوانها، والصبر على المعصية، التي تتطلب ضبط النفس وعدم الانزلاق وراء الأهواء، والرغبات والمطامع غير المشروعة، وكذلك الصبر على مقدّمات السمو والتكامل، بالصبر على طول الطريق الموصل للإيمان الأرفع، والصبر على أذى الناس، والصبر على وساوس الشيطان، والصبر على الملل والسأم والتردد، والصبر يحوّل مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه إلى لذة، ويجعله دافعاً للحركة والنشاط.

١٢. تبنّي الموازين الإلهية في البلاء

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لن تكونوا مؤمنين حتى تعدّوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة».[٣]

إنّ الابتلاء بالشدّة يستحث المقاومة النفسية، ويجند الأعصاب فتتوجّه إلى الله تعالى بالذكر والدعاء وطلب الرحمة، فتتعمق العلاقة معه، وأما الرخاء فغالباً ما يخدر أو يرخي الأعصاب ويفقدها القدرة على اليقظة والوعي، فمن أعدّ البلاء نعمة ازداد إيمانه وكذا إذا أعدّ الرخاء مصيبة، وبهذا الشعور يتعالى الإنسان على المصائب والمصاعب، بحيث لا تترك آثاراً سلبية على توازنه الانفعالي والنفسي، بل تجعله

---

١. *المصدر*: ١٣٩.

٢. *المصدر*: ١٤٢.

٣. *المصدر*: ٢٨٢.

يعيش الأمل والتفتح والتفاؤل، فتسمو روحه، ويحلّق عقله نحو الآفاق الأرحب، وينطلق نحو التكامل بلا تردد أو تراجع.

١٣. حسن الخلق

قال رسول الله ﷺ: «إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».[١]

وقال الإمام علي عليه السلام: «حسن الخلق خير قرين، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه».[٢]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان، من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحقّ، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، ومن إذا قدر عفا.

وقال عليه السلام:

من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن طلب الحرام وخلق يداري به الناس.[٣]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنّ لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق».[٤]

وقال رسول الله ﷺ:

ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وحلم يرده عن جهل الجاهل.[٥]

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

إنّ المعرفة بكمال دين المسلم، تركه الكلام فيما لا يعينه، وقلّة المراء، وحلمه، وصبره وحسن خلقه.[٦]

---

١. *المصدر*: ٣٣.

٢. *المصدر*: ١٣٧.

٣. *المصدر*: ٢٤٠.

٤. *المصدر*: ١١٨/٢.

٥. مجمع *الزوائد*: ٥٧/١.

٦. *الخصال*: ٢٩٠/١.

وقال الإمام جعفر الصادقعليه السلام:

لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، ويسخي نفسه، ويمسك الفضل من قوله، ويخرج الفضل من ماله.[1]

إنّ حسن الخلق حركة ونشاط وفعالية يشترك فيها العقل والقلب والإرادة، لتكون واقعاً ملموساً، يراعي فيه الإنسان النظرية والتطبيق، فيسارع إلى تجسيد ما يؤمن به، وما يهدف إليه في واقعه السلوكي وفي تعامله مع الآخرين، فيتمرّن على التسامي والتكامل في جميع مقوّمات الشخصيّة.

١٤. مجالسة أهل الدين

قال الإمام عليعليه السلام: «من خير حظّ المرء قرين صالح، جالسْ أهلَ الخيرِ تكن منهم، باين أهلَ الشرِّ ومن يصدّك عن ذكر الله».[2]

وقال الإمام الصادقعليه السلام: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة».[3]

من الحقائق الثابتة أنّ الإنسان يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، حيث يتأثّر بالأفكار والعواطف والممارسات، سواءً كان التأثّر مباشراً أو غير مباشر، ومن هنا فمجالسة أهل الدين تساهم في تنمية التديّن وتشجيع الإنسان نحو السمو والارتقاء والتكامل.

١٥. استثمار العقل

عن الإمام محمد الباقرعليه السلام قال:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: لم يعبد الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون،

---

١. *أمالي المفيد*: ٣٥٥.

٢. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٨٢/٤.

٣. *الخصال*: ٥/١.

يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرّم بطلاب الحوائج قبله، الذلّ أحبّ إليه من العزّ، والفقر أحبّ إليه من الغنى، نصيبه من الدنيا الفوت.

والعاشرة وما العاشرة!! لا يرى أحداً إلّا قال: هو خير مني وأتقى؛ إنّما الناس رجلان فرجل هو خير منه وأتقى، وآخر هو شرّ منه وأدنى، فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقى الذي هو شرّ منه وأدنى قال: عسى خير هذا باطن، وشرّه ظاهر، وعسى أنْ يختم له بالخير، فإنْ فعل ذلك، فقد علا مجده، وساد أهل زمانه.[1]

---

١. *المصدر*: ٤٣٣/٢.

المقوّمات العمليّة للتربية الدينيّة

أولاً: تعليم الطفل معرفة الله تعالى

الطفل مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى، حيثُ تبدأ تساؤلاته عن نشوئه ونشوء أبويه ونشوء من يحيط به، وأنّ تفكيره المحدود مهيأ للقبول بفكرة الخالق والصانع، فعلى الوالدين استثمار تساؤلاته لتعريفه بالله تعالى الخالق، في الحدود التي يتقبّلها تفكيره المحدود، والإيمان بالله تعالى كما يؤكده العلماء سواءً كانوا علماء دين أو علماء نفس.

ومن أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل... مما سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق، ويوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف المآثم.[1]

والتربية والتعليم في هذه المرحلة يفضّل أنْ تكون بالتدريج، ضمن منهج متسلسل يتناسب مع العمر العقلي للطفل، ودرجة نضوجه اللغوي والعقلي، وقد حدد الإمام محمد الباقر عليه السلام تسلسل المنهج قائلا:

إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له: «قُل لا إله إلّا الله» سبع مرات، ثم يترك حتى

---

١. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٩٤.

يتم له ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرون يوماً، فيقال له: قل: «محمد رسول الله» سبع مرات، ويترك حتى يتم له أربع سنين فيقال له: قل: سبع مرات «صلى الله على محمد وآله»، ثمّ يترك حتى يتم له خمس سنين، ثمّ يقال له: أيهما يمينك وأيهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة، ويقال له: اسجد، ثمّ يترك حتى يتم له سبع سنين، فإذا تمّ له سبع سنين قيل له: أغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما، قيل له: صلِّ، ثم يترك، حتى يتم له تسع سنين، علِّم الوضوء، وضرب عليه، وأمر بالصلاة وضرب عليها، فإذا تعلّم الوضوء والصلاة، غفر الله عز وجلّ له ولوالديه إنشاء الله.[1]

وقد أثبت علم النفس الحديث صحة هذا المنهج (٢ ـ ٣ سنوات، يكتسب كلام الطفل طابعاً مترابطاً مما يتيح له إمكانيّة التعبير عن فهمه لكثير من الأشياء والعلاقات... وفي نهاية السنة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام، وفق قواعد نحوية ملحوظة، وهذا يمكنه من صنع جمل أولية وصحيحة).[2]

وتعميق الإيمان بالله ضروري في تربية الطفل.

والطفل في هذه المرحلة يكون مقلداً لوالديه في كلِّ شيء، بما فيها الإيمان بالله تعالى، يقول الدكتور سپوك:

إنّ الأساس الذي يؤمن به الابن بالله وحبّه للخالق العظيم هو نفس الأساس الذي يحبّ به الوالدان الله.

ويقول:

بين العمر الثالث والعمر السادس يحاول تقليد الأبوين في كلِّ شيءٍ، فاذا حدّثاه عن الله فيؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً.[3]

والطفل في هذه المرحلة يميل دائماً إلى علاقات المحبّة والمودّة والرقّة واللين،

---

١. من لا يحضره *الفقيه*: ١٨٢/١، باب الحدّ الذي يؤخذ فيه الصبيان بالصلاة، ح ٣.

٢. *علم النفس التربوي*: ١٣٢/٢.

٣. *مشاكل الآباء في تربية الأبناء*: ٢٤٨.

فيحب أو يفضل (تأكيد الصفات الخاصة بالرحمة والحب والمغفرة إلى أقصى حدٍّ ممكن مع التقليل إلى أدنى حدٍّ من صفات العقاب والانتقام).[1]

فتكون الصورة التي يحملها الطفل في عقله عن الله تعالى، صورة جميلة محبّبة له فيزداد تعلّقه بالله تعالى ويرى أنّه مانح الحب والرحمة.

وليس من الصحيح أنْ توجّه أنظاره إلى العقوبة الإلهية في حال مخالفته للوالدين، أو مخالفته للآداب أو للعادات والتقاليد أو عناده في بعض الأمور، كما هو المتعارف لدى أغلب العوائل حين تخاطب الطفل بالقول: الله يضعك في النار إنْ فعلت كذا وكذا، أو تصرفت بلعبة صديقك أو أخيك دون علمه، فينبغي أنْ يبقى الله تعالى مقدّساً ومحبوباً لدى الطفل، يستشعر بذكره الأمان والطمأنينة والهناء والرحمة والمودة والرعاية؛ لأنّ الطفل في مرحلة الطفولة المبكّرة يروم الحرية، وقد لا يميّز في أغلب الأحيان بين الصحيح والخطأ في بعض الموارد، لذا يكره العقوبة إلّا ما ندر، ويبغض من يعاقبه وإنْ كان مقدّساً، فينبغي أنْ يبقى تصوّره عن الله تعالى جميلاً، وأنْ يبقى محبوباً لديه، يلتجأ إليه ليمنحه الرحمة والطمأنينة.

وإذا دخل مرحلة الطفولة المتوسطة، فإنّ عقله سينمو وتتسع مداركه وتزداد تجاربه، فيدرك من خلال تعليم الوالدين أو المعلمين: بأنّ الله تعالى رحوم رؤوف للمطيعين والصالحين والمهذّبين، وأنّه شديد العقاب للعاصين والطالحين والمخالفين للآداب العامة، وأنّ عقوبته قد وضعت من أجل أنْ يكون الإنسان صالحاً مستقيماً، فالخوف من العقوبة بمثابة الرادع له، فهي رحمة به لا انتقاماً منه.

فينبغي تقديم النصيحة للطفل إنْ أخطأ أو تمرد أو أتى بفعل مشين، ولا بأس باستخدام بعض العقوبات المعنوية قبل تخويفه من العقاب الإلهي.

وينبغي توضيح العقوبة الإلهية له بأسلوب قصصي، يقارن فيه بين عمل صالح

---

١. *المصدر*: ٢٥١.

وآخر طالح، أو بين شخصية صالحة وأخرى طالحة، ومن الأفضل تكثير القصص حينما يكون مستعداً لسماعها والإنصات إليها.

وينبغي أن يكون التعليم والتربية الدينية سهلة وجذّابة وشيقة، بعيداً عن البراهين الفلسفية والمنطقية التي لا تتناسب مع عمر الطفل في جميع مراحل حياته الطفولية، ويمكن الاستدلال بمفهوم العلة والمعلول بأبسط مصاديقه المألوفة لدى الطفل.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال:

البعرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، كيف لا يدلّان على اللطيف الخبير؟.[١]

ويمكن توجيه أنظاره إلى عجائب المخلوقات، فانّ بعضها ينفع الطفل كمعلومات علمية مرغوبة لديه يمكنه التحدّث بها لغيره، ليثبت ذكاءه ووعيه ومعرفته، ومن جهة أخرى يترسّخ في ذهنه وجود خالق وصانع ومبدع.

وحينما يسئل عن حقيقة الله تعالى، يقال له: انّ الله نور السماوات والأرض، وحينما يسأل عن عدم رؤيته، يقال له: هل ترى العقل؟ هل ترى الكهرباء التي تسري في الأسلاك؟ إنّك ترى آثارها ولكن لا تراها بنفسها.

وحينما يراد إيضاح التوحيد له، يقال له: الله واحد باستدلال سهل يسير، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام:

واعلم يا بني أنّه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه واحد كما وصف نفسه.[٢]

ومهما توسعت مدارك الطفل العقلية وتنوعت معلوماته، إلّا إنّه لا ينبغي الإسراع

---

١. *جامع الأخبار*: ٣٥.

٢. *نهج البلاغة*: ٣٩٦.

في زجه بالبراهين العقلية المحضة والاستدلالات المعقدة، وتبقى الطريقة المتّبعة في توجيه أنظاره إلى عجائب المخلوقات هي الطريقة الأمثل.

وفي مقام تعليمه للوجودات الغيبية، كالملائكة وجبرائيل وإسرافيل، ينبغي الاقتصار على ما ذكره القرآن الكريم.

وفي مقام توضيح صفات الله تعالى، وتفسير مسائل القضاء والقدر، والآيات المتشابهة «يد الله، وجه الله، الكرسي» ينبغي استخدام أسهل وأبسط الأساليب والأدلة، وإبعاده عن التوضيح المعقّد.

وإذا أردنا أنْ نكوّن له صورة عن يوم القيامة فالأفضل أنْ نركّز على نعيم الجنة وملذاتها، بما يتناسب مع رغباته من أكل وشرب وألعاب وما شابه ذلك، ونركزّ على الإيحاء له، بأنّه سيحصل عليها إنْ أصبح مهذباً ومؤدباً، ويؤجّل التركيز على النار والعذاب وغلّ اليدين، وتبديل الجلد بعد الإحراق إلى مرحلة الطفولة المتوسّطة والمتأخّرة، لكي تكون مداركه العقلية قادرة على فهمها وإدراكها.

ومن الأفضل تشجيعه على حفظ الآيات الكريمة، ثمّ الأحاديث الشريفة التي تتطرق إلى هذه المفاهيم بتقديم الهدايا له إنْ استطاع حفظها، إضافة إلى تشجيعه على حفظ الأشعار والأناشيد التي تتطرق إلى وحدانية الله تعالى وإلى الجنة والنار، مع مراعاة رغبته واستعداده للحفظ، ومن الأفضل أنْ تتبنى المناهج الدراسية هذه الأمور، وأنْ يُختار المعلم الخبير بطرق التدريس الناجحة، والخبير في أسلوب التعامل الناجح مع الاطفال.

ثانياً: التركّيز على حبّ النبيﷺ وأهل البيتﷺ

في هذه المرحلة تنمو المشاعر والعواطف والأحاسيس عند الطفل، من حبّ وبغض وانجذاب ونفور، واندفاع وانكماش، فيجب على الوالدين استثمار حالات الاستعداد العاطفي عند الطفل وتنمية مشاعره وعواطفه، وتوجيهها نحو الارتباط بأرقى النماذج

البشرية، والمبادرة إلى تركيز حبّ النبيﷺ وحبّ أهل البيت عليهم السلام في خلجات نفسه، ابتداءً بذكر الآيات الكريمة التي نزلت بحقّ أهل البيت عليهم السلام والتي هي محل اتفاق جميع العلماء والمفسرين، كآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وسورة الإنسان، ثم ذكر الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى حبّهم ومودّتهم، والأفضل اختيار ما اتفق عليه من قبل أئمة وفقهاء وعلماء المذاهب المتنوّعة؛ ليكون حبّ أهل البيت عليهم السلام مقدّمة للاتحاد ضمن المحاور المشتركة بعيداً عن السوابق المذهبية والسياسية.

قال رسول اللهﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن».[1]

وعن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول:

«من كنت مولاه فعلي مولاه» وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» وسمعته يقول: «لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللهَ ورسولَه».[2]

وعن علي عليه السلام قال: «عهد إلي النبي الأميﷺ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق».[3]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».[4]

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللهﷺ لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم».[5]

---

١. *كنز العمّال*: ٤٥٦/١٦.

٢. *سنن ابن ماجة*: ٤٩، ونحوه في: صحيح مسلم، ح ٢٠٤، *سنن الترمذي*، ح ٣٧٤٥، *مسند أحمد بن حنبل*، ح ١٥٤٧.

٣. المصدر: ٤٧، ونحوه في: صحيح مسلم، ح ٧٨، سنن الترمذي، ح ٥٠٢٨، مسند أحمد بن حنبل، ح ١٠٦٢.

٤. *المصدر*: ٥٣، ونحوه في *مسند أحمد بن حنبل*، ح ٧٨٨٢.

٥. *المصدر*: ٥٤، ح ١٤٥، وبنحوه في: *سنن الترمذي*: ١٠٩٦، ح ٣٨٩٦.

الصلاة على النبي وآله محور للوحدة بين المذاهب

عند نزول الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[١]

سأل الصحابة عن كيفية الصلاة على النبيﷺ فقال:

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.[٢]

والحديث مستفيض، رواه أصحاب الصحاح بصيغ مختلفة إلّا البخاري.[٣]

والحديث تعظيم لأهل البيت، حتى قال الشافعي: «من لم يصلّ عليكم لا صلاة له».[٤]

وقال الديلمي: «الدعاء محجوب حتى يُصلّى على محمد وأهل بيته».[٥]

وبالرغم من إيراد الصلاة على محمد وآل محمد في الصحاح إلّا أنّ «الآل» تحذف عند البعض فيقال: «صلّى الله على محمد» أو «اللّهم صلِّ على محمد».

وفي ذلك قال ابن حجر الهيثمي ـ بعد تأكيده الصلاة على محمد وآل محمد ـ: «ولا ينافي ما تقرر حذف الآل في الصحيحين».[٦]

وحذف «الآل» في الصلاة على محمد، أصبح علامة فارقة تشخّص الانتماء المذهبي للراوي أو المؤلف أو الكاتب، أو الخطيب في الأعم الغالب، فالشيعي يثبتها، بينما يحذفها غير الشيعي متابعة منه لما هو مشهور عند المتقدّمين.

---

١. الأحزاب: ٥٦.

٢. *جامع البيان في تفسير القرآن*: ٦/٢٢، *الدر المنثور*: ٦٠٣/٦، ونحوه في *المصنف*: ٥٠٧/٢.

٣. *روائع البيان*: ٣٦٤/٢.

٤. *فرائد السمطين*: ١٣٥/١، *الصواعق المحرقة*: ٢٢٨.

٥. *المصدر*: ٢٢٧.

٦. *المصدر*: ٢٢٥.

وأودّ أوجه أنظار المسلمين من مختلف المذاهب، إلى أن حذف «الآل» قد تمّ من قبل الحكّام الماضين وبعض المرتبطين بهم من الفقهاء والخطباء؛ لأسباب سياسية انتهت في حينها، فينبغي التفكير في العصر الراهن وبروح موضوعية، من أنّ ذكر «الآل» في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله من الثوابت، وهي محور من محاور الاشتراك والوحدة بين المسلمين، فلنتّفق على ذكرها لما فيها من مصلحة عليا في ظروف اشتداد التآمر على الإسلام منهجاً وكياناً ووجوداً بإثارة الفتنة الطائفية، واستثمار أيّ ثغرة للنفوذ منها لبلبلة الأفكار، وخلق الاضطراب في صفوف المسلمين من أجل إقامة المشروع الكبير «إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل»، فقد آن الأوان للاتحاد والوحدة والتقارب بين المذاهب، ولتكن «الصلاة على محمد وآل محمد» منطلقاً للوحدة، ومحوراً جامعاً.

الأسلوب الأمثل للارتباط بأهل البيت عليهم السلام

إنّ حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يستلزم إحياء أمرهم، من أجل السير على نهجهم وهداهم، فهم عنوان شامخ في ضمير المسلمين، ولذا ينبغي التركيز على مقوّمات شخصياتهم: الفكرية والعاطفية والسلوكية، المتجسّدة في سيرتهم العملية، تجاه الموالين والمخالفين والاقتداء بهم، لأنهم النموذج الأمثل للشخصية الإسلامية، التي جسّدت مفاهيم وقيم القرآن في سيرتها العملية بمختلف مظاهرها وألوانها: الاجتماعية والأخلاقية والسياسية.

التخلّي عن الثقافة الطائفية

الطفل صفحة بيضاء تتقبّل ما يطرح فيها وعليها من أفكار ومعتقدات ومفاهيم وقيم؛ لذا ينبغي إعداد الطفل ليكون النموذج الأمثل للراشد المستقبلي، ومن هنا ينبغي التخلّي عن الثقافة الطائفية، بإرشاده وتعليمه الأفكار والمعتقدات المقارنة وبحيادية

تامة من أجل المصلحة الإسلامية العليا، والتعامل مع مرتكزاتهم الذهنية كما هي، ولكن بأسلوب تقريبي، وعلى سبيل المثال مسألة الإمامة، فمن الأفضل أنْ نثقّفه على آراء جميع المذاهب، فرأي الشيعة ينصّ على: أنّ الإمامة مسألة إلهية، وإنّ الإمام معيّن ومنصوب من قبل الله تعالى، ورأي السنة يرى: أنّها مسألة بشريةٌ يختار المسلمون على ضوئها من يتّفقون عليه ممّن تتوفّر فيه شروطها، وكذا الحال في مسألة العصمة، وما شابه ذلك، لكي ينشأ الطفل نشأة وحدوية تقريبية، ثمّ يختار مذهبه بعد أنْ يصبح راشداً معتمداً على إمكاناته العقلية والعلمية، وهذا الرأي هو الأقرب للصواب حيث اتّفق العلماء على عدم جواز التقليد في المسائل الاعتقادية عندنا، باعتبار أنّ مسألة الإمامة هي جزء من معتقداتنا المذهبية.

وهذا الأسلوب من شأنه أنْ يعمّق لدى الطفل ـ في المستقبل ـ التمسّك بمذهبه دون تعصّب أو تجاوز على الآخرين أو إلغاء لهم؛ لأنّه أخذه عن دراسة وفهم واستدلال.

ثالثاً: تربية الطفل على واقعية العقيدة والشريعة

نعني بالواقعية، مراعاة واقع الإنسان من جميع جوانبه، فهو كائن ذو شطرين ذكر وأنثى، ولكلٍ منهما خصائصه الفسيولوجية والسيكولوجية، وهو كائن كفرد أو عضو في مجتمع، وهو كائن ضعيف محدود القدرة بالقياس إلى خالقه، وهو كائن ذو قدرات فائقة بالقياس لغيره من المخلوقات، وهو كائن ذو نجدين يحمل في جوانحه نوازع الخير والشر معاً، وهو كائن يؤثّر ويتأثر بالمحيط الذي يعيشه سلباً او إيجاباً.

والتربية الإسلامية تربية واقعية تنظر إلى واقع الإنسان من جميع جوانبه، وتراعيها معاً لكي لا يطغى جانب على جانب، ولا ناحية على ناحية، وقد وضعت لكلِ جانب مقوماته وحدوده الواقعية، فلا تقييد مطبق ولا اطلاق العنان دون تناهي، وهي تربية

واقعية تتقبلها العقول والنفوس بلا حرج ولا مشقة، والإنسان حينما يلتزم بمؤدّاها، يشعر بمناغاتها له وانسجامها مع كيانه المزدوج، وهي سهلة التطبيق لمن استعدّ لها وتهيأت له الأرضية المناسبة.

ومن هنا ينبغي تربية الطفل حسب مستواه العقلي على إدراك واقعية العقيدة والشريعة الإسلامية، وأنّها منسجمة مع كينونة وفطرة الإنسان في جميع مراحلها، من أجل أنْ يترعرع في ظلّ هذه المفاهيم، ومن أجل أنْ تتجذّر وتتعمّق في فكره وعاطفته وأحاسيسه الباطنية، لكي لا يتخلّى عنها في أجواء الإشاعات وحملات التشويه.

١. واقعية العقيدة الإسلامية

من العوامل المؤثّرة على الصحة الروحية والاستقامة السلوكية للإنسان هي عقيدته المتبناة، فهي التي ترسم له الطريق في الواقع، لتكون عاطفته وسلوكه انعكاساً لها، والإسلام يطرح عقيدته المنسجمة مع واقع الإنسان وحاجته للارتباط بالمطلق وما وراء الغيب، ويطرح مفاهيم قابلة للنفوذ إلى عقل الإنسان وفكره، ومنسجمة مع خواصه الذهنية والعقلية.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾.[1]

والإيمان بالمطلق حالة فطرية يمليها واقع الإنسان، وفي ذلك يقول الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمس:

> أينما يقم حديث حول اختيار الإله، وعلمه الأبدي، أو حول الخير والشرّ، تجد كلّ شخصٍ قد أصاخ بسمعه له.[2]

---

١. العنكبوت: ٦١.

٢. *علم النفس*: ١١.

والإيمان بوحدة الإله والخالق منسجمة مع تطلعات الإنسان وتصوراته، يقول الشهيد محمد باقر الصدر:

نحن إذا لاحظنا الشعار الرئيسي الذي طرحته السماء بهذا الصدد: «لا إله إلّا الله»، نجد أنّها قرنت فيه بين شدة المسيرة الإنسانية إلى المطلق الحق، ورفض كل مطلق مصطنع، وجاء تاريخ المسيرة في واقع الحياة على مرِّ الزمان، ليؤكّد الارتباط العضوي بين هذا الرفض وذلك الشدّ الوثيق الواعي إلى الله تعالى.[١]

والعبودية لله وحده، تجعل الإنسان يرفض العبودية لغيره من بني الإنسان، فيتمتّع بالحرية والانطلاق في سلوكه وممارساته دون تقييد إلّا ما قيّد الله تعالى به.

والإيمان بالمعاد ينسجم مع تطلعات الإنسان لما وراء الحياة، وهذا الإيمان بالمطلق وما أعدّه للإنسان في يوم القيامة يمنحه طاقة روحية متسامية، يحافظ من خلالها على سلامته النفسية واستقامته السلوكية، فلو أصابه الحرمان وحال الواقع دون إشباع حاجاته، فإنّ الايمان سيخفّف من معاناة الحرمان، لشعوره بالتعويض في ذلك اليوم الخالد، بل يتحوّل الحرمان إلى متعة ولذّة عند المقارنة بين القليل الزائل والكثير الخالد، فلا يصيبه الإحباط، ولا الاضطراب النفسي والروحي، بل يسعى لتجاوز الأزمات المحيطة به، ويسعى لتغيير نفسه وسلوكه طبقاً للقواعد التي وضعها له خالقه، وما وعده بالتعويض أو المجازاة في اليوم الخالد.

قال رسول الله ﷺ:

ما أصاب المؤمن من نصبٍ ولا وصبٍ ولا حزنٍ حتى الهم يهمّه، إلّا كفّر الله به عنه سيئاته.[٢]

والإيمان بالرسول ﷺ وبأرقى النماذج البشرية كأهل البيت عليهم السلام يجعل الإنسان

---

١. *نظرة عامة في العبادات*: ٣٠.

٢. *تحف العقول*: ١٢٧.

متأسّياً بهم في كلِّ مقوّمات الشخصية، فيجاهد من أجل أنْ يكون سلوكه منسجماً مع المنهج الذي رسموه للإنسانية بتعاليمهم وسيرتهم، وقد أثبت الواقع دور القدوة والأسوة في التأثير على السلوك والممارسات الأخلاقية، والتأسّي بأرقى النماذج البشرية في الصبر والتحمّل والطمأنينة الروحية والنفسية وهم يتعرضون للبلاء والمحن، يحوّل كلَّ متاعب الحياة إلى مسحة إيجابية، يتغلب من خلال التأسي على ما يؤدي إلى الاضطراب الروحي والنفسي والسلوكي.

٢. واقعية التشريع الإسلامي

راعى الإسلام في تشريعه واقع الإنسان، من حيث محدودية طاقاته وإمكاناته، ولدخالته في التربية لا تجد فيه حرجاً ولا مشقة، قال تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾.[١]

وهو يراعي الإنسان حسب طاقاته وامكاناته البدنية والنفسية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾.[٢]

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لم يبعثني بالرهبانية، إنّ خير الدين عند الله الحنيفة السمحة».[٣]

ولهذا وضع الإسلام العبادات لتلعب دوراً هاماً في تربية الإنسان، فهنالك عبادات بدنية وروحية في آن واحد كالصلاة والصيام، وعبادات مالية كالخمس والزكاة، وعبادات اجتماعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادات جامعة كالحج والوفادة إلى بيت الله الحرام.

---

١. الحج: ٧٨.

٢. البقرة: ٢٨٦.

٣. *كنز العمّال*: ٤٩/٣.

ووضع الإسلام التشريع الأخلاقي منسجماً مع آمال وتطلعات الإنسان، فالأخلاق الموضوعة من قبله أخلاق تتقبّلها النفوس، وتنجذب إليها، بلا حرج ولا مشقة قال رسول الله ﷺ:

مكارم الأخلاق عشرة: ...صدق الحديث، وصدق البأس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصانع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمّم للجار، والتذمّم للصاحب، وقِراءُ الضيف و ورأسهنّ الحياء.[١]

رابعاً تربية الطفل على الطاعات

الطاعات هي تجسيد للإيمان والتديّن، وهي العلامة الفارقة، حيث بني الدين على طاعة الله تعالى، ورسله، بفعل الواجبات وترك المحرّمات.

والطاعات وإنْ كانت سهلة ويسيرة، إلّا أنّها تحتاج إلى تمرين وتدريب ينسجم مع القدرة على الأداء، والطفل يحتاج إلى عناية خاصة في التمرين والتدريب على الطاعات من أجل أنْ تذلّل مشقتها عليه، وأنْ يحدث الأنس بينه وبينها فتكون متفاعلة مع عواطفه وشعوره، فيؤديها مستقبلاً، عن قناعة وعن استسلام واعٍ متعقّل، لكي لا ينتابه الملل والكلل والضجر؛ فتصبح جزءاً من كيانه وتتحول بمرور الأيام والسنين إلى عادة ثابتة في حياته اليومية، يقدم عليها بشوق واندفاع ذاتيين دون ضغط أو إكراه أو كلل أو ملل.

ويبدأ المنهج التربوي الإسلامي في وضع قواعد أساسية تتناسب مع أعمار الأطفال؛ للتمرين على الطاعات مع مراعاة القدرة العقلية والبدنية للأطفال، ففي التمرين على الصلاة قال رسول الله ﷺ:

---

١. *المصدر*: ٢/٣.

مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً.[1]

وفي رواية:

مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم إذا كانوا أبناء تسع سنين.[2]

والمقصود من الضرب إما الضرب الحقيقي في حالة تمرّد الأطفال أو استخدام الشدّة النفسية، فانها وان كان لها ضرر سلبي على الطفل ولكنّه ضرر وقتي سرعان ما ينتفي، ولا يمكن اعتباره ضرراً بالقياس إلى المصلحة الأكبر، وهو التمرين على الصلاة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أدّب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين، فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً.[3]

والأفضل أن يكو ن التمرين غير شاقٍ للطفل، لأنّه يؤدي إلى النفور من الصلاة وخلق الحاجز النفسي بينه وبينها، فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

إنّه كان يأخذ من عنده الصبيان بأنْ يصلوا الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء في وقتٍ واحد، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: «هو أخف عليهم وأجدر أنْ يسارعوا إليها ولا يضيّعوها ولا يناموا عنها ولا يشتغلوا»، وكان لا يأخذهم بغير الصلاة المكتوبة، ويقول: «إذا أطاقوا فلا تؤخرونها عن المكتوبة».[4]

فيجب على الوالدين مراعاة الاستعداد النفسي والبدني للطفل، وعدم إرهاقه بما لا يطيق، فيبدأ معه بالصلاة الواجبة دون المستحبّة، فإذا تمرّن عليها وحدث الأنس بينه وبينها، فإنّه على غيرها أقدر إنْ تقدّم به العمر.

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٤/٢.

٢. *بحار الأنوار*: ٩٨/١٠١.

٣. *تنبيه الخواطر*: ٣٩٠.

٤. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٤/٢.

ويبدأ التمرين على الصوم من العام السابع، ويستمر بالتدريج كلما تقدّم العمر مع مراعاة الطاقة والقدرة البدنية والاستعداد النفسي له، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

إنّا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإنْ كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش والغرث، أفطروا حتى يتعوّدوا الصوم ويطيقوه فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا.[1]

وعن سماعة قال: سألته عن الصبي متى يصوم؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قوى على الصيام».[2]

فإذا تمرّن على الصيام في السنوات السابقة لسن التكليف، فإنّه سيؤديه بأتمّ صورة، ولا يجد في ذلك حرجاً.

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في كم يؤخذ الصبي بالصيام؟ قال عليه السلام:

ما بينه وبين خمس عشرة سنة وأربع عشرة سنة، فإنْ هو صام قبل ذلك فدعه، ولقد صام ابني فلان قبل ذلك فتركته.[3]

ويستحبّ تمرين الطفل على الحجّ، فعن أحد الإمامين الباقر أو الصادق عليهما السلام قال:

إذا حجّ الرجل بابنه وهو صغير، فإنّه يأمره أنْ يلبّي ويفرض الحج، فإنْ لم يحسن أنْ يلبي لبّى عنه ويطاف به ويصلّى عنه... يذبح عن الصغار، ويصوم الكبار ويتّقى عليهم ما يتّقى على المحرِم من الثياب والطيب، فإنْ قتل صيداً فعلى أبيه.[4]

وفي جواب للإمام جعفر الصادق عليه السلام عن سؤالٍ حول الخوف على الصبي من

---

١. *الكافي*: ١٢٤/٤، باب صوم الصبيان، ح ١.

٢. *المصدر*: ١٢٥، باب صوم الصبيان، ح ٣.

٣. *المصدر*: ١٢٥، باب صوم الصبيان، ح ٢.

٤. *المصدر*: ٣٠٣، باب حج الصبيان والمماليك، ح ١.

البرد في حالة الإحرام قال: «ائت بهم العرج فيحرموا منها... فإنْ خفت عليهم فائت بهم الجحفة».[١]

وقال عليه السلام:

انظروا من كان معكم من الصبيان، فقدّموه إلى الجحفة أو إلى بطن مرّ، ويصنع بهم ما يصنع بالمحرم، ويطاف بهم ويرمى عنهم، ومن لا يجد منهم هدياً، فليصم عنه وليّه، وكان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يضع السكين في يد الصبي ثمَّ يقبض على يديه الرجل فيذبح.[٢]

ويستحب تمرين الطفل على عمل الخير، كالصدقة على الفقراء والمساكين، قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

مر الصبي فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء، وإنْ قلّ، فإنْ كلّ شيء يراد به الله، وإنْ قلّ بعد أنْ تصدق النية فيه عظيم... .[٣]

وقال عليه السلام: «فمره أنْ يتصدق ولو بالكسرة من الخبز».[٤]

فتمرين الطفل على الصدقة من أفضل أساليب التربية على عدم الركون إلى الدنيا والتقليل من تأثير حبّ المال في نفس الطفل، وهو تمرين له على التعاطف مع الفقراء والمساكين.

وتمرين الطفل في مرحلة الصبا على الطاعات والعبادات، تجعله يداوم عليها في كبره، وخير شاهد على ذلك سيرة أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الحسن بن علي عليه السلام مشى عشرين مرّة من المدينة للحجّ على رجليه.[٥]

---

١. *المصدر*: ٣٠٤، باب حج الصبيان والمماليك، ح ٣.

٢. *المصدر*: ٣٠٤، باب حج الصبيان والمماليك، ح ٤.

٣. *الوسائل*: ٣٧٦/٩، باب ٤، ح ١.

٤. *الوسائل*: ٣٧٦/٩، باب ٤، ح ٢.

٥. مختصر *تاريخ دمشق*: ٢٣/٧.

وطلب الإمام الحسين بن علي عليه السلام من الجيش الأموي، أنْ يمهلوه ليلة العاشر من المحرم، للتفرّغ للعبادة هو وأصحابه، فلمّا أمسوا، قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويتضرّعون ويدعون.[١]

ولكثرة عبادة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، سمّي بزين العابدين.[٢]

وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر.[٣]

وكان إذا أتاه السائل يقول: «مرحباً بمن يحمل لي زادي إلى الآخرة».[٤]

---

١. *الكامل في التاريخ*: ٥٩/٤.

٢. *مختصر تاريخ دمشق*: ٢٣٤/١٧.

٣. *صفوة الصفوة*: ٩٥/٢.

٤. *المصدر*: ٩٥/٢.

الآثار الواقعية للنمو الديني

أولاً: الآثار الجسمية

إنّ التدين يستدعي التمسك بالإرشادات والتوجيهات والوصايا والأوامر والنواهي الدينية؛ وهذا التمسك يساهم مساهمة فعالةً في النمو الجسمي السليم وفي الصحة الجسمية.

١. فوائد الطهارة

للطهارة آثارها الصحية الواضحة، وهذه حقيقة لا تقبل الشك، فالوضوء الذي هو مقدمة للصلاة وللكثير من العبادات، والغسل، وطهارة أجزاء الجسم الخارجية، وطهارة اللباس لها مدخلية فعالة في الصحة، إضافة إلى الطهارة المندوبة، ومن فوائدها:

- إزالة الأوساخ والجراثيم من الجسم.
- تنشيط الجسم.
- تنشيط القلب والدورة الدموية باعتبارها جهد عضلي.
- سلامة وظائف الجلد المختلفة.
- تخفيف الاحتقان الدموي في الجلد.
- تخفيف الاحتقان الدموي في الأعضاء التناسلية.

٢. الصحة الجسمية الناجمة عن:

ـ الاعتدال في الأكل والشرب، والالتزام بالمستحبات.

ـ تجنب المأكولات والمشروبات الضارة، وتجنب المكروهات.

ـ استراحة الجهاز الهضمي عند الصيام.

ـ الاطمئنان والاستقرار النفسي وتجنب الخوف والقلق.

٣. الرياضة المتكرّرة

أثبت العلماء أنّ أحسن أنواع الرياضة، هي الرياضة اليومية المتكررة، والموزّعة على أوقات اليوم وغير المجهدة، ودلّت الدراسات على أنّ الصلاة هي مصداق للرياضة المتكرّرة، فحركة الرأس أثناء السجود والارتفاع يجعل الأوعية الدموية بين تقلص وارتخاء فتزداد مرونتها، وتقوى جدرانها وعضلاتها، إضافة إلى الاطمئنان النفسي، والصفاء الذهني الذي يساعد الدماغ على الفعالية المتكرّرة المتجدّدة.[١]

٤. النهوض المبكّر

النهوض المبكّر لأداء صلاة الصبح له أثره الفعال على الجهاز العصبي والعضلي، حيث دلّت الدراسات على ما يلي:

ـ تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون O3 في الجو عند الفجر، وتقل، تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس، وهو مفيد للجهاز العصبي، ومنشّط للعمل الفكري والعضلي.

ـ اللون الأحمر للشمس مثير للأعصاب وباعث على اليقظة والحركة، وتكون نسبة الأشعة البنفسجية أكبر ما يمكن عند الشروق، وهي التي تحرّض الجلد على صنع فيتامين d.

ـ الاستيقاظ المبكّر يقطع النوم الطويل، والنوم الطويل يعرض للإصابة بأمراض القلب، حيث يؤدي إلى تسرب المواد الدهنية على جدران الأوعية الشريانية ومنها الشرايين الإكليلية القلبية.

---

١. *مع الطب في القرآن*: ١٢٥.

ـ تزداد نسبة الكوتزون في الدم عند الصباح، وهي تزيد فعاليات الجسم وتزيد نسبة السكر في الدم الذي يزود الجسم بالطاقة اللازمة له.[١]

٥. **الالتزام الخلقي يقي الإنسان من الأمراض التي يسببها الانحراف والشذوذ الجنسي، وخصوصاً الأمراض الفتّاكة كالإيدز.**

٦. **الإيمان يخلق الاطمئنان والاستقرار النفسي والهدوء، ويقضي على جميع ألوان الخوف والقلق والاضطراب والتوتّر، مما يؤدي إلى الوقاية من الأمراض الناجمة عنها، كارتفاع ضغط الدم، أو الربو، أو قرحة المعدة، والوقاية من أمراض القلب وعلى رأسها أمراض الشريان التاجي والذبحة الصدرية والجلطة الدموية.**

٧. **تنظيم المشاعر السارة والمبهجة والبناءة، يساهم في زيادة حيوية ونشاط الجسم، ويزيل جميع مظاهر الكسل والارتخاء.**

٨ **بعد دراسة شملت ٤٠٠٠ شخصاً في ولاية كارولينا، قام بها علماء أمريكيون في جامعة ديوك توصلوا إلى: أنّ أداء العبادة بشكل منتظم له فوائد صحية ونفسية وجسدية، وأضافت: أنّ الملحدين وغير المؤمنين يعانون من أمراض جسمانية، في حين أنّ الصلاة تساعد على تطوير قدرات الإنسان الجسمية والعقلية، وتساعد المرضى على التخلّص من أمراضهم.**

ويقول الدكتور روبرت بينسون ـ رئيس مؤتمر طبي عقد مؤخراً في أمريكا ـ:

إنّه أصبح بالإمكان علاج أكبر عدد من المرضى الذين يصدقون في إيمانهم، ومنهم المصابون في ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب، والأرق، والعقم، وأمراض السرطان، والإيدز.[٢]

٩. **دور الدعاء في شفاء الأمراض، حيث إنّ القصص الواقعية في هذا المجال لا**

---

١. *المصدر*: ١٠٨ و ١٠٩.

٢. *مجلة نور الإسلام*: ٩٦/٦٣.

تعدّ ولا تحصى، ومنها قصة مواطنة أمريكية يئس الأطباء من شفائها، وتمّ نقلها إلى بيتها لتموت بهدوء بين أولادها، وفي ذات ليلة أفاقت من نومها، وراحت تصلّي لله وتدعو وتتضرع والدموع تنهمر من عينيها، وعند الفجر غفت واستيقظت صباحاً، وهي نشطة وبدأت صحتها تتحسن يوماً بعد يوم إلى أنْ شفيت تماماً.[1]

ثانياً: الآثار العقلية

الدين دعوة إلى التأمل والتفكير، ودعوة إلى تحريك العقل لإدراك الحقائق، ودعوة إلى التعلّم وكشف المجاهيل والأسرار، وهو يدعو إلى الدّقة في تناول المفاهيم والقضايا والعلوم، ويدعو إلى التعمّق في البحث والتحقيق العلمي، وإلى شمولية في تحليل حركة الكون والحياة والإنسان من حيث الأسباب والعوامل المتعددة الفاعلة، ومن حيث النتائج.

ومن مصاديق دعوة الدين للتعقل، أنّه يفتح للإنسان أبواب الهداية من خلال البيّنات التي تتجمع لديه، ومن خلال الأدلة والبراهين التي تحصل عنده؛ ولهذا يحرّم التقليد في الأصول، وهو يدعو إلى الجدية في الحياة، ورفض اللهو وضياع الوقت وتجميد العقل، ولهذا فإنّ المتديّن ينبغي أنْ يصل إلى أقصى درجات الإدراك والفهم والوعي اتباعاً منه للتعاليم والإرشادات والتوجيهات الدينية، إضافة إلى الرعاية الإلهية التي هي سنة من سنن التمسّك بهذه التعاليم، وقد أكدت الآيات القرآنية على هذه الحقيقة، حيث إنّ اتباع المنهج الإلهي في الحياة تستتبعه رعاية إلهية في تنمية العقل وهدايته في حركته الوثّابة لإدراك الحقائق.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾.[2]

---

١. *المصدر*: ١٠٢/٦٧.

٢. العنكبوت: ٦٩.

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾.[١]

﴿...فَلْيسْتَجِيبُوا لِي وَلْيؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يرْشُدُونَ﴾.[٢]

وقال رسول الله ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[٣]

وقد دلت الدراسات الحديثة على أنّ الاتجاه إلى الله والتوجه إلى عبادته تساعد على الاسترخاء والهدوء واستجماع الذاكرة والتركيز على ما يراد استحضاره من الذاكرة.[٤]

ويمكن استعراض الآثار العقلية للنمو الديني، وللتديّن في جملة من النقاط المقوّمة لها:

١. الدعوة إلى طلب العلم دون توقّف، وجعله أحد أهم أسس التفاضل بين الناس.

٢. الدعوة إلى دراسة الكون والحياة والمجتمع والإنسان.

٣. الدعوة إلى دراسة سنن التاريخ وتجارب الحضارات.

٤. النهي عن التعلّم والتفكير غير النافع، ومحاربة الخرافة.

٥. النهي عن التقليد الجامد والتسرّع، واتباع الظن.

٦. محاربة الكسل والدعوة إلى الحركة والنشاط الدائم.

٧. الدعوة إلى النقد البنّاء للأفكار والمفاهيم والنظريات والتصورات.

٨. الدعوة إلى الانتباه واليقظة، وإلى الاستدلال والاعتماد على البراهين.

٩. تذليل الصعاب والقضاء على معوّقات النمو العقلي ومنها: القلق، والغضب، والغفلة،

---

١. الأنفال: ٢٩.

٢. البقرة: ١٨٦.

٣. *جامع الأخبار*: ٢٤٩.

٤. *نور الإسلام*: ٩٦/٦٣.

والعجلة، وكثرة الأماني، والهوى، والطمع، والإعجاب، والكبر، والانحرافات السلوكية الجنسية، والاستبداد بالرأي، إضافة إلى المشاكل الإقتصادية والأسرية والاجتماعية.

١٠. التشجيع على الممارسات المؤدية إلى التنمية العقلية.

ثالثاً: الآثار العامة

الدين منهج حياة شامل لجميع جوانب الشخصية الفردية والاجتماعية، يوجّه الإنسان والمجتمع ليوصله إلى القمة في السمو والارتقاء، متعالياً على النظرات الضيّقة للكون وللحياة وللمجتمع، ومتحصّناً من الانزلاق وراء الرغبات والشهوات، ومن آثاره الأساسية هداية الإنسان بتغيير محتواه الداخلي ليصل إلى الكمال والتكامل، وفيما يلي نستعرض صفات المتديّن وهي تعتبر آثار عملية للنمو الديني.

قال الإمام جعفر الصادقعليه السلام:

صفة المؤمن: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبرّ في استقامة، وإغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يغتاب ولا يتكبر ولا يبغي، وإنْ بُغي عليه صبر، ولا يقطع الرحم وليس بواهنٍ ولا فظٍ ولا غليظ، ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، ولا يفتر ولا يبذر ولا يسرف، بل يقتصد، ينصر المظلوم، ويرحم المساكين، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدنيا، ولا يجزع من ألمها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، وله همّ قد شغله، لا يرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده، ويكيع من الباطل والخنى والجهل، فهذه صفة المؤمن.[١]

---

١. *الخصال*: ٥٧١/٢.

اختبار درجة التديّن والوعي الديني

إنّ التديّن ليس علاقة فردية بين الإنسان وخالقه، تقتصر على العبادة والدعاء فحسب، وليس هو كلمة تقال باللسان، أو هو ترديد لآيات قرآنية أو أحاديث شريفة، بل هو سلوك وممارسة عملية تدلّ على درجة قرب أو بعد الإنسان عن الله تعالى، وعن منهجه في الحياة، وهو كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله في توضيحه للإيمان: «الإيمان عقد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».[1]

فالتدين ليس اعتقاد وشعور قلبي فحسب، بل هو منهج حياة واقعية، وهو ليس مقتصراً على المظاهر والطقوس، بل هو منهج متكامل تتحول فيه النصوص والطقوس إلى مشاعر وأخلاق وارتباطات، تراعى فيها الرقابة الإلهية، لتكون حاكمة على السلوك ومحرّكة له.

ومن هنا فإنّ اختبار درجة التديّن تعتمد على الموقف والسلوك والممارسات العملية، وقد وضعنا مقياساً لذلك يمكن من خلاله قياس درجة التديّن نسبياً.

س ١: لو أردت شراء دواء لوالدك وهو ضروري له، فاستغل الصيدلي حاجتك فزاد في السعر ثلاثة أضعاف، وكان المبلغ الذي تملكه لا يكفي لذلك، فماذا تفعل؟

---

١. *فردوس الأخبار*: ١٤٩/١.

١. تأخذ الدواء خفية بنية تسديد قيمته عند الاستطاعة.

٢. تأخذ الدواء خفية بنية تسديد قيمته السابقة على الزيادة.

٣. تأخذ الدواء بالتهديد بنية تسديد قيمته الحالية.

٤. تأخذ الدواء بالتهديد بنية تسديد قيمته السابقة.

٥. تأخذ الدواء بالقوة وتعطي المبلغ.

٦. تأخذ الدواء دون إرجاع المبلغ باعتباره مستغلاً والحاجة إليه.

س٢: لو أراد أحد المحسنين مساعدة بعض المحتاجين، واشترط أن يكون الدخل الشهري للمحتاج أقل من ٢٠٠ دولاراً، وكنت محتاجاً بالفعل، فماذا تفعل؟

١. تخبره بالصراحة وتطلب منه المساعدة.

٢. تدّعي أنّ دخلك الشهري أقل من ٢٠٠ دولاراً، فتأخذ المساعدة بنية دفعها للمحتاجين حين الاستطاعة.

٣. تدّعي الأدعاء السابق بنية إرجاع المساعدة للمحسن حين الاستطاعة.

٤. تدّعي الادعاء السابق ولا تنوي إرجاعه باعتبارك محتاجاً ومضطراً.

س٣: لو أردت الذهاب لحجِّ بيت الله الحرام، وطلب منك المسؤول أن تعطيه مبلغاً من المال لكي يسهل لك الحجَّ، فماذا تفعل؟

١. لا تعطيه وتنتظر القرعة.

٢. تعطيه ليقدم اسمك على غيرك.

٣. تعطيه ليحذف اسم غيرك لتتقدم أنت.

س٤: لو اعتدى معلّم على طالب، وطلبوك شاهداً، فماذا تفعل؟

١. تشهد للطالب ضدّ المعلم، وإن أدّت الشهادة إلى رسوبك في الدراسة أو معاداة المعلم لك.

٢. تشهد للطالب وإن لم يحصل لك ضرر من قبل المعلم.

٣. تتهرّب من الشهادة فلا تشهد لأحد.

٤. تشهد للمعلم لكي يساعدك في النجاح.

س٥: لو سرق منك شخص، مبلغاً من المال، ثم كلّفك أحدٌ بتوزيع مبلغ معيّن على المحتاجين، وكان السارق محتاجاً، فماذا تفعل؟

١. تعطيه حصته من المبلغ.

٢. تعطيه حصته وتستقطع قيمة ما سرقه منك.

٣. لا تعطيه.

س٦: لو نقل لك شخص أنّ صديقك قد اتهمك أو شوّه سمعتك، فماذا تفعل؟

١. لا تصدقه.

٢. لا تصدّقه وتقرر اللقاء بالصديق للاستفسار منه.

٣. تصدّقه وتسكت.

٤. تصدقه وتلتقي بالصديق لمعاتبته.

٥. تصدقه وتطعن بصديقك أمام الشخص.

س٧: لو رأيت شخصاً خرج من بيت مشبوه، فماذا تفعل؟

١. تحكم بأنّه يريد الإصلاح.

٢. تتهمه بأنّه يريد المنكر دون أن تصرّح بذلك.

٣. تتصل به وتنصحه.

٤. تتهمه بأنّه يريد المنكر، وتصرّح بذلك أمام بعض الناس.

س٨: لو أراد مدير المدرسة أن يقدّم هدية لعشرة من الطلاب، وقد قرّر أن يجعل الأمر سراً، وفي حالة شيوع الخبر فانه سيقوم بقرعة لجميع الطلاب، فإذا أخبرك سرّاً بتسجيل اسمك فماذا تفعل؟

١. تخبر الجميع بالأمر ليشتركوا جميعاً في القرعة.

٢. تقترح عليه أسماء عشرة من الطلاب.

٣. لا تخبر أحداً بالأمر.

س٩: لو أهانك شخص أمام الناس، دون أن يصدر منك عملاً أو قولاً يوجب الإهانة، فماذا تفعل؟

١. تخبره بهدوء ورفق إنه مشتبه وإنك بريء.

٢. تردّ الإهانة بإهانة مثلها.

٣. تردّ الإهانة بإهانة أشد.

٤. تردّ الإهانة بصفعة أو ضربة.

س١٠: لو اعتدى شخص على آخر أمامك فماذا تفعل؟

١. تمنعه من الاستمرار في الاعتداء بقوّة اليد.

٢. تمنعه بأسلوب هادئ رقيق مؤثر فيه.

٣. تمنعه بأسلوب شديد اللهجة وبكلام بعيد عن الأدب.

٤. تسكت وكأنك لا تراهما.

القسم الخامس

النمو الانفعالي والعاطفي

معنى الانفعال ومتعلّقاته

إنّ الانفعالات: تتّصف بكونها حالات داخلية لا يمكن ملاحظتها، أو قياسها، أو التعرّف عليها عن قرب، حيث تنشأ من خلال تفاعل الأفراد مع الخبرات التي يتعرّضون لها، وغالباً ما تكون متّصفة بعدم القدرة على التحكّم فيها، حيث لا يمكن بسهولة انطلاقها أو إيقافها، وعلى الرغم من أنّها تتسبّب في شعور الإنسان بعدم القدرة على السيطرة على سلوكه والتحكّم فيه، إلّا أنها لا توجّهه نحو السلوك أو لا تجبره على اتخاذ سلوك معيّن، فقد تزيد من الاستثارة والاستجابة والتهيّج، أو قد توقفها أو تقلّل من شأنها.

وفي مقام تعريف الانفعال لا نجد سهولة حول الاتفاق على تعريف موحّد لجملة من المصطلحات المتعلّقة بالانفعال، فهي متشابهة ومتداخلة بعضها مع البعض الاخر، ولهذا نستعرض جملة من التعاريف التي نتصورها وافيةً في غرض إيصال المعنى إلى القارئ الكريم.

فتعرّف الانفعالات بأنها:

> حالة داخلية تتّصف بجوانب معرفية خاصة وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية وسلوك تعبيري، وهي تنزع إلى الظهور فجأة، ويصعب التحكم فيها.[1]

---

١. *علم النفس العام*: ١٦٠، عن: *مدخل علم النفس لدفيدوف*: ٤٧٩.

ويستخدم بعض العلماء اصطلاح الانفعال بمعنى واسع بحيث يشمل جميع الحالات الوجدانية رقيقها وغليظها، وبهذا يجمعون بين الخوف والغضب والفرح والحزن، وبين ذلك الشعور السارّ الهادئ الذي يجده الإنسان في نفسه وهو يتأمّل منظراً جميلاً، أو يقرأ كتاباً مسلّياً، أو يشرب الشاي الجيد، أو ذلك الشعور المنافر غير المساغ الذي يستشعره الفرد وهو يلمس قطعة من ورق الصَّنْفَرة[1] أو هو ينتظر طعام الإفطار.

أمّا الانفعال بمعناه الضيق الذي يأخذ به أغلب المُحَدثين من علماء النفس: فهو حالة وجدانية تتّسم بسمات ثلاثة:

١. حالة قوية تكون مصحوبة باضطرابات فسيولوجية حشوية بارزة، تغشى أجهزة التنفس والدورة الدموية والهضم والجهاز العضلي والجهاز الغددي الهرموني، وهذا لا ينفي أن تكون الانفعالات على درجات مختلفة من الشدّة والاعتدال.

٢. حالة تبدو للفرد بصورة مفاجئة، أي بصورة لا تتيح له الفرصة أو القدرة على التكيّف.

٣. تتخذ صورة أزمة عابرة طارئة فلا تبقى وقتاً طويلاً.

وعلى هذا يمكن تعريف الانفعال بأنه:

> حالة جسمية نفسية ثائرة، أي يضطرب لها الإنسان كلّه جسماً ونفساً، أو بأنّه حالة وجدانية طارئة مفاجئة.[2]

ويعرّف بأنّه:

> اضطراب حادّ يشمل الفرد كلّه، ويؤثر في سلوكه وخبرته الشعورية ووظيفته الحيوية، وهو ينثار في الأصل عن مصدر نفسي.[3]

---

١. الصَّنْفَرة: ورق مرمّل يلمس به الخشب ونحوه. عن المعجم الوسيط: ٥٢٦/١، حكمة «صنع».

٢. *أصول علم النفس*: ١٥٣.

٣. *علم النفس العام*: ١٦٦.

وعرّف الغزالي الانفعال بأنّه:

سلوك يتصف بالحركة والاستعار والاضطراب.

ورأي الغزالي يتفق وأحدث ما توصلت إليه الدراسات النفسية الحديثة.[١]

ومن تعاريف الانفعال انه:

معاناة مباشرة تتولّد في حالة معينة يعبّر الإنسان من خلالها عن موقفه من هذه الحالة، وهو يظهر بصورة مفاجئة وسريعة ويتصف بصعود حاد في بدايته ليأخذ فيما بعد بالتخامد. ويمكن أن ننسب إلى جملة الانفعالات كلاً من الهيجانات والتوتر النفسي والمزاج والعاطفة.[٢]

وفيما يلي نستعرض بعض المصطلحات المتعلّقة أوذات الصلة بظاهرة الانفعال:

الشعور: هو علاقة الإنسان بالعالم المحيط، والناس الذين يعيش معهم، وصلته بالأشياء والمواد وألوانها وأصواتها ورائحتها وشكلها، وكلّ هذه الأمور تلاقي في داخلنا صدىً قوياً من الانفعالات التي نعيشها كحالات نفسية متوتّرة.[٣]

المزاج: حالة انفعالية معتدلة نسبياً، تغشى الفرد فترة من الزمن أو تعاوده بين حين وآخر، أي أنّها حالة مؤقتة، وقد تصطبغ بالمرح أو الاهتياج أو الانقباض أو التهجّم، إن استثير الفرد أثنائها؛ انطلق الانفعال الغالب على الحالة عنيفاً، كما أنّها تجذب الأفكار التي تنسجم معها، فالمنقبض تراوده أفكار الانقباض، والمهتاج يرحّب بأفكار الاعتداء.

والحالة المزاجية أقلّ عنفاً، وأطول بقاءً من الانفعال، فالفرد حين يسمع خبراً سيئاً قد يشعر بالحزن، وهذا انفعال عابر، فإن لازمه الحزن يوماً أو عدة أيام أو أسابيع، سمي «أسى» والأسى حالة مزاجية.[٤]

---

١. *علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية*: ٤٩.

٢. *تربية مشاعر الأطفال في الأسرة*: ٩.

٣. *المصدر*: ٥.

٤. *أصول علم النفس*: ١٥٤.

العاطفة: تنظيم وجداني ثابت نسبياً ومركب من عدة استعدادات انفعالية تدور حول موضوع معيّن، قد يكون شيئاً أو شخصاً أو جماعة أو فكرة، كعاطفة حبّ الأم لطفلها، فهي تطرب لنجاحه وتحزن لإخفاقه وتسر للقائه وتحزن لفراقه أو لمرضه، يتخطّفها الخوف إن كان في خطر، ويملكها الغضب إن اعتدى عليه.

فالعاطفة تُعتبر منظومة من الاستعدادات الانفعالية ذات اتجاهات نزوعية مختلفة ترتبط بغرض معيّن، وتهدف إلى غاية معيّنة، وتصنّف عادة إلى الأصناف التالية:

١. إيجابية، كالحبّ والاحترام.

٢. سلبية، كالبغض والكره.

٣. عواطف خاصة، كحبّ شيءٍ معيّن محدّد.

٤. عواطف عامة، كحبّ مجموعة من الناس.

٥. عواطف مجردة معنوية، مثل كره الشرّ.

وتصنّف أيضاً بحسب أبعاد شدّتها ودرجة التأثّر الانفعالي بالموقف الذي يثير الحالة الوجدانية.[1]

ويرى بعض العلماء، أنّ معنى العاطفة مبهم جداً، فهي تدلّ على جميع الأحوال الوجدانية من انفعال وميل وهوى، وهي ميل وتغيّر انفعالي دائم، تتولد في النفس شيئاً فشيئاً بتأثير بعض العوامل الفكرية.[2]

ويتّضح مما تقدّم أنّ العاطفة بطيئة الحدوث بطيئة الزوال.

والعاطفة، قد تستعمل بمعنى الميل والشفقة، للدلالة على بعض الأحوال النفسية المركّبة، فنقول: العاطفة الخُلقية، والعاطفة الوطنية، والعاطفة الأبوية.

---

١. *المصدر*؛ *علم النفس وتطبيقاته*: ٥٨؛ *المعجم الفلسفي*: ١١٥.

٢. *علم النفس*: ١٩٥.

الهيجان: هو الصورة القصوى من الحياة الانفعالية، وهو ردّ فعل انفعالي عارم جداً وشديد، يؤثر لفترة مؤقتة، وهو متولّد من فكرة ومصحوب بتبدلات فسيولوجية.

والهيجان اضطراب انفعالي سريع، والمفاجئ منه يصدم النفس صدماً، فتضطرب لوقوعه وتقلق، فالخوف والغضب والحيرة والسرور المفاجئ والحزن الشديد، كلّ ذلك من أنماط الهيجان والانفعال الشديد، أو ما يطلق عليه الهيجانات الصادمة، وقد أراد بعض علماء النفس أن يستعمل كلمة هيجان للدلالة على مجموع الظواهر الانفعالية من لذات وآلام جسمانية ونفسانية معاً.[١]

الإحباط: هو ظاهرة أكثر تعقيداً، وتسببها المعاناة الانفعالية السلبية والسأم من الحياة، وإخفاقات الإنسان المتكرّرة في هذا الوجه من النشاط أثناء السعي إلى غايته بعقبات كثيرة وصعوبات جمة.

إنّ حالة الإحباط تغير سلوك الإنسان بصورة ملموسة، فتبرز هذه الحالة عند البعض من خلال حقدهم الشديد الذي يكنّونه للآخرين، وفظاظتهم الزائدة، ومزاجهم المتوتّر، وتهديداتهم بالانتقام، أمّا عند البعض الآخر فيتحوّل هذا الشعور العدائي إلى خطّة وهمية ينظمها المصاب داخل نفسه للانتقام، ويتصوّر كيف سيحطم ذلك الذي أغاضه، إنّ النزوع إلى الخيال يساعد الإنسان لتهدأ نفسه، وكأنّه قد حقّق كلّ شيءٍ خطط للقيام به.[٢]

---

١. *تربية مشاعر الأطفال*: ١٠؛ *علم النفس*: ١٩٥.

٢. *تربية مشاعر الأطفال*: ١٣.

عناصر الانفعال

ان الانفعال ظاهرة معقّدة تتكّون من عدّة عناصر وعوامل ومن أهمها:

أولاً: إدراك الموقف الانفعالي

يبدأ الانفعال بادراك الشخص لأمر معين أو لموقف معين أو لظاهرة معينة، والإدراك يتوقف على عدّة عوامل:

١. العامل الموضوعي: وهو وجود ما يسبب الانفعال، كوجود أمر موجود بالواقع أو موجود بالذهن.

٢. العامل الذاتي: ويتمثّل بخبرة الشخص بالأمر الذي يسبب الانفعال، كالطفل الذي يرى الثعبان أو الكلب، مع علمه المسبق بأنّه مؤذٍ وضار ويثير الخوف والهلع.

٣. العامل المنبّه: وهو قد يكون موضوعاً خارجياً، كالثعبان أو الكلب أو الهزّة الأرضية أو الرعد السماوي، وقد يكون منبّهاً ذهنياً، كتوقّع الخطر أو توقّع الفشل أو توقّع الحرمان.

٤. العامل التربوي له أثر ملموس على الانفعال، فالطفل الذي تربّى على الخوف من بعض الأمور والظواهر، يختلف انفعاله عن الطفل الذي لم يتربَ على الخوف،

فهنالك أطفال يخافون من الظلام نتيجة للقصص والحكايات الخرافية التي سمعوها، في حين أنّ البعض لا يخف؛ لأنّه لم يسمع بمثل هذه القصص والحكايات.

وكذا الحال في الانفعالات السارّة التي تثير في النفس السرور والبهجة.

ثانياً: التغيرات الفسيولوجية الداخلية، كزيادة خفقان القلب، مما يؤدي إلى زيادة كمية الدم المتدفّقة من القلب ممّا يؤدي إلى زيادة ضغط الدم.

وتحدث قلة في إفراز العصارة المعدية مما يؤدي إلى عسر الهضم.

ويزداد نشاط غدد العرق مما يسبب تصبب العرق، ويقلّ نشاط الغدد اللعابية مما يسبب جفاف الحلق.

ويدفع الأدرنالين الكبد إلى زيادة نشاطه، فيقوم بزيادة كمية السكّر مما يزيد من طاقة الإنسان.

ويحدث اضطراب في التنفس واتساع في بؤبؤ العين، ويزداد التوتّر العضلي.

ثالثاً: التغيرات البدنية الخارجية، كالبكاء والصراخ والحركات العنيفة عند الأطفال، للتعبير عن انفعال الحزن، والابتسام والضحك عند انفعال السرور، حيث تتغيّر ملامح الوجه وهيئة البدن ونبرة الصوت.

رابعاً: الخبرة الشعورية، وهي الحالة التي بحسّها الشخص أو الطفل المنفعل، ويمكن ملاحظته أو دراسته عن طريق التأمل الباطن.

خامساً: الحد لفاصل بين الانفعال المحزن والمسر، كحالة الطفل الذي ينتظر مصيره في الامتحان أو نتائج الامتحان،فهو يعيش حالة انفعالية غير محسوسة قبل الامتحان، أو قبل نتائجه حيث يعيش القلق والخوف والاضطراب الذي يتحوّل إلى انفعال محزن أو مسرّ.

مراحل النمو الانفعالي

أول مظهر انفعالي للطفل الوليد، هو البكاء والتهيّج، ثمّ يبدأ نمو المظاهر الأخرى كالابتسام والحبّ والكره والغضب.

وفي مرحلة الرضاعة يتعلّم الطفل وبالتدريج طريقة التعبير عن انفعالاته، عن طريق حركات معينة تظهر في وجهه وفي بعض أجزاء الجسم، وأهم مؤثر في الانفعالات، هو راحته الجسمية وتغذيته وقرب وبعد الأم عنه.

وأهم الانفعالات المتسلسلة والمتداخلة عند الطفل الرضيع:

١. التهيّج والبكاء.

٢. الانشراح والانقباض.

٣. الغضب والتقزّز.

٤. الخوف.

٥. البهجة والعطف نحو الكبار والصغار.

٦. الغيرة.

٧. الفرح.

وتتناسب قوة الاستجابات الانفعالية مع عمق إدراك الرضيع للموقف.

فانفعال الفرح يلاحظ على الرضيع نتيجة الراحة الجسمية والتغذية الكافية، ويزداد الفرح فيعبر عنه بالضحك عندما يكلّمه الوالدان أو غيرهم أو يلاعبونه.

ويكون الحبّ موجهاً للذين يجد منهم الراحة، بإشباع حاجاته أو مناغاته أو احتضانه كالأم والأب، ثمّ ينمو بالتدريج ليشمل إخوانه وأخواته ثمّ الغرباء.

ويعبّر عن الخوف، عن طريق البكاء والصراخ، أو التوقف عن النشاط، واللجوء إلى ذراعي أمّه، ويظهر الخوف بسبب بعض العوامل:

١. وجود مثيرات صوتية.

٢. وجود مثيرات صورية كوجوه الغرباء.

٣. العقاب من قبل الأم الجاهلة بالتربية.

٤. تقليد الكبار.

ويظهر الغضب عليه بسبب بعض العوامل:

١. الشعور بعدم الراحة الجسمية.

٢. الشعور بالحرمان من حاجاته الأساسية.

٣. إهمال الوالدين له وتركه وحيداً.

٤. تقييد حريته في الحركة.

٥. الكلام الشديد اللّهجة.

٦. العبوس في وجهه.

ويعبر عن الغضب بالبكاء والصراخ والرفس بقدميه، وأحياناً بضرب رأسه بالأرض، وأحياناً بالاعتداء على غيره.

ويعبّر عن غيرته من بقية الأطفال، بالصراخ والعدوان وإحداث الضوضاء.

وانفعالات الطفل الرضيع متقلّبة ومضطربة، حيث تزول منه بزوال أسبابها، والظاهر انّه يتناسى الانفعال وأسبابه إن تغيّر الموقف العملي منه.

وبعد مرحلة الرضاعة وبدأ الفطام يتطوّر النمو الانفعالي، حيث يعبّر عنه بألفاظ معيّنة يتعلّمها من محيطه الأسري والاجتماعي، ويتطوّر أيضاً بسبب المعلومات التي يتعلّمها وبسبب مخاوف الام أو كلا الوالدين أو مخاوف الآخرين، أو بسبب تخويفهم له من الأشباح والظلام والحيوانات غير الأليفة، ويتطوّر الغضب ويعبّر عنه بألفاظ حادّة وشديدة اللّهجة يتعلّمها من الكبار، أو بمواقف عملية سلبية كالعناد والعدوان على الآخرين أو تحطيم بعض المواد.

وتزداد الغيرة بسبب تعامل الوالدين الخاطئ معه، ومعه بقية إخوانه وخاصة المولود الجديد.

ويلاحظ أنّ الذكور أعنف من الإناث في التعبير عن انفعالاتهم.

وأهم أسباب وعوامل الانفعالات البنّاءة والسارّة هي الرعاية، والاهتمام بالطفل بإشباع جميع حاجاته، أمّا أسباب وعوامل الانفعالات الهدّامة والضارّة، هي الإهمال واللامبالاة بالطفل عن طريق حرمانه من إشباع حاجاته، وهي تتوقّف على شعوره بالرعاية أو الإهمال، وهذه قاعدة تنطبق على جميع المراحل.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى يتعلّم الأطفال كيف يشبعون حاجاتهم بأسلوب بنّاء بعيداً عن الغضب والتشنّج إلّا في حالات خطيرة تستدعي الغضب.

وتتكون العواطف ويرغب الطفل في الحبّ، ويحاول الحصول عليه بكافة الوسائل والأساليب، وتتحسّن علاقاته مع الآخرين، ويشعر بنوع من المسؤولية تقيّد الكثير من انفعالاته.

وتغيّر مخاوف الأطفال في هذه المرحلة، فالخوف من الأصوات والحيوانات والظلام يقل جداً أو ينعدم ليحل محلّه الخوف من المعلمين أو من عدم الأمن أو من عدم مساواته مع الآخرين من حيث المظهر الخارجي ومن حيث الملبس.

ويعبر عن الغيرة، بمظاهر سلوكية كالضيق والتبرم وتخطئة من يغار منه أو الاستهزاء به.

وفي مرحلة الطفولة المتأخّرة، يكون الطفل قد دخل مرحلة الشعور بأنّه سيصبح كبيراً كالراشدين، ولذا يتّجه الانفعال نحو الثبات والاستقرار، بضبط الانفعالات ومحاولة السيطرة عليها، وتغيير أساليب التعبير عنها.

ويتعلّم الطفل التنازل عن بعض حاجاته التي تثير الغضب لدى والديه أو لدى المعلمين.

ويعبر عن الغيرة بالوشاية والإيقاع بالشخص الذي يغار منه ومتابعة زلاّته وأخطائه؛ لإخبار الوالدين أو المعلمين عنها.

وقد تبرز في هذه المرحلة حالات من القلق والاضطراب والصراع النفسي؛ نتيجة لتعقيدات الحياة والحرمان من إشباع بعض الحاجات.

وتقلّ مخاوف الأطفال في هذه المرحلة قياساً للمرحلة السابقة، حيث تلعب الثقافة دوراً في تقليلها أو تغييرها، أو ظهور مخاوف أخرى كالخوف من الجن أو العفاريت.

ويتّجه الطفل نحو النشاط الترويحي والبحث عن الظريفة أو المزاح، الذي يجعله يعيش أجواء البهجة والضحك أكثر من المرحلة السابقة.

التنمية الانفعالية

التنمية الانفعالية، مسؤولية مهمّة تقع على عاتق الوالدين وعلى الأم بوجه خاص، وأوّل خطواتها إحاطة الوليد والرضيع بالحب والحنان، وإشباع حاجاته المادية والروحية والنفسية، لكي لا يلتجأ إلى البكاء للتعبير عن عدم إشباعها، وينبغي عدم إكراه الرضيع على كبت انفعالاته، وعدم اللّجوء إلى العقاب لتمرينه على بعض العادات.

فطول مدّة الرضاعة له تأثير إيجابي على الوضع النفسي والعاطفي للطفل، وهي أهم المراحل في البناء العاطفي للطفل، حيث تحتضن الأم طفلها وتضمّه إلى صدرها، فيشعر بالحنان المتواصل والدفء العاطفي، وفي هذا الصدد تقول عالمة النفس لويز كابلان: إنّ الطفل الذي ينعم بحنان أمه المتدفّق خلال العام الأول والثاني من عمره يشعر بالأمان، وعادة لا يشعر بالقلق أو الخوف، فيتصرّف بتلقائية عندما يبلغ سن الثالثة أو الرابعة، والطفل الذي يشعر بالطمأنينة يتمتّع بالثقة بالنفس، ويتعامل مع الآخرين بسهولة ويندمج مع الأطفال في مثل عمره.[1] ومناغاة الطفل في هذه المرحلة ضرورية

---

١. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٥٧.

للطفل، تؤثّر على نموه العاطفي في المستقبل، ففي الأخبار أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تداعب ولدها الحسن عليه السلام وتناغيه بما ينسب إليها من قول:

أشــبه أبــاك يــا حــسن واخلــع عــن الحــق الرّسـن
واعبــد إلهــاً ذا مــنن ولا تــوالي ذا الإحــن

وحينما كانت تداعت الحسين عليه السلام تناغيه بما ينسب إليها من قولها:

أنــت شــبيهٌ بــأبي لــست شــبيهاً بعلــيّ[1]

والنمو الانفعالي يتأثر بالأجواء والظروف الانفعالية التي تعيشها الأسرة في تعامل أفرادها مع بعضهم البعض، وفي تعاملهم مع الطفل، لذا ينبغي خلق الظروف والأجواء الإيجابية داخل الأسرة والتي تؤثر في النمو الانفعالي والعاطفي والنفسي للطفل، وهي الأساس في نضجه الانفعالي في جميع مراحل الحياة، حيث تبقى ملازمة له، لأنّه يتأثّر بها وتنعكس على شخصيته في جميع المراحل.

والعلاقات الأُسرية لها دور كبير في توثيق بناء الأسرة، وتقوية التماسك بين أعضائها، ولها تأثيرها على نمو الطفل وتربيته، وإيصاله إلى مرحلة التكامل والاستقلال.

والأجواء الفكرّية والنفسية والعاطفية التي تخلقها الأسرة للطفل، تمنحه القدرة على التكيّف الجدّي مع نفسه ومع أسرته ومع المجتمع، ومع هذا المنطلق، فإنّ الأسرة بحاجة إلى منهج تربوي ينظّم مسيرتها، فيوزّع الأدوار والواجبات ويحدّد الاختصاصات؛ للمحافظة على تماسكها المؤثّر في انطلاقة الطفل التربوية، ومن أهم هذه المظاهر أو خطوات التنمية الانفعالية:

أولاً: الاتفاق على منهج تربوي مشترك

للمنهج المتبنّى في الحياة تأثير على السلوك، فهو الذي يجعل الإيمان به حركة

---

١. *بحار الأنوار*: ٤٣/٢٨٦.

سلوكية في الواقع، ويحوّل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متجذّرة داخل النفس وداخل الأسرة، فتبقى فيه الحركة السلوكية المتفاعلة مع ما يحدّد لها من تعاليم وبرامج.

ووحدة المنهج تؤدّي إلى وحدة السلوك والخُلُق، فالمنهج الواحد هو المعيار والميزان الذي يوزن فيه السلوك من حيث بعده وقربه من التعاليم والبرامج الموضوعة، فيجب على الوالدين الاتفاق على منهج واحد مشترك، يحدّد لهما أسلوب وطريقة التعامل مع أفراد الأسرة من أجل تربيتهم وإعدادهم ليكونوا عناصر صالحة في الاسرة والمجتمع، حيثأن وحدة المنهج التربوي تؤدّي إلى وضوح الضوابط والقواعد السلوكية لدى الوالدين ولدى الاطفال، فتكون حاكمة على سلوكهم وممارساتهم وبالتالي تؤدّي إلى ثباتهم واستقرارهم النفسي والعاطفي والسلوكي، والعكس صحيح، فاضطراب المنهج والتضارب في التعامل يؤدي إلى الاضطراب في جميع مقوّمات الشخصية، فينبغي الاتفاق على أسلوب وطريقة واحدة في التعامل، وفي الموقف من سلوك الطفل من حيث التشجيع والتوبيخ، ومن حيث الثواب والعقاب.

فالسلوك الذي يحتاج إلى تشجيع، ينبغي أن يشجّع الطفل عليه من قبل الطرفين، والسلوك الذي يحتاج إلى توبيخ ينبغي أن يقوم به الطرفان، وكذلك الحال في الثواب والعقاب، وبهذه الوحدة المنهجية يدرك الطفل الصحة والخطأ والاستقامة والانحراف، أمّا في حال التضارب في المنهج فان الطفل يضطرب نفسياً وعاطفياً وسلوكياً؛ لأنّه لا يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الاستقامة والانحراف، فيحاول إرضاء والده تارة ووالدته تارة أخرى، باتباع سلوك متناقض، فلو امتدحه الوالد على سلوك معيّن، وذمّته الوالدة على نفس السلوك، فانه سيضطرب ولا يقوى على معرفة السلوك الذي ينبغي أن يتّبعه، وعلى سبيل المثال، لو أراد الطفل لعبة معيّنة فلا ينبغي لأحد الوالدين أن يسمح له، بها ويمنعه الآخر منها، ولو أراد الطفل أن يلعب مثلاً في التراب، فلا ينبغي التضارب في ذلك، بالسماح له والمنع منه، فقد يرى الوالد أنّ اللعب بالتراب

مفيد للطفل اعتماداً على رواية شريفة، وهي قول رسول الله ﷺ: «التراب ربيع الصبيان» واعتماداً على رأي بعض علماء النفس والتربية، بينما ترى الوالدة بأنّ اللعب بالتراب عمل غير حضاري، أو يؤدي إلى مرض الطفل أو إلى قذارة ثيابه، أو ترى ضعف سند الرواية، ففي هذه الحالة سيضطرب الطفل ولا يدري ماذا يعمل.

وكذا الحال في النظر إلى جهاز التلفاز، أو قراءة مجلة معيّنة، أو اختيار وقت اللعب، أو الموقف من الشجار بين الأطفال، فقد يرى الوالد عدم التدخل في شؤون هذا الشجار ليتعلّم الأطفال دروساً من الشجار في الوصول إلى علاج له، بينما ترى الوالدة وجوب التدخّل لإنهاء الشجار، وقد يرى الوالد إنّ التعرّي أمام الآخرين ظاهرة طبيعية بالنسبة لعمر الطفل، بينما ترى الوالدة أنّ التعرّي ظاهرة غير محتشمة ومخالفة للعفّة. وقد يرى الوالد أن قيام الطفل بتحطيم آلة معينة أو تمزيق بعض الأوراق المهمّة، هو عمل عدواني ينبغي معاقبته عليه، بينما ترى الوالدة أنّ هذا العمل هو جزء من شعور الطفل بالإبداع والابتكار، حيث إنّه جعل الآلة الواحدة أجزاءً متعددة، وجعل الورقة الواحدة أوراق عديدة بتمزيقها إلى عدة أقسام وأجزاء.

فهذا التضارب يجعل الطفل مضطرباً لا يميّز بين الخطأ والصواب وبين الانحراف والاستقامة، ويضطرب في معرفة ما يرضي هذا ويرضي ذاك، وهو في هذه الحالة لا يستطيع معرفة الميزان والمعيار الثابت الذي يوزن به سلوكه في جميع المجالات، فيتّبع سلوكين في آن واحد، أحدهما أمام والده، والآخر أمام والدته، وهو نوع من النفاق السلوكي المؤدّي إلى اضطرابه في فكره وعاطفته وسلوكه.

ومن أخطر المظاهر هو الخلافات بين الوالدين حول طريقة التربية أمام مرأى ومسمع الطفل، فقد يؤنّب أحدهما الآخر على موقفه من الطفل، فمثلاً يقوم الوالد بتوبيخ طفله أو معاقبته، فتعترض الوالدة على ذلك، وتصرّح بأن الطفل لا يستحق التوبيخ والعقوبة، فيقابلها الوالد بتخطئة رأيها، وتتشنّج بينهما العلاقة، وقد يصحبها

صراع صاخب في الألسن والأيدي، وخصوصاً من قبل الوالد الذي يرى أنّه القيّم والمسؤول، ففي هذه الحالة يفقد الطفل الاستقرار والطمأنينة والأمان، لاختلاف الوالدين حول سلوك واحد، وللصراع الصاخب بينهما.

فينبغي أن يتمّ التفاهم والانسجام بين الوالدين في طريقة التعامل مع الطفل، وفي التعامل فيما بينهم، وينبغي أن يناقش الوالدان الموقف بعيداً عن مرأى ومسمع الطفل، فيبيّن أحدهما للآخر خطأ موقفه وسلوكه، فلو أخطأ الوالد أو أخطأت الوالدة، فينبغي الصبر وعدم الردّ إلى حين غياب الطفل فتناقش الأمور بغيابه؛ ليتمّ الاتفاق على موقف واحد من جديد.

وفي جميع الظروف والأحوال، ينبغي الرجوع إلى مفاهيم وقيم التربية التي أرسى أركانها رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لأنّها خير ميزان ومعيار لتقويم السلوك، إضافة إلى الاعتماد على آراء العلماء والفقهاء وأصحاب التجارب في مجال التربية.

فقد وضع المنهج الإسلامي قواعد كلية في العلاقات والأدوار والسلوك، أمّا القواعد الجزئية أو الفرعية فإنّها تتغيّر بتغيّر الظروف والعصور فيرجع فيها إلى أصحاب الاختصاص وأصحاب والتجارب، ومنهج أهل البيت عليهم السلام من أفضل المناهج التي يجب تبنّيها في الأسرة، فهو منهج ربّاني موضوع من قبل الله تعالى علّمه لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعلّمه الرسول إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعلّمه بدوره إلى الأئمة المعصومين من ولده عليهم السلام، وهو منهج منسجم مع الفطرة الإنسانية، فلا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يطاق، فجميع الإرشادات والتعاليم تستمد قوتها من الله تعالى، فلا مجال للنقاش في خطئها أو محدوديتها، وهي الكفيلة بتحقيق الاستقرار والاطمئنان داخل الأسرة ومن ثمّ المجتمع الكبير.

ثانياً: علاقات المودّة

من واجبات الوالدين إشاعة الودّ والاستقرار والطمأنينة في داخل الأسرة، فقال

تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾.[١]

فالعلاقة بين الزوج والزوجة أو الوالدين، علاقة مودة ورحمة، وهذه العلاقة تكون سكناً للنفس وهدوءاً للأعصاب وطمأنينة للروح وراحة للجسد، وهي رابطة تؤدي إلى تماسك الأسرة، وتقوية بنائها واستمرار كيانها الموحّد، والمودة والرحمة تؤدي إلى الاحترام المتبادل، والتعاون الواقعي في حلّ جميع المشاكل والمعوّقات الطارئة على الأسرة، وهي ضرورية للتوازن الانفعالي عند الطفل. يقول الدكتور سبوك:

اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائماً إلى تماسك العلاقة بين الوالدين، ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة.[٢]

ويجب على الزوجين إدامة المودة في علاقاتهما في جميع المراحل، مرحلة ما قبل الولادة والمراحل اللاحقة لها، والمودة فرض من الله تعالى فتكون إدامتها استجابة له تعالى وتقرّباً إليه، وقد أوصى الإمام علي بن الحسين عليه السلام بها فقال:

وأمّا حق رعيتك بملك النكاح، فإن تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإنّ كان حقّك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم فيها أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإنّ لها حق الرحمة والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللّذة التي لابدّ من قضائها وذلك عظيم.[٣]

وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام على إدامة علاقات الحبّ والمودة داخل الأسرة، وجاءت توصياتهم موجّهة إلى كلٍّ من الرجل والمرأة.

---

١. الروم: ٢١، يراجع *تفسير الميزان*.
٢. *مشاكل الآباء في تربية الأبناء*: ٤٤.
٣. *تحف العقول*: ١٨٨.

قال رسول الله ﷺ: «خيركم، خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي».[١]

وقال الإمام جعفر بن الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته».[٢]

قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ زوجة فليكرمها».[٣]

وقال ﷺ:

أوصاني جبرائيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة.[٤]

فأقوال أهل البيت عليهم السلام، وتوصياتهم في الإحسان إلى المرأة وتكريمها، عامل مساعد من عوامل إدامة المودّة والرحمة والحبّ.

وقد أوصى أهل البيت عليهم السلام المرأة بما يؤدي إلى إدامة المودّة والرحمة والحبّ إن التزمت بها، ومنها طاعة الزوج، قال رسول الله ﷺ:

إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها؛ فلتدخل من أي أبواب الجنّة شاءت.[٥]

وقال رسول الله ﷺ:

ما استفاد إمرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله.[٦]

وشجّع رسول الله ﷺ الزوجة على اتباع الأسلوب الحَسَن في إدامة المودّة والرحمة، بالتأثير على قلب الزوج وإثارة عواطفه:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ لي زوجة إذا دخلتُ تلقتني، وإذا خرجتُ شيعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمّك، إن كنت تهتمّ لرزقك فقد تكفّل به

---

١. من لا يحضره الفقيه: ٢٨١/٣.

٢. المصدر.

٣. مستدرك الوسائل: ٥٥٠/٢.

٤. من لا يحضره الفقيه: ٢٧٨/٣.

٥. مكارم الأخلاق: ٢٠١.

٦. المصدر: ٢٠٠.

غيرُك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همّاً، فقال رسول اللهﷺ: «بشّرها بالجنة وقل لها: إنّك عاملة من عمّال الله ولك في كلّ يوم أجر سبعين شهيداً، ـ وفي رواية ـ إنّ لله عزّ وجلّ عمّالاً وهذه من عمّاله، لها نصف أجر الشهيد».[1]

وقال الإمام محمد بن علي الباقرعليه السلام: «جهاد المرأة حسن التبعّل».[2]

ومن العوامل المساعدة على إدامة المودّة والحبّ وكسب ودّ الزوج، هي الانفتاح على الزوج وإجابته إلى ما يريد. قال الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام:

خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبستْ، لبستْ معه درع الحياء.[3]

فهي منفتحة مع زوجها مع تقدير مكانته، وبعبارة أخرى التوازن بين الاحترام وعدم التكلّف.

وحدّد الإمام جعفر الصادقعليه السلام العوامل التي تعمّق المودّة والرحمة والحبّ داخل الأسرة فقال:

لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها ثلاث خصال، وهي: صيانة نفسها عن كلِّ دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه.[4]

وعلاقات المودة والرحمة والحب ضرورية في جميع مراحل الحياة، وخصوصاً

---

١. *المصدر.*

٢. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٧٨/٣.

٣. *الكافي*: ٣٢٤/٥.

٤. *تحف العقول*: ٢٣٩.

في مرحلة الحمل والرضاعة، لأنّ الزوجة بحاجة إلى الاطمئنان والاستقرار العاطفي؛ وأنّ ذلك له تأثير على الجنين وعلى الطفل في مرحلة الرضاع.

ثالثاً: مراعاة الحقوق والواجبات

وضع المنهج الإسلامي حقوقاً وواجبات على كلٍّ من الزوجين، والمراعاة لها كفيل بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، فالتقيّد من قبل الزوجين بالحقوق والواجبات الموضوعة لهم، يساهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات الوديّة، وينفي كلّ أنواع المشاحنات والتوترات المحتملة، والتي تؤثّر سلبياً على جوٍّ الاستقرار الذي يحيط بالأسرة، والمؤثر بدوره على التوازن الانفعالي للطفل.

ومن أهم حقوق الزوج هو حق القيمومة، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾.[1]

فالواجب على الزوجة مراعاة هذا الحق، لأنّ الحياة الأسرية لا تسير بلا قيمومة، والقيمومة للرجل منسجمة مع طبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكلٍّ من الزوجين، وأن تراعي هذه القيمومة في تعاملها مع الأطفال، وتشعرهم بمقام والدهم.

وأهم الحقوق بعد حق القيمومة، كما في جواب رسول الله ﷺ على سؤال إمرأة عن حق الزوج على المرأة فقال ﷺ:

أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدّق من بيتها شيئاً إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإنْ كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه... .[2]

ومن حقوق الزوج على زوجته، هي ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله:

«حق الرجل على المرأة إنارة السراج، وإصلاح الطعام، وأنْ تستقبله عند باب

---

١. النساء: ٣٤.

٢. من لا *يحضره الفقيه*: ٢٧٧/٣.

بيتها، فترحّب به، وأن تقدّم إليه الطشت والمنديل، وأن توضّئه، وان لا تمنعه نفسها إلّا من علّة».[١]

ولأهمية مراعاة هذا الحقِّ قال رسول اللهﷺ: «لا تؤدي المرأة حقَّ الله عز وجلّ حتى تؤدي حقَّ زوجها».[٢]

وأمّا حق الزوجة على زوجها، فقد وضع المنهج الإسلامي حقوقاً للزوجة، وأوجب على الزوج مراعاتها.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام جواباً على سؤال إسحاق بن عمار عن حقّ المرأة على زوجها فقالعليه السلام: «يشبع بطنها ويكسو جثتها، وإن جهلت غفر لها».[٣]

وأجاب رسول اللهﷺ على سؤال خولة بنت الأسود حول حقّ المرأة فقال:

حقّك عليه أن يطعمك ممّا يأكل، ويكسوك مما يلبس، ولا يلطم ولا يصيح في وجهك.[٤]

ومن حقّها مداراة الزوج لها، وحسن صحبته لها: قال أمير المؤمنين في وصيته لمحمد بن الحنيفة:

إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلِّ حال، وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك.[٥]

ومن حقّ الزوجة وباقي أفراد العائلة هو إشباع حاجاتهم المادية، قال رسول اللهﷺ: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله».[٦]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢١٥.

٢. *المصدر*.

٣. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٧٩/٣، باب حق المرأة على الزوج، ح ٢.

٤. *مكارم الأخلاق*: ٢١٨.

٥. *المصدر*.

٦. *عدة الداعي*: ٧٢.

وقال ﷺ: «ملعون ملعون من يضيّع من يعول».[١]

وقال ﷺ:

«حق المرأة على زوجها أن يسدَّ جوعتها، وأن يستر عورتها ولا يقبّح لها وجهاً، فإذا فعل ذلك فقد أدّى والله حقّها».[٢]

والالتزام بحقوق الزوج من قبل الزوجة، وبحقوق الزوجة من قبل الزوج، ضروري لإشاعة الاستقرار في أجواء الأسرة، فيكون التفاعل إيجابياً ويدفع كلا الزوجين للعمل من أجل سعادة الأسرة وسعادة الأطفال، واستقرار المرأة في مرحلة الحمل والرضاعة، ومرحلة الطفولة المبكّرة يؤثر في استقرار الطفل واطمئنانه، والانطلاق في الحركة على ضوء ما مرسوم له من نصائح وإرشادات وتوجيهات، فينشأ مستقرّ الشخصية سويّ في أفكاره وعواطفه وسلوكه.

رابعاً: تجنّب المشاكل والخلافات

المشاكل والخلافات في داخل الأسرة، تخلق أجواءً متوتّرة ومتشنّجة تهدد استقرارها وتماسكها، وقد تؤدي في أغلب الأحيان إلى انفصام العلاقة الزوجية وتهديم الأسرة، وهي عامل قلق لجميع أفراد الأسرة بما فيها الأطفال، حيثُ تؤدي الخلافات والأوضاع المتشنّجة بين الوالدين إلى خلل في الثبات والتوازن العاطفي للطفل في جميع المراحل التي يعيشها، بدءاً بالأشهر الأولى من الحمل، والسنين الأولى من الولادة والمراحل اللاحقة بها.

والأجواء المتوتّرة تترك آثارها على شخصية الطفل المستقبلية:

إنّ الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته

---

١. *المصدر.*

٢. *المصدر:* ٨١

والرجل في مستقبله، تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين، كالاحتكاكات الزوجية التي تخلق الجوّ العائلي المتوتّر الذي يسلب الطفل الأمن النفسي.[١]

ويقول العالم جيرارد فوجان:

والأم التي لا تجد التقدير الكافي كإنسانة وأم وزوجة في المنزل، لا تستطيع أن تعطي الشعور بالأمن.[٢]

فالشعور بالأمن والاستقرار من أهم العوامل في بناء شخصية الطفل بناءً سوياً متّزناً، وهذا الشعور ينتفي في حالة استمرار الخلافات والعلاقات المتشنّجة، والطفل في حالة مثل هذه يكون متردّداً حيراناً لا يدري ماذا يفعل، فهو لا يستطيع إيقاف النزاع والخصام وخصوصاً إذا كان مصحوباً بالشدّة، ولا يستطيع أن يقف مع أحد والديه دون الآخر، إضافة إلى محاولات كلّ من الوالدين بتقريب الطفل إليهما بإثبات حقّه واتهام المقابل بإثارة المشاكل والخلافات، وكلّ ذلك يترك بصماته الداكنة على قلب الطفل وعقله وإرادته.

يقول الدكتور سبوك:

إن العيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الأبناء الذين نشأوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد، إنّ هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر، وتنعدم فيهم الثقة بالنفس، فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة، ويتذكرون أنّ معنى تكوين أسرة هو الوجود في بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات.[٣]

ويختلف نوع التشنّجات والخلافات من أسرة إلى أخرى، ويختلف أسلوب التعبير عن التشنجات من أسرة إلى أخرى، فقد يكون التعبير بالألفاظ الخشنة البذيئة والاهانات المستمرة، وقد يكون بالضرب واستخدام العقاب البدني، ويلتقط الأطفال

---

١. *أضواء على النفس البشرية*: ٣٠٢.

٢. *المصدر*.

٣. *مشاكل الآباء في تربية الأبناء*: ٤٥.

الممارسات التي تحدث أثناء الخلافات فتنعكس على سلوكهم الآني والمستقبلي، فنجد في كثير من العوائل أن الابن يهين الأم أو يضربها، أو يستخدم نفس الأسلوب مع زوجته حين الكبر.

ومن أجل الوقاية من الخلافات والتشنّجات بين الزوجين، أو التقليل من تأثيراتها النفسية والعاطفية أو تحجيمها وإنهائها، فقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً إزاء الخلافات والتشنّجات، وقد مرّ في النقاط السابقة التأكيد على تعميق المودة والرحمة داخل الأسرة، ووضع برنامج للحقوق والواجبات بين الزوجين، والأهم من ذلك وضع برنامج في أسلوب اختيار الزوج أو الزوجة.والمنهج الإسلامي يبتني على أسلوب الحثّ والتشجيع على الوقاية من حدوث الخلافات، أو معالجة مقدمتها أو معالجتها بعد الحدوث، وعلى أسلوب الردع والذم للممارسات الخلافية أو التي تؤدي إلى الخلافات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم.[1]

وشجّع الإمام محمد الباقر عليه السلام على تحمّل الإساءة، لأنّ ردّ الإساءة بالإساءة يوسّع دائرة الخلافات والتشنجات، فقال عليه السلام:

من احتمل من إمرأته ولو كلمة واحدة، أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنة.[2]

وشجع رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل على الصبر على سوء أخلاق الزوجة فقال:

من صبر على سوء خلق إمرأته، أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب على بلائه.[3]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢١٧.

٢. *المصدر*: ٢١٦.

٣. *المصدر*: ٢١٣.

والصبر على الإساءة من الزوجة أمر غير متعارف عليه، لولا أنّه من توجيهات رسول الله ﷺ، فيكون محبوباً ومرغوباً من قبل الزوج المتديّن، وليس فيه أي إهانة لكرامته فيصبر عن رضا وقناعة.

والاقتداء برسول الله ﷺ في تعامله مع زوجاته يخفّف الكثير من التشنجات، وكذلك الاقتداء بسيرة أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كانت لأبي إمرأة وكانت تؤذيه وكان يغفر لها».[١] ونهى رسول الله ﷺ عن استخدام العنف مع الزوجة فقال:

أيُّ رجل لطم إمرأته لطمة، أمر الله عز وجلّ مالك خازن النيران فيلطمه على حرّ وجهه سبعين لطمة في نار جهنم.[٢]

وشجّع الإمام جعفر الصادق عليه السلام على التفاهم لتجنّب الخلافات الحادّة فقال:

خير نسائكم التي إن غضبت أو أغضبت قالت لزوجها: يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى عني.[٣]

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته.[٤]

ونهى رسول الله ﷺ الزوجة عن الممارسات التي تؤدي إلى حدوث الخلافات فقال:

من شرّ نسائكم الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود، التي لا تتورّع عن قبيح، المتبرّجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، فإذا خلا بها تمنّعت تمنّع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً.[٥]

---

١. من لا يحضره *الفقيه*: ٢٧٩/٣، باب حق المرأة على الزوج، ح ٤.

٢. مستدرك *الوسائل*: ٥٥٠/٢.

٣. مكارم *الأخلاق*: ٢٠٠.

٤. من لا يحضره *الفقيه*: ٢٧٧/٣، باب حق الزوج على المرأة، ح ٤.

٥. مكارم *الأخلاق*: ٢٠٢.

ونهى ﷺ الزوجة عن تكليف الزوج فوق طاقته فقال:

أيما إمرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلّفته ما لا يطيق، لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً إلّا أن تتوب وترجع، وتطلب منه طاقته.[١]

ونهى رسول الله ﷺ عن المنّ على الزوج فقال:

لو أنّ جميع ما في الأرض من ذهب وفضّة حملته المرأة إلى بيت زوجها، ثمّ ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام، تقول: من أنت؟ إنّما المال مالي، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس، إلّا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها.[٢]

وحذّر رسول الله ﷺ من مواجهة الزوجة لزوجها بالكلام اللاذع المثير لأعصابه فقال:

أيّما إمرأة آذت زوجها بلسانها، لم يقبل منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها، حتى ترضيه... .[٣]

ونهى رسول الله ﷺ عن الهجران باعتباره مقدمة للانفصام وانقطاع العلاقات فقال:

أيّما إمرأة هجرت زوجها وهي ظالمة، حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدّرك الأسفل من إلنار الّا أن تتوب وترجع.[٤]

وهذه التوجيهات إن روعيت رعاية تامّة فإنها كفيلة بالحدّ من التوترات والتشنجات، وإذا لم يستطع الزوجان مراعاتها، فالأفضل أن يكون النقاش الحادّ والمتشنّج بعيداً عن مسامع الأطفال، وأن يكون تبادل النظرة السلبية، وتبادل الاتهامات والإهانات بعيداً عن مسامعهم، وأن يوضّح للأطفال أن الخلافات شيء طبيعي، وأنّهما لا زالا يحبّان بعضهم البعض، ويجب عليهما حسم الخلافات وإنهائها في أسرع وقت.

---

١. *المصدر*.

٢. *المصدر*.

٣. *المصدر*: ٢١٤.

٤. *المصدر*: ٢٠٢.

خامساً: التحذير من الطلاق

حذّر الإسلام من الطلاق وإنهاء العلاقة الزوجية؛ للآثار السلبية التي يتركها على الزوجين وعلى الأطفال وعلى المجتمع، فالطلاق مصدر القلق عند الأطفال، ومصدر الاضطراب النفسي والعاطفي والسلوكي، حيثُ إن الطفل بحاجة إلى الحبّ والحنان من كلا الوالدين على حدٍّ سواء، بل إن التفكير المجرّد بالطلاق يولّد القلق والاضطراب في أعماقه، فيبقى في دوّامة من المخاوف والاضطرابات، التي تنعكس سلبياً على ثباته العاطفي وعلى شخصيّته السويّة، وقد وضع الإسلام منهجاً في العلاقات وإدامتها للحيلولة دون الوصول إلى قرار فصم العلاقات الزوجية، وتهديم الأسرة؛ فحذّر من الطلاق في مواضع مختلفة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة.[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

ما مِن شيءٍ ممّا أحلّه الله عزّ وجلّ أبغض إليه من الطلاق، وأنّ الله يبغض المطلاق الذوّاق.[2]

وقال عليه السلام:

إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ البيت الذي فيه العرس، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، وما من شيءٍ أبغض إلى الله عزّ وجلّ من الطلاق».[3]

وحثّ الإسلام على اتّخاذ التدابير الموضوعية للحيلولة دون وقوع الطلاق، فدعا إلى توثيق روابط المودة والمحبّة، ودعا إلى حلّ المشاكل والخلافات التي تؤدي إلى

---

١. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٧٨/٣ باب حق المرأة على الزوج.

٢. *الكافي*: ٥٤/٦، باب كراهية طلاق الزوجة الموافقة، ح ٢.

٣. *المصدر*: ٥٤، باب كراهية طلاق الزوجة الموافقة، ح ٣.

الطلاق، فأمر بالعِشرة بالمعروف، قال الله تعالى: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.[١]

وحثّ على الإصلاح والتماسك الأُسري، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾.[٢] فالصلح أولى من عدمه، وبما أنّ القلوب تتقلّب وأنّ المشاعر تتغير من وقت لآخر ومن ظرف لآخر، فان الإسلام حثّ على إجراء مفاوضات الصلح قبل القرار بالانفصال، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.[٣]

وإذا لم تنفع كلّ محاولات الإصلاح وإعادة العلاقات إلى مجاريها، وإذا لم تتوقّف التشنجات والتوترات إلّا بالطلاق، فقد يكون الطلاق سعادة لكلا الزوجين، ولكنّه يؤثّر على نفسية الطفل، وينعكس على سلوكه، ولهذا منح الإسلام فرصة جديدة للعودة إلى الحياة الزوجية، فأعطى للرجل حقّ العودة أثناء العِدّة دون عقد جديد، وبعد العدّة بعقد جديد، وجعل للرجل حقَّ العودة بعد الطلاق الأوّل والثاني، فإذا لن تنجح محاولات إعادة العلاقة الزوجية، وتمّ انفصالها، يجب على الوالدين مراعاة مشاعر الطفل ومنحه الحنان والحبّ، ويجب عليهما توفير كلِّ الظروف التي تساعده على الإيمان بسلامة أخلاق والده أو والدته، حيث حرّم الإسلام البهتان والغيبة وكشف المساوئ، وبهذا الأسلوب يتحمّل الطفل صدمة الطلاق، أمّا إذا لم يُتبع هذا الأسلوب وحاول كلٌّ من الوالدين كشف مساوئ الآخر أمام الطفل، فان الطفل سوف يبغض الحياة ويحتقّر نفسه، وتنعكس على عواطفه اتجاه والديه فهو

---

١. النساء: ١٩.

٢. النساء: ١٢٨.

٣. النساء: ٣٥.

يحبّهما ويبغضهما في آن واحد بعد اطلاعه على مساوئهما، فيبقى يعيش في دوّامة من القلق والاضطراب وتزداد همومه يوماً بعد يوم وتنعكس سلبياً على علاقاته الاجتماعية، وعلاقاته الاسرية في المستقبل.

سادساً: الإحسان إلى الطفل وتكريمه

الطفل في هذه المرحلة بحاجة إلى المحبة والتقدير من قبل الوالدين، وبحاجة إلى الاعتراف به وبمكانته في الأسرة وفي المجتمع، وأن تسلّط الأضواء عليه، وكلّما أحسّ بأنّه محبوب، وأنّ والديه أو المجتمع يشعر بمكانته وذاته فانّه سينمو:

متكيّفاً تكيّفاً حسناً، وكينونته راشداً صالحاً، يتوقّف على ما إذا كان الطفل محبوباً مقبولاً شاعراً بالاطمئنان في البيت.[١]

والحبّ والتقدير الذي يحسّ به الطفل له تأثير كبير على جميع جوانب حياته، فيكتمل نموه اللغوي والعقلي والعاطفي والاجتماعي، والطفل يقلّد من يحبّه، ويتقبّل التعليمات والأوامر والنصائح ممّن يحبّه، فيتعلّم قواعد السلوك الصالحة من أبويه، وتنعكس على سلوكه إذا كان يشعر بالمحبّة والتقدير من قبلهما.

وقد وردت روايات تؤكّد على ضرورة محبّة الطفل وتكريمه.

قال رسول الله ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم».[٢]

وقال ﷺ: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتألف له وتعليمه وتأديبه».[٣]

وقال ﷺ: «نظر الوالد إلى ولده حبّاً له عبادة».[٤]

---

١. *علم النفس التربوي*: ١١١.

٢. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٥/٢.

٣. *المصدر*: ٦٢٦.

٤. *المصدر*.

وقال ﷺ:

أحبّوا الصبيان وارحموهم، فإذا وعدتموهم فوفّوا لهم، فانّهم لا يرون إلّا إنكم ترزقونهم.[1]

ومن مصاديق محبّة الطفل وإشعاره بمكانته، التشجيع له ومدحه على ما ينجزه من أعمال وإن كانت يسيرة والتجاوز عن بعض الهفوات، وعدم تسفيه أقواله أو أعماله وعدم حمله على ما لا يطيق، كما جاء في قول رسول الله ﷺ:

رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به... .[2]

وتقبيل الطفل من أفضل الوسائل لإشعاره بالحب والحنان، قال سول الله ﷺ:

أكثروا من قُبلة أولادِكم، فإنّ لكم بكلِّ قُبلة درجة في الجنة.[3]

وقال ﷺ: «من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة...».[4]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم».[5]

ومن مصاديق إشعار الطفل بأنّه محبوب، إسماعه كلمات الحبّ والودّ، ففي روايةٍ جاء الحسن والحسين عليهما السلام يسعيان إلى رسول الله ﷺ، فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر وقال: «هذان ريحانتاي من الدنيا».[6]

ومن أجل إشعار ا*لطفل بمكانته الاجتماعية، لتتعمّق الثقة بنفسه كان رسول الله ﷺ يسلّم على الصغير والكبير كما جاء في الخبر إنّه: مرّ على صبيان فسلّم عليهم.[7]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢١٩.

٢. *الكافي*: ٦/ ٥٠، باب بر الأولاد، ح ٦.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٠.

٤. *عدّة الداعي*: ٧٩.

٥. *تحف العقول*: ٢٦٧.

٦. مختصر *تاريخ دمشق*: ١٤/٧.

٧. *مستدرك الوسائل*: ٦٩/٢.

وتعامل رسول الله ﷺ مع الحسن والحسين عليهما السلام تعاملاً خاصّاً، فقد قَبِل بيعةَ الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان.[١]

وإشعار الطفل بالحبّ والحنان، من أهمّ العوامل التي تساعده على الطاعة والانقياد للوالدين.[٢]

والأفضل أن يكون إشعار الطفل بأنّه محبوب مرافقاً له في كلّ الأوضاع والأحوال، حتى وإن أخطأ أو ارتكب ما يوجب التأنيب أو العقاب، والأفضل أن نجعل الطفل مميّزاً بين الحبّ له وعدم كراهيته في حالة خطئه أو ذنبه، يقول الدكتور سبوك:

إنّنا كآباء يجب أنْ لا نجعل الطفل يشعر في أي مرحلة من مراحل عمره بأنّه منبوذ، ولو حتى بمجرّد نظرة عين، إنّ الطفل لا يستطيع أن يفرّق بين كراهية والديه لسلوكه وبين كراهيتهما له.[٣]

ولكن بالتدريب وتكرار العمل يمكننا أن نقنع الطفل بأنّ العمل الخاطئ الذي يرتكبه مبغوضاً من قبل والديه، أو من قبل المجتمع مع بقاء المحبوبية له، ونحاول إقناعه بالإقلاع عن الأعمال الخاطئة وإشعاره بان الحب والحنان سيصل إلى أعلى درجاته في هذه الحالة.

سبعاً: التوازن بين اللِّين والشدّة

تكريم الطفل والإحسان إليه وإشعاره بالحبِّ والحنان، وإشعاره بمكانته الاجتماعية، وبأنّه مقبول عند والديه وعند المجتمع، يجب أن لا يتعدّى الحدود إلى درجة الإفراط في كلِّ ذلك، وأنْ لا تترك له الحرية المطلقة في أن يعمل ما يشاء، فلا بدّ من وضع منهج متوازن في التصرّف معه من قبل الوالدين، فلا يتساهلا معه إلى

---

١. *تحف العقول*: ٣٣٧.

٢. *قاموس الطفل الطبي*: ٣٢٨.

٣. *مشاكل الآباء*: ١٤١.

أقصى حدود التساهل، ولا أن يعنّف على كل شيء يرتكبه، فلا بدّ أن يكون اللّين وتكون الشدّة في حدودهما، ويكون الاعتدال بينهما هو الحاكم على الموقف منه؛ لكي يجتاز مرحلة الطفولة بسلام واطمئنان، يميّز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ، لأنّ السنين الخَمس الأولى من الحياة هي التي تكوّن نمط شخصيته.

وقد أكّدت الروايات على الاعتدال في التعامل مع الطفل فلا إفراط ولا تفريط.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط...».[1]

وفي حالة ارتكاب الطفل لبعض المخالفات السلوكية، على الوالدين أن يُشعرا الطفل بأضرار هذه المخالفة وإقناعه بالإقلاع عنها، فإذا لم ينفع الإقناع واللّين يأتي دور التأنيب أو العقاب المعنوي دون البدني، والعقوبة العاطفية خيرٌ من العقوبة البدنية، كما أجاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام حينما سئل عن كيفية التعامل مع الطفل فقال: «لا تضربه واهجره... ولا تطل».[2]

فالإمام لا يدعو إلى اللّين والتساهل مع الطفل في حالة تكرار الأخطاء، كما لا يدعو إلى استمرار العقوبة العاطفية وهي الهجر، وإنّما يدعو إلى الاعتدال والتوازن بين اللين والشدة.

والإفراط أو التفريط يؤدي إلى تأثيرات سلبية على الطفل من جميع الجوانب العقلية والعاطفية والخلقية.

ويجب في ضوء المنهج التربوي السليم أن يحدث التوازن بين المدح والتأنيب، فالمدح الزائد يؤثّر على التوازن الانفعالي للطفل، ويجعله مضطرباً قلقاً، فالطفل الناشئ في ظلّ الرأفة الزائدة لا يطيق المقاومة أمام تقلّبات الحياة، ولا يستطيع الصراع معها.[3]

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٣٢٠/٢.

٢. *بحار الأنوار*: ١١٤/٢٣.

٣. *الطفل بين الوراثة والتربية*: ١٨٠/٢، عن كتاب *نحن والأبناء*: ٣٩.

ويتأخّر النضوج العاطفي عند الطفل المدلّل، (وتطول فترة الطفولة لديه).[١] فيبقى محتاجاً لوالديه في كلّ المواقف التي تواجهه، وتستمر هذه الحالة معه حتى في كبره، فنجد في واقعنا الاجتماعي أطفالاً أو كباراً ينتظرون من المجتمع أن يلبّي مطالبهم أو يؤيد آرائهم، أو يمدحهم ويثني عليهم، فهم لا يستطيعون مواجهة المشاكل التي تقف في طريق تلبية طموحاتهم، ونفس الكلام يأتي في سلوك الطفل المنبوذ أو المتعرّض للإهانات أو التأنيب الزائد من قبل والديه، ومحاسبته على كلِّ شيءٍ يصدر منه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

الإفراط في الملامة يشبّ نيران اللجاج.[٢]

ولذا نجد في المجتمع أنّ الأحداث المنحرفين المتّصفين بصفات عدوانية تجاه الآخرين، كانوا معرّضين للإهانات والعقوبات المستمرّة.

وعلى الوالدين أن يضعوا للأطفال برنامجاً يوضّحون لهم المحبوب والمذموم من الأعمال، ويكون المدح أو التأنيب منصبّاً على العمل المرتكب، لكي نزرع في قلوبهم حبّ الأعمال الصالحة وبغض الأعمال غير الصالحة، وأن نعمل على تقوية الضمير في نفس الطفل في هذه المرحلة، حتى يكون صماماً له في المستقبل فنزرع في قلبه الخوف من ارتكاب العمل غير الصالح والشوق إلى العمل الصالح، بدلاً من الخوف من العقوبة أو الشوق إلى المدح والاطراء، وعلى الوالدين أن يجعلوا المدح والتأنيب خالصاً من أجل تربية الإطفال، وأنْ لا يعكسوا أوضاعهم النفسية في التربية، كمن يواجه مشكلة فيصبّ غضبه على الطفل دون أيِّ مبررٍ؛ وفي هذا الصدد، نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأدب عند الغضب.[٣]

---

١. *علم النفس التربوي*، للدكتور فاخر عاقل: ٥٣٥.

٢. *تحف العقول*: ٨٤.

٣. *بحار الأنوار*: ١٠٢/٧٩.

وهنالك بعض الحالات يجب على الوالدين الانتباه إليها لكي لا تأتي على عقل الطفل وعواطفه بآثار عكسية، فمثلاً يقوم الطفل بكسر شيءٍ ثمين فيصيبه الفرح، لأنّه يرى أنه أقدم على شيء جميل بأن حوّل هذا الشيء إلى شيئين عن طريق عملية الكسر، فهو يحتاج في نظره إلى مدح وثناء، وهنا تأتي بدلاً من المدح العقوبة فيتفاجأ الطفل، وتكون للعقوبة تأثيراتها النفسية عليه.

وفي حالات أخرى يكون الطفل بحاجة إلى التأنيب أو الذم أو الهجران أو العقوبة البدنية أحياناً كما يقول الدكتور سبوك:

إنّ الأطفال في معظم الأحوال يفرحون لأنّ الوالد وضع حداً لوقاحتهم.[١]

والطفل في حالة مرضه بحاجة إلى الرعاية المتوازنة فلا إفراط ولا تفريط، فلا اهتمام زائد ولا عدم اهتمام، والتوازن أفضل، وهو إشعاره بالاهتمام في حدوده المعقولة؛ لأنّ:

طريقة المبالغة التي تتبعها الأمهات عندما يصاب أطفالهنّ بالمرض تؤثر على نفسيّة الطفل في الكبر... يخلق منه طفلاً مكتئباً كثير الشكوى سريع الانفعال.[٢]

ويجب مراعاة وحدة الأسلوب التربوي من قبل الوالدين، والاتفاق على منهج واحد من أجل أن يتعرّف الطفل على الصواب والخطأ في سلوكه، فلو استخدم الأب التأنيب مع الطفل لخطأ معين، فعلى الأم أن لا تخالف الأب في ذلك، وكذا الحال في المدح؛ لأنّ:

الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته، والرجلَ في مستقبله تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين... كتناقضات أسلوب المعاملة، كالتذبذب بين التسامح والشدة... والتدليل والإهمال، وتكون نتيجة هذه التطورات إما خلق روح العدوان والجنوح وبرود العاطفة والإحباط والوسواس من ناحية، أو المغالاة في الاعتماد على الغير والسلوك المدلّل وضعف الشخصية من ناحية أخرى.[٣]

---

١. *مشاكل الآباء*: ٧٥.

٢. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٧٨.

٣. *أضواء على النفس البشرية*: ٣٠٢.

ثامناً: العدالة بين الأطفال

الطفل الأوّل في الأسرة يكون موضع حبٍّ وحنان وعناية من قبل والديه؛ لأنّه الطفل الأوّل والطفل الوحيد، فيمنح الاهتمام الزائد، والرأفة الزائدة، وتلبّى كثيراً من حاجاته المادّية والنفسية، فنجد الوالدين يسعيان إلى إرضائه بمختلف الوسائل ويوفّران له ما يحتاجه من ملابس وألعاب وغير ذلك من الحاجات، ويكون مصاحباً لوالديه في أغلب الأوقات، سواءً مع الأم أو مع الأب أو مع كليهما، وبعبارة أخرى يلقى دلالاً واهتماماً استثنائياً، ومثل هذا الطفل وبهذه العناية والاهتمام، سيواجه مشكلة صعبة عليه في حالة ولادة الطفل الثاني، تبدأ مخاوفه من الطفل الثاني، لأنّه سيكون منافساً له في كلِّ شيء، ينافسه في حبِّ الوالدين ورعايتهم له، وينافسه في منصبه باعتباره الطفل الوحيد سابقاً، وينافسه في ألعابه، وتبدأ بوادر الغيرة عليه منذ أوّل يوم الولادة، إذ ينشغل الوالدان بالوضع الطارئ الجديد وسلامة الوالدة والطفل، فإذا لم ينتبه الوالدان إلى هذه الظاهرة، فان غيرة الطفل الأوّل ستتحول بالتدريج إلى عداء وكراهية للطفل الجديد، وينعكس هذا العداء على أوضاعه النفسية والعاطفية، ويزداد كلّما انصب الاهتمام بالطفل الجديد وأخرج الطفل الأوّل عن دائرة الاهتمام، فيجب على الوالدين الالتفاف إلى ذلك والوقاية من هذه الظاهرة الجديدة، وإبقاء الطفل الأول على التمتّع بنفس الاهتمام والرعاية، وإشعاره بالحب والحنان، وتحبيبه للطفل الثاني، وإقناعه بأنّه سيصبح أخاً أو أختاً له يسلّيه ويتعاون معه، وأنه ليس منافساً له في الحبّ والاهتمام، ويجب عليهما تصديق هذا الإقناع في الواقع، بأن تقوم الأم باحتضانه وتقبيله ويقوم الأب بتلبية حاجاته أو شراء ألعاب جديدة له، إلى غير ذلك من وسائل الاهتمام والرعاية الواقعية، والحل الأمثل هو العدالة والمساواة بين الطفل الأول والثاني، فإنّها وقاية وعلاج للغيرة والكراهية والعداء، وتتأكد أهمية العدالة والمساواة كلّما تقدّم الطفلان في العمر، إذ تنمو مشاعرهما وعواطفهما ونضوجهم العقلي واللغوي بالتدريج، يجعلهما يفهمان معنى

العدالة ومعنى المساواة، ويشخّصان مصاديقها في الواقع العملي، وقد وردت الروايات المتضافرة لتؤكّد على إشاعة العدالة بين الاطفال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف.[1]

والعدالة بين الأطفال مطلقة وشاملة لكلّ الجوانب الحياتية التي تحيط بالأطفال في جانبها المادي والمعنوي، أي في إشباع حاجاتهما المادية وحاجاتهما المعنوية للحبّ والتقدير والاهتمام، جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال صلى الله عليه وآله: «فهلاّ ساويت بينهما».[2] وقال:

إن الله تعالى يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل.[3]

وأكّد صلى الله عليه وآله على العدالة في العطاء والهدية، سواءً في الأكل والشرب والثياب والألعاب إلى غير ذلك، كما جاء في قوله صلى الله عليه وآله:

ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضّلتُ النساء.[4]

وقال صلى الله عليه وآله:

اعدلوا بين أولادكم في النِحَل كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف.[5]

والعدالة لا تعني عدم التفضيل بين الأطفال، فبعض الأطفال يكونون أكثر جاذبية من بعض عند الوالدين، فعن رفاعة الأسدي قال:

سألت أبا الحسن ـ موسى بن جعفر عليه السلام ـ عن الرجل يكون له بنون وأمّهم ليست بواحدة، أيفضل أحدهم على الآخر؟ قال عليه السلام: «نعم، لا بأس به، قد كان أبي عليه السلام يفضّلني على أخي عبد الله».[6]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٠.

٢. *المصدر*: ٢٢١.

٣. *كنز العمّال*: ١٦/٤٤٥، ح ٤٥٣٥٠.

٤. *المصدر*: ٤٤٤، ح ٤٥٣٤٦.

٥. *المصدر*: ٤٤٤، ح ٤٥٣٤٧.

٦. *مكارم الأخلاق*: ٢٢١.

والتفضيل يجب أن يكون مستوراً لا يظهره أمامهم، ويحتفظ به في مشاعره القلبية، أمّا في الواقع فلا يعمل إلّا بالعدالة والمساواة، كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام:

قال والدي: والله لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وأنّ الحقّ لغيره من ولدي، ولكنْ محافظة عليه منه ومن غيره؛ لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف إخوتُه.[١]

لأنّ عدم العدالة له تأثيره السلبي على نفسية الأطفال، تؤدي إلى زرع روح الكراهة والبغضاء بينهم وتؤدي بهم النتيجة إلى العداء المستحكّم، واتخاذ الموقف غير السليم كما فعل إخوة يوسف به حينما ألقوه في البئر.

وكانت السيرة قائمة على أساس إشاعة العدالة بين الأطفال سواءً كانوا إخوة أو أرحام، فعن عبد الله بن عباس قال:

كنت عند النبيصلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا.[٢]

فإبراهيم ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله والحسين ابن بنته، ومع كل هذه الاختلافات في الروابط فانهصلى الله عليه وآله، لم يفرّق في المعاملة بينهما.

وفي رواية:

كان النبيصلى الله عليه وآله يصلّي فجاء الحسن والحسين فارتدفاه، فلما رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فلمّا عاد عادا، فلما انصرف أجلس هذا على فخذه الأيمن وهذا على فخذه الأيسر.[٣]

وكان رسول اللهصلى الله عليه وآله يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسينعليهما السلام يمشيان ويعثران: فنزل رسول اللهصلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه.[٤]

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٦/١٢.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٦١/٤٣.

٣. *المصدر*: ٢٧٥/٤٣.

٤. *المصدر*: ٢٨٤/٤٣.

ومن مصاديق العدالة والمساواة هو عدم إقامة المقارنة بين الأطفال، في صفاتهم الجسمية والمعنوية والنفسية، فلا يصلح أن يقال: فلان أجمل من فلان، أو أذكى منه، أو أكثر خُلقاً منه؛ لأنّ المقارنة بين الأطفال تؤدي إلى (الغيرة من بعضهم وإلى التنافس).[١]

والمقارنة تؤدي إلى فقدان الثقة بين الأشقاء والعكس صحيح (عدم التفرقة في المعاملة هو أكبر دعامة لخلق جو من الثقة المتبادلة بينه وبين سائر أفراد العائلة).[٢]

ونلاحظ عند كثير من الآباء مواقف غير مقصودة بأن يقول: إنّ ابني فلان يشبهني، وفلان لا يشبهني، فحتى هذه المقارنة تعمل عملها في الغيرة والتنافس، والأفضل اجتنابها.

ومن العدالة هو عدم التميز بين الولد والبنت؛ لأنّ التميز يؤثر تأثيراً سلبياً على نفسية البنت، وعلى زرع العداوة والحقد بين الأخت وأخيها، وهذه ظاهرة شائعة في أغلب البلدان، حيث يميل الأبوان إلى الابن الأكبر أكثر من ميلهما إلى البنت، ويلبيان مطاليب الولد أكثر من مطاليب البنت، ولغرض التقليل من شأن هذه الظاهرة، جاءت الروايات لتعطي للبنت عناية استثنائية، وتمرّن الأبوين عليها كما جاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ:

> من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور... .[٣]

والبدء بالإناث لا يولّد أي تأثير على الطفل الابن، لأنّه يراه أمراً طبيعياً فلابدّ من تقديم أحدهم، وغالباً ما يسكت الطفل ولا يلتفت إلى التمييز إنْ حصل على عطاء والديه، سواءً كان العطاء أوّلاً أو ثانياً.

والعدالة بين الأطفال لا تعني أنْ لا نتخذ أسلوباً للتشجيع، بأن تخصّص هدية إضافية لمن يعمل عملاً صالحاً، فان ذلك ضرورياً لتشجيع الطفل على السلوك الصالح،

---

١. *حديث الى الأمهات*: ٦٨.

٢. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٧٤.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢٢١.

وقد ينفع في إقامة المنافسة المشروعة بين الأطفال بحيث لا تؤثر على نفسياتهم بصورة سلبية، بل يجدونها أمراً مشروعاً وحقّاً طبيعياً، وعلى الوالدين التعامل بحذر في مثل هذه الحالة بالتعرف على نفسية أطفالهم، وابتكار الأساليب الناجحة في التشجيع المنسجمة مع حالاتهم النفسية التي لا تؤدي إلى الشعور بعدم العدالة.

ومهما تحققت العدالة والمساواة بين الأطفال، فإنّها لا تستطيع إنهاء بعض المظاهر السلبية كالشجار والصراع بين الأطفال، وهي ظاهرة طبيعية تحدث بين الأطفال في كل وقت أو عند أغلب الأسر، فتحدث حالات من النقاش الحادّ أو الاشتباك بالأيدي بين الأطفال، ويتّهم أحد الأطفال أخاه أو أخته بأنّه المقصّر في حقه أو البادئ في العدوان عليه، وفي مثل هذه الحالة على الوالدين أن يدرسا المشكلة دراسة موضوعية وأن ينظرا إلى الشجار والصراع بأنّه حالة طبيعية، فإذا كان سهلاً وبسيطاً ومحدوداً فالأفضل عدم التدخل في إنهائه، وأن يترك الأطفال يعالجون أمورهم بأنفسهم لإنهاء الشجار، وليس صحيحاً أن يدخل الوالدان أو أحدهما كقاضي في الحكم بينهما، لأنّ الحكم لأحد الأطفال دون الآخر لا ينسجم مع مبدأ تطبيق العدالة والمساواة مع الأطفال، اما إذا تكرر الصراع والشجار عدة مرات أو كان مستمراً طول النهار، أو كان قاسياً وخطراً على الأطفال، يأتي دور الأبوين في التدخّل لإنهائه، بإصدار الأوامر لكليهما بالتوقّف السريع عن الاستمرار به، أو إلفات نظرهم إلى موضوع آخر، وإشغالهم به، أو التدخّل لإبعاد أحدهم عن الآخر، وإذا تطلّب الأمر استخدام التأنيب أو العقوبة المعنوية فالأفضل أن تكون موجهة لكليهما انسجاماً مع تطبيق العدالة بين الأطفال.

تاسعاً: تنمية العواطف

العواطف من أهم دوافع الإنسان للعمل، وتبدأ العواطف كما تقدّم منذ الأيام الأولى في مرحلة الرضاعة ثمّ تنمو بالتدريج حينما يتقدّم الطفل في العمر، وحينما

يتّسع محيطه الاجتماعي، ويتأثّر نمو العواطف وتغيّرها بالفكر الذي يؤمن به الطفل في حدود إدراكه العقلي، فحينما يؤمن الطفل بأنّ أداء العمل الفلاني يرضي والديه أو يرضي الله تعالى فانه يندفع لأدائه، والعكس صحيح، ويمكن تقسيم العواطف إلى أربعة أقسام، الفردية، والعاطفية، والاجتماعية، والخلقية.

ونقصد بالعواطف الفردية، هي العواطف التي تتعلّق بذات الإنسان كحبّ التملّك وحبّ الاستقلال، وحبّ التفوّق على الآخرين، وحبّ المكانة الاجتماعية واحترام الآخرين له، وهي العواطف التي تجلب له المنفعة الشخصية والذاتية.

والعواطف العالية، هي العواطف التي تسمو بالطفل في حدود إدراكه العقلي إلى المثل الأعلى، فتحبب إليه الارتباط والتعلّق بالمطلق وهو الله تعالى مصدر اللطف والإنعام والرأفة والرحمة، وتحبب إليه الحقيقة والخير، وليس فيها تحصيل المنفعة الشخصية والذاتية.

والعواطف الاجتماعية، هي العواطف التي تدفعه إلى الارتباط بالآخرين ابتداءً بالوالدين والإخوة والأخوات والأقارب وانتهاءً بالمجتمع والإنسانية جمعاء.

والعواطف الخلقية، هي العواطف التي تتعلّق بالممنوع وغير الممنوع من أنواع السلوك، كالتعلّق بالصدق وترك الكذب، وسائر الأخلاق الممدوحة والمذمومة.

وأفضل الطرق والوسائل لتنمية العواطف عند الطفل من قبل الوالدين، إشعاره بالحبّ عن طريق إحاطته بالحنان والرأفة وإشباع حاجاته المادية والروحية، فإذا استشعر الطفل بذلك فانه يرتبط ارتباطاً عاطفياً بمصدر الحبّ والحنان، وهما الوالدان فتزداد ثقته بهما وتقليدهما، والاستجابة أو الاقتناع بكل ما يطرحانه عليه من أفكارهم ومفاهيم ومُثُل، ويكون مستعداً للاستجابة إلى أوامرهم وتنفيذ ما يطلبانه منه، فتصبح لهما القدرة على الهيمنة على عواطفه، وتوجيهها توجيهاً حسناً، ومتابعة خبراته ونشاطاته وخصوصاً أثناء اللعب، فيتمّ لهما العمل على تنمية عواطفه وتهذيبها بالصورة المنسجمة مع المفاهيم

والقيم الصالحة، وخلق التوازن بين مختلف أنواع العواطف لديه، وأهم العواطف التي يجب تنميتها، هي العاطفة نحو الله تعالى، فتنمو عنده مشاعر الحبّ والثقة بالله تعالى، والتقديس له، حينما يؤمن بأن الله تعالى هو مصدر الإنعام والرحمة والمغفرة، وأنّه تعالى خلق النعيم الدائم في الجنة للصالحين والمطيعين، ويجب على الوالدين تنمية عواطف الطفل اتّجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الرسل والأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، وأفضل طريقة في هذا المجال هي طريق السرد القصصي الهادف، والذي يحقق فائدتين:

الأولى: تعميق حبّهم في قلبه.

والثانية: محاولة الاقتداء بعد التعلّق بسلوكهم في الحياة.

فتنمو في داخله العواطف المختلفة كحبّ الإخلاص وحبّ الكرامة وحبّ الشجاعة والكرم والإيثار وحبّ القيم والسلوك الصالح، والابتعاد عن كلّ ما ابتعدوا عنه، وتنمو عواطف البغض والكره والنفور من الذين خالفوهم ووقفوا في مواجهتهم، واجتناب سلوكهم في الحاضر أو في المستقبل.

ومن الأساليب الأخرى لتنمية العواطف هو الإرشاد والتوجيه المستمرّين، حتى يفهم الطفل المسموح والممنوع من السلوك، وكذلك التشجيع على الارتباط والتعلّق بالقيم والأعمال الصالحة، والتشجيع على ممارستها في الواقع، فحينما يعطي شيئاً من ألعابه لطفل آخر يتمّ تشجيعه على ذلك بالكلام الحسن، وتعويضه بإهداء لعبة أخرى له، وحينما يصدق في قوله، أو يحترم الآخرين أو يرأف بالفقراء أو يساعد إخوانه أو والديه في أداء بعض الأعمال، ويُشجّع على ذلك بالمدح والثناء والإطراء أمامه، وأمام الأسرة وأمام أقاربه وأصدقائه.

والتعامل مع الطفل كصديق يشجّعه عل التعبير عن عواطفه ومشاعره المكبوتة وهذا التعبير مفيد جداً في تحقيق التوازن العاطفي، وتهذيب العواطف غير المرضية.

ونحن نجد من خلال التجربة، أنّ الأسلوب القصصي من أفضل الأساليب في

تنمية العواطف، وخصوصاً الأسلوب المنسجم مع إدراكه وقدرته العقلية، فيمكن أن نقصَّ عليه قصصاً عن الطيور والحيوانات تتضمن القيم الصالحة والقيم الطالحة التي يتخذها الطير الفلاني أو الحيوان الفلاني؛ فتنمو عنده العواطف اتجاه العدل أو التعاون أو الإيثار أو القيم الأخلاقية الأخرى، وتنمو عنده عاطفة حب المظلومين وبغض الظالمين.

والقصص عن الطيور والحيوانات مرغوبة ومحبّبة لدى أطفال هذه المرحلة، فيستمعون إليها بشوق وتلهّف أكثر من القصص الواقعية، وتتضمن أحداثاً كثيرة تتوقف على خيال الوالدين في السرد القصصي، وتكون شاملة لإظهار جميع أنواع وأقسام العواطف.

عاشراً: الاهتمام بالطفل اليتيم

اليتيم بعد فقد والده أو والدته أو كليهما، يشعر بالحرمان المطلق، حرمان من إشباع حاجاته العاطفية والروحية، وحرمان من إشباع حاجاته المادية، كالحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس، فتنتابه الهواجس والمخاوف ويخيّم عليه القلق والاضطراب، فالشعور بالحرمان من العطف الحنان له تأثيراته السلبية على كيان الطفل وبناء الشخصية، ومن خلال متابعة الواقع الاجتماعي، نجد أنّ أغلب الأيتام الذين لم يجدوا العناية والاهتمام من قبل الآخرين، كانوا مضطربي الشخصية، تنتابهم العقد النفسية وسوء التوافق مع المجتمع الذي حرمهم من العناية والاهتمام، لذا أوصى الإسلام برعاية اليتيم رعاية خاصّة لا تقلّ ان لم تَزِدْ على الرعاية الممنوحة للأطفال الآخرين، فأكّد على إشباع جميع حاجاتهم المادية والروحية، وكانت الآيات القرآنية المختصة برعاية الأيتام أكثر من الآيات المختصّة بعموم الأطفال.

وأول الحاجات التي أكد الإسلام على إشباعها هي الحاجات المادية؛ قال سبحانه وتعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.[١]

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.[٢]

﴿...وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ...﴾.[٣]

وجعل الله تعالى لليتيم حقاً في أموال المسلمين: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...﴾.[٤]

وقال تعالى: ﴿...قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...﴾.[٥]

ونهى تعالى عن التصرّف بأموال اليتيم إلّا بالصورة الأحسن، التي تجدي له نفعاً وربحاً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾.[٦]

وقال رسول الله ﷺ: «من عال يتيماً حتى يستغني، أوجب الله له بذلك الجنة».[٧]

وقال ﷺ:

> من كفل يتيماً من المسلمين، فأدخله إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنة البتة، إلّا أن يعمل ذنباً لا يغفر.[٨]

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ـ وهو يشير بإصبعيه».[٩]

وراعى المنهج الإسلامي إشباع الحاجات المعنوية لليتيم، كالإحسان إليه والعدل معه.

---

١. الإنسان: ٨

٢. البلد: ١٤ و ١٥.

٣. البقرة: ١٧٧.

٤. الأنفال: ٤١.

٥. البقرة: ٢١٥.

٦. الأنعام: ١٥٢.

٧. *تحف العقول*: ١٩٨.

٨. *مستدرك الوسائل*: ١٤٨/١.

٩. *المحجة البيضاء*: ٤٠٣/٣.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿...وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ...﴾.[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

خير بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه.[٣]

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وآله على مداراة اليتيم والرفق به وتكريمه فقال صلى الله عليه وآله:

حثّ الله تعالى على برّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم، فمن صانهم صانه الله تعالى، ومن أكرمهم أكرمه الله تعالى، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به، جعل الله تعالى له في الجنة بكلّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا وما فيها... .[٤]

وشجّع الإمام الصادق عليه السلام على التعامل مع اليتيم بحنان ورحمة، فقال:

ما من عبد يمسح يده عل رأس يتيم ترحّماً له إلّا أعطاه الله تعالى بكلِّ شعرة نوراً يوم القيامة.[٥]

ومن رعاية اليتيم معالجة المشاكل التي تواجهه والتي تسبّب له الألم والقلق والاضطراب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا بكى اليتيم، اهتز العرش على بكائه، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا عليّ أنّ من أسكته واسترضاه، أرضيته في يوم القيامة.[٦]

---

١. البقرة: ٨٣

٢. النساء: ١٢٧.

٣. *المحجة البيضاء*: ٤٠٣/٣.

٤. *المصدر*: ٤٠٣.

٥. *المصدر*.

٦. مستدرك *الوسائل*: ٦٢٣/٢.

وعنه صلى الله عليه وآله:

إذا بكى اليتيم في الأرض يقول الله من أبكى عبدي وأنا غيّبت أباه في التراب، فوعزتي وجلالي، إنّ من أرضاه بشطر كلمة أدخلته الجنّة.[١]

ومن الوصايا بشؤون اليتيم إدخال الفرح على قلبه، بإشباع حاجاته المادية والروحية، من احترام وتقدير ومحبّة أو مدح وتشجيع إلى غير ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّ في الجنّة داراً يقال لها دار الفرح، لا يدخلها إلّا من فرّح يتامى المؤمنين.[٢]

ومن الاهتمام والعناية باليتيم هو القيام بتربيته تربية صالحة وإعداده، لأنّ يكون عنصراً صالحاً في المجتمع، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أدّب اليتيم بما تؤدّب منه ولدك...».[٣]

فاليتيم الذي يحصل على العناية والرعاية والحبّ والحنان، يشعر بالراحة والطمأنينة، ويعيش سويّاً في عواطفه وفي شخصيته، أمّا في حالة الحرمان فانّه لا يصبح سويّاً وقد يلتقطه بعض المنحرفين فيوجّهه الوجهة غير الصالحة، فيصبحَ عنصراً ضارّاً في المجتمع.

---

١. *المصدر*.

٢. *كنز العمّال*: ١٧٠/٣، ح ٦٠٠٨.

٣. *الكافي*: ٤٧/٦، ح ٨، باب تأديب الولد.

مظاهر الاضطرابات الانفعالية والنفسية

الأمراض النفسية وليدة الانحراف عن منهج الفطرة الإنسانية، وتتجذّر هذه الأمراض في المجتمعات التي انحرفت عن المنهج الإسلامي انحرافاً كاملاً، في داخل الأسرة وفي خارجها، وفي جميع مجالات الحياة الإنسانية: الأخلاقية، والإقتصادية، والسياسية، أمّا إذا كان الانحراف محدوداً مع تبنّي الإسلام عقيدة وسلوكاً في الواقع،فان الأمراض النفسية تكون محدودة أيضا، ومرتبطة بظروف خاصة، والتزام الأسرة بالإسلام يقلّل من وطأة تلك الأمراض وتأثيراتها السلبية، لأنّ الإيمان بالله تعالى واتباع منهجه في الحياة يولّد في الإنسان مناعة يتعالى فيها على جميع ألوان الحرمان والكبت وحالات الإحباط المتنوّعة، بالارتباط بالله تعالى في جميع الأحوال واستمداد العون والطمأنينة منه، إضافة إلى أنّ الإيمان بالتعويض في يوم القيامة يجعل الإنسان غير مكترث بما يحيط به من معوّقات مادية ونفسية.

وبما أنّ الأمراض النفسية التي تصاحب الكبار، هي وليدة مراحل الطفولة كما أثبتت الدراسات النفسية التي أكدت على أن:

الخبرات المؤلمة في الحياة، وخصوصاً الخبرات الأوّلية في مراحل الطفولة، أو الأزمات النفسية الشديدة، أو الصدمات الانفعالية العنيفة، أو أي اضطراب في

علاقة الفرد مع غيره من الأفراد على مستوى البيت أو المدرسة أو العمل أو المجتمع الصغير... تدفع الشخص إلى حالة من الضيق والتوتّر والقلق، وينتابه الهمّ من كل جانب.[١]

لذا نقتصر على ذكر بعض مظاهر الاضطرابات النفسية التي يتعرّض لها الأطفال من حيث أسبابها وطرق علاجها:

أولاً: القلق

القلق، هو عدم الثبات وعدم الاستقرار النفسي الذي ينتاب الإنسان دون التحديد في عمر معيّن، وينعكس على جميع مقومات الشخصية في العقل والقلب والإرادة، حيث يثير مشاعر داخلية غامضة، لا يستطيع التخلّص منها في أغلب الحالات، وتبقى حالة التردّد والحيرة ملازمة له في سكناته وحركاته، والقلق الذي يصيب الطفل ينقسم إلى قسمين:

الأوّل: القلق الموضوعي، وهو القلق القائم على أساس موضوعي ينتهي بانتهاء المؤثر، كالقلق أيام الامتحان، والقلق من الاستيلاء على ممتلكاته وألعابه من قبل أخيه أو أخته أو طفل من خارج العائلة، والقلق من حرمانه من اللعب في أوقات معينة، وهذا القلق ليس مرضياً وإنما هو حالة طبيعية واقعية.

الثاني: القلق غير الموضوعي، وهو القلق اللّاشعوري الغامض، حيث لا يدرك المصاب مصادره أو أسبابه، ويزداد في مرحلة الطفولة بسبب النقص في نضج الجهاز العصبي للطفل.

ومن أعراض هذا القلق:

أولاً: الأعراض الجسمية: وهي اضطرابات جسمية مجهولة المصدر والسبب، كزيادة ضغط الدم، وخفقان القلب، والصداع الشديد، وزيادة إفراز العرق، وفقدان الشهية للطعام.

---

١. *المدخل في علم النفس*: ١٤٩.

ثانياً: الأعراض النفسية: وهي أعراض سلبية تصيب النفس، فيترقّب المصاب وقوع الأذى عليه دون سبب، ويفقد الثقة بنفسه ويلومها أحياناً، ويهرب من مواجهة المشاكل التي تواجهه، ويشعر بعدم الأمن والطمأنينة، وتقلّ قدرته على تركيز الانتباه اتجاه آراء الوالدين أو المعلم أو الأصدقاء، ويصاب في كثير من الأحيان بشرود الذهن، والابتعاد عن الواقع الذي يعيشه.

وأسباب القلق، لا تنحصر في عدد معيّن بل تتكاتف جميع الظروف السلبية لتجعل منه كياناً قلقاً، وتبدأ منذ مرحلة ما قبل الولادة، فالقلق الدائم الذي تعيشه الأم له تأثيراته الأساسية على الطفل، والقلق الذي ينتاب الحامل أمر طبيعي، ولكن إذا تجذّر وتوسّع فإنّه يصبح قلقاً مرضياً، فالحامل يصيبها القلق جرّاء مخاوفها على سلامتها وسلامة الجنين، وخوفها من عسر الولادة أو خوفها من الموت أثنائها، أو قلقها بسبب ما تواجهه من مشاكل مع زوجها من حيث عدم الاحترام والتقدير أو تهديدها بالطلاق، أو عدم رغبته في الإنجاب، أو استمرار الشجار والصراع العائلي بخشونة وقسوة، فإنّ ذلك ينعكس سلباً على الجنين، ويبقى ملازماً له بعد ولادته، أو يهيئ نفسيته للإصابة بالقلق إنّ توفرت أسبابه.

وأهم أسباب القلق بعد الولادة وأثناء مرحلة الرضاع: هو فقدان مصدر الحنان، وهو الأم غالباً، إما بموتها أو طلاقها، وإما بغيابها عنه في أغلب الأوقات، والاكتفاء بإعطائه الحليب الاصطناعي عوضاً عن حليبها، سواءً في حالة غيابها أو حضورها، وتنمو هذه الحالة القلقة مع الطفل وتتقدّم بتقدّم العمر ما لم توجد الظروف المحيطة المناسبة للقضاء على هذا التلازم.

والمشاكل العائلية أو التفكّك العائلي، تلعب دوراً كبيراً في قلق الأطفال، وخصوصاً المشاجرات التي تحدث أمامهم بين الوالدين، سواءً كانت مشادّات كلامية، أو استخدام

الضرب من قبل الوالد لوالدته، والاعتداء عليها باستمرار، لسبب معقول أو غير معقول، ويزداد القلق عند الأطفال في حالة الانفصال بالطلاق أو بموت أحد الوالدين.

وضعف التزام العائلة بالمعايير الاجتماعية والقيم الصالحة، يولّد في كيان الطفل شعوراً بالقلق، بسبب التناقض بين معايير وقيم العائلة وبين معايير وقيم المجتمع في محلته أو مدرسته، وتخّوفه من ملاحقة المجتمع له ولعائلته.

وقلق الوالدين الدائم بسبب ضنك العيش والحرمان من مستلزمات الحياة الضرورية، كالسكن الدائم وعدم حصول الوالد على عمل مناسب، وضعف الدخل اليومي أو الشهري، كلّ ذلك ينعكس على الطفل، فيعيش القلق كما يعيشه والده.

وقلق الوالدين اتجاه الطفل، يؤدي إلى قلقه أيضاً، كالقلق غير الموضوعي في حالة مرض الطفل، حيث أنّ بعض الأمهات يقلقن قلقاً شديداً عند إصابة الطفل بمرض من الأمراض، فيشعر الطفل جرّاء هذا القلق، أنّ مرضه مستعصٍ، وأنّه بعيد عن الشفاء، وبعضهنّ يقلقن على الطفل من دون سبب واقعي، وجميع ذلك له تأثيراته السلبية على الطفل، فيسري إليه في كثير من الأحيان دون أن يعرف سببه.

وتتنوّع طرق علاج القلق عند الأطفال، فإذا كان القلق ناجماً عن الاضطرابات النفسية التي تنتاب الطفل في مرحلة ما قبل الولادة أو مرحلة الرضاعة، فان العلاج بحاجة إلى عناية إضافية بتوفير المحيط الاجتماعي المناسب الذي يعوض الطفل عن معاناته السابقة.

والطفل القَلِق بحاجة إلى من يرشده إلى مواجهة المشاكل التي يعاني منها مواجهة عملية واقعية، بالاعتراف بها، ووضع الحلول لها من قبل الطفل نفسه، ومساعدة الوالدين أو المربيّن له في حلّها، والطفل بحاجة إلى التشجيع المستمرّ وزرع الثقة بنفسه وإشعاره بقدرته على مواجهة الأمور.

ومن الأفضل أن نهيئ الأجواء الترفيهية للطفل، بتوفير بعض الحاجات له، وشراء اللُعب له، واصطحابه في السفرات الترفيهية، وتخصيص بعض الأوقات لاصطحابه إلى الأماكن التي يرغب في الذهاب إليها، كالبساتين وأماكن اللعب العامة الحاوية على بعض أنواع اللعب التي لا يجدها في بيته أو محلته، كركوب السيارات الصغيرة وغيرها، لتصريف طاقته الجسدية والنفسية.

ويحتاج الطفل إلى حرية أكثر للتعبير عن أفكاره وآرائه، واختيار المواقف المناسبة التي يجد فيها راحته واستقراره النفسي والتي لا تخالف القواعد والقيم الأخلاقية العامة، ويحتاج إلى تقدير واحترام إضافي لتزداد ثقته بنفسه، والتي تساعده على التغلّب على القلق، أو التخفيف من وطأته عليه، لأنّ القلق سيستمر معه إلى نهاية العمر إنْ لم يعالج في مراحل العمر الأولى.

ثانياً: الخوف

الخوف، انفعال نفساني فطري غريزي، مودوع في نفس الإنسان، يتجلّى في رفض الأخطار المحدقة، والابتعاد والهروب عنها، والخوف الغريزي مقدّم على كلِّ أنواع الخوف ومناشئها، فهنالك خوف موروث يولّد في نفس الأبناء القابلية والاستعداد للعيش في دوامته، وهنالك خوف مكتسب ناشئ عن تأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية والتجربة التربوية.

والخوف الغريزي، أمر طبيعي، فالإنسان طفلاً كان أم كبيراً يتخوّف من الأخطار المحدقة به التي تؤدي إلى الأضرار ببدنه أو روحه، فالإنسان يخاف من الموت، ومن المرض، ومن الفقر، ومن فقدان المكانة الاجتماعية، ومن الفشل في الحياة التكاملية، وهذه مخاوف صحيّة إنْ بقيت في نطاقها المعقول الذي يدفع الإنسان إلى تجاوز ما يخاف منه، بالجدّ والمثابرة والأمل في تذليل الصعاب للوصول إلى الهدف التكاملي في سير حركة الإنسان.

أما الخوف المرضي، هو الخوف غير المنطقي أو الخوف الدائم المتواصل المتحكّم في سلوك الإنسان، يصاحبه قلق وانفعال شديد، أو الخوف من شيء غير موجود، أو الخوف بلا سبب.

ومظاهر الخوف عند الأطفال عديدة متنوعة:

١. الخوف من الظلام وجميع ما يتعلّق به، كالخوف من اللصوص، والأشباح، والجنّ، والكائنات الوهمية.

٢. الخوف من الأصوات العالية المفاجئة، كالخوف من الرعد والبرق والعواصف، ومن أصوات الطائرات وأصوات وسائل النقل غير المعتادة.

٣. الخوف من الحيوانات والحشرات.

٤. الخوف من سيل الدم، ومن القتل، والموت، ومن جثث الموتى.

٥. الخوف من الكبار، ومن جميع السلطات الضاغطة على الإنسان.

٦. الخوف من الفشل في إنجاز الأعمال، أو فقدان التقدير الاجتماعي.

٧. الخوف من فقدان أحد الوالدين بموت أو طلاق.

وهذه المخاوف مخاوف طبيعية منطقية، إنْ كانت مخاوف وقتية طارئة تنتهي بوقت معين أو بوضع معيّن أو بعمر معين، ولكنّها تتحول إلى مخاوف مرضية إن استشرت وتأصّلت في النفس وفي السلوك العملي، وصاحبت الطفل في كلِّ الأحوال والأوقات والأماكن، وتزداد الحالة سوءاً إن كانت المخاوف ناجمة عن الوهم والخيال والوسوسة.

وللخوف أسباب عديدة، منها ما هو موروث، ومنها ما هو مكتسب عن طريق التربية والمحيط الاجتماعي، فإذا كان الوالدان مصابين بمرض الخوف غير المنطقي، فإنّهما يولّدان في الطفل القابلية والاستعداد للإصابة به، وتنعكس المواقف الشديدة الوطأة على الطفل في مرحلة الحمل ومرحلة الرضاعة فينشأ متخوفاً هيّاباً لا يقوى على

الإقدام والصمود أمام الظروف المخيفة، وتلعب المعايشة اليومية دوراً كبيراً في تأصيل الخوف في نفس الطفل وفي سلوكه، فحينما يرى الطفل والديه أو أحدهما متّصفاً بالخوف والتردد وعدم الإقدام اتجاه المواقف العصيبة التي تحيط به دائماً أو تفاجئه أحياناً، فان ذلك الخوف ينعكس على الطفل، وتنتقل إليه مظاهره عن طريق المحاكاة والتقليد أو الإيحاء السلبي.

ومن الأسباب أو العوامل التي تجعل الطفل محاطاً بهواجس الخوف مستسلماً لها هي:

الضعف الجسمي والعقلي لدى الطفل، فَضعف الأعصاب أو الجهاز العصبي عموماً، يؤدي إلى الاستسلام للمخاوف الطبيعية وعدم القدرة على الثبات والصمود أمامها، وضعف العقل وقلّة الوعي تجعله يصدّق كلّ ما يُقال له، وإن كان أوهاماً أو أساطير، فيستسلم للمخاوف الوهمية وغير المنطقية.

وتلعب التربية والتنشئة الاجتماعية دوراً كبيراً في تأصيل ظاهرة الخوف، إن كانت قائمة على أسس غير صحيحة وغير سليمة، فكثير من الآباء والأمهات ـ ونتيجة لعدم الاطلاع على الأسس السليمة للتربية ـ يقومون بتخويف الأطفال ـ لأجل إسكاتهم أو إيقافهم عن المطالبة ببعض الحاجات ـ من الحيوانات أو الأحياء الوهمية كالسعلاة وغيرها، أو من الظلام، أو من الأبطال الأسطوريين، أو تخويفهم من العقوبات الوهمية كالإلقاء في الغابة أو في البحر أو رميهم من شاهق، وهنالك أنواع من المخاوف ناجمة من التصريحات التي يسمعها الأطفال من الوالدين أو أحدهما، كالتهديد بالطلاق أو ترك المنزل، فإنّ هذه التصريحات تدفع تفكير الطفل إلى الاستنتاجات غير المنطقية، ويتفاعل معها خياله لينسج أوهاماً ومخاوف جديدة تسلب عنه الأمن والاستقرار، وتبقى صورة الانفصال بين الوالدين ماثلة أمامه في أغلب سكناته وحركاته العقلية والقلبية، ويستسلم الأطفال للخوف الشديد الوطأة حينما يتمّ الانفصال في الواقع، وقد تُكبت هذه المخاوف أحياناً في اللاشعور، ثمّ تظهر آثارها السلبية عند التقدّم في العمر.

ومن أسباب الخوف، هو التنكيل بالطفل واتهامه بالجبن والخوف.

وعقدة الشعور بالذنب أو الإثم، لها إيقاعات سلبية على الأطفال إنْ لم تعالج في وقتها وزمانها المناسبين، وبالأسلوب العقلائي التربوي المنسجم مع أسس الإسلام وموازينه الثابتة، عن طريق الاستغفار والتوبة بصورة موافقة لدرجة النضج العقلي والفكري.

وقد تزول بعض المخاوف لتحلّ معها مخاوف أخرى عند التقدّم في العمر، كالخوف من الخطأ عند القراءة في المدرسة أو الخوف من الفشل، أو الخوف من عدم الانسجام مع المعلّمين أو الطلاب، وهذه المخاوف طبيعية أيضاً ما لم تتحوّل إلى مخاوف دائمية.

علاج الخوف

ولعلاج الخوف طرق عديدة غير محدّدة بعدد، تعتمد على بعض العموميات الموضوعية منضمّة إلى تجربة الآباء والأمهات والمربين في الحقل التربوي، ومن أساسيات العلاج قبل وقوع ظاهرة الخوف أو بعد وقوعها: هي إحاطة الطفل بالحبّ والحنان وإشعاره من خلال التصريحات بذلك، وإشعاره بأنّه مرغوب فيه بالأسرة والمجتمع، وتقديره عن طريق إشعاره بكرامته ومكانته الاجتماعية، وبذلك يعيش الطفل أجواء الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة الصعاب التي هي كفيلة بتشجيعه على معالجة مخاوفه بعد معرفة أسبابها وعواملها، والأحرى بالوالدين أن لا يرددا أمام الطفل أنّه جبان أو خوّاف، أو التحدّث بمخاوفه أمام أقرانه أو أقربائه، لأنّ ذلك يكرّس الظاهرة في أعماقه، بل يجب تشجيعه باستمرار على عكس ما يتّصف به، بأن يقال له: إنّك تغلبت على الخوف، أو يردد هذا الكلام أمام الأقران والأقرباء وهو يسمع ذلك، ويستحسن تشجيعه على التحدّث عن كلّ شيءٍ يخاف منه بكل صراحة وحريّة، للحيلولة دون كبت المخاوف في اللاشعور.

ويحبّذ أن يوضح أن أقرانه لا يخافون من القضايا والأشياء التي يخاف منها، ويستحسن له مصاحبة الأقران الذين لا يخافون مما يخاف منه، أو الذين لا مخاوف لهم أساساً، مع الحذر من انتقال الخوف منه إلى أقرانه أو إخوانه الأسوياء، فقد تؤدي مصاحبة الآخرين له، إلى التأثر بمخاوفه لا التأثير فيها، ويجب إبعاده عن الأطفال الذين يقصّون له القصص المرعبة، ويتحدّثون معه عن الأحداث المخيفة الواقعية أو غير الواقعية، وإبعاده عن جميع المثيرات التي تزيد في مخاوفه كأفلام الرعب في التلفزيون والسينما والفيديو.

ومن الأساليب المفضّلة في إزالة المخاوف، أو التقليل من وطأتها، أسلوب القصص التي تتناول حياة الأبطال والشجعان في التاريخ وخصوصاً الاطفال منهم، أو نسج قصص وهمية تظهر فيها شخصيات الأطفال الذين لا يخافون من الظلام أو الحيوانات أو سائر الأمور المخيفة، ويمكن مساعدة الطفل في اختيار بعض أنواع اللعب التي يتخذ الطفل فيها دور البطل الشجاع، وأسلوب التمثيل المسرحي هو أسلوب جيّد في إزالة المخاوف، بعد الاعتراف بها ومواجهتها بأسلوب عقلائي ينسجم مع فكر الأطفال وانفعالاتهم المحدودة حسب العمر الزمني والعقلي.

ويمكن إزالة المخاوف عن طريق إقامة الألفة بين الطفل وبين الأمور التي يخاف منها وبأسلوب تدريجي، فإذا كان يخاف من الظلام، فالأفضل في بداية العلاج أن يحاط الطفل بالنور وخصوصاً عند النوم، ثم تقلل شدة النور فيوضع مصباحاً خاصاً بالنوم، وليكن ذا لونٍ أخضر، لأنّ الخضرة مهدئة للأعصاب، كما أثبت الدراسات حولها، وبالتدريج يتعوّد الطفل على النوم بدون نور، وفي هذه الحالة يستحسن إزالة بعض الأشياء من غرفة النوم، والتي قد توحي للطفل عند نهوضه في منتصف الليل بأنّها أحياء تتحرك، أو أنّها كائنات وحشية، فقد يرى العباءة إنساناً سارقاً، أو يرى الحقيبة قطة سوداء، ويشجّع أيضاً على اقتحام الغرف المظلمة مع الأب أو الأم أو أحد

إخوانه الكبار، ثم يقتحمها بمفرده ويخطو فيها بعض الخطوات، ثمّ يتدرّج معها ليقتحمها كلية ويلبث بها عدة دقائق.

وإذا كانت مخاوفه من الحيوانات الأليفة كالأرنب والقطة، فيحبذ تقريب تمثال لها منه، ثم وضع أمر مرغوب لديه بالقرب من الأمر المخيف له، كأن توضع قطعة من الحلوى أو لعبة من الألعاب المفضّلة لديه بالقرب من القطة التي يخاف منها، وبالتدريج ستزول مخاوفه وتتبدد.

وإذا لم تنفع معه جميع أنواع العلاج المتاحة، وبقي الخوف مترسّخاً ومتجذّراً في فكره وعاطفته، فالأفضل عرضه على طبيب أخصائي بالأمراض النفسية، ليشخّص أسباب الخوف الحقيقية ويضع العلاج على ضوئها، لأنّ تأصّل الخوف يترك آثاراً سلبية على صحة الطفل البدنية والنفسية، وقد يؤدي الخوف أحياناً إلى الإصابة بالشلل الجزئي أو الكلي، أو يؤدي إلى الإصابة باضطراب عقلي قد يصل إلى حدّ الجنون في مواقف معينة.

الأحلام المزعجة وفزّة الليل

إن أعداداً كبيرة من الاطفال يمرّون بهذه الظاهرة، وهي الأحلام المزعجة وفزّة الليل، وهذه الظاهرة قد تكون طارئة وقد تستمر وقتاً طويلاً، فإذا كان الجو العائلي مستقرّاً لا مشاكل فيه، ولا شجار بين الوالدين، وإذا كانت العلاقة بين الطفل ووالديه علاقة حسنة وعميقة يسودها الحبّ والعطف، وكان الطفل مطيعاً لهما، وله علاقات حميمة مع بقية الأطفال، فان ظاهرة الأحلام ظاهرة طبيعية لا داعي للقلق من قبل الوالدين، وستنتهي بالتدريج، أما إذا استمرت مع الطفل، فهذا يعني أنّه يعاني من مشاكل وصعوبات تقلقه وتكدّر صفو حياته وخصوصاً إذا كان الجو العائلي غير مستقر، ولا يوجد اهتمام بالطفل من قبل والديه أو أحدهما، وكان الطفل محروماً من

كثير من وسائل الراحة والهناء، فان تكرّر مثل هذه الأحلام، يكشف عن معاناة الطفل من آلام وهموم حبيسة مكبوتة تطفح على صورة حلم مزعج.

والأحلام المزعجة قد تؤدي إلى استيقاظ الطفل مرعوباً، ثمّ يهدأ بالتدريج بعد امتلاكه لحواسه وشعوره بأنّ ذلك مجرّد حلم، ومن الأفضل تشجيعه على التحدّث عن حلمه المزعج أثناء الصباح.

والأحلام في أكثر الأحيان، تكون مجالاً لتحقيق رغبات مكبوتة لا يمكن تحقيقها في الواقع، فالطفل الذي يكون محروماً من بعض الألعاب، يرى نفسه يلعب بكلّ شيء كان محروماً منه، والطفل المعوّق يرى نفسه في قمّة الصحة الجسدية، والطفل القلق أو الخائف يرى نفسه يعيش الاستقرار والاطمئنان والشجاعة اللازمة، وقد لا تحقق الأحلام الرغبات المكتوبة، وإنما تكرّس معاناة الطفل في عالم الواقع، بتكرّر نفس المعاناة وبوتيرة واحدة، أو تزداد عليها إلى ان تتحوّل إلى رموز خفيّة.

فالطفل الذي يعاني من الاضطهاد من قبل الوالدين أو من قبل المجتمع، يرى نفسه مضطهداً أيضاً بنفس الدرجة أو درجة أشد، أمّا الرموز الخفية فهي متنوعة ولكنها تشترك في صورة واحدة من المعاناة، ولذا فإنّ الأحلام تكون مفتاحاً للتحليل النفسي ومعرفة أسباب وعوامل المعاناة، فالطفل الذي يرى أسداً أو ثعباناً يصارعه أو يتقرّب إليه، فإنّه يعاني من ظلمٍ من قبل أبيه، أو يشعر بالكراهية لأبيه، فجاء الأب برمز أسد أو ثعبان، والطفل الذي يرى نفسه بأنّه سقط في هوة سحيقة لا قرار لها، فانه يخاف من الفشل أو السقوط في أعين والديه أو معلميه أو الناس.

فالواجب على الوالدين، التعرّف على الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى الأحلام المزعجة وفزّة الليل، ووضع العلاج لها بإحاطة الطفل بالحبّ والعطف وإشعاره بالاحترام والتقدير، ومساعدته على حلّ مشاكله بعد الاعتراف بها وعدم كبتها، وإزالة

جميع العقبات التي تقف حائلاً دون تحقّق الأمن والهدوء في جوّ الأسرة. فإنّ الأحلام المزعجة ستتلاشى تدريجياً.

وإذا استمرت معه هذه الحالة، فينبغي على الوالدين تعليق بعض الأدعية المكتوبة في رقبته أو وضعها تحت وسادته، والإيحاء له بأنها ستنفعه حتماً، وستؤدي إلى عدم تكرار الأحلام، إضافة إلى تشجيعه على الأدعية قبل منامه.

ثالثاً: الغضب

الغضب أمر غريزي مودوع في كيان الإنسان، وهو انفعال نفساني يدفع الإنسان لاتخاذ الموقف اتجاه الأخطار المحدقة به، وهو ضروري لبقاء الفرد والجنس البشري، وبقاء الأسرة والمجتمع، وهو الدافع للإنسان للقيام بواجباته وتكاليفه، لأنّه باعث على انجاز الأعمال والفعاليات المتنوعة، وله منافع كثيرة ان كان يدور في أجواء متوازنة معتدلة لا إفراط فيها ولا تفريط، فالإفراط يؤدي إلى ارتكاب أعمال سلبية لها آثار وخيمة على الإنسان وعلى غيره، فإذا استشرى وتأصل في الواقع فانه سيبقى ملازماً للطفل طيلة حياته، وقد يؤدي به إلى ارتكاب الموبقات والجرائم، والتفريط يؤدي إلى ظواهر سلبية تعيق الإنسان عن سيره التكاملي، كالخوف، والجبن، والضعف، والتراخي، والتكاسل، وعدم الثبات، وعدم أداء الواجب.

والغضب قسمان: غضب ممدوح وغضب مذموم، وترجمة الغضب إلى سلوك وموقف هي التي تحدد نوعيته، فله آثار إيجابية وأخرى سلبية.

وأسباب الغضب عند الاطفال متعددة بتعدد التفاعل مع المحيط الأسري والاجتماعي، فعدم الاستقرار العائلي وكثرة الشجار بين الوالدين، وعدم الاهتمام بالأطفال مادّياً ومعنوياً هي القاعدة الأساسية التي تتشعب منها بقية الأسباب، ففشل الأطفال وعدم النجاح في علاقاتهم مع بقية أفراد الأسرة أو مع بقية الاطفال يؤدي

إليه، وكذا الإخفاق في تحقيق الهدف المحدود المنسجم مع العمر العقلي والزمني لهم، ومعاكسة رغبات الاطفال، وعدم توفير احتياجاتهم أو الحيلولة دون الحصول عليها، أو الفصل بين الطفل وبين ممتلكاته، بمنعه من الاحتفاظ بها أو اصطحابها معه، أو إعطائها إلى آخر أصغر منه سناً، وكثيراً ما ينزعج الطفل من الأطفال الأصغر منه أو الأكبر منه سناً، وتلعب المعاملة غير المتوازنة معه دوراً كبيراً في إثارة غضبه أو تهيئ الأجواء لنمو ظاهرة الغضب المذموم، فالطفل يغضب إنْ وجد تمييزاً في المعاملة بينه وبين أخيه، من حيث المدح والذم، أو الميل العاطفي نحو طفل دون آخر، أو الاستجابة إلى رغبات الطفل دون آخر، والطفل بحاجة إلى تقدير ومحبة واحترام وتشجيع، فإذا فقدها، فانه سيلتجأ إلى التعبير عن غضبه أكثر فأكثر، وخصوصاً الاستهزاء والسخرية به وبأعماله وقدراته، وتوجيه الإهانات المستمرة له، والإفراط في الشدّة وفي اللين يثير غضب الطفل بل يؤدي إلى تأصل ظاهرة الغضب في كيانه، وإذا درسنا الواقع دراسة موضوعية نجد أنّ الاطفال الذين كبتت حرياتهم بالتهديد والضرب والسخرية، أو كانوا مدلّلين تشبع حاجاتهم دون حدود أو تمنح لهم الحرية المطلقة، هم أكثر الاطفال ارتكاباً للأعمال والممارسات الخاطئة التي تعبّر عن ظاهرة الغضب بأجلى صورها، ونجد الأطفال الذين حرموا من الحنان أكثر إصابة بالغضب المذموم، ونرى الغضب متفشياً بين الاطفال الذين فقدوا أحد والديهم بطلاق أو موت، وتدليل الأطفال الذين فقدوا أحد والديهم وسيلة خاطئة في تعويضهم للحنان المفقود، فكثيراً منا يتركون الأطفال اليتامى يتصرّفون بحرية مطلقة دون محاسبة أو توجيه، وتلبّى جميع احتياجاتهم ورغباتهم، فينشأون نشأة دلال مطلق تجعلهم يغضبون لأدنى الأسباب التي تعيق تحقيق رغباتهم التي اعتادوا عليها، وينتظرون من جميع أفراد المجتمع أن يتعاملوا معهم بدلال.

والغضب المذموم، ينتقل بالاحتكاك المباشر مع المصابين به، لأنّ الظواهر النفسية تنتقل من الوالدين أو من الأصدقاء تقليداً ومحاكاة وتأثراً بالواقع، فالطفل الذي يرى أحد والديه يغضب لأتفه الأسباب تؤدي به تلك الرؤية الدائمة إلى ممارسة ما يمارسه والده أو والدته، وهذا أمر طبيعي عند من يدرس الحالة الاجتماعية أو يبحث في شؤون المجتمع النفسية والخلقية، ويختلف الأطفال في تجسيدهم للغضب في الواقع العملي، وتكون الاستجابات متنوّعة تبعاً لتنوّع التنشئة الأسرية والاجتماعية، وتبعاً لاختلاف الظروف المحيطة بالطفل، وموقف الآخرين منه سلباً أو إيجاباً، وتبعاً لإدراك الطفل ودرجة نضجه العقلي والنفسي، ويتجسّد الغضب بالصراخ والعويل، أو بإثارة الصخب أو بالشتم والسبّ وتوجيه الإهانات للآخرين، ويعبّر بعض الأطفال عن غضبهم بالتصريحات ببغض أحد الوالدين أو كليهما، ويقوم بعض الاطفال بممارسة أعمال العنف كالضرب باليد أو بالعصا وأحياناً بالنعال وغيرها، أو لطم الوجه أو ضرب الرأس بالجدار، أو تمزيق الثياب، أو كسر الأواني أو تخريب الأثاث، أو ممارسة الإزعاج، كإطفاء الضياء أو نثر الثياب وسائر الأثاث، أو تخريب الجدران والأبواب بالكتابة أو الحفر أو غير ذلك، وقليل من الإطفال هم الذين يكبتون الغضب ولا يسمحون له بالانفجار والتجسّد في الواقع، فيلتجأون إلى البكاء الهادئ الخفي أو التفكير الانتقامي في المخيّلة، وآخرون يلتجأون إلى الدعاء الصامت أو المعلن على من يثير غضبهم، فيدعون عليه بالمرض أو الموت.

وللغضب آثار سيئة ونتائج وخيمة، ومنها: التوتر الانفعالي الدائم الذي يسبب: النقص في النوم، والتعب المزمن، والأرق، وعدم الارتياح، وفقدان السعادة، أو الانعزال عن المجتمع، وترك اللعب، والوسوسة باتهام الآخرين ببغضه، وقد يؤدي إلى ضعف الذاكرة، وعدم التركيز والنسيان، وله تأثيرات سلبية على القدرة على التعلّم، وعدم القدرة على إقامة علاقات طيّبة مع الأطفال في الأسرة وفي المدرسة.

وأخطر آثار الغضب؛ هي الانحرافات السلوكية كالاعتداء على الوالدين أو الاطفال الآخرين، وقد يلتجأ بعض الاطفال إلى السرقة انتقاماً من الذين يراهم سبباً في إثارة غضبه، أو اللجوء إلى الكذب المزمن وبث الإشاعات لتشويه سمعة الآخرين، وقد ينمو الانحراف السلوكي ويتقدّم بتقدّم العمر ابتداءً من الإعتداء على الجيران، والكتابة على الجدران وبأسلوب غير لائق، وثقب عجلات السيارات، وعدم احترام القوانين الاجتماعية والحكومية، والانخراط في عصابات الأحداث المنحرفين، واستخدام المواد المخدّرة والاعتداء على الأعراض أو غير ذلك.

أمّا انحراف الإناث، فهو من نوع آخر فقد يكون انحرافاً جنسياً للانتقام من عفّة الوالدين اللذين أساءا المعاملتهنّ.

علاج الغضب

الغضب أمر طبيعي ذو حدّين، فيجب على الوالدين أو المربّين أن يضعوا منهاجاً للهيمنة عليه وتهذيبه وتحويله إلى دافع إيجابي، تنمو من خلاله عواطف الأطفال وانفعالاتهم نمواً متوازناً يساهم في البناء الفكري والسلوكي لهم، والأفضل قبل كلّ شيءٍ أن ندرس الطفل دراسة شاملة للتعرّف على خصائص كلّ مرحلة من مراحل عمره، فبعض الأعمار يبدو فيها الطفل مضطرباً في علاقته مع ذاته ومع المجتمع، فيغضب لأتفه الأسباب وتطول مدة غضبه، ويخالف الأسوياء في كثير من ممارساته، ومنشأ الاختلاف في التوازن الانفعالي هو الاختلاف في الأعمار، فلكلّ عمر حالة نفسية، فإذا ظهرت على الطفل مظاهر انفعالية غير مألوفة أو مفاجئة، فإنّ السبب لا يكون بالضرورة أنّ هنالك حالة مرضية قد طرأت على الطفل أو أنّ خللاً قد حدث في سلوكه، بل قد يكون مجرّد مرحلة من عدم التوازن قد أعقبت مرحلة سابقة من حسن التوازن، فالتوازن والاضطراب الانفعالي

يميلان إلى التناوب بتقدّم العمر، ولكلّ عمر ظاهرة معينة، ومن خلال دراسة موضوعية قامت بها الدكتورة (فرانسيس ل.ايغ)، والدكتورة (لويزب ايمز)[1] ومن خلال متابعتنا الشخصية لعيّنات من سلوك الأطفال للتأكّد من النتائج التي وضعتها الباحثتان انفة الذكر، إليكم هذا الجدول لمعرفة حالات الأطفال القريبة أو البعيدة من التوازن الانفعالي، للتعرّف على خصائص كلِّ مرحلة من مراحل العمر، لتكون أساساً للتعامل مع الأطفال، والاطمئنان من سلامة صحتهم النفسية، مع الملاحظة الدقيقة للمؤثرات الخارجية التي تزيد من حالات الانفعال أو تقلّل منها، والأعمار المذكورة هي أعمار تقريبية، وما ينفعنا هو معرفة حقيقة التوازن الانفعالي، وأنه أمر طبيعي يحصل بسبب اختلاف الأعمار.

العمر بالسنين			الظاهرة الانفعالية
٢	٥	١٠	ليّن، سهل متماسك
٢/٥	٥/٥ ـ ٦	١١	محطم
٣	٦/٥	١٢	متزن
٣/٥	٧	١٣	منكفئ على نفسه
٤	٨	١٤	نشيط، قوي، حيوي
٤/٥	٩		منكفئ على نفسه، مضطرب، عصبي
٥	١٠		ليّن، سهل متماسك

وإنّ لكلّ عمر وجوهه الإيجابية والسلبية، فابن الرابعة قد يبدو شديد الانفعال، ولكنّه على الأقل يظهر من الثقة بالذات والتحرّر ما كان يفقده حين كان في الثالثة والنصف.

وابن السادسة، قد يكون في كثير من الأحيان ثورياً مهاجماً مطالباً وأنانياً، ولكنه

١. *سلوك الطفل*: ٣٦١.

في نفس الوقت يظهر الحماس للحياة ويحبها، وهو وإن صرّح بكراهية بعض الأفراد أو كراهية والديه، إلّا أنه سرعان ما يظهر الحبّ ويصرّح به.

وابن السابعة، وان كان يظهر في بعض الأحيان كئيباً متقلّب المزاج متشكّياً، فإنّه كثيراً ما يبدو مفكّراً، وهذا تغيير يتلو صخب وثورية ابن السادسة.

وهكذا فإنّ لكل عمر جديد تغيرات إيجابية وأخرى سلبية، فينبغي على الوالدين أن يكتشفا النواحي الإيجابية، ويعملا في نفس الوقت على مواجهة النواحي السلبية، وأن يقيّما حالة الطفل الانفعالية في جميع المراحل، ويشخّصا التغيّر الطبيعي والتغيّر غير الطبيعي، وأن يميّزا بين الطارئ والثابت على التوازن الانفعالي، ليضعا لكلّ موقف علاجاً يناسبه.

ويجب على الوالدين ـ في مقام العلاج ـ معرفة الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى الغضب غير الطبيعي، لتتمّ المعالجة من الأساس.

وأفضل أساليب العلاج، إشاعة الاستقرار في أجواء الأسرة وإنهاء النزاعات بين الوالدين أو إخفائها عن مسمعه، وان يحترم الوالدان مكانته وذاته، وأن لا يمسّا كرامته، وأنْ لا يتدخّلا في شؤونه الخاصة التي لا تخالف القواعد العامة للتربية والسلوك، وأن يحافظا على ممتلكاته، وفي الوقت نفسه على الوالدين أن لا يستجيبا لمطالبه أثناء صراخه، لأنّ ذلك يشجعه على الصراخ حتى يصبح جزءاً من سلوكه، والأفضل ان يصبرا لحين هدوئه ثمّ يعطيانه بعض ما يريد.

وعلى الوالدين أن لا يقابلا الغضب بالغضب وأن يلينا له بالقول، والأفضل إبعاده عن الإثارة التي سببت غضبه وتوجيه أنظاره إلى مسألة أخرى، كأن يخرجا به إلى بعض المتنزهات، أو تذكيره بقصّة يحبّها، أو إظهار حاجة يحبّها أو غير ذلك من القضايا والمسائل التي يتوجّه إليها تاركاً ما أثاره.

وبما أن الغضب قد ينتقل بالمحاكاة والتقليد، فيجب على الوالدين أن يظهرا بمظهر الانشراح والهدوء وأن يخفيا غضبهما عن الطفل.

ونحبّذ استثمار اللعب في تخفيف حدّة التوتر، عن طريق تفريغ شحنة الغضب أو كبتها اختيارياً، فيقوم الطفل بأداء دور الغاضب ليفرّغ شحنات الغضب باللسان والسلوك، ثمّ يقوم بدور الحليم والكاظم للغيظ عن طريق التدخل في وضع برنامج للعب، واللعب هو تمثيل ولكنّه تمثيل ذاتي، والتدّخل يعني تحويل اللعب إلى تمثيل مسرحي، يساعد الطفل على التخفيف من حدّة التوتر والانفعالات التي تصيبه.

علاج الغضب في الأحاديث الشريفة

بما أن الغضب أمر فطري غريزي، لذا فإن الأحاديث الشريفة قد راعت تلك الحقيقة، فلم تدع إلى كبت الغضب والانفعال، لأنّ ذلك يؤدي إلى بروز عقد نفسية جرّاء الكبت والقمع، وإنّما وجهت آثار الغضب واستجاباته العملية توجيهاً منطقياً متوازناً بلا إفراط ولا تفريط، فالغضب يؤدي في الغالب إلى قيام اللسان والأعضاء بأعمال آلية اندفاعية يصعب قمعها أو كبتها، فالأحاديث لم تأمر بالقمع والكبت وإيقاف حركة اللسان والأعضاء، وإنّما أمرت بتوجيهها وجهة إيجابية، بالسيطرة على نوع الكلمات ونوع الأعمال التي تقترن بالغضب، فبدلاً من السبّ والشتم والبذاءة في القول، أمر رسول الله ﷺ بأن يهذّب الغضبان قوله فقال ﷺ:

لو يقول أحدكم إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ذهب عنه غضبه.[1]

وهذا العلاج وان كان مختصاً بالكبار إلّا أننا يمكن تدريب الأطفال عليه بالتدريج، لأنّ الطفل لا يستوعبه في اللحظات الأولى من غضبه، ولكن بالتدريج سوف يؤديه على أحسن صوره، بالتشجيع تارة وبالإغراء أخرى بان تخصّص له هديه إن نطق به، أو يمرّن عليه عن طريق اللعب والتمثيل.

وبدلاً من التعبير عن الغضب بالضرب أو تحطيم الأثاث أو الحركات الأخرى،

---

١. *كنز العمال*: ۵۲۳/۳.

هذّب رسول اللهﷺ الحركات المعبّرة عن الغضب، لا بمقاومتها في بداية الاندفاع، وإنما بتوجيهها توجيهاً إيجابياً.

فحث رسول اللهﷺ على الوضوء كعمل حركي بعد الغضب وقالﷺ:

إنما الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدُكم فليتوضأ.[١]

والحركة الأخرى التي تخفف من الغضب هي الجلوس، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

...فايما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه يذهب عنه رجس الشيطان، وأيّما رجلٌ غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت.[٢]

ووضع رسول اللهﷺ برنامجاً تدريجياً للتعبير السلوكي فقالﷺ:

إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فان ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع.[٣]

وهذا العلاج علاج واقعي يمكن تحققه من قبل الكبار، وسيصبح مثالياً خيالياً ان أردنا تطبيقه على الأطفال، ولكنّ التدريج في التعبير عن الغضب يوصل الطفل إلى مرحلة الإمكان وخصوصاً بالنسبة للطفل النابغة الذي يزيد عمره العقلي على عمره الزمني من ناحية، وعدم توفّر الأسباب والعوامل المثيرة للغضب من ناحية أخرى إلّا في حالات استثنائية.

ومن طرق العلاج، ذكر الله أثناء الغضب، فإنه قد يؤدي إلى الحلم الاختياري الإيجابي أو سلامة التعبير، قال الإمام الصادق عليه السلام:

أوصى الله عزّ وجل إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، لا أمحقك فيمن أمحق، وأرض بي منتصراً، فإن انتصاري لك خيرٌ من انتصارك لنفسك.[٤]

---

١. *المصدر:* ٥٢٠/٣.

٢. *الكافي:* ٣٠٢/٢.

٣. *كنز العمال:* ٥١٩/٣.

٤. *الكافي:* ٣٠٤/٢.

وقال ﷺ:

...لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد، وتفكّر في قدرة الربِّ على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك: اتق الله، فانبذ غضبك وراجع حلمك.[١]

ومن طرق العلاج، الإغراء بالجنة والترغيب فيها. قال ﷺ لأبي الدرداء: «لا تغضب ولك الجنة».[٢]

وجميع طرق العلاج يمكن تحقيقها في الواقع مع تقدم الطفل في العمر، فبعد أنْ يركّز في فكره وشعوره الإيمان بالله وحبُّ الأنبياء والصالحين، وحبُّ أهل البيت عليهم السلام، وبعد أن يؤمن بوجود يوم للحساب، وبعد أن يرتبط بالقرآن، ويدرّب على العبادات، يمكن لهذه الطرق أن تجد لها مرتعاً لإعمال عملها.

ويجب تنمية مشاعر الغضب الإيجابي للدفاع عن الإسلام أرضاً وشعباً، والدفاع عن المفاهيم والقيم الإسلامية، والتخفيف من وطأة الغضب السلبي.

رابعاً: التخريب

يقوم بعض الأطفال بأعمال تخريبية للأشياء التي تقع أنظارهم عليها، كأجهزة الراديو والتلفزيون، وتمزيق الدفاتر والكتب، وكسر الأواني والمصابيح، وزجاجات الشبابيك، وتسويد الجدران والأبواب بالحبر والأصباغ، وشقّ الملابس، وكسر أدوات اللّعب، وأمثال ذلك.

والتخريب المحدود، ظاهرة طبيعية عند الاطفال وخصوصاً أطفال ما قبل السنة الرابعة في العمر، يدفعهم نحو ذلك حبّ الاستطلاع لمعرفة مكنونات ومحتويات الأشياء المحيطة بهم، وإشباعاً لظاهرة الحلِّ والتركيب في العقل البشري لمعرفة

---

١. *تحف العقول*: ١٢.

٢. *كنز العمال*: ٥٢١/٣.

خصائص الأشياء، إضافة إلى زيادة النشاط البدني والطاقة الحركية، مع عدم توفّر أجواء تصريف الطاقة كضيق المنزل، وعدم توفّر آلات اللعب التي يحتاجها الطفل.

والتخريب الناشئ من تلك الدوافع والعوامل، ظاهرة طبيعية لا داعي للقلق منها، وتتحوّل إلى ظاهرة غير طبيعية في حالة الاستمرار في ممارستها لفترة أطول وفي مجالات أكثر على الرغم من التحذير من هذه الممارسة، ففي هذه الحالة ينبغي الاطلاع على الأسباب والدوافع لتلك الممارسة، والتي تنجم عن أوضاع نفسية معقّدة يصبّها الطفل أو يفرغها على الأشياء المحيطة به، وتتنوع الأسباب والدوافع بتنوع الحالات النفسية التي تمرّ بالأطفال، فالغضب والعصبية الزائدة تلعب دوراً في ذلك، ويلحق بها نفاذ الصبر وعدم التحمّل، وهنالك عوامل انفعالية مكبوتة تجد في التخريب متنفّساً لها، كالغيرة الشديدة من شخص أو أشخاص، والتي تبقى حبيسةً في المشاعر فترة طويلة، وكراهية السلطة الضاغطة للأبوين أو المعلمين التي تقيد حركة الطفل، وتسلبه إرادته في الأمور المباحة أو غير المباحة، وكذلك للشعور بالنقص الجسدي والعقلي دور في الممارسة، وجميع هذه الأسباب والعوامل تشترك في منشأ واحد وهو القلق والاضطراب النفسي.

وخير وسيلة لتحجيم هذه الظاهرة أو إنهائها، هي الوقاية، بخلق الأجواء المقبولة عند الطفل عاطفياً وسلوكياً، وإبعاد الأشياء القابلة للكسر أو التمزيق عن متناول يده، وتصريف طاقته في مجالات أخرى كالرياضة والسباحة وممارسة بعض أنواع اللعب التي تحتاج إلى طاقة حركية وعقلية في آن واحد، ويحبّذ عدم إعطاء آلات اللعب جميعها للطفل، لأنّ ذلك يؤدي إلى الملل وعدم الحصول على تجارب إضافية، ومن الأفضل هو إشباع القابلية على الحلّ والتركيب بتوفير الأشياء القابلة للانفصال أو الحل أو التجزئة، بأن توفّر له أشياء لا قيمة لها كأجزاء الراديو غير الصالحة للاستعمال، وهنالك آلات للعب متوفّرة في الأسواق مخصّصة لتعليم الأطفال، على الحلّ والتركيب، ينبغي على الوالدين شراؤها لهم.

واللعب بالتراب من أفضل الألعاب عند الأطفال، يجدون فيه اللّذة والسرور، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «التراب ربيع الصبيان».[١]

والتراب مرتع خصب للأطفال، ويمكن استثماره في ألعاب عديدة، في حفر الأرض، وبناء المنازل الوهمية، وبناء السدود الوهمية، فيحبّذ على الوالدين تخصيص وقت كاف للخروج مع الأطفال إلى بعض البساتين أو الأراضي وإفساح المجال لهم للعب بحرية، ومن خلال تجاربنا الشخصية وجدنا كثيراً من الأطفال يلتذّون ويهنئون بإحراق بعض المواد القابلة للاحتراق، فينبغي تركهم وشأنهم في هذه الممارسة، مع المراقبة الدقيقة لهم خوفاً من الاحتراق.

وبالإضافة إلى ذلك يُحبَّذ شراء الطين الاصطناعي للأطفال، ليشبعوا الحاجة إلى الحلّ والتركيب، وتنمية مواهبهم الفنية أيضاً.

وبذلك يستطيع الوالدان وقاية الطفل من ممارسة التخريب لتصريف طاقته الزائدة، ثمّ يأتي العلاج بعد تكرار الممارسة عن طريق مصارحة الطفل ليعبر عن معاناته النفسية بصورة مباشرة، أو غير مباشرة عن طريق الكتابة أو تسجيل الكلام على شريط مسجل، وبعد الاطلاع على معاناته النفسية يتمّ العلاج المناسب لكلٍّ واحدة منها، وإذا لم يبح الطفل بأسراره وخفاياه للوالدين، فيمكن التعاون مع الآخرين الذين لا يخفي الطفل عليهم شيئاً منها، وبهذا تعالج أزماته النفسية.

---

١. *المصدر*: ٤٥٨/١، ح ٤٥٤٢٤.

الصراع الانفعالي والنفسي

أسباب ومناشئ الصراع النفسي

للصراع داخل النفس تأثيرات سلبية على الصحة النفسية، لأنّه اضطراب وقلق يجعل النفس غير مستقرة وغير مطمئنة، واستمراره يعني استمرار الشقاء والتعاسة وفقدان الهناء والطمأنينة، وللصراع النفسي مناشئ عديدة بينها قواسم مشتركة تتعلق بالذات وبالواقع، ويمكن جمعها في نقاط ثلاث:

١. موانع تحقيق الأمنيات والرغبات

للطفل أمنيات ورغبات لا حدّ لها، نابعة من حاجته إلى الاستقلال، وإلى التقدير وإلى المكانة الاجتماعية، وهو يسعى لتحقيقها في الواقع، ولكنّها قد لا تتحقق أحياناً، فتكون أحد العوامل والمناشئ للصراع النفسي الذي يسلبه الأمن والاستقرار والطمأنينة.

فالطفل يريد أن ينفرد بمحبّة والديه، ولكن أخاه أو الأصغر أو الأكبر أو أخته الصغرى تمنعه من تحقيق هذه الرغبة، ويريد الانفراد بمحبّة معلمه له، ولكنّ بقية الطلاب ينافسونه في ذلك، ويرغب في الحصول على أعلى المراتب في المدرسة، وأن

يكون طالباً لامعاً، ولكن الواقع لا يساعده على تحقيق رغبته، ويرغب أن يكون بطلاً أو فناناً، ويرغب أن يكسب أكبر عدداً من الأصدقاء، ولكنّ بعض أنواع السلوك التي يتعامل بها مع الآخرين تمنعه من كسب الأصدقاء، ويرغب أن يكون رأساً في زمرة الاطفال، ولكنّهم لا يقبلون ذلك، أو أنّ طفلاً آخراً له مؤهلات أكثر منه تجعله يتفوّق عليه ويحتلّ موقعه ومكانته، ويرغب في إكمال دراسته ولكنّ قلّة الدخل الاقتصادي لأسرته تقف حائلاً دون تحقيق رغبته.

وتنعكس النتائج على شخصيته فتؤدي إلى خلق الصراع النفسي، لعدم تحقّق أمنياته ورغباته في الواقع.

٢. العيوب الذاتية

العيوب الذاتية: بدنية أو عقلية أو نفسية تمنع الطفل من تحقيق أمنياته ورغباته في الواقع الخارجي، فضعفه العقلي يمنعه من أن يكون متفوّقاً في دراسته، وضعف النطق لديه يمنعه من أن يصبح خطيباً أو ممثلاً، وضعف الرؤية لديه يمنعه من مشاركة الأطفال في بعض الألعاب، وضعفه البدني يمنعه من أن يصبح بطلاً رياضياً لامعاً، أو يمنعه من ممارسة أنواع كثيرة من اللعب التي تحتاج إلى الحركة السريعة والنشاط الدائم، والإصابة ببعض الأمراض تمنعه من الدراسة المتواصلة، أو اللعب أو الاشتراك في المهرجانات أو السفرات الترفيهية.

وجميع هذه العيوب تعيقه عن تحقيق رغباته وأمنياته وطموحاته، وتترك آثارها السيئة على صحته النفسية، وتولّد فيها صراعاً نفسياً، فتسلبه الراحة والطمأنينة والاستقرار النفسي.

٣. الحوافز المتضاربة

في كثير من الأحيان نجد بعض الاطفال تتجاذبهم حوافز ودوافع متباينة ومتضادّة، تهتف بهم لكي يحققوها في الواقع، فتصيبهم الحيرة ولا يستطيعون اختيار إحداها باتخاذ

القرار النهائي، أو يختارون إحداها، ولكنْ تبقى عقولهم وقلوبهم منشدّة إلى غيرها، والواقع مليء بمثل هذه الحوافز والهواتف، فالطفل الذي يرغب البقاء في البيت لمشاهدة فلم سينمائي أو فلم كارتون، يتردد في البقاء أو الخروج حينما يجد حافزاً آخر كالذهاب مع أبيه أو أمه إلى السوق أو إلى أقربائه الذين يسمحون له باللعب بجميع الألعاب المتوفّرة لديهم، ويطلقون له العنان في اللعب مع أطفالهم دون قيد أو شرط، وهذا التردد في اختيار أحد الموقفين يولّد الصراع النفسي الآني قبل الاختيار، ويولّد صراعاً آخر بعد الاختيار، فلو اختار البقاء في البيت يبقى متألماً ومتحسّراً على عدم الذهاب إلى السوق أو بيت الأقرباء، ولو اختار الخروج فإنه يحرم من مشاهدة الفلم الذي يرغب فيه، أو المسلسل القصصي الذي يتابعه كلّ أسبوع أو كلّ يوم.

والطفل الذي يخيّر بين الذهاب مع أصدقائه للاشتراك في مسابقة رياضية، أو الذهاب مع أحد والديه للتنزّه في حديقة جميلة، يبقى في دوامة الصراع النفسي وخصوصاً إذا سمع بتفاصيل المسابقة أو التنزّه فيما بعد، والطفل الذي يخير بين شراء شيء أو شيء آخر كلاهما بحاجة إليه، يولّد في نفسه صراعاً، كالذي يخيّر بين شراء قميص أو حذاء، أو محفظة لكتبه أو لعبة عزيزة عليه، أو بين الحلوى والأقلام الملوّنة وغير ذلك.

وقد تتجاذب الطفل رغبتان عارمتان وهي الذهاب مع أمه أو أبيه، وكلّ منهما يرغّبه في الذهاب معه أو الذهاب مع الآخر، فيبقى يصارع الرغبتين، ويزداد صراعه مع نفسه بعد اطلاعه على نوعية ما أنجزه أحد الوالدين الذي لم يذهب معه، ويكون الصراع أشد وطأة حينما يوجّه أحد الوالدين اللوم والتقريع له، فيقول له: لو ذهبت مع أمّك لكان أفضل، أو لو ذهبتَ مع أبيك لكان أفضل لي ولك.

والطفل أحياناً تهتف به رغبتان، الرغبة في النوم، والرغبة في الاستمرار في اللعب مع الطفل الضيف، أو الاستمرار في القراءة والمطالعة.

ويشتدّ الصراع النفسي حينما يحدث التجاذب بين حوافز النفس وحوافز الغير، فالطفل الذي تتجاذبه رغبتان: رغبته في ارتداء الملابس التي يراها هو، ورغبة والديه في ارتداء غيرها، فهل يرضي نفسه أم يرضي والديه، ولكلّ رغبة انعكاسات سلبية على أعماقه.

ويشتدّ الصراع أيضاً حينما يكون ضحية لصراع وتشاجر الوالدين حوله في اختيار موقف معين له، أو اختيار لعبة له، أو اختيار مدرسة له، أو في الوقوف مع أحدهما.

وهنالك صراع من نوع آخر، وهو الصراع بين تحقيق الرغبات وبين المعايير والموازين السلوكية، كالصراع الدائر بين رغبته في سرقة ما يحتاج إليه وبين حرمة السرقة، أو بين الاستسلام للعقوبة إن صدق في قوله، وبين التخلّص من العقوبة عن طريق الكذب، فيبقى الصراع قائماً داخل النفس.

السراب والموضوعيّة في علاج الصراع النفسي

أحلام اليقظة

حينما يخفق الطفل في تحقيق رغباته في الواقع، فإنّه يلتجأ إلى الهروب من عالم الواقع، ويتحصّن بأحلام اليقظة، حيث يتخيّل نفسه كما يريد وكما يرغب، فالضعيف يتخيّل نفسه أقوى الأقوياء، والفقير يتخيل نفسه أغنى الأغنياء، والفاشل يتخيل نفسه قد حاز النجاح في جميع الميادين، فيعوض عمّا فاته في عالم الأحلام، فيحصل على الهناء والاستقرار النفسي والسرور وينسى معاناته مادام في عالم الخيال والأحلام، ويبقى ما يحصل عليه في دائرة الطوارئ، ثمّ يعود إلى عالم الواقع فيجد نفسه حبيساً لهمومه ومعاناته من جديد.

وأحلام اليقظة لها إيجابياتها وسلبياتها، وهي في جميع الأحوال، ظاهرة محكمة لا يستطيع الإنسان التخلّص منها، فهي ظاهرة فوق طاقته وقد تكون فطرية، غاية الأمر أنّ قليلها نافع وكثيرها ضارّ.

وأحلام اليقظة لها مرادفات كالأمل والأماني، ومن إيجابياتها أنّ الإنسان خصوصاً الطفل يأنس بها ويتخلّص وقتياً من متاعب الحياة وما تخلفه من صراعات نتيجة الإخفاقات والحرمان، وهي كما وصفها الإمام علي عليه السلام: «الأمل رفيق مؤنس».[1]

والطفل أقل الناس استسلاماً لأحلام اليقظة، لأنّ كثرة اللعب تمنعه من الإكثار منها باستثناء الطفل المعوّق فهو أكثر الأطفال هروباً من الواقع.

وأحلام اليقظة تدفع بالإنسان وبالطفل السوي إلى العمل من أجل تحقيق رغباته في الواقع، أو التعويض عن رغبته برغبة أخرى، فالذي يحلم بالحصول على المرتبة الأولى في الامتحان، يمكنه من الوصول إلى حلمه وتحقيقه في الواقع عن طريق المثابرة وبذل الجهد في القراءة والمطالعة، أو يحقق أمراً آخر إن لم يستطيع التفوّق في الرياضة أو التمثيل أو حفظ القرآن أو الإبداع في مهنة وفن من الفنون، وقد وصل البعض منهم إلى ما يحلمون به في الواقع:

وإن من بين هؤلاء مئات المخترعين العظام، كما أنّ فيهم شخصيات كبيرة، أمثال: نابليون و... .[2]

فأحلام اليقظة إيجابية إن أعقبها العمل لتحقيقها في الخارج، وكانت أحلام واعية سليمة تتناسب مع القدرة والإمكانيات في الخارج.

ولأحلام اليقظة جانب سلبي إن تجاوزت حدودها، وأدت إلى إضاعة الوقت، وإذا استسلم لها الإنسان فإنّه سيضيع وقته، لأنّها لا تنتهي عند حدّ، قال الإمام علي عليه السلام: «الآمال لا تنتهي».[3]

والمذموم منها، هو الاعتياد على الهروب من واقع الحياة إلى عالم الخيال والأحلام،

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٣١٣.

٢. *علم النفس*: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٣. *تصنيف غرر الحكم*: ٣١١.

وتصبح أكثر وطأة عندما تكون صعبة التحقيق، لعدم توفّر شروط التحقيق عند الحالم، أو في الواقع الموضوعي، قال الإمام علي عليه السلام: «رغبتك في المستحيل جهل».[١]

والاستسلام لأحلام اليقظة من صفات ضعيفي العقل والإدراك، كما قال الإمام علي عليه السلام:

«الأماني شيمة الحمقى»، «الآمال غرور الحمقى»، «الأماني بضائع النوكي».[٢]

وغالباً ما يعود الحالم إلى عالم الواقع والحقيقة، ليجد نفسه أقل قدرة على مواجهة الظروف التي يعيشها، وتبقى أحلامه سراباً.

قال الإمام علي عليه السلام: «الأمل كالسراب يغرّ من رآه ويخلف من رجاه».[٣]

وقال عليه السلام: «الأماني تخدعك وعند الحقائق تدعك».[٤]

وأحلام اليقظة المذمومة هي الأحلام التي لا يصحبها العمل والجهد.

قال الإمام علي عليه السلام:

«إنّ الله ليبغض الطويل الأمل السيئ العمل»، «شرّ الناس الطويل الأمل السيئ العمل».[٥]

والاستسلام لأحلام اليقظة دون بذل الجهد لتحقيقها في الخارج، يجعل الشخص كسولاً متراخياً ضعيفاً، وقد ترافقه إلى الكبر، فتمنعه من التكيّف الحقيقي مع المحيط الاجتماعي لانشغاله بأمور غير ممكنة التحقيق، ومن آثاره الخطيرة على الإنسان إنّ:

مستشفيات الأمراض العقلية غاصة بالآلاف مم حققوا أحلامهم أنهم هربوا من الواقع وأضاعوا الاتصال به.[٦]

---

١. *المصدر*: ٣١٢.

٢. *المصدر*: ٣١١.

٣. *المصدر*: ٣١٢.

٤. *المصدر*: ٣١٣.

٥. *المصدر*: ٣١٢.

٦. علم *النفس*: ٢٣٢.

وقد وجدنا في الواقع بعض الأشخاص ممن أصيبوا بالجنون الجزئي جرّاء استسلامهم لأحلام اليقظة والأماني الكاذبة، فأحدهم وجدناه كان عاقلاً في أقواله وممارساته إلّا في جانب واحد، فإنه يتحدّث عن تجارة وهمية بملايين الدولارات، ويسطّر أسماء الشركات التي يتعاقد معها، ويدّعي أنّه قد تبرّع للمؤسسة الخيرية الفلانية بعشرة ملايين، وأنّ فلاناً مدين له بخمسين مليون وهكذا، إلّا أنّه كان عاقلاً في جميع أقواله وممارساته التي لا تتعلّق بالأموال. ووجدنا شخصاً آخر كالسابق يمتلك جميع مقومات النضوج العقلي والفكري إلّا أنه في المجال السياسي يدّعي أنّه كان ملكاً على أحد الدول ثمّ أزيح عن منصبه بانقلاب عسكري، وحينما يتحدّث نجده على اطلاع تام على الأحداث المواقف السياسية، ومن خلال تتبّع مسيرة حياتهما رأينا أنهما استغرقا في أحلام اليقظة منذ الطفولة.

فأحلام اليقظة، خطرة جداً إنْ أصبحت هي الظاهرة السائدة في حياة الأطفال، ويجب على الوالدين أو المربين دراسة الأسباب التي تؤدي إلى أحلام اليقظة، ومعالجتها لإعادة الطفل إلى عالم الواقع واستثارة اهتمامه بالحياة الحقيقية، وفي حالة عدم إمكان ذلك، يجب على الوالدين تحويل الأحلام إلى ميدان آخر، بربط الطفل بعالم الآخرة، وتوجيه أنظاره إلى متع ولذات الجنّة، لتكون أحلاماً إيجابية، من أجل أن لا يشعر بالحرمان، أو يتخذ منها حافزاً لانجازات واقعية، ومن الأفضل إشغال تفكيره عن طريق اللعب، والقيام بسفرات ترفيهية، تقلّل من أحلامه.

التعويض

التعويض أحد وسائل علاج الصراع النفسي، وهو متّصل بجهد الطفل للتخلّص من الشعور بالضعة أو إضاعة احترام الذات التي تولّد الصراع النفسي، فيقوم الطفل ببعض الأعمال والممارسات يعوض من خلالها ما فقده في الواقع من تحقيق رغبة أو أمنية،

فينمّي أحد صفاته ليعوض عن صفاته غير الحميدة، أو يعوّض عن فشله بالنجاح في مجال آخر، فالطفل الفاشل في الدراسة يعوّض عن فشله بالنجاح في الرياضة أو الفن، والطفل غير الجميل يعوّض عن هذه الصفة بلطف الحديث، وحسن المعاملة، وقد يبالغ في التعويض إلى أن يصل إلى مراتب عليا في المجتمع، ومن أمثلة هؤلاء: روزفلت، هيلين كيللر... ونابليون.[١] حيث أصبحوا من الشخصيات المرموقة في المجتمع.

وهناك تعويض سلبي، فالطفل الذي يشعر بالانحطاط وعدم النجاح في الواقع، قد يلتجأ أحياناً إلى القيام بممارسات خاطئة وسلبية، كالمشاكسة في البيت أو المدرسة أو الشارع لجذب الانتباه إليه، ولكي يصفه الآخرون بأنّه لا يهاب أحداً، ولذا نجد أنّ البعض يفتخر بمثل هذه المشاكسة، وخير مثال على ذلك ما نجده في مجتمعاتنا حيث أصبح بعض الأحداث من المشهورين بالتشاجر والاعتداء لأدنى سبب، حتى أصبحوا في حال يتهرب المجتمع من شرورهم، ولكنْ إذا درسنا الحالة النفسية لهم نجدهم أناساً طيبين في كثير من خصائصهم، ولكنّهم التجأوا إلى هذا الأسلوب للتعويض عن الإحباطات التي صحبتهم.

وقد يلتجأ البعض إلى التكبّر ليشعر أنّه متفوّق على أقرانه، ويتفاخر ببطولات وهمية أو خصائص غير موجودة فيه، ليعوّض عن حرمانه وضعف نفسه. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلّا لذلّة وجدها في نفسه.[٢]

ويقوم البعض بالاستهزاء والسخرية من الآخرين للتعويض عن شعورهم بالنقص، ويلتجأ آخرون إلى التمسك بقاعدة (خالف تعرف)، فيخالفون القواعد العامة للسلوك أو العادات والتقاليد، لكي يشار إليهم.

---

١. *المصدر*: ٢٣٤.

٢. *الكافي*: ٢/٣١٢.

والتعويض السلبي، ظاهرة خطرة إن رافقت الطفل في جميع مراحل الحياة، لأنّها قد تخلق منه إنساناً ضاراً بالمجتمع، وخصوصاً إن تهيأت له الظروف ووصل إلى موقع سياسي أو عسكري في المجتمع، فإنّه سيصبح دكتاتوراً يحكم المجتمع بالحديد والنار، ليصبَّ جام غضبه على المجتمع الذي لم يحصل عنده على الهناء والسعادة في طفولته.

ومن أجل سلامة الأفراد وسلامة المجتمع، يجب على الوالدين أو المربين تشجيع الطفل للتغلّب على آلامه ومعاناته، والتغلّب على ضعفه، وأن يساعد على إبراز أفضل خصائصه المحمودة أو المقبولة اجتماعياً ليعوّض عما فقده من رغبات وأمنيات، ليصبح الضعف طريقاً للقوة.

والتعويض الإيجابي ضروري في بناء المجتمع، لأنّه ينمّي ظاهرة التخصص في مجالات الحياة المختلفة، فالذي يفشل في جانب يجد نفسه أمام مجالات أخرى تحقّق له النجاح، وأحياناً قد يلتجأ الإنسان إلى تحسين سلوكه وأخلاقه ليعوّض عن بعض أنواع الحرمان، ويقوم آخر بتأسيس مشاريع البرِّ والإحسان، ولذا فالتعويض الإيجابي ضروري للفرد وللمجتمع، ومن واجب الوالدين مراقبة هذه الظاهرة مراقبة دقيقة لتحويل الضعف إلى القوة، والصراع النفسي إلى استقرار وطمأنينة.

التبرير

حينما يعجز الطفل عن أداء دوره، وإنجاز عمله، أو إشباع حاجاته ورغباته، ويفقد التبريرات المنطقية والواقعية لهذا العجز، فانه يلتجأ إلى التبرير المخالف للواقع، والتبرير ظاهرة يراد بها الاحتفاظ بالتقدير الذاتي، وهو يشتمل على خداع الذات وخداع الآخرين، فالطفل الذي يفشل في الامتحان أو لا يحصل على الدرجة التي يريدها الوالدان، فإنه يبرّر فشله بأنّ المعلم ليس جيداً في التعليم، أو أنّه يعادي الطلاب فيضع أسئلة صعبة، أو أنّه أتى بأسئلة غير مألوفة، والطفل الذي يتهرّب من الدراسة يدّعي أنّه بحاجة إلى الراحة والترفيه لكي يعود إلى نشاطه الأول.

والطفل الذي لا يرغب في مصاحبة أحد والديه إلى بيت أقربائه أو جيرانه بسبب كراهيته لطفل في ذلك البيت، يبرّر عدم رغبته بأنّه تعب أو يريد أن ينام أو أنّ الجوَّ بارد ويخشى الإصابة بالزكام، والطفل الذي يحبّ الوحدة والانفراد يبرّر عدم اشتراكه في اللعب مع بقية الأفراد بأنّهم غير مهذبين.

والتبرير وإن كان كذباً وخداعاً للذات وللآخرين، إلّا أنّه يخفف من المعاناة النفسية تخفيفاً جزئياً مؤقتاً، فيصون به الطفل ماء وجهه أمام الآخرين، ومع هذا التخفيف يبقى الطفل في دوامة من الصراع النفسي ان بقيت معاناة دون حل ودون علاج.

ومنشأ التبرير هو خيال الطفولة الخصب، وهو اقتباس واكتساب من الوالدين أو من غيرهما، فحينما يسمع الطفل التبريرات المتكرّرة بأنّ استخدام الشيء الفلاني يجعله مريضاً، أو أنّ اللعب بمثل هذا الشيء مبغوض لدى الناس، أو أنّ صاحب الدكان الفلاني قد عطّل عمله هذا اليوم، فجميع تلك التبريرات تجعله يتقن فنونها وأساليبها، فيلتجأ إلى التبرير عند فشله أو عند معاكسة رغباته.

والتبرير أحد مصاديق الكذب، والذي يلتجأ اليه سيتحول إلى كذاب عن طريق الممارسة المتكرّرة، والتبرير يؤدي إلى عدم الاكتراث في إنجاز الأعمال وعدم الاهتمام بمعالجة الأمور معالجة صحيحة، وهو يلحق الضرر بالفرد وبغيره، ولا يحقق الصحة النفسية إلّا وقتياً، سرعان ما يعود المبرر إلى واقع الصراع النفسي الذي يعيشه.

فيجب على الوالدين أنْ يبذلا قصارى جهديهما للقضاء على هذه الظاهرة، بأنْ يكونا قدوة للطفل، وأنْ يصارحاه دون اللجوء إلى التبرير، ويجب تشجيع الطفل على الاعتراف بأخطائه وتقصيراته، ومساعدته على المعالجة، ويجب على الوالدين عدم تحميل الطفل فوق طاقته العقلية والبدنية، فبعض الوالدين لا يقبلون من الطفل إلّا أن ينجز العمل الفلاني مئة بالمئة أو أن يكون الأول في الامتحان أو الرياضة أو غير ذلك، وهذا خطأ كبير، خصوصاً إذا كان الطفل لا يتّصف بالمؤهلات اللّازمة للنجاح، مما يدفعه إلى التبرير.

ولا ينتهي التبرير إلّا بإنهاء أسبابه، والانفتاح مع الطفل ومصارحته في الحقائق، ليتعرّف على تقصيراته أو يعترف بها، يحول الضعف إلى قوة، ولا يلتجأ إلى التبرير في علاج معاناته وهمومه وصراعه النفسي.

الاسقاط

الاسقاط هو الصاق التهم بالآخرين، حيث ينسب الشخص أخطاءه أو رغباته إلى الآخرين، وينسب إليهم ما لم يفعلوه، أو يشيع ما فعلوه لكي يتساوى مع غيره في الإحباط والفشل وفي الممارسات الخاطئة، وكثيراً ما يكون مصدر الاسقاط هو الشعور بالإثم، أو خوف الملامة من والديه أو من المجتمع.

والشخص بالاسقاط يخفّف عن شعوره بالإثم مؤقتاً عن طريق تصوّره أنّ الآخرين آثمون مثله ومثل ذلك أنّ الطفل الذي يغش في الامتحان يدّعي أنّ جميع الطلاب يغشون، أو أنّهم سيغشون إن سنحت لهم الظروف.

وإذا لم يستطع الصاق التهم بالآخرين فإنه يلتجأ إلى إشاعة عيوبهم وأخطائهم لكي يخفف من ملامته أو شعوره بالإثم.

قال الإمام علي عليه السلام: «ذوو العيوب يحبون إشاعة معايب الناس ليتسع لهم العذر في معايبهم».

وقال عليه السلام: «شرّ الناس من كان مستتبعاً لعيوب الناس عمياً لمعايبه».[1]

وظاهرة الاسقاط، ظاهرة سلبية على الطفل وعلى المجتمع وهي أشبه بالمسكّن المؤقت الذي يسكّن الألم ولكنه لا يعالج المرض، فيبقى المرض ويعود الألم، ولذا فمن الضروري معالجة هذه الظاهرة عند الأطفال، والانفتاح معهم لمعالجة مشاكلهم، ومعاناتهم، بعد الاعتراف بها، وتمرينهم على الصبر عند عدم تحقق الرغبات، ودفعهم إلى

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٢١.

النجاح بعد الفشل، والتخفيف من العقوبات في حال الخطأ أو ارتكاب الذنب، لأنّ استفحال هذه الظاهرة قد يؤدي إلى الاضطرابات العقلية، وإلى الوسوسة حينما تتراكم الأخطاء والإخفاقات وتتكرر العقوبات البدنية والنفسية، فتصل بالإنسان حين تقدّمه بالعمر إلى الصاق تهم التآمر عليه من قبل أقرب المقربين إليه، ويفقد الثقة بالناس أجمعين.

الكبت والقمع

يحاول بعض الأطفال كبت وقمع مشاعر الفشل والهزيمة والإخفاق، أو مشاعر الإثم والذنب، من أجل أن لا يحدث الصراع النفسي. والكبت والقمع أسلوبان للتخلّص من الرغبات غير المتحقّقة أو المستحيلة التحقّق في الواقع من أجل أن لا تولّد ضغطاً على صاحبها.

والفرق بين الكبت والقمع، هو أنّ الكبت نسياناً لا شعورياً لذكريات الاخفاق في العمل أو عدم نيل رضى المجتمع.

أما القمع فهو الاحتفاظ بصورة سرية بالمشاعر والأفكار المؤلمة، فهو يشعر بما يؤلمه ولكنّه يسكت عنه ويخفيه دون ذكر.

فالطفل الذي يهمله الوالدان ويصبّان اهتمامهما بأخيه أو أخته، تنشأ في نفسه كراهية لوالديه ولأخيه، ولكنّه يكبت هذه الكراهية وينساها، ويقمع مشاعره في التعبير عن عدم رضاه عن هذا الإهمال.

والكبت والقمع قد يعالج بعض المشاعر الناجمة عن الفشل والاخفاق والحرمان، ولا يولّد صراعاً نفسياً، ولكنّه علاج وقتي، وله تأثيرات سلبية على الإنسان حيث يسبّب له التعقيد النفسي عند الكبر، بحيث لا يستطيع التوصّل إلى أسبابه جراء الكبت المخزون في اللاشعور.

ومن أعراضه (المسير أثناء النوم وفقدان الذاكرة... والخدر الحسي).[١]

---

١. *علم النفس*: ٢٣٩.

فالواجب على الوالدين كسب ثقة الأطفال مما يدفعهم إلى المصارحة بمشكلاتهم، والصراحة تخفيف من حدة الصراع الداخلي المؤقت والدائمي، أو المكبوت في اللاشعور، ومن خلال المصارحة يتمّ التصريح بجميع الخبرات غير السعيدة التي كبتها أو قمعها الطفل، ومن خلال ذلك يمكن وضع خطة للعلاج أو وقاية مستقبلية لتحصين الطفل من الصراع النفسي، ويمكن في بعض الأحيان، من تحويل الكبت إلى فضيلة، وخصوصاً في المواقف التي تتطلّب ذلك، ككبت الطفل لمشاعره احتراماً للضيوف أو الجيران، فيصبح الكبت فضيلة أقرب إلى فضيلة كظم الغيظ الممدوحة إسلامياً وتربوياً.

ويمكن للطفل أن يفرّغ شحناته المكبوتة عن طريق اللعب أو التمثيل المقصود واللّامقصود.

وهنالك طرق أخرى لعلاج الصراع النفسي إلّا أنها تبقى سراباً لا يعالج المعاناة من الأساس، ومن هذه الطرق هي: الإزاحة: بأن يقوم الطفل بتحطيم لعبته أو ضرب الجدار بيده أو رأسه، أو تحطيم زجاجة، أو تفريغ الشحنات العدوانية بضرب بعض الأطفال أثناء اللعب أو أثناء الشجار، ولكنّها لا تعالج مشكلة الصراع النفسي من الجذور، ولا علاج جذري إلّا بتعميق العلاقة بين الطفل والوالدين، وإحاطته بالحبّ والتقدير والرعاية، وتشجيعه على التغلّب على المعاناة والآلام، وتحويل نقاط الضعف إلى قوة.

دور القيم المعنوية في علاج الأمراض الانفعالية والنفسية

الابتعاد عن المنهج الإسلامي في التصور والاعتقاد وفي السلوك والموقف له دور كبير في نشوء الأمراض النفسية، سواءً كانت ناجمة عن الفرد نفسه، أو كانت ردّ فعل لما يمارسه المجتمع معه من ظلم واضطهاد وسخرية وتحقير، وللذنوب التي يرتكبها

الفرد طفلاً كان أم كبيراً دور ملموس في إنشاء وخلق الأمراض النفسية، وخصوصاً الأمراض التي تتولّد نتيجة الصراع بين النفس الأمّارة بالسوء والنفس اللّوامة قبل ارتكاب الذنب أو بعده.

وفيما يلي أهم معالم علاج الأمراض النفسية المتعدّدة النشوء.

الاعتراف

أثبتت التجارب أنّ للاعتراف بالمرض النفسي الدور الكبير في التخفيف من تأثيراته السلبية على النفس وعلى الضمير، وخير وسيلة لإنهاء المرض النفسي، فبالاعتراف يتشخص المرض النفسي من حيث المنشأ والنوع والدرجة، وتشخيص المرض هو القاعدة الأساسية والخطوة الأولى في العلاج، ولذا فمن الضروري أنْ نربي الطفل على المسارعة للاعتراف بالخطأ والانحراف الأخلاقي، وبالمرض النفسي الناشئ عنه، فالطفل قد يسرق ممتلكات غيره أو يعتدي على الآخرين أو يكذب، وهو في أغلب الأحيان يشعر بسوء عمله، وهذا الشعور يجعله يعيش الاضطراب والقلق أو الخوف من انكشاف أمره، ويبقى الاضطراب يسايره وقد يتضاعف وتشتّد وطأته، ولا طريق للتخلّص منه إلّا بالاعتراف والتصريح، فقد يعترف بما يعانيه أمام والديه إن وجد لديهما تشجيعاً له، وفي حالة التحرّج من الاعتراف ينبغي على الوالدين تربيته على الاعتراف أمام الله تعالى بأسلوب شيّق ينسجم مع درجة نضجه العقلي والعاطفي، وأن يكرّس هذا المفهوم في أعماقه بالتدريب والتمرين لكي يستشعره في كيانه، والأفضل أن يشجّع على حفظ بعض الآيات المتعلّقة بالاعتراف وأنْ توضح معانيها له بأبسط أسلوب لكي يردّدها باستمرار ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

---

١. التوبة: ١٠٢.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾.[١]

وبالاعتراف أمام الله تعالى يشكو الطفل ما يعانيه، ويبثّ همومه وآلامه، ويفضي بما في نفسه إليه تعالى طلباً للخلاص والاستقرار، فلا يبقى أمر مكبوت ضاغط على سلامته النفسية، مما يزيل مشاعر الخطيئة والإثم، ويخفف من وطأة عذاب النفس اللّوامة، ويطهر النفس المضطربة والقلقة، ويعيد إليها استقرارها، وأمنها، واطمئنانها، لأنّ الاعتراف بالمعاناة والتصريح بها يساعد على العلاج بأسرع الأوقات وبأسهل الوسائل، لأنّ المريض نفسياً قد لا يعترف للمعالج إن كان إنساناً مثله، لما يترتب على الاعتراف من كشف للعيب المستور، وفضيحة للعمل القبيح، وكثيراً ما تستمر الأمراض النفسية بسبب عدم الاعتراف بها أو بأسبابها، ولكنّها تنقطع أمام الله تعالى، الذي يجد الطفل فيه معالجاً رحيماً عطوفاً شفوقاً، ولا يتحرّج في الاعتراف أمامه.

وتترتب على الاعتراف آثار عملية عديدة، ينبغي على الوالدين توجيه أنظار الطفل إليها، عن طريق حفظها وترديدها باستمرار، وينبغي توضيح معانيها بالأسلوب الذي يتقبله الطفل ويأنس به، وأفضله الأسلوب القصصي، ومن هذه الآثار كما يحدّدها الإمام علي عليه السلام:

«شافعُ المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره»، «من اعترف بالجريرة استحق المغفرة»، «لا اعتذار أمحى للذنب من الإقرار»، «عاص يقرُّ بذنوبه خير من مطيع يفتخر بعمله».[٢]

ويلحق الاعتذار بالاعتراف، قال الإمام علي عليه السلام:

«ما أذنب من اعتذر»، «من أحسن الاعتذار استحقّ الاستغفار».[٣]

---

١. القصص: ١٦.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ١٩٥.

٣. *المصدر*.

وأفضل آثار الاعتراف هو محو الذنوب، فيدخل الطفل في مرحلة لا يشعر فيها بوطأة الذنب والخطيئة، ولا تلاحقه تأثيراتها السلبية، فينتفي القلق والخوف وسائر مظاهر الأمراض النفسية من مخيلته وكيانه، وليبدأ حياة جديدة سليمة سوية.

التوبة

بارتكاب الذنوب يكون الشقاء بسبب الانحراف عن الفطرة، وبملاحقة النفس اللوامة ـ الضمير ـ فيبقى المذنب يعيش القلق والاضطراب والازدواجية بين الفكر والسلوك، ويشعر بالنقص والحقارة، فتلاحقه العقد والآلام النفسية، وقد يتمادى في ذنوبه وانحرافه ـ إنّ أحسّ بعدم علاجها ـ إلى أنْ يصل إلى الانحطاط التام، ولكنّ الله تعالى فتح للمذنب أبواباً للهداية والرحمة عن طريق التوبة، فإذا تاب واستغفر ربّه، فإنه يرجع سوياً وتمحى ذنوبه، ويتعلّق قلبه بالرحيم، فيستشعر الراحة والطمأنينة بأمله بالله تعالى، ويستعيد استقامته ليعيش حياة جديدة خالية من العقد والأمراض النفسية التي خلقتها الذنوب.

ومن هنا فالأحرى بالوالدين تمرين الطفل على استشعار التوبة وتعميقها في كيانه ليطمئن إلى أنّه لا يستطيع تدارك الماضي، ومحو الآثار السلبية المخيّمة عليه والمطبقة على نفسه، وتركيز آيات التوبة وأحاديثها في نفسه وكيانه.

قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.[١]

فاستشعار الحبّ الإلهي للتائب يجعل الطفل مندفعاً للتوبة حسب نضجه العقلي وعمره الزمني، فيبادر إلى ترك كلّ ممارسة يراها خطأً طبقاً للمنهج التربوي المتّبع معه من قبل الوالدين.

---

١. البقرة: ٢٢٢.

والتوبة تستنزل الرحمة الإلهية فتطهّر القلب من القلق والاضطراب والكآبة. قال الإمام علي عليه السلام: «التوبة تستنزل الرحمة».[1]

وقال عليه السلام: «الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود».[2]

وقال عليه السلام: «التوبة تطهّر القلوب وتغسل الذنوب».[3]

والتوبة تجعل الطفل يشعر أنّه أصبح إنساناً سوياً كغيره، فلا تلاحقه الهواجس والمخاوف، والتوبة تمنح الطفل الأمل في التغير، والصلاح، والاستقامة، وان كانت أخطاؤه عديدة.

ويحبّذ أن يركّز الأمل في نفس الطفل في بقاء باب التوبة مفتوحاً طبقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء، ثمّ ندمتم لتاب الله عليكم.[4]

وعلى الوالدين إعانة الطفل على إدراك حقائق التوبة لغرض علاج الأمراض النفسية باستشعاره للولادة الجديدة، وتركيز آثارها في كيانه ليكون عنصراً فعّالاً نافعاً في مجتمعه الصغير، ومحيطه الكبير حينما يتقدّم في العمر.

دوام العلاقة مع الله تعالى

إنّ الطفل بحاجة ماسّة إلى الارتباط بالله تعالى حيثُ إن ضعفه البدني والروحي يستلزم الارتباط بقوة مطلقة لكي تمنحه الأمن والطمأنينة والهدوء والاستقرار، فينبغي تركيز مفهوم الارتباط في ذهنه وفي مشاعره وإرادته، ولا يترسخ ذلك إلّا بوجود القدوة، والطفل يتأثر بوالديه من حيث درجة القرب والبعد في الارتباط، والارتباط

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ١٩٥.

٢. *المصدر*: ١٩٤.

٣. *المصدر*: ١٩٥.

٤. *المحجة البيضاء*: ٢٤/٧.

بالله يحرّر المرتبط من القلق والحيرة والاضطراب، لأنّه سيرتبط بواهب الرحمة واللطف والأمن والطمأنينة، وإذا امتلأ المرتبط شعوراً بالاتصال بالله، فإنه لا يتأثّر بشعور الخوف على الحياة أو على المكانة، أو سائر ألوان الخوف، ولا يتأثّر بالحرمان المادي والروحي الذي يولّد له عُقَداً نفسية واضطرابات روحية.

والعلاقة مع الله متنوعة في وسائلها ومظاهرها، ويمكن تحديد بعض النقاط في مجال العلاقة.

١. ذكر الله

حينما تحيط الشدائد والمعاناة بالإنسان، وحينما يتعرّض للبلاء في جميع ألوانه، من ظلم، واضطهاد، وفقر وجوع، واستهزاء، لا يبقى له سند ولا حصن إلّا الله، فالله تعالى يرحم العبد المتعلّق به، والملّتجئ إليه، فيشرح صدره ويطمئن قلبه كما قال تعالى: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[١]

واطمئنان القلب يخفّف من وطأة المعاناة والهموم، وكلّما ازدادت الطمأنينة خفّت وطأتها إلى أن تتلاشى، فلا يبقى لها تأثير ملموس، وعلاقة الذكر ذات طرفين، الإنسان سواءً كان طفلاً أم كبيراً، فإذا ذكر الله، فان الله يذكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...﴾.[٢]

فإذا كان الذاكر هو الله تعالى؛ فإنّه سيكون عوناً لمن ذكره، يثبّت قلبه ويزرع فيه الأمل ويمنحه الأمن، والاستقرار، والاطمئنان، وذكر الله مفتاح الأنس والارتياح، وبه يعيش الذاكر في ظلال الرحمة الإلهية، فلا يلتفت إلى ما يعانيه من شدائد، وآلام، ومعوقات، فيكون مستقرّاً في فكره وعواطفه وسلوكه، فلا قلق، ولا اضطراب، ولا زعزعة روحية.

---

١. الرعد: ٢٨.

٢. البقرة: ١٥٢.

والأحّرى بالوالدين أن يرسّخوا ذكر الله في أعماق أطفالهم، وأن يتخذوا خطوات عملية في تعميق ذكر الله حسب مراحل النمو والنضج، وأيسر الخطوات: تحفيظ الآيات والأحاديث الشريفة للطفل، لكي يردّدها في اللسان، ويعمقها في القلب، ويجسّدها في الجوارح، ومن هذه الأحاديث، ما ورد عن الإمام عليعليه السلام أنّه قال:

«الذكر يشرح الصدر»، «الذكر مفتاح الأنس»، «ذكر الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب»، «بذكر الله تستنزل الرحمة»، «ذكر الله دواء إعلال النفوس».[1]

فإذا تعمّقت هذه الأحاديث في أعماق نفس الطفل، واستشعر آثارها الإيجابية، فإنّه يجد الأنس بذكر الله، ويطمئن إلى إمكان علاج الأزمات النفسية التي يعاني منها.

٢. الدعاء

حينما يبتعد المجتمع عن المنهج الإسلامي، فإنّه سيعيش الواقع المأساوي المليء بالانحراف والشذوذ، فتحيط به الآلام والهموم، ويحيط به القلق والاضطراب، والحزن والكآبة، وتنعكس هذه الظواهر على جميع أفراده وبمختلف أعمارهم، ابتداءً بالأطفال وانتهاءً بالكبار.

وفي مثل تلك الأوضاع، لا يبقى ملجيءٌ إلّا الله، ولا ركن ركينٌ إلّا هو، فيكون هو الملاذ والمغيث للإنسان لإنقاذه من الأمراض النفسية المطبقة عليه، فيفزع إليه الإنسان بالدعاء، وبالدعاء تتعمّق العلاقة الروحية بين فاقد الهناء والطمأنينة وبين واهبها وهو الله تعالى.

وبالدعاء يكون الإنسان قد وجد السبيل الذي يوصله بمصدر اللطف، فتخفف معاناته وآلامه، وهو مشدود إلى أقوى القوى وإلى أرحم الراحمين، فتوسل الإنسان بالله عن طريق الدعاء مع الاطمئنان والوثوق بالاستجابة، يجعله يعيش في بحبوحة من الهناء والارتياح، لأنّ الله تعالى وعده الاستجابة كما جاء: ﴿...ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾.[2]

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢. غافر: ٦٠.

والدعاء وقاية من البلاء، وعلاج له بعد وقوعه، قال الإمام علي عليه السلام:

ادفعوا أنواع البلاء بالدعاء.عليكم به قبل نزول البلاء.[١]

وقال عليه السلام: «**بالدعاء يستدفع البلاء**».[٢]

والدعاء شفاء من جميع الأمراض النفسية.قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء».[٣]

والدعاء مفتاح للرحمة التي تمنح الطمأنينة، والاستقرار في النفس الإنسانية.قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «... فأكثر من الدعاء فإنّه مفتاح كلِّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة...».[٤]

وليس للدعاء زاوية واحدة، بل هو شامل لكل زوايا الحياة وجوانبها، كما جاء في أدعية أهل البيت عليهم السلام، ومنها أدعية الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ونختار منها موضع الحاجة: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والفشل والهم والحزن والجبن والبخل والغفلة والقسوة والذلة والمسكنة والفقر والفاقة وكلِّ بلية».[٥]

وللدعاء دور كبير في الشفاء من القلق والاضطراب وسائر ظواهر الأمراض النفسية، لأنّ القلِقَ والمضطرِب سيبرز ما يضمره من أمور مكبوتة، إضافة إلى ما يرافق الدعاء من استكانة وتضرّع وتوسّل وبكاء، مع الوثوق بالاستجابة، وجميع ذلك يكون عوناً في علاج الأمراض النفسية أو التخفيف من حدّتها، لأنّ الدعاء ارتباط بالله الذي هو أنس كلّ مستوحش، وفرج كلّ مكروب، وغوث كلّ مخذول.

وبالدعاء تتحقق بعض ألوان العلاج التي يستخدمها المعالجون، وهي: (التداعي الحرّ) و(التنفيس الانفعالي).

---

١. *تحف العقول*: ٧٣.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ١٩٢.

٣. *الكافي*: ٢/٤٧٠.

٤. *المصدر*.

٥. *الصحيفة السجادية الجامعة*: ١٢٤.

والتداعي الحرّ:

هو إطلاق العنان، للأفكار والخواطر والاتجاهات والصراعات والرغبات والمشاعر في تلقائيةٍ دون قيد أو شرط، مهما بدت تافهة أو محرجة أو مؤلمة أو معيبة، وإخراج هذه المواد المكبوتة من اللاشعور إلى حيز الشعور حتى يمكن التعامل معها.[١]

والتنفيس الانفعالي:

هو تطهير وتفريغ الشحنات النفسية الانفعالية.وهو تخفيف الحمولة النفسية التي يعاني من عبئها المريض حتى لا يحدث تصدّع في الشخصية.[٢]

ففي الدعاء، ينطلق الداعي في التعبير عن خلجات نفسه بلا قيود وبلا حرج، فيطلق العنان لإبراز ما يعاني منه من اضطرابات ومخاوف وعقد نفسية، ثمّ يدعو الله لأنّ يزيلها من كيانه، فيكون علاجه سهلاً.

فينبغي تمرين الطفل على الدعاء، وتحفيظه بعض الأدعية، ومن الأفضل تشجيعه على الاستمرار في الدعاء، والإيحاء له بأنّ بعض مخاوفه وهواجسه وقلقه قد تبددت بسبب الدعاء، وهو الواقع، حيث إنّ استجابة الدعاء تتأكّد حينما يكون الداعي طفلاً؛ لبراءته وسلامة روحه، ونقاوة فطرته.

٣. قراءة القرآن

حينما تضيق الحياة بالإنسان، وحينما يحرم من متاع الدنيا، وحينما تلاحقه الهموم والآلام، ولا يجد لها حلّاً من قبل المجتمع، فإنّ مداومته على الارتباط بالله تعالى عن طريق تلاوة آيات كتابه الكريم تساعده على التغلّب على كل ألوان الهموم والآلام الناجمة عن غياب التطبيق الإسلامي، لأنّ القرآن نور يستضيء به، ففيه منهاج شامل لجميع الحلول، يمنحه الأمل والطمأنينة، وخصوصاً إذا تدبّر في أحوال الماضين الذين اجتازوا العقبات وهم أسعد الناس.

---

١. *علم النفس العلاجي*: ٨٤

٢. *المصدر*: ٨٥

فالقرآن شفاء ورحمة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾.[١]

وهو شفاء من الوسوسة، والقلق، والحيرة، لأنّه يوصل القلب بالله فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، وهو شفاء من العلل الاجتماعية التي تذهب بسلامة الفرد والمجتمع.

والقرآن يحيي القلب، ويغمره بالهدوء، والاستقرار، والانشراح، لأنّه نور وربيع للقلوب، قال الإمام علي عليه السلام: «تعلّموا القرآن فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور».[٢]

والقرآن يمنح الأنس لمن استوحش من المجتمع أو جعله المجتمع منعزلاً ومنفرداً، قال الإمام علي عليه السلام:

من أنس بتلاوة القرآن لم توحشه مفارقة الأخوان.[٣]

والارتباط بالله تعالى عن طريق قراءة القرآن، يذلّل الصعاب ويزيل أو يخفف من وطأة الهموم الناجمة عن الجوع والفقر والحرمان، بعد التفاعل مع قصص الأنبياء والأولياء والصالحين.

ومن هنا فإنّ من الواجب التربوي أن نعمّق العلاقة بين الطفل والقرآن الكريم، عن طريق قراءته وحفظ آياته وسوره، والتدبّر في قيمه المعنوية، ويجب سرد القصص القرآنية للطفل وتفصيل محتوياتها باللغة التي يفهمها، وهي كفيلة بالتخفيف من طوق الأمراض النفسية المتنوعة.

ولحفظ القرآن من قبل الطفل دور كبير في تعميق الثقة بنفسه، وتركيز ذاته وحصوله على المكانة الاجتماعية، عن طريق التشجيع والمدح والثناء التي يقابله المجتمع بها.

---

١. الإسراء: ٨٢.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ١١٢.

٣. *المصدر*.

ومن خلال دراسة الواقع نجد أنّ أفضل علاج للطفل الذي يشعر بعقدة الحقارة لنقص في جسده أو بسبب فقره المادي، أو انحداره من أسرةٍ ليس لها مكانة اجتماعية بسبب ضياع الموازين والقيم الإسلامية، أن يشجع على حفظ القرآن وأن يشجع على المشاركة في المسابقات القرآنية، فإنّ حصوله على رتبة من النجاح، تساعده على التغلّب على جميع همومه التي سببّها النقص الجسدي أو الحرمان المادي، حيث إنّ الكمال يسدّ مسد النقص فلا يشعر به نهائياً، إنْ أصبح محطّ أنظار المجتمع وتصدرت صوره صفحات الصحف والمجلات، أو ألصقت في قاعات المسابقات القرآنية.

الصبر

الصبر سلاح المسلم في مقاومة العقبات والهموم والآلام، وبه يتغلّب على جميع أثقال الحياة من جوع وحرمان، ومن اضطهاد وظلم، ومن تكذيب واستهزاء.

والصبر له تأثيرات إيجابية على الصحة النفسية، كما ورد في وصف الإمام علي عليه السلام له: «الصبر يهوّن الفجيعة»، «الصبر عدة البلاء»، «اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين»، «من صبر خفّت محنته»، «بشّر نفسك إذا صبرت بالنجاح والظفر».[1]

والإنسان الذي يقابل الحرمان والهموم والآلام بالصبر والثبات سيكون مطمئناً مستقراً، لإيمانه بأن الله معه ويرعاه ويتلطّف عليه، وسيفرّج عنه الضيق والشدّة قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[2]

والصابر يكون في أعلى قمم الصحة النفسية حينما يشعر بأن الله يعوضه عن صبره بالحبّ واللطف، فلا شقاء مع حبّ الله له، ولا قيمة لشيء أمامه وهو داخل في دائرة

---

١. *المصدر*: ٢٨١ ـ ٢٨٤.

٢. الأنفال: ٤٦.

الحبّ الإلهي، فلا تأثير للجوع والفقر، ولا تأثير للأذى الذي يواجهه، قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.[١]

وأفضل الصبر ـ الذي يجعل الصابر يعيش السعادة الواقعية ـ هو الصبر الجميل، كما عرّفه الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ذاك الصبر ليس فيه شكوى إلى الناس».[٢]

والصبر الجميل هو:

الصبر المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق، ولا شكٌّ في صدق الوعد، صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر الله، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول بالله المحتسب كلّ شيء عنده مما يقع به.[٣]

وبالصبر لا يتزحزح الصابر ولا يضعف ولا يهن ولا يحيد ولا يتراجع أمام الانكسارات والمضايقات، وهذه قمة الصحة النفسية، وقمة السعادة للإنسان وهو يأمل بالفرج وانتهاء الشدة.

والطفل في مراحل التربية المختلفة بحاجة إلى مَن يعمّق مفهوم الصبر لديه، ويمرّنه على الصبر أمام العقبات التي تعترضه، وأمام الإخفاقات التي يتعرض لها، فإذا تعمق الصبر في ذهنه وعواطفه ومارسه عملياً في خطوات مدروسة ومنظمة، فان التأثيرات السلبية لا تجد لها مرتعاً في نفسية الطفل.

وينتقل صبر الوالدين إلى الطفل عن طريق المحاكاة والإيحاءات والتلقين والاقتداء الصالح، فالطفل يتأثر في محيطه، ويقتدي بوالديه في كثير من المواقف والأحداث.

التفكير بالجزاء والثواب

إنّ التفكير بالجزاء والثواب الذي يحصل عليه الإنسان في الدار الآخرة الخالدة ـ

---

١. آل عمران: ١٤٦.

٢. *المحجة البيضاء*: ١٢٨/٧.

٣. *في ظلال القرآن*: ٢٧٨/٨.

من مأكل ومشرب وملبس وما تشتهي النفس، ورضوان من الله أكبر ـ، له تأثيره الإيجابي على من يعيش الحرمان والمصائب والآلام، وتتجلّى الإيجابية في نقطتين:

الأولى: العصمة من الانحراف، والتقيّد بالقيود الشرعية، فيكون ملتزماً بالإسلام عقيدة وسلوكاً، وهذا الالتزام كفيل بالسعادة في الدنيا قبل الآخرة.

الثانية: تخفيف المعاناة والآلام والهموم والأحزان التي تواجه الإنسان في ظل الواقع المأساوي الذي يحيط به، والذي يجعله محروماً بائساً قلقاً مضطرباً.

والتفكير بالجزاء والعوض الإلهي عمّا فقده في الدنيا، يجعله يعيش الأمل في نيل ذلك الجزاء، وهذا الأمل يخفّف من معاناته، ويجعله موصولاً بالسعادة في الدنيا التي يؤمن بزوالها وفنائها.

فكلّما اشتد البلاء كان الثواب أكبر وأعظم، كما قال رسول الله ﷺ:

إن أعظم البلاء يكافئ به عظيم الجزاء.[1]

فالذي يفقد جزءاً من حواسه، أو يكون ناقص الجسد، لا يشعر بعقد نفسية ولا ينعكس استهزاء الناس به على روحه وشخصيته، وهو مؤمن بالتعويض الإلهي في اليوم الخالد، قال رسول الله ﷺ:

ذهاب البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة للذنوب، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك.[2]

والأذى الذي يعانيه الإنسان بجميع أنواعه، يخفّف من تبعات الخطايا، قال رسول الله ﷺ:

ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا.[3]

---

١. *تحف العقول*: ٢٨.

٢. *كنز العمال*: ٢٧٧/٣.

٣. *المصدر*: ٣٠٥/٣.

وهذا الشعور يجعله يتحمّل الأذى بلا سخط ولا قلق ولا اضطراب، وشعور الإنسان المهموم بأن له درجة في الجنة يجعله يستشعر الهناء والاستقرار والسعادة، فلا يلتفت لما يعانيه من مأساة، قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة درجةً لا ينالها إلّا أصحاب الهموم».[١]

وقال ﷺ:

ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى الهمّ يهمّه، إلّا كفّر الله به عنه من سيئاته.[٢]

وقال ﷺ: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً فأصابته شدّة أو بلاء في الدنيا، فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً».[٣]

فتكفير السيئات، والنجاة من العذاب، لو تأملها الإنسان فانه سيقوم بمواجهة المصائب، والصعاب، والمحن، والآلام، مواجهة مطمئنة لا قلق فيها ولا اضطراب، بل يستشعر السعادة لأنّه سيسعد في التنعّم بالنعيم الخالد.

والمحتقرون في الدنيا والمحرومون، الذين يرفضهم المجتمع أمّا لفقرهم أو لضعف أجسادهم أو عقولهم، أو غير ذلك من ألوان الحرمان، فإنهم لا يشعرون بالقلق والاضطراب الناشئ من ذلك، حين يعلمون ما ادّخر الله لهم من ثواب، فتكون شخصياتهم سويّة لا تتأثر بالتحقير والاستهزاء، ويرون أنهم أفضل من الذين يقابلونهم بسوء التصرف، لأنّ الله قد فضّلهم عليهم، وعوّضهم عن ذلك بأرفع الدرجات، ويترقّى بهم الحال فيشعرون بالسعادة الدنيوية بالتعويض بالنعيم الدائم.

قال رسول الله ﷺ:

إنّ أهل الجنة، كلّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، الذين إذا استأذنوا على

---

١. *المصدر*: ٣٣١/٣.

٢. *تحف العقول*: ٢٧.

٣. *المحجة البيضاء*: ٢٢٨/٧.

الأمراء لم يؤذن لهم، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم يُنصت لقولهم، حوائج أحدهم تتلجلج في صدره، لو قسّم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم.[١]

وإذا عرف الإنسان بأنّ الدنيا زائلة وأنّ الآخرة خالدة، فان جميع المصائب تهون عليه، فلا تأثير لها عليه، ولا يصيبه قلق ولا اضطراب في حالة الحرمان وعدم الراحة، قال الإمام علي عليه السلام: «من عرف الدنيا لم يحزن على ما أصابه».[٢]

وقال عليه السلام: «من أمّل ثواب الحسنى لم تتنكّد آماله».[٣]

وهذه المفاهيم والقيم يجب تركيزها في ذهن الطفل وفي مشاعره، وأنْ تعمّق أكثر فأكثر، ليتفاعل معها باستمرار، والأسلوب الأفضل في تعميقها أن نتنزل إلى نضجه العقلي ونجعلها واضحة لديه طبقاً لتفكيره، وطموحاته في الحصول على ما يريد كاللعب والملابس والحلوى وغير ذلك، فإنّ تفكيره في هذه الأمور وقناعته بأنها ستوفّر له في الجنة، يؤدي إلى تفاعله مع اليوم الآخر في فكره وعواطفه وسلوكه، وسيكون له أمل بالحصول عليها في حالة الحرمان، فلا ينعكس الحرمان سلباً على نفسيته، إلّا طفيفاً، وتبقى مشاعره مشدودة لذلك اليوم الذي تجتمع فيه كلّ المتع واللذائذ.

وكذا الحال في التعويض عن الحرمان الناجم من النقص البدني، أو الاستهزاء والسخرية من قبل الآخرين، فإنّ التفكير بالتعويض يدفعه لعدم التأثر بأسباب وعوامل الإزعاج والقلق إلّا نادراً.

---

١. *المصدر*: ١١٠/٦.

٢. تصنيف *غرر الحكم*: ١٣١.

٣. *المصدر*: ١٤٤.

آثار النمو الانفعالي

الانفعال يجعل الإنسان يسير في حركة حيوية نشطة بلا جمود وبلا خمول وسكون، فهو يغني الحياة بالحيوية ويمدّها بالرغبات والدوافع، وهو أحد الأسس المساهمة في تكوين الاعتقادات والاهتمامات، وله الدور الهام في تكوين العلاقات والارتباطات، وينمي في النفوس روح البحث والتحقيق والسعي إلى معرفة العلوم والآداب والفنون والصناعات، وهو الذي يضفي البهجة في النفوس ويحفّزها للسمو والارتقاء.

والانفعالات تؤثر تأثيراً واضحاً على جميع مقوّمات الشخصية وعلى جميع جوانب النفس الإنسانية، فلها تأثيراتها على التفكير وعلى السلوك وعلى البدن إيجاباً أو سلباً، فالانفعالات الإيجابية تثير في الإنسان السرور والبهجة، والانفعالات السلبية تترك فيه الحزن والأسى والاضطرابات.

آثار الانفعالات السارة والهادئة

الانفعالات السارة تزود الإنسان والطفل خصوصاً بالبهجة والاهتمام والتحفّز، وتزوده بالحيوية والتفاعل الإيجابي مع نفسه وأسرته ومجتمعه، فينظر إلى الحياة نظرة تفاؤل فيتحرّك ليبني ويعمّر ويتسامى نحو الكمال.

والانفعالات السارّة المعتدلة تزيد الخيال خصوبة، وتنشط التفكير، فتتدفّق المعاني

والأفكار في يسر وسرعة لتساهم في تنضيج وترشيد العمليات العقلية، وهي عامل مساعد في حركة التفكير لمساهمتها في تنشيط عمليات التذكّر والحفظ والابتكار وعموم الاستدلال.

والانفعالات السارّة تبسط النفس وتثير النشاط كما جاء في قول الإمام علي عليه السلام: «السرور يبسط النفس ويثير النشاط».[١]

ولأهمية الانفعالات السارة أكّدت التعاليم والارشادات الإسلامية على إدخال السرور على القلوب بأي وسيلة مشروعة، ولهذا نجد أنّ بعض الروايات تشجّع على المزاح المعتدل والدعابة المتوازنة.

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليخالطنا حتى إنه كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير.[٢]

وقال صلى الله عليه وآله: «إني لأمزح ولا أقول إلّا الحق».[٣]

وقال الإمام علي عليه السلام: «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة».[٤]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ المداعبة في الجماعة بلا رفث».[٥]

وأكدت التعاليم الدينية عموماً والإسلامية خصوصاً، على إشاعة المحبّة والعطف والشفقة والرحمة والتآزر والتآلف والتعاون؛ لكي يكون السرور والبهجة حاكمة على الانفعالات والمشاعر المتنوّعة، فالسرور يهذّب الفكر ويهذّب الإرادة ويجعل الطفل منفتحاً على الحياة والمجتمع يتقبّل المفاهيم والقيم الصالحة ويتأثر بدعوات الإصلاح

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٣١٩.

٢. *سنن الترمذي*: ٣٥٧/٤.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢١.

٤. *نهج البلاغة*: ٤٨٣.

٥. *الكافي*: ٦٦٣/٢.

والتغيير، ولا نجانب الحقيقة إنْ قلنا بأهمية دور الانفعالات السارة في ترسيخ الإيثار ونكران الذات داخل النفس والجوارح الباطنية.

ويرى علماء النفس: أنّ «السرور غذاء للنفس، لأنّه يساعد على الهضم، فيحفظ الشباب ويطيل العمر».[1]

وذكرت المجلة «آبوته كن او مشاو» الخاصة بعلوم الأدوية الألمانية: إن التفاؤل والبشاشة والضحك، تعد من أهم أسباب طول العمر لدى الأفراد، وأشارت المجلة، إلى نتائج أبحاث اثنين من أخصائيي جامعة هارفارد، وقالت:

> ان توماس برلز ومارغري سيلفر، أخضعا مجموعة من المسنين في مدينة بوسطن ممن تبلغ أعمارهم المائة عام إلى الدراسة وراقبا بدقة نظامهم الغذائي، وقد استغرب الباحثان حينما رأيا بأن أي من هؤلاء لم يعر أهمية تذكر للنظام الغذائي أو الرياضة طوال أعمارهم المديدة، بيد أنّهم كانوا متفائلين ومرحين في حياتهم، ويواجهون المشاكل بروح متفائلة ويقابلون الآخرين بالبشاشة وطلاقة الوجه، وأكدت المجلة نقلاً عن الأطباء والباحثين، بأن الفرح وخفة الروح وطلاقة الوجه في المسنين تعتبر من أهم أسباب طول العمر لديهم.[2]

ولأهمية الانفعالات السارة ينبغي الاهتمام بالأطفال اهتماماً حقيقياً يجعلهم يستشعرون السرور والبهجة، ويتحقق ذلك بإشعارهم بالمحبة وإحاطتهم بالحنان والرأفة، وكذلك إشباع جميع حاجاتهم المشروعة مادية أو روحية، لكي يكونوا في تفاؤل وحيوية ونشاط عملي يجعلهم صالحين للبناء والإعمار وتغيير الواقع نحو الأفضل، والمساهمة في جميع الأعمال والنشاطات التي تحقق السعادة والرفاهية للفرد وللمجتمع، ونؤكد القول على ضرورة الاهتمام بالأطفال؛ لأنّهم رجال المستقبل الذين يديرون حركة المجتمع في جميع جوانب الحياة.

---

١. *علم النفس*: ٢٠٦.

٢. صحيفة *الوفاق*: ١٩٩٩/٩/٨/٦١٣.

آثار الانفعالات غير السارّة والصاخبة

الانفعالات غير السارة والصاخبة لها دور سلبي على شخصية الطفل، وعلى مجمل نشاطه وفعاليته وحيويته، وهي عامل معوّق للأهداف والتطلعات والبرامج، وعامل إرباك للفرد وللأسرة وللمجتمع، وهي مفتاح لكثير من المساوئ والسلبيات، وتترك آثاراً سيئة على صحة الطفل العقلية والجسمية.

وقد أثبتت الروايات والدراسات الحديثة، تأثير الانفعالات العالية والصاخبة على العقل وعملياته المتنوعة.

قال الإمام علي عليه السلام: «الغضب يفسد الألباب ويبعد من الصواب».[1]

وأكدت الدراسات على أنه:

كلما اشتدت العامل الانفعالي ضعف العامل العقلي والعكس بالعكس، فالسرور العظيم والحزن العميق، يمنعان صاحبهما من التأمل، والتفكير العميق ينقص الانفعال.[2]

والانفعال العنيف أو الصاخب، له تأثير على العمليات والممارسات السلوكية، فالغضبان مثلاً لا يرى في سلوك خصمه إلّا عيوبه، وينمو في أعماقه الحقد والانتقام والوقوع في براثن التفكير العدواني، إضافة إلى ترجمة الغضب إلى عدوان سلوكي أقلّه استخدام العبارات غير المهذبة والألفاظ البذيئة، وقد يصل الأمر إلى الاعتداء على الأنفس وعلى الأموال وعلى الأعراض، والثورة العارمة على جميع السلطات، وهذا ما نلاحظه في حوادث الشغب التي يقوم بها المراهقون في البلدان التي لا تراعي المواطنين ولا تراعي حقوق الشباب.

والانفعال العنيف يؤدي أحياناً إلى التمرّد على المقدسات والقيم، ومنها المقدسات والقيم الدينية، وقد يؤدي الأمر بالغاضب الصاخب إلى الإلحاد والكفر

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٦٥.

٢. *علم النفس*: ٢١٠.

الصريح، بخاصة إذا كان مصدر، أو عامل الغضب هو رجل متستر بالدين، يجعل منه أداة لخداع الناس، ومصدراً للعيش، أو يستحوذ على حقوق الناس ويستأثر بالأموال بمبررات شرعية لا صحة لها.

الآثار الجسمية للانفعالات

الانفعالات تقترن باضطرابات فسيولوجية حشوية مختلفة، تغشى الأجهزة الداخلية جميعاً كما تقترن بحركات تعبيرية وسلوك خارجي ظاهر تنصرف عن طريقه هذه الطاقات، فان حدث أن أعيقت هذه الطاقة عن الانطلاق في ممارسة سلوكية بالقول أو بالفعل؛ زاد تراكم هذه الطاقة واشتدت وطأتها على الأجهزة الداخلية، فكبْت الانفعال وقمعه بالإكراه يوثر تأثيراً سلبياً على جسم الإنسان، ويتحوّل أوّلاً وقبل كلّ شيءٍ إلى همٍّ وحزنٍ وقلقٍ وكآبة، يزداد مع الأيام ومع درجات الكبْت والقمْع، ويؤدي تكراره وتراكمه إلى أمراض جسمية متجذّرة.

قال الإمام عليعليه السلام: «الهمّ نصف الهرم».[1]

وقالعليه السلام: «من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه».[2]

وقال أيضاً:

«الهمّ ينْحل البدن»، «الهمّ يذيب الجسد»، «الهمّ يهدم الجسد»، «الهمّ أحد الهرمين».[3]

من خلال هذه الأحاديث الشريفة وضع الإمامعليه السلام قاعدة كليّة بلا تفاصيل على الآثار الجسمية للانفعالات غير السارّة، وهنالك روايات متفرّقة هنا وهناك توضح بعض التفاصيل.

وقد دلّت الدراسات الحديثة على هذه الآثار وهي مقدمة لإذابة الجسد ونحوله أو الهرم كما عبّر عنها الإمام عليعليه السلام، وفيما يلي نستعرض هذه الآثار:

---

١. *نهج البلاغة*: ٤٩٥.

٢. شرح *نهج البلاغة*: ٢٥٩/٢٠.

٣. تصنيف *غرر الحكم*: ٣٢١.

أولاً: اضطرابات القلب والدورة الدموية:

١. ضغط الدم.

٢. الجلطة الدموية.

٣. أمراض الشريان التاجي والذبحة الصدرية.

٤. سرعة النبض.

٥. الارتعاش.

٦. الدوخان والدوار والصداع النصفي.

ثانياً: اضطرابات جهاز التنفس:

١. اضطراب في حركة التنفس.

٢. الربو.

ثالثاً: اضطرابات الجهاز الهضمي:

١. الغثيان.

٢. فقدان الشهية.

٣. سوء الهضم.

٤. القيء.

٥. الإمساك أو الإسهال الشديد.

٦. الألم في المعدة.

٧. قرحة المعدة.

٨. التهاب القولون.

٩. السمنة أو النحافة.

رابعاً: اضطرابات الجهاز البولي والتناسلي:

١. اضطرابات التبوّل.

٢. سلس البول.

٣. البول السكري.

٤. اضطرابات العادة واضطراب النشاط الجنسي.

٥. العقم.

خامساً: اضطرابات الجهاز العضلي والعظمي والجلدي:

١. التهاب المفاصل والروماتيزمي.

٢. آلام الظهر.

٣. التشنجات العضلية.

٤. عرق النسا.

٥. البهاق.

٦. التهاب الجلد بالبثور والدمامل.

سادساً: اضطرابات الجهاز العصبي:

١. الدوار.

٢. الخدر.

٣. الصداع.

وهذه التفاصيل تتفرع منها تفاصيل أخرى في طريقها للاكتشاف من قبل الأطباء والباحثين.[1]

---

١. *أصول علم النفس*: ١٧٠؛ *المدخل في علم النفس*: ١٨٢ ـ ١٨٤؛ *علم النفس ومشكلات الفرد*: ١٠٥؛ *الطفل بين الوراثة والتربية*: ١/١٠١؛ *النفس*: ١/٣٩٢ ـ ٤٠٤.

القسم السادس

النمو الاجتماعي

مظاهر النمو الاجتماعي

الإنسان كائن اجتماعي منذ أيامه الأولى، فهو لا يستطيع النمو بمفرده عن الآخرين، والبيئة الاجتماعية الأولى للإنسان ـ الطفل في مرحلة الولادة وما بعدها ـ هي الأسرة وخصوصاً الأم، فهي المسؤولة الأولى في تنشئته اجتماعياً، والأطفال في هذه المرحلة يتشابهون مع بعضهم على اختلاف محيطهم الاجتماعي، فالطفل في العراق يشابه الطفل في إيران، ومصر، والهند، وبريطانيا، وأمريكا، فكلٌّ منهم يرتضع من ثدي الأم، ويتحدّث بلغة الأصوات العشوائية والصياح والصراخ، وتسرّه أمور متشابهة ومنها المناغاة والاهتمام به، ثم يبدأ الاختلاف بمرور العمر كلّ حسب محيطه وبيئته وما تحمل من ثقافات وعادات وتقاليد.

والطفل في هذه المرحلة لا يميّز بين ذاته وبين المحيط الذي يعيش فيه، فاهتمامه يكون مقصوراً على ذاته.

وفي مرحلة الرضاعة، يبدأ الطفل الرضيع بالاهتمام بما يجري حوله وبالمحيطين به وفي مقدمتهم الأم والأب، فيفرح إذا ناغاه أو داعبه أحد، ويحزن إذا أُهمل.

ثم يبدأ بالتمييز بين أفراد أسرته والغرباء، وبالتدريج يألف الوجوه الجديدة عن طريق تكرار رؤيتها.

وتكون الأم في مرحلة الرضاعة هي مصدر الغذاء المادي والروحي، وهي مصدر الحبّ والحنان والدفء، وهي مصدر إبعاد الطفل عن الآلام والهموم، ومن خلال مراعاتها واهتمامها بالطفل أو إهمالها له تتكون اتجاهاته الاجتماعية مع غيرها.

ويتأثّر النمو الاجتماعي في هذه المرحلة بالعلاقة بين أفراد الأسرة، وبينهم وبين الآخرين، وبالعلاقة بين الوالدين والطفل الرضيع من حيث الرعاية والإهمال.

ومن خلال دراستنا الميدانية وجدنا: أنّ الأطفال الذين نشأوا في أحضان أمهاتهم وفي الأُجواء الأسرية السليمة، كان نموهم الاجتماعي نمواً حسناً، على العكس من الأطفال الذين نشأوا في أحضان أم بديلة، أو في بعض المؤسسات التربوية أو دور الحضانة، حيث يغلب عليهم الصراخ الزائد والخوف من الغرباء، لأنّ الأم البديلة أو المربية في دار الحضانة لا تتمتع بصفات الأم الحقيقية من حيث الحنان الذاتي والرعاية الذاتية النابعة من أعماقها، وعلى سبيل المثال، إنّ الأم الحقيقية تنتبه من نومها سريعاً من أول صرخة للرضيع فتراعيه وهي متفاعلة ومرحة، بينما الأم البديلة لا تنتبه بالسرعة نفسها، وإذا انتبهت فإنّها تنتبه وهي منزعجة من صوته، فتراعيه رعاية سطحية غير متفاعلة مع مشاعرها وكيانها.

وفي مرحلة الطفولة المبكّرة، يبدأ الطفل بالتفاعل مع محيطه الاجتماعي داخل الأسرة وخارجها، حيث يزداد وعيه بمحيطه وتنمو لديه روح التآلف والمشاركة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، وتتسع دائرة علاقاته مع أطفال آخرين من غير أسرته حيث تنمو الصداقة، ويحرص الطفل على المكانة الاجتماعية ويحاول جذب الانتباه إليه، وهو يحب المدح والثناء ويبغض الذم والعقاب، وتنمو لديه روح الاستقلال بالتدريج، ويميل إلى منافسة الآخرين من إخوانه وأصدقائه، ويتعلّم المفاهيم والقيم والموازين الاجتماعية بصورة متناسبة مع عمره العقلي.

وينمو نمواً سلبياً إن قوبل بالاستهزاء والتحقير والإهمال، حيث تنمو لديه روح العناد والتمرّد والعدوان ويضطرب نموه الاجتماعي إنْ وجد تذبذباً في التعامل معه من قبل الوالدين من حيث شدّة أحدهما ولين الآخر في قضية واحدة.

ويختلف الجنسان في النمو الاجتماعي حيث يميل الذكور إلى الجرأة والإقدام أكثر من ميل الإناث، ويميلون إلى الاستقلال والتنافس في الأمور الصعبة أكثر من الإناث، ويميلون للعدوان أكثر من ميل الإناث.

ويتأثّر النمو الاجتماعي بجملة من العوامل:

١. العلاقة بين الوالدين من حيث المودة والاحترام والتفاهم والانسجام أو عدمها.

٢. اتجاهات الوالدين نحو الطفل، من حيث الرعاية والإهمال، والحماية واللامبالاة، والرقّة والقسوة، والتفرقة بينه وبين إخوانه.

٣. العلاقة بين الوالدين والطفل من حيث الانسجام وعدمه، والتفاهم وعدمه، والانفتاح وعدمه.

٤. العلاقة بين الطفل وإخوانه.

٥. ترتيب الطفل في الأسرة هل هو أوّل مولود أو آخر مولود أو ثاني أو ثالث وهكذا.

٧. الفاصل الزمني بين الأطفال.

٨. جنس الطفل من حيث الذكورة والأنوثة.

٩. ثقافة الوالدين ودرجة وعيهما.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى، ينتقل الطفل إلى محيط اجتماعي جديد وهو المدرسة، ولذا فهو بحاجة إلى توافق جديد يستند إلى نموه الاجتماعي داخل الأسرة، ويكون دوره دور الاستماع وتقبّل ما يتعلّمه غالباً.

وتزداد ظاهرة التعاون بين الطفل ورفاقه بعد أن توسّعت صداقاته مع الآخرين، وقد يكون الاهتمام بهم أكثر من اهتمامه بإخوانه وأخواته.

ويتغيّر اتجاه الطفل نحو غيره من الأطفال، فبعد ان كان يراهم منافسين في المرحلة السابقة يراهم في هذه المرحلة حلفاء وشركاء حيث يشاركونه في اللعب، والذي يكون جماعياً أكثر من كونه فردياً.

ويتعلّم الطفل من خلال اللعب معرفة نفسه ومعرفة الآخرين حيث يتعرّف على قابلياته وإمكاناته، ويتعرّف على مكانته الاجتماعية التي لو أتيحت له الفرصة، لتحقيقها في محيطه الاجتماعي.

ويكون التنافس في هذه المرحلة جماعياً، حيث ينافس فريق من الأطفال فريق آخر في الرياضة، وفي الألعاب المشهورة في جميع البلدان.

ويسعى الطفل بالتدريج نحو الاستقلال، وتتسع ميوله واهتماماته، ويتعلّم الكثير من المهارات والاتجاهات الاجتماعية.

ويبرز من بين الأطفال من يتمتع بخصائص الزعامة التي تعتمد بالدرجة الأولى على ذكائه وقدرته على إدارة شؤون الآخرين، وأحياناً تعتمد على ضخامة الجسم والنشاط اللغوي والحركي والشجاعة والكرم.

ويمتاز الذكور بالميل إلى الصراع والشجار والعدوان أكثر من ميل الإناث، ويتوجّه الذكور ليكونوا أكثر استقلالاً وخشونة ومنافسة من الإناث.

وتظهر في هذه المرحلة مبادئ أخلاقية جديدة ومنها المساواة والإخلاص والتعاون، ويلاحظ في هذه المرحلة عدم وجود مجال للتعصّب الديني والمذهبي والقومي والعشائري.

ويتأثر النمو الاجتماعي في هذه المرحلة بعدّة عوامل:

١. الثقافة الاجتماعية في الأسرة وفي المدرسة.

٢. أعمار الطلاب.

٣. العلاقة بين المعلم والطالب وبين المدير والطالب.

٤. الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين الطلاب.

٥. شخصية المعلم وعمره وجنسه وحالته الاجتماعية.

٦. العلاقات بين الأسرة والمدرسة.

٧. علاقة الوالدين مع بعضهم.

٨ علاقة الوالدين مع الطفل واتجاهاتهم نحوه.

٩. الثواب والعقاب.

١٠. الثقافة العامة للدولة وللمدرسة وللأسرة.

١١. وسائل الإعلام المرئية ثمّ المسموعة ثم المكتوبة.

١٢. حجم المدرسة وعدد طلابها.

وفي مرحلة الطفولة المتأخّرة تزداد علاقات الطفل مع غيره من الاطفال الذين يساووه في العمر أو يزيدون عليه، ويزداد احتكاكه بكبار السنٍّ واكتسابه لمفاهيمهم وقيمهم وموازينهم.

ويلاحظ أن الطفل، يبدأ باحترام الآخرين حيث يكون مهذّباً ومؤدّباً بوجود الضيوف والغرباء، وإن كان أقل أدباً في غيابهم.

ويبقى في هذه المرحلة متألّماً من الأوامر والنواهي بعض الشيء، ويلاحظ عليه الاهتمام بانتقاد أخطاء الكبار وطرح الإشكالات عليهم.

ويهتم بالتقييم الأخلاقي للسلوك، حيث يتعلّم المفاهيم والقيم الاجتماعية، ومعاني الخطأ والصواب، والقبح والحسن.

ويزداد حبّه للاستقلال والمكانة الاجتماعية، ويقلّل من اعتماده على الآخرين.

ويزداد تأثره بالأصدقاء وتكون علاقاته معهم علاقات متنوعة يتخللها، التعاون والتنافس والتماسك والانحلال، ويزداد اللعب الجماعي بما فيه المسابقات والمباريات،

ويقوم الطفل بمسايرة جماعة الرفاق التي ينتمي إليها، فيراعي ضوابطها وتعاليمها وعاداتها إذا كان تابعاً وليس قائداً أو زعيماً لها.

وتزداد القدرة على الضبط الذاتي للسلوك، ويزداد الشعور بالمسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع والمدرسة، حيث يتعلّم سلوك الكرم والإيثار ومساعدة الآخرين.

وتظهر صفات الزعامة والقيادة عند البعض دون غيرهم، لاتصافهم بصفات مميزة عن الآخرين وأهمها الذكاء، والخبرة الاجتماعية.

وفي هذه المرحلة ينفصل الذكور عن الإناث، فلا علاقة بينهم، حيث يتوجّه كلّ جنس إلى ما يشابهه في علاقات الصداقة واللعب الجماعي إلّا ما ندر، حيث تكون علاقات الذكور بالإناث علاقات شاذة يحكم عليها بالعار أو الاستهزاء، وتنمو الهوايات مع اختلافها بين الجنسين، واللعب للذكور خارج الأسرة أو خارج البيت على عكس الإناث.

وفي هذه المرحلة، يزداد إعجاب الأطفال بالأبطال أو النماذج العليا من الشخصية، كلّ حسب ثقافته وتربيته.

وقد تبدأ بوادر التعصّب في هذه المرحلة، تبعاً للثقافة الأسرية والاجتماعية والثقافة العامة، ولوسائل الإعلام دور في إثارتها وتجذيرها في النفوس.

والنمو الاجتماعي في هذه المرحلة يتأثر بعدة عوامل، إضافة إلى العوامل التي ذكرناها في المرحلة السابقة ومنها:

١. الخلفية الثقافية للأسرة والمدرسة والمحلّة.

٢. الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل.

٣. شعور الطفل بأنّه مقبول أو مرفوض من قبل والديه ومعلميه وأصدقائه ومحيطه.

٤. النوادي والمعسكرات الرياضية والتربوية.

٥. المساجد والكنائس ودور العبادة.

٦. مكانة الأسرة الدينية والثقافية والاجتماعية والإقتصادية.

٧. تسلسل الطفل في الأسرة.

٨. الضوابط والقيود والموازين الاجتماعية.

٩. النظام السياسي للبلد الذي يعيش فيه، من حيث دكتاتورية أو ديمقراطية الحاكم، وأجهزة الحكومة.

١٠. النمو العقلي والانفعالي والجنسي.

١١. المؤسسة الدينية وفهمها للدين من حيث إنّه نظام شامل، أو نظام عبادي بحت.

١٢. قدرات وكفاءات وقابليات الطفل من حيث:

أ) التعرف على الحالة النفسية له وللآخرين.

ب) القدرة على تقييم الآخرين.

ت) تشخيص الصواب والخطأ.

ث) تبنّي المفاهيم والقيم.

ج) اتخاذ القرار في الظرف والوقت المناسب.

التفاعل الاجتماعي

اختلفت الآراء في الحكم على الإنسان من حيث تفاعله الاجتماعي، فهل هو اجتماعي بالطبع أو اجتماعي بالاكتساب، وهل هو مجبول على التفاعل الاجتماعي أم أنّه مضطر إليه.

وكان أكثر العلماء يرون أنّ الدافع للتفاعل الاجتماعي بأنّه:

> دافع فطري، وأن الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه، غير أن كثيراً من العلماء اليوم يميلون إلى اعتباره دافعاً مكتسباً... والإنسان حيوان اجتماعي لا لأنّه خلق كذلك، بل لأنّه أصبح كذلك.[1]

ووصف الإنسان بأنّه:

> حيوان اجتماعي، وهو كما قيل مدني بالطبع لا يستطيع أن يعيش منفرداً، وإذا انفصل عن أبناء جنسه أحس بشيء من الألم والقلق... وهذه الغريزة القوية ظاهرة في الأطفال أيضاً؛ إنهم يخشون العزلة ويستأنسون بالناس.[2]

ويرى أرسطو:

> أنّ الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، وهو يرى أن المجتمع يتكون من أسر فقبائل فقرى فمدن.

---

١. *أصول علم النفس*: ١١٠ ـ ١١١.

٢. *علم النفس*: ٦٨٣ ـ ٦٨٤.

ويرى توماس هوبز:

أنّ الإنسان بطبيعته أناني مغال في إيثاره الدائم لنفسه.

ويرى جان جاك روسو:

أنّ الإنسان بطبيعته خيّر نقي طاهر، طابعه العام نكران الذات، لكنّ الحضارة هي التي أفسدته وصبغته بالشر.

وجعل الأسقف بركلي:

غريزة التجمّع في علم الاجتماع بمثابة قوة الجاذبية في علم الطبيعة، فالأنانية في المجتمع هي القوة الطاردة المركزية، بينما الاجتماع هو قوّة الجذب.

ويرى ديركايم:

أن الظواهر الاجتماعية تنشأ بطريقة تلقائية، بمعنى أنّه لا دخل لإرادة الفرد في تكوينها.[1]

وأما النظرية الإسلامية أو الدينية عموماً ـ فهي حسب فهمنا القاصر ـ ترى:

أنّ الإنسان الأول الذي هبط إلى الأرض أو خلق للأرض، كان أشبه بالمجتمع الصغير، فقد خلق الله تعالى ذكراً وأنثى، وهما آدم وحواء، فقد كان مجتمعاً، بدأ بالزواج ثمّ الذرية وكانت اللغة هي وسيلة التفاهم، فقد عاش آدم وحواء في الجنة معاً ثمّ عاشا في الأرض معاً، وإذا صحت الروايات الدالة على أن آدم هبط في مكان، وهبطت حواء في مكان آخر، فبقي يبحث عنها، فإنّها تدلّ على الرغبة الذاتية في الاجتماع.

ومهما تنوعت الآراء فإننا ننظر إلى الواقع فالإنسان اجتماعي منذ اللحظات الأولى لميلاده، وليس مهماً أن يكون حبّه للاجتماع والتفاعل الاجتماعي دافعاً أو غريزة أو ظاهرة مكتسبة، بل المهمّ أنّه اجتماعي في الواقع.

---

١. *علم النفس الاجتماعي*: ٥٦ ـ ٥٨.

وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة التفاعل الاجتماعي بآيات عديدة ومن أبرزها قوله تعالى: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[١]

ويتضمن التفاعل التأثير المتبادل عن طريق احتكاك الآراء والاهتمامات، وفي الأخلاق والمشاعر، ويتضمن أيضاً إدراك المسؤولية الاجتماعية، وتحديد السلوك في ضوء الموازين والمعايير الاجتماعية التي تحددّ لكلّ فرد دوره.

مكتسبات التفاعل الاجتماعي

١. تعلّم السلوك الاجتماعي.
٢. تعلّم الموازين والمعايير والقيم الاجتماعية.
٣. الحصول على الأنس والمتعة.
٤. نمو المهارات في جميع ألوانها.
٥. معرفة النفس من خلال المجتمع، والتعرّف على الأخطاء.
٦. نمو التفكير والقدرة على حلّ المشكلات.
٧. الشعور بالأمن والاطمئنان.
٨. إشباع الحاجة إلى الانتماء للمجتمع.
٩. الحصول على الخبرات.
١٠. إصلاح النفس والمجتمع.

مظاهر التفاعل الاجتماعي

يمكن تقسيم مظاهر التفاعل الاجتماعي الى: مظاهر إيجابية وأخرى سلبية.

---

١. الحجرات: ١٣.

المظاهر الإيجابية للتفاعل الاجتماعي

أكّدت التعاليم والإرشادات الدينية على تنشيط التفاعل الاجتماعي، وجعله مفعماً بالحيوية الميدانية ونبذ الانكماش والانزواء ليكون الإنسان حركة دائمة وحيوية متصلة في فكره وعاطفته وسلوكه، لذا جعلت الحاجة إلى الآخرين حاجة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

> عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لابد لكم من الناس إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابّد لبعضهم من بعض.[1]

وشجعت التعاليم الدينية على الاقتراب من الناس لإدامة الحركة الاجتماعية وجعلها أكثر حيوية ونشاطاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

> إن أقربكم مني غداً وأوجبكم عليَّ شفاعةً أصدقكم لساناً، وأدّاكم للأمانة، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس.[2]

وتدخل الدعوة إلى الألفة والتآلف وإلى اللين في إطار التفاعل الاجتماعي، لأنّها مقدمة إليه وأساس من أسس تجذيره في الواقع الموضوعي.

وقد حثّت الروايات الشريفة على التفاعل الاجتماعي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

> المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيّد انقاد، وان أنيخ على صخرة استناخ.[3]

وقال صلى الله عليه وآله:

> المؤمن الذي يخالط الناس، و يصبر على آذاهم، أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على آذاهم.[4]

---

١. *الكافي*: ٦٣٥/٢.

٢. مسند *الإمام زيد*: ٣٤٨.

٣. *ربيع الأبرار*: ١٣/٢.

٤. *فردوس الأخبار*: ٤٧٠/٤.

وقال الإمام عليعليه السلام:

«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم».[١]

«خالطوا الناس مخالطة ان متّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم».[٢]

«إن الرعية طبقات لايصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض».[٣]

والتفاعل الاجتماعي هو الأصل في الحياة الإنسانية، فلا يمكن للإنسان أن يعيش لوحده، والحياة بدون تفاعل اجتماعي تتّجه نحو الخمول والركود والجمود ومن ثمّ الموت، وقد عبّر القرآن الكريم عن التفاعل الاجتماعي «بالتعارف» وهو حجر الأساس لجميع أشكال وأنواع التفاعل الإيجابي والسلبي.

ويتضمّن التفاعل الاجتماعي التأثير المتبادل بين الأفراد أو بين الجماعات عن طريق احتكاك الآراء وتبادل المشاعر والأذواق وتفاعل الممارسات، ويكون التفاعل متكاملاً نتيجة للتنوع في السمات والملامح، وفي الطباع والأمزجة، وفي الاستعدادات.

قال الإمام عليعليه السلام: «المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».[٤]

وجعل رسول الله التودد للناس والتحبّب لهم رأس العقل بعد مرتبة الإيمان بالله تعالى، والتودد والتحبّب من أهم مقدمات التفاعل الاجتماعي.

«رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس».

«رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبّب إلى الناس».[٥]

ونرى من خلال متابعة التعاليم والإرشادات الدينية إنّها تؤكّد على العمل بما يؤدي إلى تجذير التفاعل الاجتماعي وتهيئة مقدماته، كالتواصل والتزاور واللقاءات المستمرة؛ وفيما يلي نستعرض المظاهر الإيجابية للتفاعل الاجتماعي:

---

١. *نهج البلاغة*: ٤٧٠.

٢. *المصدر*.

٣. *المصدر*: ٨٧

٤. *المصدر*: ١٠٢/٢.

٥. مجمع *الزوائد*: ٢٨/٨.

أولاً: التعاون

قال سبحانه وتعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾.[1]

التعاون هو أساس التفاعل الاجتماعي إذا استند إلى البرّ والتقوى، وبه تتعمّق العلاقات الاجتماعية وتتحقق الأهداف بأسرع الأوقات وأقل التكاليف، فهو تجميع للطاقات وتكثيف للجهود، وتنسيق الخطط والبرامج والأعمال، وهو توزيع للمسؤوليات الاجتماعية.

ومصاديق التعاون عديدة لا تتحدّد بحدود فهو شامل لجميع مجالات الحياة الإنسانية.

ومن مصاديق التعاون كما وردت في رواية عن حقوق المسلم، أنّه سئل الإمام جعفر الصادقعليه السلام ما حقّ المسلم على المسلم؟ فأجاب:

أيسر حقٍّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره. والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا ترتوي ويظمأ، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمَكَ فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فراشه. والحق السابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة.

فإذا فعلت ذلك، وصَلْتَ ولايتك بولايته، وولايتُه بولايتك.[2]

والتعاون له مردود إيجابي، وهو المقابلة بالمثل كما ورد عن الإمام عليعليه السلام أنه قال: «أعن تُعن»، «كما تعين تعان»، «من لم ينجد لم يُنجد».[1]

---

١. المائدة: ٢.

٢. *الكافي*: ١٩٦/٢، باب حق المؤمن على أخيه.

والتعاون بتقديم النصيحة مقدّم على غيره من مصاديق التعاون:

قال الإمام علي عليه السلام:

«إمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة، ساعده على كلّ حال».[٢]

«أعن أخاك على هدايته».[٣]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

لـيُعِن قـويّكم ضـعيفَكم، وليعطـف غنـيُّكم على فقير كم، ولينـصح الرجـل أخـاه كنصحه لنفسه.[٤]

ومن مصاديق التعاون تبيان العيوب والأخطاء من أجل إصلاحها.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أحبّ إخواني من أهدى إلي عيوبي».[٥]

والتعاون في هذا المجال يساهم في:

١. تبادل الآراء.

٢. تبادل الخطط والبرامج والخبرات.

٣. الاتفاق على أساليب مشتركة.

٤. معرفة الخطأ والصواب.

٥. عدم الشعور بالوحدة.

ولأهمية التعاون جعله الإمام علي عليه السلام أمانة وديانة، فقال: «التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة».[٦]

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٥٠.

٢. *أعلام الدين*: ١٧٨.

٣. *مستدرك الوسائل*: ٤٣٨/١٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٢٢٥/٧١.

٥. *تحف العقول*: ٢٧٣.

٦. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٥٠.

ويمكن للوالدين والمعلّمين أن يمرّنوا الطفل على التعاون بقدر إمكاناته العقلية وقدراته الجسمية، وينبغي توجيهه نحوه، ومن الأفضل كخطوة أولية تمرينه على حفظ الأحاديث المتعلّقة بالتعاون بمصاديقها المختلفة التي لا تعدّ ولا تحصى.

ثانياً: التوافق

التوافق ضرورة من ضرورات التفاعل الاجتماعي وهو يساهم مساهمة فعّالة في النمو الاجتماعي السليم، حيث يخلق المرتع الخصب لهذا النمو، ومن جملة الإيجابيات التي يحقّقها:

١. جعل الإنسان غيوراً على المجتمع، حيث يفكّر بتحقيق ما يصلحه وتجنب ما يفسده.
٢. التوازن بين الرغبات الشخصية والاجتماعية.
٣. التوازن بين الحريات الشخصية وحريات الآخرين.
٤. حسن التصرف والمعاملة مع الآخرين.
٥. التقيّد بالموازين والمعايير والقيم الاجتماعية.
٦. التعاون في الإصلاح والبناء.

ولأهمية التوافق الاجتماعي حثّ أهل البيتعليهم السلام على تقريره في الواقع.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم.[١]

وقال الإمام علي عليه السلام:

«المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».[٢]

«الرفيق كالصديق فاختره موافقاً».

«الصاحب كالرقعة فاتخذه مشاكلاً».

---

١. *الكافي*: ١٠٢/٢، باب حسن الخلق.

٢. *المصدر*: ١٠٢/٢.

«العاقل يألف مثله».

«كل إمرئ يميل إلى مثله».[١]

فالتشابه والتماثل في الأفكار والتصورات، أفضل ركائز التوافق ومن أهمها الإخاء في الله، كما قال الإمام علي عليه السلام:

تتبنى الأخوة في الله على التناصح في الله، والتباذل في الله، والتعاون على طاعة الله، والتناهي عن معاصي الله، والتناصر في الله، وإخلاص المحبّة.[٢]

وقمة التوافق أن يكون الإنسان خادماً لغيره، كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

المؤمنون خدم بعضهم لبعض، يفيد بعضهم بعضاً.[٣]

وحثّ الإمام الصادق عليه السلام على مقدّمات التوافق وهي الإخاء والتواصل والتراحم والتزاور فقال:

اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاحقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه.[٤]

وحث المنهج الإسلامي على إيجاد مقومات التوافق الاجتماعي ومنها: الإنصاف، الإيثار، طلاقة الوجه، لين الكلام، الصبر، التحمّل، والتقييم الموضوعي.

ثالثاً: المداراة

المداراة هي خير وسيلة للتفاعل الاجتماعي، وهي الكفيلة بتحقيقه في أروع الصور؛ لأنّها تعمّق التقارب والتآلف، ومداراة الناس تعني مداراة مستوياتهم العقلية، ومداراة أوضاعهم النفسية، ومواجهة أخطائهم واشتباهاتهم برحابة صدر، ومداراة الرواسب الاجتماعية التي آنسوا بها، وجميع ذلك من شأنه تأليف القلوب وتمتين العلاقات والأواصر.

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٢٣.

٢. *المصدر*: ٤٢٢.

٣. *الكافي*: ١٦٧/٢، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض.

٤. *المصدر*: ١٧٥/٢، باب التراحم والتعاطف.

قال رسول اللهﷺ: «مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش».[١]

وقالﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله، مداراة الناس في غير ترك الحق».[٢]

وقال الإمام عليعليه السلام:

«سلامة الدين والدنيا في مداراة النـاس»، «دارِ النـاس تـأمن غـوائلهم، وتـسلم مـن مكايدهم»، «مَن دارى الناس أمن مكرهم».[٣]

وعن الإمام جعفر الصادقعليه السلام أنه قال:

إن قوماً من الناس قلّت مداراتهم للناس فأنفوا من قريش، وأيم الله، ما كـان بأحـسابهم بأس، وإنّ قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم، فألحقوا بالبيت الرفيع. ثم قال: من كفّ يده عن الناس، فإنّما يكفُّ عنهم يداً واحدة، ويكفّون عنه أيدي كثيرة.[٤]

وجعل الإمام الرضاعليه السلام المداراة شرطاً من شروط الإيمان الحقيقي فقال:

لا يكون المؤمن مؤمناً حتـى تكـون فيـه ثـلاث خـصال: سنّة مـن ربِّـه، وسـنّة مـن نبيهﷺ، وسنّة من وليّهعليه السلام، فأمّا السنّة من ربّه فكتمان السرّ، وأما الـسنّة مـن نبيّـه فمداراة الناس، وأما السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء.[٥]

ومن المقدمات الموصولة للتفاعل الاجتماعي، هي التغافل وغضّ النظر عـن كـثير من الأمور بعدم ترتيب ردود فعل، أو آثار عملية عليها.

قال الإمام عليعليه السلام:

رأس العقـل بعـد الإيمـان بـالله عـزَّ وجـلَّ مـداراة النـاس، ولا خيـر فـيمن لا يعاشـر بالمعروف مَن لابدّ من معاشرته حتى يجعل الله إلى الخلاف منه سبيلاً، فإنّي وجـدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملء مكيال، ثلثاه استحسان وثلثه تغافل.[٦]

---

١. *تحف العقول*: ٢٩.

٢. *المصدر*.

٣. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٤٥.

٤. *الكافي*: ١١٧/٢ ـ ١١٨.

٥. *تحف العقول*: ٣٢٩.

٦. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٨٤/٤.

وقال عليه السلام: «من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته».[١]

ومن المداراة عدم تحميل الآخرين فوق طاقاتهم العقلية، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم.[٢]

رابعاً: التنافس المشروع

التفاعل الاجتماعي لا يعني إلغاء روح التنافس المشروع، لأنّ التنافس ليس صراعاً، بل هو عامل مساعد من عوامل التكامل والتسامي والارتقاء، لأنّه يساهم في الإسراع نحو تحقيق الأهداف والغايات السامية، فهو حركة إيجابية وفعالة في طريق تعميق التفاعل الاجتماعي البنّاء والمثمر.

والتنافس طريق للصلاح والإصلاح، كما جاء في قول الإمام علي عليه السلام: «صلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء».[٣]

وحث الإمام الحسين عليه السلام على التنافس في المكارم، فقال: «أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم».[٤]

وحث الإمام الصادق عليه السلام على التنافس في المعروف فقال:

تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله.[٥]

وفي مقام التنافس حثّ الإمام علي عليه السلام على التعصّب المشروع، أو التعصب الرسالي فقال:

فان كان لابدّ من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور.[٦]

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٥١.

٢. *تحف العقول*: ٢٦.

٣. *بحار الأنوار*: ٨٢/٧٥.

٤. *المصدر*: ١٢١/٧٥.

٥. *المحجة البيضاء*: ٣٨٠/٣.

٦. *نهج البلاغة*: ٢٩٥.

والتنافس المشروع له ثمار ونتائج إيجابية على التنمية الاجتماعية ومنها:

١. تحريك الطاقات الكامنة.

٢. خلق روح الإبداع والابتكار، لأفضل الوسائل الموصلة للتفاعل الاجتماعي.

٣. القضاء على الجمود والتقوقع.

٤. الحيلولة دون الكلل والملل والتردد والتراجع.

٥. الوصول إلى أفضل الوسائل والأساليب الواقعة في طريق التفاعل الاجتماعي.

خامساً: استيعاب المخالفين

الاختلاف بين المسلمين أمر واقع لا يمكن إلغاؤه أو تجاوزه أو تعطيله، وقد تعامل قادة الإسلام معه كحقيقة قائمة، ولذا جاءت توجيهاتهم داعية لاستيعاب المخالفين والتفاعل معهم من أجل توحيد المجتمع الإسلامي.

روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له».[1]

فقد اعتبر الإمام عليه السلام الإيمان مقروناً بالتقية، وجعلها من دينه ودين آبائه، ومعنى ذلك لا ينصرف إلى الخوف المحض على النفس المترتّب عليه ترك المسؤولية الشرعية، لأنّه ليس من العقل أن نفسّر الحديث بأنّ الإيمان مقروناً بالخوف، وبأن منهج أهل البيت عليهم السلام أو دينهم هو الخوف المحض، بل لابدّ وأن يكون له معنى رسالي ينسجم مع سيرتهم.

وهذا الرأي تبنّاه الإمام الخميني قدس سره وهو يخالف تفسير البعض في مرحلة من مراحل التاريخ، وقد فسرّه تفسيراً رسالياً، فأعطى له عدة معانٍ تبعاً للمشهور، وركّز على المعنى الرسالي المنسجم مع فكر أهل البيت عليهم السلام الساعين إلى التوافق الاجتماعي

---

١. *الكافي*: ٢١٩/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح ١٢.

في الواقع الموضوعي، وفي معنى التقية قال: «تارة تكون التقية خوفاً، وأخرى: تكون مداراة. والخوف قد يكون لأجل توقّع الضرر على نفس المتّقي، أو عرضه، أو ماله، أو ما يتعلّق به، وقد يكون لأجل توقّعه على غيره من إخوانه المؤمنين، وثالثة لأجل توقّعه على حوزة الإسلام، بأن يخاف شتات كلمة المسلمين بتركها؛ وخاف وقوع ضرر على حوزة الإسلام لأجل تفريق كلمتهم... إلى غير ذلك. والمراد بالتقية مداراة: أن يكون المطلوب فيها نفس شمل الكلمة ووحدتها؛ بتحبيب المخالفين وجرّ مودّتهم من غير خوف ضرر كما في التقية خوفاً».[1]

ويسوق الإمامقدس سره طائفة من الروايات التي تتحدّث عن العمل طبقاً للتقية المداراتية، ومنها صحيحة هشام بن الحكم قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إياكم أو تعملوا عملاً نعيّر به؛ فان ولد السوء يعيّر والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زَيناً، ولا تكونوا علينا شَيناً، صلّوا في عشائرهم وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيءٍ من الخير، فأنتم أولى به منهم، والله، ما عُبد الله بشيء أحبّ إليه من الخباء».

قلت: وما الخباء؟ قال: «التقية».[2]

فان الظاهر منها الترغيب في العمل طبق آرائهم وأهوائهم وإتيان الصلاة في عشائرهم، وكذا سائر الخيرات، مع أن الإتيان في عشائرهم وبمحضر منهم مستلزم لترك بعض الأجزاء والشرائط، وفعل بعض الموانع وتذييلها بقوله: «والله ما عبد الله بشيء...» لدفع استبعاد الشيعة صحة العمل المخالف للواقع، فقال: «إن ذلك أحبّ العبادات وأحسنها».[3]

---

١. *الرسائل العشرة*: ٧ ـ ٨.

٢. *الكافي*: ٢١٩/٢.

٣. *الرسائل العشرة*: ٥٦ ـ ٥٧.

ولأهمية التقية، نورد جملة من الأحاديث الشريفة زيادة في الفائدة للقارئ الكريم.

روي عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام أنه قال:

خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذّنين فافعلوا، فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفراً، ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية، فعل الله بجعفر، ما كان أسوء ما يؤدب أصحابه.[١]

وروي أنهعليه السلام قال:

من صلّى معهم في الصفّ الأوّل، كان كمن صلّى خلف رسول اللهصلى الله عليه وآله في الصف الأول.[٢]

وروي أنهعليه السلام قال:

ما من عبد يصلّي في الوقت ويفرغ، ثمّ يأتيهم ويصلّي معهم وهو على وضوء إلّا كتب الله له خمساً وعشرين درجة.[٣]

وروي أيضاً أنهعليه السلام قال:

يحسب لك إذا دخلت معهم وإن كنت لا تقتدي بهم، حسب لك مثل ما يحسب لك إذا كنت مع من تقتدي به.[٤]

وقالعليه السلام: «إنّ في كتاب عليعليه السلام، إذا صلّوا الجمعة في وقت فصلّوا معهم».[٥]

وإذا تتبعنا ظروف صدور الروايات لوجدناها صدرت في مرحلة الانفراج النسبي في أواخر الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، فقد انكسر حاجز الخوف لانشغال الدولتين بترتيب السلطة والمحافظة عليها، فالتقية هنا ليست خوفاً.

---

١. *من لا يحضره الفقيه*: ٢٦٧/١.

٢. *المصدر*: ٢٦٦/١.

٣. *المصدر*: ٢٨١.

٤. *المصدر*: ٢٦٧.

٥. *تهذيب الأحكام*: ٢٨/٣.

فالإمام الخمينيقدس سره، انطلق من مفهوم التقية المراد منه، الخوف على تمزّق وحدة المسلمين، ومداراة بقية المذاهب الإسلامية لنفس الغرض؛ لكي يتوحّد المسلمون بعد التعالي على الخلاف والنزاعات.

وبهذا التفسير وجّه الأنظار إلى المعنى الأرحب للتقية، لتكون مقدمة لتحقيق الوحدة والمصلحة الإسلامية العليا، فقال:

وأما التقية المداراتية المرغّب فيها ممّا تكون العبادة معها أحبّ العبادات وأفضلها، فالظاهر اختصاصها بالتقية من العامة، كما هو مصبّ الروايات على كثرتها، ولعلّ السرّ فيها صلاح حال المسلمين بوحدة كلمتهم وعدم تفرّق جماعتهم، لكي لا يصيروا أذلاء بين سائر الملل وتحت سلطة الكفار وسيطرة الأجانب...

ثم إنّه لا يتوقّف جواز هذه التقية ـ بل وجوبها ـ على الخوف على نفسه أو غيره، بل الظاهر أن المصالح النوعية صارت سبباً لإيجاب التقية من المخالفين، فتجب التقية، وكتمان السرّ ولو كان مأموناً وغير خائف على نفسه وغيره.[١]

ويفهم من كلام الإمامقدس سره أن الأهداف المتوخّاة من التقية بجميع معانيها:

١. الخوف على وحدة المسلمين.

٢. تحبيب المخالفين وجرّ مودتهم.

٣. إظهار الوجه المشرق لأهل البيتعليهم السلام.

وبما أنّ هذه الأمور مرغوبة ومحبية، فينبغي أنْ تقرّر في جميع العصور، وفي جميع الظروف والأحوال، وهي دعوة إلى التخلّي عن كلّ قول وكلّ ممارسة وكلّ موقف يؤدي إلى الفرقة، وتبنّي كلّ قول وكلّ ممارسة وكلّ موقف يساهم في الإتحاد والوحدة.

وعلى ضوء هذا المعنى الرسالي للتقية، ينبغي الحكم على كلّ من يساهم في الفرقة بأنّه يعمل خلافاً للتقية، وما نراه من تصريحات ـ في الفضائيات وفي الإنترنت ـ مسيئة لمتبنيات ومقدّسات الآخرين، يعدّ عملاً محرّماً؛ لأنّه مخالف للتقية المأمور بها،

---

١. *الرسائل العشرة*: ٧٠.

وخصوصاً في هذه المرحلة الحساسة من مراحل حركة الإسلام والمسلمين، فمقتضى التقية لازال موجوداً ومتواصلاً، فينبغي بل يجب تحكيم هذا المفهوم الرسالي في طرح الآراء وطرح الأفكار، واتخاذ المواقف، فيجب مراعاة الوحدة والمصلحة الإسلامية، وإذا كان لابدّ من طرح الآراء، فمن الأفضل أنْ تكون بأسلوب شيّق جذاب دون تحقير أو ترذيل للرأي وللموقف المخالف، والأفضل أن تعقد ندوات ولقاءات مغلقة للحوار والتفاهم، لكي تغلق الثغرات أمام الأعداء المتربّصين الذين يستثمرون الفرص المناسبة لخلق الاضطراب في مجتمع المسلمين وتمزيق وحدته.

فالتقية إذن، هي وسيلة من وسائل التفاعل الاجتماعي الإيجابي، وهي ليست مفهوماً سلبياً كما يتصوّر البعض.

النموذج الأمثل للتفاعل الاجتماعي

إنّ المنهج الإسلامي يهدف إلى إيصال الإنسان، كفرد أو مجتمع إلى قمّة التفاعل الاجتماعي، وإلى قمّة في كلّ الأمور، ليتسامى الإنسان ويترقّى في سلّم التكامل، ليكون النموذج الأمثل في جميع الأمور.

ووضع المنهج الإسلامي مقومات أو مقدّمات؛ لتحقيق التفاعل الاجتماعي تتفاوت فيما بينها بين الحدود القصوى والحدود الدنيا، والنموذج الأمثل للتفاعل هو الإنصاف في التعامل مع الآخرين، وهو الكفيل بتجذير التفاعل الاجتماعي في العقول والقلوب وفي الممارسات العملية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساة الأخ في الله، وذكر الله عزّ وجل على كلّ حال».[1]

وقال الإمام علي عليه السلام: «ألا أنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلّا عزاً».[2]

١. *الكافي*: ١٤٥/٢.

٢. *المصدر*: ١٤٤.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن لله جَنّة لا يدخلها إلّا ثلاثة: أحدهم من حكّم نفسه بالحق».[١]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «سيد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، حتى لا ترضى بشيء إلّا رضيت لهم مثله، ومؤاساتك الأخ في المال، وذكر الله على كل حال، ليس سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر فقط، ولكن إذا أورد عليك شيء أمْر الله عزّ وجلّ أخذتَ به، أو إذا أورد عليك شيء نهى الله عزّ وجلّ عنه تركتَه».[٢]

وقال عليه السلام: «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره».[٣]

فالإنصاف يساهم مساهمة فعالة في تحقيق التفاعل الاجتماعي؛ لأنّه يحقّق جملة من النتائج الإيجابية ومنها:

١. زيادة الثقة.

٢. تقريب القلوب والمواقف.

٣. التقليل من الخلافات والصراعات.

٤. التقليل من التعصب.

٥. تقبل إرشادات وتوجيهات المنصف.

والنموذج الأمثل للتفاعل الاجتماعي، هو عدم المقابلة بالمثل، والترقّي في سلّم التكامل بمواجهة السلبيات، بممارسات إيجابية للحيلولة دون تقوقع وجمود العلاقات الاجتماعية.

وعدم المقابلة بالمثل، والتخلّي عن ممارسة ردود الأفعال من شأنه أن يؤلف القلوب ويعيد المحبّة والمودة لها، وينظّم العلاقات على قيم التناصح والتراحم والسماحة والإحسان، وجميع ذلك يدفع المسيء إلى مراجعة مواقفه، ويحاسب نفسه،

---

١. *المصدر*: ١٤٨.

٢. *المصدر*: ١٤٤.

٣. *المصدر*: ١٤٦.

فيشعر بأنّ الطرف المقابل يستحق التقدير والتكريم، وحينها تسد الثغرات أمام التدابر والتقاطع وأمام عوامل التنافر والتشاحن والتمزق والتشتت، فلا يكون للفعل المتشنّج ورد الفعل المتشنج أيضاً، أي تأثير على الحركة والفعالية الاجتماعية، ولذا عدّه رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق.قال رسول الله ﷺ:

ثلاث من مكارم الأخلاق: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظَلَمَك.[١]

وقال ﷺ:

أوصاني ربّي بتسع: أوصاني بالإخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا، والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عِبراً.[٢]

وقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادي مناد: أين أهلُ الفضل؟ فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا نَصِل من قَطَعنا، ونعطي من حَرَمنا، ونعفو عمّن ظَلَمنَا، فيقال لهم: صدقتم، ادخلوا الجنة.[٣]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء إلّا عزا: الصفح عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه.[٤]

وعدم المقابلة بالمثل، يكون أكثر تأثيراً حينما يتحوّل من سلوك فردي إلى سلوك اجتماعي، تتبنّاه الجماعات سواءً كانت تنتمي على أساس مذهبي أو قومي أو حزبي، وما شابه ذلك.

---

١. *تحف العقول*: ٦.

٢. *المصدر*: ٢٥.

٣. *الكافي*: ١٠٩/٢.

٤. *المصدر*: ١٠٧/٢ ـ ١٠٨.

وذكر الإمام عليعليه السلام في وصاياه مصاديق النموذج الأفضل للتفاعل الاجتماعي فقال:

يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبُّ لنفسك، واكره له ما تركه لها، ولا تظلم كما لا تحبُّ ان تُظلم، وأحسن كما تحبُ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقلْ ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم، ولا تقلْ ما لا تحبّ أن يقال لك.[١]

وقال عليه السلامأيضاً:

احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتّى كأنّك له عبد، وكأنّه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو ان تفعله بغير أهله.

لا تتخذ عدو صديقك صديقاً؛ فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة، وتجرّع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألذّ مغبّة.

ولن لمن غالظك، فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوّك بالفضل فإنه أحلى الظفرين.

وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها ان بدا له ذلك يوماً ما.

ومن ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه، ولا تضيعنّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقّه...

ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرّته ونفعك، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه...».[٢]

---

١. *نهج البلاغة*: ٤٩٧.

٢. *نهج البلاغة*: ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

آليات التفاعل الاجتماعي

أولاً: الاهتمام بأمور المجتمع الإسلامي

إنّ العلاقات الاجتماعية ينبغي أنْ لا تتحجّم في حدود ضيقة ضمن مذهب معيّن أو طائفة معيّنة، أو كيان سياسي معيّن، بل ينبغي أن تمتدّ بامتداد الوجود الإسلامي في كلّ مكان، ولهذا وجّه رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين إلى السمو والارتقاء من خلال الاهتمامات الأرحب والأوسع، لإنهاء الانكماش والتقوقع في محيط ضيّق لا ينظر إلى الأفق الأرحب، فقرّر مفهوم الاهتمام بأمور المسلمين، بمشاركتهم آمالهم وآلامهم والتعاون معهم ضمن المحاور المشتركة التي تجمعهم، ولهذا نفى إسلام من لا يهتم بأمور المسلمين.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم.[١]

وقال صلى الله عليه وآله:

من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين، فلم يجبه، فليس بمسلم.[٢]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من لم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».[٣]

وبهذا الاهتمام يشعر الآخرون بصدق المهتمّ بهم، وحرصه على مشاركتهم آمالهم وآلامهم، فيتفاعلون معه ويبادلونه الشعور نفسه، ممّا يزيد من حركة التفاعل الاجتماعي في المجتمع الكبير.

---

١. *الكافي*: ١٦٣/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين.

٢. *المصدر*: ١٦٤.

٣. *المصدر*: ١٦٤.

ثانياً: المشاورة والاستشارة

قال سبحانه وتعالى ضمن وصفه لمجتمع المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.[١]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[٢]

الشورى، أحد أهم روابط المجتمع، وهي القاعدة الواقعية للتفاهم والانسجام وتآلف القلوب، وبها يتحقّق التفاعل الاجتماعي.

قال الإمام علي عليه السلام:

> في الشورى سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصّن من السقطة، وحرز من الملامة، ونجاة من الندامة، وألفة القلوب، واتباع الأثر.[٣]

فالمشاورة ضرورة من ضرورات تماسك وتفاعل المجتمع ليصل إلى تحقيق أهدافه الكبرى حيث يسمو ويتكامل من خلال تجسيدها في الواقع.

ومن فوائد المشاورة الأخلاقية ما ورد في قول الإمام علي عليه السلام:

«جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول الناصح».

«الاستشارة عين الهداية».

«المستشير متحصّن من السقط».

«من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ».

«المستشير على طرف النجاح».

«من استبدّ برأيه زلّ».[٤]

---

١. الشورى: ٣٨.

٢. آل عمران: ١٥٩.

٣. *العقد الفريد للملك السعيد*: ٤٣.

٤. *تصنيف غرر الحكم*: ٤٤٢.

ومن خصائص وشروط المستشارين كما ورد في قول الإمام جعفر الصادقعليه السلام:

شاور في أمورك ما يقتضي الدين، مَن فيه خمس خصال: عقل، وعلم، وتجربة، ونصح، وتقوى. فإن تجد فاستعمل الخمسة، وأعزم وتوكّل على الله، فانّ ذلك يؤدّيك إلى الصواب.[١]

وتتجلّى ثمار المشاورة أكثر فأكثر في العلاقات الاجتماعية والسياسية التي ترتبط بمصالح ومصير المجتمع الكبير، من خلال إعمالها أو تقريرها في العلاقة بين هرم السلطة وبين أفراد المجتمع على اختلاف اتجاهاتهم وطبقاتهم؛ وهي في جميع الظروف والأحوال والمجالات التطبيقية، مصدر قوة للتفاعل والتوافق الاجتماعي، ومن فوائدها:

١. توثيق العلاقة بين الحاكم والأمة، وتوثيق العلاقة أهم عامل من عوامل الإخلاص، وأداء الواجب والطاعة.

٢. إبراز للكفاءات والقدرات، وعامل مساعد على الإبداع.

٣. تدريب الأمة على الشجاعة في القول وفي مواجهة الأمور.

٤. إشعار الأمة بالمسؤولية الشرعية.

٥. توزيع المسؤولية بين الحاكم والأمة.

٦. تحصين الحاكم وجهاز الحكومة من الإنزلاق والانحراف.

٧. محاصرة الانحراف في بدايته.

٨. إشعار الحاكم بمراقبة الأمة له.

٩. التقليل من شأن الانتقادات الموجّهة للحاكم بعد تعثّر الأعمال المقرّرة بالشورى.

١٠. سد الثغرات أمام من ينال من سمعة الحاكم ويتهمه بالاستبداد بالرأي أو عدم احترام آراء الآخرين.

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٦٥/٢.

١١. الوصول إلى الرأي والأسلوب الأمثل في تربية الأمة والقضاء على الفساد والانحراف الأخلاقي والاجتماعي.

فينبغي تربية الطفل وتمرينه على الأخذ، بمبدأ الاستشارة بصورتها المصغّرة؛ لكي يصبح الالتزام بها وإعمالها ملكة راسخة ترافقه وتسايره في جميع مراحل حياته، وخصوصاً إذا أصبح حاكماً أو قائداً سياسياً في المستقبل.

ثالثاً: الإلتزام بالأخلاق الحسنة

حثّ المنهج الإسلامي على الالتزام بالأخلاق الإسلامية وترجمتها إلى مشاعر وارتباطات وممارسات عملية في جميع المجالات، ومراعاة الأخلاق الإسلامية، كفيل بتحقيق وتجسيد التفاعل الاجتماعي في أروع صوره وألوانه، وبالأخلاق الحسنة تتعمّق الأواصر الاجتماعية.

ومن مصاديق الأخلاق الحسنة المهيأة للتفاعل الاجتماعي، هي الرفق، فقد حثّ عليه رسول الله ﷺ ليكون المحور الإيجابي في التعامل مع الآخرين، فقال: «إن الله يحبّ الرفق في الأمر كلّه».[1]

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

> قال رسول الله ﷺ: ما اصطحب اثنان إلّا كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله عزّ وجلّ أرفقهما بصاحبه.[2]

وقال الإمام علي عليه السلام:

> «الرفق يفلّ حدّ المخالفة»، «الرفق يؤدي إلى السلم»، «بالرفق تدوم الصحبة»، «لِنْ لمن غالظك فإنّه يوشك أنْ يلين لك»، «ما استجلبت المحبّة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق»، «الرفق ييسّر الصعاب ويسهّل شديد الأسباب»، «كم من صعب تسهّل بالرفق»، «من استعمل الرفق لان له الشديد».[3]

---

١. *تحف العقول*: ٦.

٢. *الكافي*: ٢/١٢٠.

٣. *تصنيف غرر الحكم*: ٢٤٤.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

إن الله عزَّ وجلَّ رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.[١]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس».[٢]

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «الرفق نصف العيش».[٣]

والرفق خير وسيلة للإصلاح وتغيير الآخرين وتمرينهم على التآلف والتآزر، فبالرفق يشعر المقابل، بأنّ كرامته مصونة، والرفق يعني استخدام الأسلوب الحسن في التعامل والعلاقات، فبالرفق يتقبلّ المسيء النصيحة، ويسعى إلى تجاوز أخطائه بعد الاعتراف بها، وبالرفق يشعر الطرف المقابل بأنّ المصلح والمربّي يريد له الخير والسعادة، ويريد له الصلاح، فينجذب إليه ويساهم معه في إصلاح وتغيير واقعه، فيتمّ التعاون والتآزر والتآلف.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإيثار، فقال:

ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك، وما أحببته لنفسك فأحبّه لأخيك... تكن محبّاً في أهل السماء، مودوداً في صدور أهل الأرض.[٤]

وقال الإمام علي عليه السلام:

«غاية المكارم الإيثار»، «من آثر على نفسه بالغ في المروءة»، «من شيم الأبرار حمل النفوس على الإيثار»، «الإيثار سجية الأبرار وشيمة الأخيار»، «بالإيثار يُسترقّ الأحرار».[٥]

ومن العوامل أو الوسائل المؤدّية إلى التآزر والتآلف والتعاون والتحابب، هو إفشاء السلام بين المسلمين، والسلام تبعاً لمعناه يعني الرحمة والمودّة والأمان، وهو تحية الإسلام الممدوحة والمندوبة.

---

١. *الكافي*: ١١٩/٢.

٢. *المصدر*: ١٢٠/٢.

٣. *المصدر*: ١٢٠/٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٦٧ ـ ٧٧.

٥. تصنيف *غرر الحكم*: ٣٩٦.

وإفشاء السلام يعني رفض التدابر والتقاطع، ورفض الشحناء والبغضاء، ورفض جميع العوامل المؤدية إلى تنافر القلوب، ومن ثمّ تنافر العلاقات في جميع مجالاتها الاجتماعية والسياسية.

وقد أكّد رسول الله ﷺ على أهمية إفشاء السلام بين المسلمين، وجعله مقدمة للتحابب والتآلف، ومن ثمّ الاتحاد والوحدة في جميع مجالاتها.

عن رسول الله ﷺ إنّه قال:

والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أدلّكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.[1]

وحث رسول الله ﷺ على عزل أو إزالة الأذى عن طريق المسلمين، فعن أبي برْزة قال:

«قلت يا نبي الله علّمني شيئاً أنتفع به»، قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين».[2]

وإزالة الأذى مفهوم شامل لجميع المصاديق، فهو إزالة الأفكار والمفاهيم الخاطئة، وإزالة الشظف والحرمان، وإزالة القلق والاضطراب، وإزالة العدوان والظلم، وإزالة التآمر على وجود المسلمين، وإزالة جميع التحديات.

وحث الإمام جعفر الصادق عليه السلام على التواصل والتراحم والتعاطف، فقال:

اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابّين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمْرنا وأحيوه.[3]

وقال عليه السلام:

يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عز

---

١. *سنن أبي داود*: ٩٦٨، ح ٥١٩٣.

٢. *صحيح مسلم*: ٥٣٩/٢، كتاب البر والصلة، باب ٣٦، ح ١٣١.

٣. *الكافي*: ١٧٥/٢.

وجل: ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ متراحمين، مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ.[١]

ومن الأخلاق الحسنة التي تترك آثارها الإيجابية على علاقات المودة والمحبّة والإخاء والتآزر، هي إدخال السرور على الآخرين.

عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال:

قال رسول الله ﷺ: إنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ إدخال السرور على المؤمنين.[٢]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن.[٣]

وبهذه الإرشادات والتوجيهات أراد المنهج الإسلامي أن يكون المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد يتعاون الجميع في تماسكه.

قال رسول الله ﷺ:

مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.[٤]

رابعاً: التزاور والتلاقي وعقد المجالس

التزاور والتلاقي وعقد المجالس، تساهم مساهمة فعّالة في تقرير التفاعل الاجتماعي في الواقع العملي، حيث تقرّب القلوب بعضها من بعض، وتعمّق التآلف والتآزر، ولهذا حثّت الروايات على التزاور.

---

١. *المصدر*: ١٧٥/٢.

٢. *المصدر*: ١٩٨/٢.

٣. *المصدر*: ١٨٨/٢.

٤. *صحيح مسلم*: ٥٢٦/٢، كتاب البر والصلة.

قال رسول الله ﷺ:

من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد: أنْ طبتَ وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً.[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياء لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإنْ أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإنْ تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم».[2]

وقال عليه السلام:

ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلّا حضرت من الملائكة مثلهم، فان دعوا بخير، أمّنوا، و إن استعاذوا من شرّ، دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة، تشفّعوا إلى الله، وسألوه قضاءها.[3]

وأفضل التزاور والتلاقي ما تحوّل إلى مجلس ذكر أو حلقة ذكر، وهي محيط اجتماعي متكامل، حيث تكون الزيارة واللقاء أمراً رسالياً تتآلف بها القلوب وتتآزر الآراء والمواقف، حتى أطلق عليها رسول الله ﷺ «رياض الجنة».

قال ﷺ: «بادروا إلى رياض الجنة»، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر».[4]

ومجالس الصالحين تساهم مساهمة فعالة في إصلاح الواقع الاجتماعي ومن مصاديقه إصلاح العلاقات الاجتماعية، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح».[5]

---

١. *سنن الترمذي*: ٥٩٠.

٢. *الكافي*: ١٨٦/٢.

٣. *ثواب الأعمال وعقابها*: ٤١٥.

٤. *من لا يحضره الفقيه*: ٤٠٩/٤.

٥. *مجموعة ورّام*: ٣٥/٢.

والزيارة الرسالية، أو اللقاء الرسالي يتمّ فيه النظر في الشؤون الاجتماعية والعمل على إصلاح الواقع الاجتماعي بالتآلف والتآزر والانسجام والتعاضد، وجميع ألوان ومظاهر التفاعل الاجتماعي.

خامساً: الإصلاح بين مكونات المجتمع

راعى المنهج الإسلامي الطبيعة البشرية، فلم يعطّلها أو يبدّلها أو يحمّلها ما لا تطيق، فإن طبيعة البشر تتسم بالضعف والمحدودية وعدم إدراك الحقائق، وعدم التطلّع إلى آثار بعض الممارسات السلبية، قد تجعل الإنسان المسلم يعيش الأنانية والذات، فتنطلق منه ممارسات لا يدرك عواقبها، فقد يدفعه الهوى والأنا، والتعصّب لقومه أو طبقته أو رأيه الشخصي، أو تنطلي عليه مؤامرات أعداء الإسلام، فيدخل في صراع هامشي وجانبي مع غيره من المسلمين، فيقطع أواصر المحبة والمودة، فتتنافر القلوب ومن ثمّ المواقف، وينعدم التوافق الاجتماعي.

ولهذا ينبغي الرجوع إلى الأصل في حال التقاطع والتدابر وهو التآلف والانسجام والتفاعل الاجتماعي.

قال رسول الله ﷺ:

ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا: بلى، قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة».[1]

وقال ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين».[2]

ونفى ﷺ موضوع الكذب إذا كان للإصلاح، فقال:

ليس بالكاذب من أصلح بين الناس، فقال خيراً أو نمى خيراً.[1]

---

١. *سنن أبي داود*: ٩٢٠

٢. *كنز العمّال*: ٥٨/٣.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

صدقة يحبّها الله، إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا.[٢]

وقال عليه السلام:

أكرم الخلق على الله بعد الأنبياء العلماء الناصحون، والمتعلّمون الخاشعون، والمصلح بين الناس في الله.[٣]

الصداقة والصحبة

الصداقة، مظهر من مظاهر التفاعل الاجتماعي في مرحلة الطفولة وفي المراحل اللاحقة بها إلى نهاية العمر، ويبدأ الطفل بمصادقة الاطفال الذين يصحبون والديهم في زيارة لمنزل الطفل سواء كانوا أقرباء أو غرباء، ثمّ تتطوّر الصداقة لتتوجه نحو خارج المنزل مع أطفال الجيران، ثمّ طلاب المرحلة الدراسية الواحدة، ثم المراحل الأخرى، ويزداد عدد الأصدقاء بالتقدّم في العمر.

وتكون الصداقة متقّلبة في مراحل الطفولة المبكّرة والمتوسطة، ثمّ تتّجه نحو الثبات في آخر مرحلة الطفولة، وقد تستمر إلى نهاية العمر باختيار بعض الاصدقاء.

ومن العوامل المهيئة للصداقة أو المساعدة لإنشائها:

١. الذكاء والخبرة الاجتماعية.

٢. زيادة وطول الإقامة في محلة واحدة.

٣. القرابة والنسب.

---

١. *سنن الترمذي*: ٥٧٥.

٢. *الكافي*: ٢٠٩/٢.

٣. *جامع الأخبار*: ٥١٩.

٤. الطبقة الاجتماعية.

٥. حسن التكيّف.

٦. توفر عوامل إرضاء الحاجات وإشباعها.

والصداقة هي أول خطوة من خطوات التفاعل الاجتماعي، ومنها تنطلق الحياة الاجتماعية للطفل، ولذا ينبغي مراقبة الطفل في صداقاته والتكثيف من الإرشادات له، وخصوصاً في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، لأنّ الصديق يؤثر تأثيراً واقعياً، وقد يحدث التأثير دون شعور وإحساس به، وخصوصاً إذا كان أحدهما يتمتّع بالذكاء وقوة النفس، والتأثير يمتدّ إلى جميع مقومات الشخصية، حيث يمتدّ إلى الآراء والتصوّرات أو المشاعر والعواطف أو السلوك والممارسات العملية، وذلك عن طريق الاحتكاك والتلقين والاستهواء.

ويتأثر الطفل في نهاية مرحلة الطفولة بأصدقائه، من حيث نظرته إلى الكون والحياة والمجتمع، وبمعنى آخر تتأثر عقيدته ومتبنياته الفكرية والفلسفية بمن يصادق، ولهذا نجد أنّ بعض الاطفال يعلنون الإلحاد تأثراً بأصدقائهم ورغبة في جذب الانتباه إليهم، وخصوصاً بعض الاطفال المنبوذين.

ويتأثر أيضاً بأخلاقهم وسلوكهم وممارساتهم العملية، ولو تابعنا الميدان الاجتماعي لوجدنا أنّ الصديق المنحرف يؤثر على صديقه الصالح في أغلب الأحيان، لأنّ الانحراف سهل المئونة في الأجواء التي تعيشها البشرية حيث لا يكلّف عناءً، بينما الصلاح يحتاج إلى جهد وصبر على المغريات والملذات.

نقل لي أحد الشباب قصته في الصداقة حيث يقول: كنت منحدراً من عائلة متديّنة وكنت ملتزماً بالعبادات منذ الثامنة من عمري، وكانت لي ثقافة دينية جيدة، وكنت أرغب أن أكون مصلحاً، وكنت واثقاً من نفسي بأني قادر على إصلاح أصدقائي الذين لابدّ منهم؛ لأنهم أبناء محلّتي وزملائي في الدراسة، وفي سنٍّ الثانية عشرة كنا نذهب إلى

ضفاف أحد الأنهار للمطالعة، وقد شجعني أصدقائي بدافع المغامرة العبور إلى الضفة الأخرى للنهر لقطف بعض الثمار، فنصحتهم بترك هذا العمل؛ لأنّه اعتداء على أملاك الآخرين، فاتهموني بالجبن، فأثاروا حفيظتي فتقدّمت أمامهم، ولكني لم أقطف أية ثمرة، وفي يوم آخر دخلت معهم بستان العنب وكان دوري أن أشير لهم على أفضل عنقود، ولكن لا أتجرأ على قطفه بيدي، واستمر الأمر على هذا الوضع، فبدأت أشاركهم بالأكل وانتهى المطاف بمشاركتهم في عملهم السيئ إلى أن أدركتني الرحمة الإلهية، بأن أخبر الفلاح والدي بالأمر، فتركت هذا العمل السيئ واعتذرت من الفلاح وتبعني أصدقائي، لأنّهم لا يستطيعون الاستغناء عني لحاجتهم إلى معلوماتي الدراسية.

الصداقة السلبية

لتأثير الصداقة على جميع جوانب الشخصية حذّرت الإرشادات الإسلامية من مصادقة المنحرفين فكرياً وسلوكياً والمضطربين نفسياً وعقلياً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دين المرء على دين خليله، فليتق المرء، ولينظر من يخالل».[1]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

> لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم، فتصيروا عند الله كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه.[2]

وحذّرت التعاليم والإرشادات من مصادقة ذوي العقول الناقصة؛ وقليلي الوعي والإدراك.

قال الإمام علي عليه السلام:

> لا تصحب الجاهل، فإن فيه خصالاً، فاعرفوه بها: يغضب من غير غضب، ويتكلّم من غير نفع، ويعطي في غير موضع العطاء، ولا يعرف صديقه من عدوّه، ويفشي سرّه إلى كلِّ أحد.[3]

---

١. *جامع الأحاديث*: ٧٨.

٢. *مجموعة ورّام*: ١٦٢/٢.

٣. *شرح نهج البلاغة*: ٢٧٧/٢٠.

وحذّر الإمام الصادقعليه السلام من صداقة الهابطين سلوكياً فقال:

إياك ومخالطة السفلة، فان مخالطة السفلة لا تؤدي إلى خير.[١]

وقال النبي عيسى عليه السلام:

إنّ صاحب الشرّ يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن.[٢]

ونهى الإمام عليعليه السلام من صحبة الشرّير فقال:

لا تصحب الشرّير فإنّ طبعك يسرق من طبعه شراً، وأنت لا تعلم.[٣]

وقالعليه السلام: «إياك وصاحب السوء؛ فإنّه كالسيف المسلول يروق منظره، ويقبح أثره».[٤]

وحذّر من مصادقة ومصاحبة الفاجر والأحمق والكذّاب فقال:

لا تؤاخينّ الفاجر، فإنّه يزيّن لك فعله، ويودّ لو أنّك مثله، ويحسن لك أقبح خصاله، ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص، ولا الأحمق؛ فإنّه يجهد لك نفسه ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فضرّك؛ سكوته خير لك من نطقه، وبعده خير لك من قربه، وموته خير لك من حياته، ولا الكذّاب فإنّه لا ينفعك معه شيء؛ ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك، حتى إنّه ليحدّث بالصدق فلا يصدّق.[٥]

وقال الإمام علي بن الحسينعليه السلام لبعض بنيه:

يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقال: يا أبه من هم؟ قال: إياك ومصاحبة الكذاب فانه بمنزلة السراب، يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب.

وإياك ومصاحبة الفاسق، فإنه بايُعك بأكلةٍ أو أقلّ من ذلك.

وإياك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه.

وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله».[٦]

---

١. *تحف العقول*: ٢٧٣.

٢. *الكافي*: ٦٤٠/٢.

٣. شرح *نهج البلاغة*: ٢٧٢/٢٠.

٤. *المصدر*: ٢٧٣.

٥. *المصدر*: ٢٦٤.

٦. *تحف العقول*: ٢٠٢.

وحذّر الإمام عليعليه السلام من مصادقة المختلّين عقلياً ونفسياً وسلوكياً، فقال:

«بئس الرفيق الحسود».

«من دنت همته فلا تصحبه».

«لا تصحبن من لا عقل له».

«لا تمنحنّ ودّك من لا وفاء له».

«بئس الصديق الملول».

«لا تصحبن من يحفظ مساويك، وينسى فضائلك ومعاليك».[١]

وحذّر رسول اللهصلى الله عليه وآله من مصادقة غير المنصفين وغير الموضوعيين في التقييم فقال:

لا تصحبنّ أحداً لا يرى من الفضل كمثل ما ترى له.[٢]

وعلى ضوء هذه التعاليم والإرشادات ينبغي الاهتمام الاستثنائي بتربية الاطفال، حول اختيار الاصدقاء لحراجة المرحلة وأهميتها في تحديد الاتجاهات الفكرية والعاطفية والسلوكية لمرحلة الرشد وسائر مراحل الحياة؛ لأنّ الأخطاء قد تؤدي إلى تدمير مقومات الشخصية إلى نهاية العمر، وخصوصاً في مجتمعات لا ترحم المخطئين وتلاحقهم وان استقاموا مستقبلاً، ومن هنا فالأحرى مراقبة الإطفال مراقبة دقيقة وإعانتهم على تجاوز المرحلة ليختاروا أصدقاء صلحاء تحكمهم مفاهيم الاستقامة وقيم الفضيلة.

وينبغي في جميع الظروف والأحوال منع الطفل من مصادقة الأكبر سنّاً منه وبفارق ملحوظ، لأنّ الفارق في السنّ لا يشجّع على الصداقة إلّا لظروف استثنائية، كأن يكون الكبير متأخّراً دراسياً، وينتمي إلى نفس المحلّة أو كان من أقرباء الصغير، أما في غير هذه الحالة، فانّ مثل هذه الصداقة تكون موضع شكّ وريبة، ولا توجد مبرّرات لحملها على الصحة، ولو تنزلنا عن ذلك، فان الاحتياط يستدعي أو يستلزم عدم التشجيع على مثل هذه الصداقة.

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤١٨.

٢. *الجامع الصغير*: ٧٣٨/٢.

وينبغي عدم الانخداع بمبررات الكبار، أو عدم الانخداع بصلاحهم الظاهري وحسن سيرتهم، أو انتمائهم إلى أُسرٍ صالحة، فالاحتياط يستدعي ذلك، لأنّ أغلب الانحرافات يتعلمها الطفل من الأكبر منه سنّاً بفارق ملحوظ.

الصداقة الإيجابية

وجّه المنهج الإسلامي الأفكار والأنظار إلى أولى خطوات اختيار الصديق، وهي التجربة حيث تتطلّب التريّث وعدم التسرّع باختيار الصديق إلّا بعد إتمام التجربة له في جميع أو أغلب المقوّمات الأخلاقية له.

قال الإمام علي عليه السلام: «لا تثق بالصديق قبل الخبرة».[1]

وقال الإمام الحسن عليه السلام: لبعض ولده:

> يا بني لا تؤاخي أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة، فآخه على إقالة العثرة، والمؤاساة في العسرة.[2]

ومن تجاربي الشخصية في هذا المجال، أني كنت أجرّب الصديق الجديد في مختلف المجالات، حيث أتعمّد على ترك بعض النقود، وبعض أدوات اللعب في مكان معيّن؛ لأختبر الصديق هل يسرق أو يستولي عليها أم يخبرني بها.

وكنت أسرّه سرّاً في مسألة خيالية لا واقع لها، لأختبره في إشاعتها لواحد أو أكثر، حيث أبعث إليه صديقاً آخر ليتجسس أخباره.

وكنت أبعث صديقاً قديماً للصديق الجديد؛ ليختبره في تقييمه لي، وكان يغتابني أمامه ليتعرّف على ردود أفعاله من حيث نصرته لي، أو خذلانه، أو موافقته في الغيبة.

وكنت أغضبه عدّة مرات؛ لأتعرّف على ردود فعله، هل يتقبل مني ذلك برحابة صدر أو يعاتبني، أو يقابلني بالمثل؟

---

١. *تصنيف غرر الحكم*: ٤١٦.

٢. *تحف العقول*: ١٦٤.

وحينما بلغت الثانية عشرة من العمر، اتفقت مع أصدقائي الخلّص وهم: عبد الكريم محمد علي الربيعي، وحسين علي الشيباني، وعماد كريم عريبي، وراضي محمد؛ أن ننقسم إلى فئتين وندّعي إننا اختلفنا وتقاطعنا وأنهينا الصداقة لنختبر أصدقاء جدد أرادوا الانتماء إلى مجموعتنا، وبالفعل تعرّفنا على النمّام والمنافق والكذاب ومثير الإشاعات، وعلى المصلح والنزيه والمخلص وما شابه ذلك.

وحينما بلغت السابعة عشر، انتميت إلى أحد الأحزاب الإسلامية فكنت أتحرّك على من اختبرتهم جيداً في طفولتي لضمّهم إلى الحزب الذي أنتمي إليه أو جذبهم لأفكاره، فكنت لا أتحرج في التحرّك لأنّي واثق من عدم تسريبهم أسراري إلى السلطة آنذاك.

والصداقة غالباً بل دائماً تتحقّق بين المتماثلين في السمات الشخصية، وتتوثّق الصداقة حينما يجد الصديق إخلاصاً من صديقه، وحرصاً على إرضائه وإيثاره على نفسه.

وقد حدّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بعض بل أهم خصائص الصديق المراد اتخاذه في حركة التفاعل الاجتماعي.

قال عليه السلام: «لا تكون الصداقة إلّا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها؛ فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة.

فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة.

والثاني: أن يرى زينك زينه، وشينك شينه.

والثالثة: أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال، أن لا يسلّمك عند النكبات».[1]

---

١. *الكافي*: ٦٣٩/٢.

وينبغي اختيار الصديق الناصح الذي يرشد صديقه إلى الاستقامة والاعتدال، وإن كان شديداً في نصائحه وإرشاداته، فهو أولى ممن لا يكترث لسلوك صديقه ولا يبدي له نصيحة، لكي لا يزعجه أو يحزنه.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

يا صالح، اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعاً فتعلمون.[١]

وبما أنّ الإنسان ليس معصوماً وليس متكامل السيرة، فيمكن مصادقته من أجل الاستفادة من بعض الخصائص الإيجابية مع أخذ الحيطة والحذر من الخصائص السلبية.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء أخلاقه، ولا تدعنّ صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كلّ الفرار من اللئيم الأحمق.[٢]

وحدّد الإمام علي عليه السلام صنفين من الأصدقاء يمكن الانتفاع منهما في جانب أو عدة جوانب اجتماعية، فقال:

الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة.

فأما إخوان الثقة فهم كالكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه، واكتم سرّه وعيبه وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل إنهم أعزّ من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاشرة؛ فإنّك تصيب منهم لذّتك، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان.[٣]

---

١. *المصدر*: ٦٣٨.

٢. *المصدر*.

٣. *الاختصاص*: ٢٥١.

المجالسة

المجالسة هي مقدمة من مقدمات الصداقة إذا كانت محدودة العدد، ويتأثّر الطفل بمن يجالسه ولو مؤقتاً، أمّا تأثّراً فجائياً أو تأثراً بطيئاً وتدريجياً.

وفي أجواء المجالسة الكثيرة العدد، كالاحتفالات والمهرجانات والتظاهرات، يؤثّر العقل الجمعي على الفرد وخصوصاً الطفل بواسطة الاستهواء والمحاكاة، وخصوصاً إذا كان العقل والإرادة ضعيفين، حيث يستسلم للآراء والممارسات الجمعية أو لأفراد أكبر منه أو أكثر قدرة على التحريك، فهو يتأثّر شعورياً أو لاشعورياً بمن لهم:

١. مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة.

٢. مكانة دينية وقدسيّة خاصة.

٣. الامتياز بالحول والقوّة.

٤. الامتياز بالقدرة الأكبر منه.

٥. القدرة البلاغية والخطابية.

ولهذا نلاحظ في المهرجانات الكبيرة أو الاحتفالات أو التظاهرات يخرج الإنسان، وخصوصاً الطفل عن اتزانه العقلي والانفعالي والسلوكي تأثراً بغيره، فيصفق حينما يصفقون ويصرخ حينما يصرخون، ويبكي حينما يبكون أو يضحك حينما يضحكون، أو يقوم تأثراً بغيره بالاعتداء على الممتلكات العامة في التظاهرات، ككسر زجاج المباني، وحرق السيارات، أو ما شابه ذلك.

وقد أثبتت التجارب الميدانية تأثير المجالسة على الفرد وخصوصاً الطفل، ولهذا شجّعت الإرشادات والوصايا الدينية على اختيار الجليس الصالح والمصلح.

قال لقمان عليه السلام لابنه:

يا بني لا تقترب فتكون أبعد لك، ولا تبتعد فتهان،[1] كلّ دابة تحبّ مثلَها، وإنّ ابن آدم يحبّ مثله، ولا تنشر بزك إلّا عند باغية، كما ليس بين الذئب والكبش خلّة، كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلّة.

من يقترب من الزفت يعلّق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه.

من يحبّ المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم.[2]

وأول خصائص الجليس ان يكون متديّناً لكي تستقيم المفاهيم والقيم لمن يجالسه، ويكون الفكر والرأي منقاداً لأسس العقيدة الدينية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا تصحب إلّا مؤمناً ولا تجالس إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلّا تقي، وأنّ فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام.[3]

وقال صلى الله عليه وآله: «مجالسة أهل الدين، شرف الدنيا والآخرة».[4]

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: لمن نجالس؟ فقال:

من يذكركم اللهَ رؤيته، ويرغّبكم في الآخرة عمله، ويزيد في منطقكم عمله.
وقال لهم: تقربوا إلى الله بالبعد من أهل المعاصي، وتحبّبوا إليه ببغضهم، والتمسوا رضاه بسخطهم.[5]

---

١. أي لا تقترب بكثرة المخالطة والمعاشرة فيساوموك ويملوك، فتكون أبعد من قلوبهم، ولا تبتعد كلّ البعد فلم يبالوا بك.

٢. *الكافي*: ٦٤٢/٢.

٣. *أعلام الدين*: ٢٧٦.

٤. *الخصال*: ٥/١.

٥. *أعلام الدين*: ٢٧٢.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«جالسوا أهل الدين والمعرفة، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم، فإنْ أبيتم إلّا مجالسة الناس، فجالسوا أهل المروات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم».[1]

وقال الحكماء: من جلس مع ثمانية أصناف من الناس، زاده الله ثمانية أشياء:

من جلس مع الأغنياء زاده الله حبّ الدنيا والرغبة فيها.

ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بقسمة الله تعالى.

ومن جلس مع السلطان زاده الله الكِبَر وقساوة القلب.

ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة.

ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو والمزاح.

ومن جلس مع الفساق زاده الله الجرأة على الذنوب والمعاصي، والإقدام عليها، والتسويف في التوبة.

ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعات.

ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع.[2]

وحدّد رسول الله صلى الله عليه وآله الخصائص الحميدة وغير الحميدة التي تكون أساساً يعتمد عليه في اختيار الجليس فقال:

لا تجلسوا عند كل داعٍ مدّعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشك، ومن الإخلاص إلى الرياء، ومن التواضع إلى التكبر، ومن النصيحة إلى العداوة، ومن الزهد إلى الرغبة، وتقرّبوا من عالِم يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشكّ إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن العداوة إلى النصيحة.[3]

وحذّرت التعاليم والارشادات الدينية من مجالسة بعض الأصناف من الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة».[4]

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٣٢٨/٨.

٢. *تنبيه الغافلين*: ٤٤٢.

٣. *عدة الداعي*: ٦٩.

٤. *مستدرك الوسائل*: ٣٣٩/٨.

وقال الإمام جعفر الصادق‍عليه السلام: «من قعد عند سبّابٍ لأولياء الله، فقد عصى الله».[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إياكم ومجالسة الموتى»، قيل: يا رسول الله، من الموتى؟ قال: «كل غني أطغاه غناه».[٢]

والإرشادات الدينية تدعو إلى مجالسة الصالحين، وتحذّر من مجالسة الطالحين والمنحرفين.

وقد حذّرت من مجالسة أصناف من الناس، ومن المشاركة في الجلسات المشبوهة ومنها:

١. الذين يخوضون في آيات الله.

٢. أماكن الريبة.

٣. تجمعات المنحرفين.

٤. مراكز ومؤسسات الجائرين.

٥. تجمّعات المغتابين وأصحاب الإشاعات.

٦. تجمّعات الأشرار.

٧. المناظرات المثيرة للفرقة بين الناس.

٨. مجالس اللهو الحرام.

٩. المجالس المختلطة من الذكور والإناث.

١٠. مجالس اللئام.

١١. مجالس الجهلاء والحمقى.

١٢. الطرق العامة والخاصّة.

---

١. *وسائل الشيعة*: ٢٦٠/١٦.

٢. *مجموعة ورّام*: ٣٢/٢.

١٣. المشاركة في دور السينما المبتذلة.

١٤. المشاركة في المسارح المبتذلة.

تأليف العصائب

يميل الأطفال في نهاية مرحلة الطفولة إلى التكتّل والتجمّع وتأليف العصائب، ولا نستطيع تحديد العمر بالدقة لاختلاف الأطفال من محيط اجتماعي إلى آخر، ولكن نستطيع تحديد العمر التقريبي من خلال متابعة نمو الأطفال في العراق، وبعض مدن إيران، وبعض مدن سوريا وهو بداية الثانية عشر، أو الثالثة عشر وتنتظم أكثر في مرحلة المراهقة، وتكون أكثر وضوحاً في المناطق الريفية، ويميل الأطفال المحرومون من الحنان والعطف إلى ذلك أكثر من غيرهم، ويميل الذكور إلى ذلك أكثر من الإناث، لما يتمتّعون به من حرية أكثر في أغلب المجتمعات.

ومصطلح العصابة لا يقصد به الشرّ كما هو مركوز في أذهان أغلب أفراد المجتمع، وإنّما يقصد منه التكتّل أو التجمّع المشترك، وكلّ عصابة تقيّم على أساس سلوك وأخلاق وسيرة ومواقف المنتمين إليها، فقد تكون عصابة صالحة أو عصابة طالحة.

والعصابة لها نتائجها الإيجابية على أفرادها ومنها:

١. الشعور بالانتماء وإشباع هذه الحاجة.

٢. الشعور بالأمان والارتياح والمتعة.

٣. الشعور بالقوة.

٤. تعلّم فنّ التعامل مع الآخرين.

٥. تعلم المهارات الاجتماعية.

٦. تعلم اللين والتساهل والمرونة.

٧. تعلّم مبدأ الشورى واحترام رأي الأكثرية، أو احترام الرأي الآخر.

٨. توحيد الأفكار والعواطف والممارسات.

٩. تعلّم القدرة على التقييم والتشخيص.

١٠. معرفة الفرد لنفسه ولجماعته وللمجتمع.

١١. مواجهة المشاكل والتعقيدات.

١٢. التعاون في إشباع الحاجات الخاصة.

١٣. التمرين على مواجهة مستجدّات الحياة والتكيّف معها.

١٤. إكمال الثغرات التي تتركها الأسرة والمدرسة.

١٥. استثمار وقت الفراغ.

وللعصابة أو جماعة الرفاق، زعيم أو قائد أو رئيس ينتخب تلقائياً، أو يتصدّى تلقائياً لما يتمتّع به من مواصفات، ومن أهمها الذكاء والخبرة والقدرة على الإدارة والتوجيه، وقوة الشخصية والشجاعة.

وفي بعض الأحيان يشترك الطفل في عدة جماعات، فقد يكون زعيماً في عصابة، وعضواً في عصابة أخرى في محلة أخرى، تبعاً لعلاقاته المتشبعة وأوقات فراغه.

ومن خصائص العصابة، الرغبة في إلفات النظر لأفرادها، والرغبة في إشارة الآخرين لهم ليكونوا متميّزين، ونجد بعض العصائب تتفق على توحيد ملابسها بزيّ موحّد، وتضع شعاراً خاصاً بها، وتضع رموزاً للتحاور، وتضع أسماءً حركيةً أو كنى خاصة، وتختار أماكن خاصة للتجمع أو اللعب، أو السباحة في قاطع خاص من النهر أو الجدول.

ويتوقّف صلاح أو طلاح العصابة على جملة من العوامل:

١. المحيط الاجتماعي بأفكاره وعاداته وتقاليده.

٢. التربية المتلقاة في عهد الطفولة المبكّرة والمتوسطة.

٣. الأهداف المطروحة، فقد تكون أهدافاً سطحية هامشية، وقد تكون أهدافاً واعية وحركية صالحة، أو طالحة.

٤. الموقف من الظروف المحيطة بهم.

٥. الموقف من المجتمع من حيث القبول والرفض.

٦. موقف المجتمع من الأفراد من حيث القبول والرفض.

وقد تحاول بعض العصائب التشبّه بالكبار، فتطلق على نفسها عنواناً حزبياً تبعاً للثقافة السائدة في المحيط الاجتماعي المعاش.

وقد تشذّ بعض العصائب حينما تُشكَّل من أفراد منحرفين أو منبوذين أو جهلاء أو محرومين مادياً، فتصبح مثل هذه العصائب بؤرة فساد وشر، وتشكّل تهديداً واقعياً لأمن المجتمع وسلامته، وخصوصاً إن وجدوا من يرعاهم مادياً ومعنوياً، حيث يؤثر الشخص الواعي على مشاعرهم وعواطفهم ثمّ أفكارهم وممارساتهم، فإذا كان صالحاً صلحوا، وإذا كان فاسداً فسدوا.

قال رسول الله ﷺ: «اللّهم لا تجعل لفاجر عليّ منّة، فترزقه منّي محبة».[١]

وقال ﷺ: «جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها».[٢]

ولذا ينبغي للمصلحين والأخيار والقادة الدينيين أو السياسيين الصالحين، أن يتابعوا الأطفال والمراهقين بالاهتمام بهم ورعايتهم المادية والمعنوية، لكي يفوزوا بمحبتهم أولاً، ثمّ الولاء ثانياً، من أجل توجيههم وإرشادهم ثالثاً، قبل أن ترعاهم الحركات والتيارات الهدّامة، وتوجههم حسبما تشاء.

وأفضل الأساليب والوسائل تشكيل منظمات الأحداث، وتشجيع الأطفال للانتماء إليها على أن تحتفظ كلّ عصابة بوجودها وكيانها إن رغبت في ذلك.

وينبغي على رجال الدين أو المؤسسة الدينية ربط العصائب بها عن طريق الوكلاء أو المعتمدين أو الوجهاء، ليشرف كلّ منهم على مجموعة من العصائب، ويتواصل في

---

١. *المحجة البيضاء*: ٢٨٨/٣.

٢. *تحف العقول*: ٢٦.

اللقاءات معهم، ومتابعة آمالهم وآلامهم، وتقويم سلوكهم، وتشجيعهم على العمل البنّاء الهادف، لكي يشعروا بمكانتهم ودورهم الفعال في حركة المجتمع الإصلاحية.

وإذا تمّ التنسيق بين المؤسسة الدينية والقيادة السياسية ورؤساء العشائر والوجهاء والتجّار، أمكن إصلاح الأوضاع القائمة بإصلاح العصائب وإعدادهم، ليكونوا عناصر عمل وبناء وإصلاح وإعدادهم، لتجاوز أزمات المراهقة وهي أزمات طارئة.

وبالرعاية المادية والمعنوية يمكن استثمار طاقاتهم واستثمار أوقات فراغهم لصالحهم وصالح مجتمعهم، وهنالك مجالات صالحة لإشغالهم في المشاركة بها ومنها:

١. إحصاء العوائل الفقيرة لمساعدتها من قبل الجمعيات الخيرية.

٢. إحصاء الأيتام أو العوائل الفاقدة لمعيلها.

٣. القيام بخدمة المشاركين في الاحتفالات الدينية والوطنية.

٤. تنظيم المكتبات الدينية.

٥. تشكيل الهيئات التي تقدّم الخدمة لزائري العتبات المقدّسة.

٦. التشجيع على العمل الشعبي المعمول به في بعض البلدان.

٧. التشجيع على الحراسات الليلية في بعض المناطق.

٨. تنظيم سير التظاهرات السلمية.

٩. إقامة المسابقات الرياضية والثقافية والعلمية وإشراكهم بها.

١٠. إشراكهم في جباية الصدقات وفي توزيعها على مستحقيها.

١١. التشجيع على المسيرات الراجلة إلى العتبات المقدّسة على اختلاف عناوينها المذهبية.

وهذه المقترحات ليست ترفاً فكرياً، بل هي حقائق وبرامج قابلة للتحقيق إن توفرت لدى القيّمين على المجتمع الرغبة في الإصلاح الحقيقي الذي هو مسؤولية وتكليف.

اختبار التفاعل الاجتماعي الإيجابي

السؤال الأول: لو انتقدك صديقك أو شخص آخر بهدوء وبيّن لك خطأ بعض تصرفاتك فماذا تفعل؟فهل:

١. تقبل انتقاده برحابة صدر وتشكره على ذلك؟

٢. تتقبل انتقاده ظاهراً لا باطناً؟

٣. لا تقبل انتقاده وتضع المبررات لتصرفاتك؟

٤. تنزعج منه بحيث يظهر الانزعاج على ملامح وجهك؟

٥. تنزعج منه وتخاطبه بعدم التدخل في شؤونك؟

السؤال الثاني: لو جالست شخصاً كثير الكلام، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تنصت له لحين إكمال كلامه وان استغرق وقتاً طويلاً؟

٢. لا تقاطعه أثناء الكلام سواءً كان كلامه صحيحاً أو خاطئا؟.

٣. تقاطعه إنْ كان كلامه خاطئاً؟

٤. تستأذن منه ولا تواصل الجلسة معه؟

٥. تطلب منه أن يعطيك فرصة للحديث؟

السؤال الثالث: لو أساء لك شخص، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تقابل إساءته بالإحسان إليه؟

٢. تقابل إساءته بالصبر وأنت قادر على ردّها؟

٣. تخاطبه برفق وهدوء وتبيّن له اشتباهه؟

٤. تخاطبه بالمثل وتقابل إساءته بإساءة مثلها؟

٥. تستخدم القوة لتأديبه؟

السؤال الرابع: لو حضرت مجلساً يتحدّث فيه المشاركون عن الشعر، أو في الحوار في موضوع معين، أو المزاح، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تشاركهم في موضوع الحديث؟

٢. تحاول تغيير الموضوع؟

٣. تسكت؟

٤. تبيّن لهم عدم تفاعلك مع موضوع الحديث؟

السؤال الخامس: لو طعن أحد الخطباء بالأفكار التي تؤمن بها فماذا تفعل؟ فهل:

١. تنتظره لحين إكمال خطبته، ثمّ تحاوره بهدوء ورفق في جلسة خاصة بينك وبينه؟

٢. تحاوره بهدوء أمام مرأى ومسمع من الناس؟

٣. تقاطعه وتخاطبه بهدوء؟

٤. تقاطعه وتخاطبه بشدّة وتطعن في رأيه؟

٥. تتّفق مع جماعة ممّن يتبنون رأيك وفكرك، وتثيرون ضجّة أثناء الخطابة؟

السؤال السادس: لو كان لك صديق مؤدّب ومهذّب، وقف معك في جميع الأزمات، وفي يوم من الأيام غضب عليك في أمر بسيط، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تسامحه لهذا الخطأ الطارئ؟

٢. تسامحه ظاهراً لا باطناً؟

٣. تعاتبه حين هدوئه؟

٤. تقابله بالمثل؟

٥. تقاطعه؟

السؤال السابع: لو انقطع أصدقاؤك أو أقرباؤك عن زيارتك فترة طويلة، دون معرفة السبب، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تستمر في زيارتهم؟

٢. تزورهم عدّة مرات، ثمّ تقطع الزيارة حينما لا يبادرون الي زيارتك؟

٣. تعاتبهم ثمّ تختبرهم؟

٤. تقاطعهم؟

السؤال الثامن: لو كان الطّلاب الذين يدرسون معك في مرحلة دراسية واحدة لا ينسجمون معك في أغلب الأمور، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تتعايش معهم وتداريهم وتتحملهم؟

٢. تقلل مصاحبتك لهم؟

٣. تنعزل عنهم؟

٤. تطالب بتغيير شعبة الصف لتنتقل إلى شعبة أخرى؟

٥. تطالب بالانتقال إلى مدرسة أخرى؟

السؤال التاسع: لو غضبت على صديق لك، أو تشاجرت معه وكنت مخطئاً في حقّه، وواجهك بالمثل، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تعتذر منه وتعترف بخطئك؟

٢. تعتذر منه وتحاول تبرير خطئك؟

٣. تعتذر منه وتعاتبه؟

٤. تقاطعه مؤقتاً؟

٥. تقاطعه لفترة طويلة؟

السؤال العاشر: لو فقدت كتاباً من كتبك، أو آلة لعب ووجدتها عند صديق لك، فماذا تفعل؟ فهل:

١. تقول له: إنّ كتابي أو لعبتي قد اختلطت مع كتبك ولعبك بالاشتباه، ثمّ تستعيدها منه؟

٢. تعاتبه وتنصحه بعدم تكرار ذلك؟

٣. تستردّها دون علمه؟

٤. تتّهمه ثمّ تقاطعه؟

٥. تقاطعه؟.

النهي عن الممارسات السلبية

إنّ الأصل في المجتمع الإسلامي، هو أن يكون الحبّ والتآلف والتآزر والتعاون والاتحاد هي العلاقات الثابتة والمتجذّرة بين المسلمين، وأنْ يكون الخلاف أو التشتت أو التدابر والتباغض، هو الاستثناء الذي يجب أن يردّ إلى الأصل فور وقوعه.

وإنّ الأصل هو النظرة الإيجابية والعلاقات الإيجابية التي يشعر من خلالها المسلم، بأنّه جزء من المجتمع الكريم الذي يتعاون الجميع فيه من أجل تماسكه واتحاده، إمّا النظرة السلبية والعلاقات السلبية فهي التي يشعر المتبادلون من خلالها بأنّ الفواصل الجزئية بينهم كما لو كانت كلية، وبالتالي لا يصيرون فيها إلى اجتماع، ولا ينتهون إلى لقاء، حيث ينكمش الأفق الأرحب، وحينها يتحرّك كلّ فريق في دائرته الضيقة بعيداً عن التآلف والتآزر والإخاء والاتحاد.

ولهذا جاءت الإرشادات والتعاليم النبوية، لتحرّم الممارسات السلبية ابتداءً من النظرة المؤذية وانتهاءً بالاقتتال الداخلي؛ لأنّها القاعدة التي تستند عليها الفُرقة والتمزّق والتشتت.

قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظرة تؤذيه».[1]

فإذا كانت النظرة السلبية محرّمة، فإنّ غيرها من الممارسات ستكون أشدّ حرمة، كالاعتداء باللسان أو اليد على أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم.

وقد كرّر رسول الله ﷺ النهي عن هذه الممارسات في أكثر من موضع وواقعة، لما لها من تأثير سلبي على علاقات المودة والمحبة والإخوة، لأنّها تزيد من الفجوات والثغرات التي يتسرّب منها العداء والتمزّق والتشتت، وهي المرتع الخصب لأعداء

---

١. *المحجة البيضاء*: ٣٥٨/٣.

الإسلام ليدخلوا منها للتشكيك بالعقيدة والشريعة والثوابت الإسلامية، فنهى ﷺ عن هذه الممارسات، وعن هجران المسلم للمسلم، فقال:

لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.[١]

فقد حرّم ﷺ الهجران، ومنح الفرصة للمتهاجرين للعودة إلى الأصل، وهو الاجتماع واللقاء، والمبادرة إليهما بالبدء بالسلام، فقال:

لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.[٢]

والخطاب المتقدّم وإن كان وارداً في الأفراد إلّا أنّه يشمل وجودات وجماعات وكيانات وطوائف، فهو نهي لهم جميعاً عن ممارسة مثل هذه السلبيات، لأنّها توسّع من دائرة التنافر والتدابر، لأنّ كلّ جماعة وكلّ كيان وكلّ طائفة لها مصادر قوة من عدّة وعدد، فيتنافرون جميعاً.

ونهى رسول الله ﷺ عن إذلال الآخرين، فقال:

قال الله عزّ وجل قد نابذني من أذلّ عبدي المؤمن.[٣]

فالإذلال يخلق علاقات سلبية بين المسلمين، يزيد من تنافرهم وتدابرهم، وتكون ردود الأفعال متشنجة وصاخبة، فلا يبقى مجال للتآلف والتآزر والاتحاد، فبالإذلال ينتفي عنوان الأخوة، ويتحيّن من وقع عليه الإذلال الفرص للانتقام لنفسه.

ونهى رسول الله ﷺ عن جملة من الممارسات السلبية، فقال:

لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا

---

١. *صحيح مسلم*: ٥١٥/٢، كتاب البر والصلة، باب ٧، ح ٢٣.

٢. *المصدر*: ٥١٦/٢، كتاب البر والصلة، باب ٨ ح ٢٥.

٣. *الكافي*: ٣٥٢/٢.

يرهقه، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسْب إمرئ من الشر أن يحقّر أخاه المسلم، كلّ المسلم حرام: دمّه وماله وعرضه.[١]

فمثل هذه الممارسات تنعكس سلبياً على علاقات المحبّة والمودّة والإخوة لثقلها على المشاعر، وضغطها على النفوس، وتجعل المسلمين غير قادرين على التخلّي عن ردود الأفعال الصاخبة والمتشنّجة، فيتحركون بعقل مضطرب، وعاطفة مضطربة لا تزيدهم إلّا نفوراً وعداءً.

ونهى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن إحصاء عثرات الآخرين وزلأتهم، واعتبر هذا العمل أقرب إلى الكفر، فقال:

إنّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرّجلُ الرجلَ عل الدين، فيحصي عليه عثراته وزلاّته ليعنّفه بها يوماً ما.[٢]

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الغيبة والبهتان وإشاعة الفاحشة، وكلّ عمل أو موقف أو ممارسة تؤدي إلى خلق البلبلة والاضطراب داخل المجتمع الإسلامي.

قال صلى الله عليه وآله: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه».[٣]

وقال صلى الله عليه وآله: «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه».[٤]

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

من كفّ نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه غضبه يوم القيامة.[٥]

---

١. *صحيح مسلم*: ٥١٧/٢، كتاب البر والصلة، باب ١٠، ح ٣٢.

٢. *الكافي*: ٢٥٥/٢.

٣. *المصدر*: ٣٥٧/٢.

٤. *تحف العقول*: ٣٣.

٥. *المصدر*: ٢٩١.

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

من القوافر التي تقصم الظهر: جار إن رأى حسنة أطفأها، وإن رأى سيئة أفشاها.[١]

وتصبح هذه الممارسات أكثر خطورة حينما توجّه إلى الجماعات أو الكيانات القائمة، متجاوزة استهداف الأشخاص، حيث إنّ استهداف الجماعات من قبل أفراد أو جماعات مخالفة لها، يشغل المجتمع بذلك.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن النميمة، لأنّها تؤدي إلى الفرقة بين الوجودات والكيانات والأفراد، وبالتالي إلى تمزّق الوجود الإسلامي، فقال:

إنّ أحبّكم إلى الله الذين يؤلفون، ويألفون، وإنّ أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأخوان.[٢]

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ممارسة الظلم في التعامل مع الآخرين، بل دعى إلى ما يزيد من الألفة، فقال:

المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.[٣]

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أخطر الممارسات السلبية، وهي الاقتتال الداخلي، وعدّه من الكفر، لأنّه آخر مرحلة من مراحل الفرقة والتمزّق الفعلي، فإذا أريق الدم فلا يبقى أمل في التآزر والتعاون والتآلف والاتحاد.

عن جرير بن عبد الله قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حجة الوداع: لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضُكم رقابَ بعض.[٤]

---

١. *المصدر*: ٣٦٦.

٢. *المحجة البيضاء*: ٢٨٨/٣.

٣. *صحيح مسلم*: ٥٢٤/٢، كتاب البر والصلة، باب ٥، ح ٥٨.

٤. *سنن ابن ماجة*: ٨٩١، ح ٣٩٤٢.

حيث شدّد محذّراً من الاقتتال الداخلي، لأنّه الأخطر على وجود وكيان المسلمين، حيث يهدّده بالاضمحلال بل بالفناء، وخصوصاً إذا استمر لفترة طويلة، لأنّ القتل يتبعه القتل، فيتجذّر الحقد وتتجذّر الضغائن بين المسلمين، ويستثمر أعداء الإسلام هذه الثغرة العميقة فينفذون منها، ويعقدونها وينفخون في نارها، حتى تحرق جميع الروابط والعلاقات القائمة على أسس ومحاور مشتركة، وينفذون منها إلى الطعن في صحة الرسالة، وإلى بلبلة الأفكار وإشاعة الاضطراب في العقول والقلوب، فيتناسى المسلمون أعداد الإسلام، وينشغلون عن أهدافهم الكبرى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله، يدعو للوقاية من القتل، ليوجّه المسلمين إلى جسامة تأثيره على علاقات المحبّة والمودة والإخوة، فقد ورد عنه إنّه قال:

> إذا مرّ أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل، فليأخذ بنصالها، ثمّ ليأخذ بنصالها، ثمّ ليأخذ بنصالها.[1]

وعنه صلى الله عليه وآله:

> لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنّه لا يدري أحدكم لعلّ الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار.[2]

وعن جابر قال: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله نهى أن يتعاطى السيف مسلولاً».[3]

وفي مقام النهي عن الممارسات السلبية الواقعية، حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من جملة من الممارسات التي تعدّ بمثابة الوقاية لما لها من تأثير على حركة المحبّة والمودة، ولما لها من تأثير في إشاعة الفرقة بين المسلمين.

---

١. *صحيح مسلم*: ٥٣٨/٢، كتاب البر والصلة باب ٣٤، ح ١٢٣.
٢. *المصدر*: ٥٣٨/٢، كتاب البر والصلة باب ٣٥، ح ١٢٦.
٣. سنن *أبي داود*: ٤٨٣، كتاب الجهاد، ح ٢٥٨٨.

الحقوق الاجتماعية

مراعاة الحقوق الاجتماعية أحد أهم مصاديق المسؤولية الاجتماعية، وتتجسّد بمراعاة حقوق المكونات أو الوحدات الاجتماعية، وهي تفاعلٌ اجتماعي فعّال في داخل الأسرة وخارجها، حيث يبدأ من القريب فالأقرب، وهي نقطة البدء لإقامة مجتمع متماسك وموحّد، يتعاون فيه الجميع للوصول إلى التكامل الحقيقي بإشاعة روح المحبّة والمودّة في النفوس، والانطلاق نحو العمل الحركي بالتعاون والتكاتف والمؤازرة.

وتتمثل الحقوق الاجتماعية، بحقوق الوالدين، وصلة الأرحام، وحقوق بقيّة المكّونات الاجتماعية.

حقوق الوالدين

للوالدين دور أساسي في بناء الأسرة والحفاظ على كيانها ابتداءً وإدامة، وهما مسؤولان عن تنشئة الجيل طبقاً لموازين المنهج الإسلامي، لذا حدّد الإسلام أسس العلاقة بين الوالدين والأبناء، طبقاً للحقوق والواجبات المترتّبة على أفراد الأسرة اتّجاه بعضهم البعض، فقد قرن الله تعالى في كتابه الكريم وجوب برّ الوالدين والإحسان إليهما بوجوب عبادته، وحرّم جميع ألوان الإساءة إليهما صغيرها وكبيرها، فقال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾.[١]

وأمر بالإحسان إليهما، والرحمة بهما، والاستسلام لهما، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[٢]

وقرن الله تعالى الشكر لهما بالشكر له، فقال: ﴿... أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.[٣]

وأمر تعالى بصحبة الوالدين بالمعروف، فقال: ﴿...وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾.[٤]

وتجب طاعة الأبناء للوالدين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

...ووالديك فأطعهما وبرُّهما حيّين كانا أو ميتين، وان أمراك أنْ تخرج من أهلك ومالك فافعل، فان ذلك من الإيمان.[٥]

وقرن الإمام جعفر الصادق عليه السلام برَّ الوالدين بالصلاة والجهاد.

فعن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبرِّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ».[٦]

ومن حقوق الوالد على ولده، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسبّ له.[٧]

ومعنى (لا يستسب له) أي لا يفعل ما يصير سبباً لسبّ الناس له.

وقدّم رسول الله برّ الوالدة على برّ الوالد؛ لأنّها أكثر منه في تحمّل العناء من أجل الأولاد في الحمل والولادة والرضاع.

---

١. الإسراء: ٢٣.

٢. الإسراء: ٢٤.

٣. لقمان: ١٤.

٤. لقمان: ١٥.

٥. *الكافي*: ١٨٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين.

٦. *المصدر*: ١٥٨، ح ٤.

٧. *المصدر*: ١٥٩، ح ٥.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال:

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟ قال أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أمّك، قال ثمّ من: قال أباك.[١]

وكانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله قائمة على تكريم من يبرّ والديه، فقد أتته أخته من الرضاعة، فلمّا نظر إليها سُرّ بها، وبَسَطَ ملحفته لها فأجلسها عليها، ثمّ أقبل يحدّثها ويضحك في وجهها، ثمّ قامت وذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال صلى الله عليه وآله: «لأنّها كانت أبرّ بوالديها منه».[٢]

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله طاعة الوالدين على الجهاد، ففي رواية جاءه رجل، وقال: يا رسول الله، إنّ لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي، ويكرهان خروجي؟ فقال صلى الله عليه وآله:

فقرّ مع والديك، فو الذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً ما وليلة، خير من جهاد سنة.[٣]

وورد في الحديث أنّه يجب برّ الوالدين وإن كان كانا فاجرين.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

ثلاث لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهنّ رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين.[٤]

وفي الآية المتقدّمة ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾ قال الإمام الصادق عليه السلام:

لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة، ولا ترفع صوتُك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما.[٥]

وبرّ الوالدين لا يقتصر على حال حياتهما، بل يشملهما حال الحياة والممات.

---

١. *المصدر*: ١٥٩ ـ ١٦٠، ح ٩.

٢. *المصدر*: ١٦١، ح ١٢.

٣. *المصدر*: ١٦٠، ح ١٠.

٤. *المصدر*: ١٦٢، ح ١٥.

٥. *المصدر*: ١٥٨، ح ١.

قال الإمام الصادقعليه السلام:

ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين أو ميّتين، يصلّي عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله عزّ وجلّ ببرّه وصلته خيراً كثيراً.[١]

ويجب على الولد الأكبر أن يقضي عن والده ما فاته من صلاة وصوم،[٢] أما بقيّة الأولاد فلا يجب عليهما القضاء عن والدهم، بل يستحبّ للرواية المتقدّمة.

وحرّم الإسلام عقوق الوالدين بجميع ألوانه ومراتبه، قال أمير المؤمنينعليه السلام: «من أحزن والديه فقد عقّهما».[٣]

وعن الإمام جعفر الصادقعليه السلام قال:

أدنى العقوق أفّ، ولو علم الله عزّ وجلّ شيئاً أهون منه لنهى عنه.[٤]

وقالعليه السلام: «...ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما».[٥]

وقالعليه السلام: «من نظر إلى أبويه نظر ماقتٍ وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة».[٦]

وعقوق الوالدين من الكبائر التي تستلزم دخول النار، قال الإمام الصادقعليه السلام:

عقوق الوالدين من الكبائر، لأنّ الله عزّ وجلّ جعل العاق عصيّاً شقيّاً.[٧]

ولا يقتصر وجوب البرّ وحرمة العقوق على الجوانب المعنوية والروحية، بل يتعداها إلى الجوانب المادية، فتجب النفقة عليهما إن كانا معسرين.[٨]

---

١. *المصدر*: ١٥٩، ح ٧.

٢. *منهاج الصالحين، العبادات*: ٢٤٨ ـ ٣٣٨.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٢/٧٤، كتاب العشرة، باب بر الوالدين، ح ٥٣.

٤. *الكافي*: ٣٤٨/٢، كتاب الإيمان الكفر، باب العقوق.

٥. *المصدر*: ٣٤٩.

٦. *المصدر*.

٧. *بحار الأنوار*: ٧٤/٧٤.

٨. *الوسيلة الى نيل الفضيلة*: ٢٨٦.

وتجب رعاية الوالدين رعاية صحيّة، عن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة؟ فقال عليه السلام:

إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقّمه بيدك، فإنه جُنة لك غداً.[1]

وخلاصة القول: يجب طاعة الوالدين في جميع ما يأمرون به عدا المعصية، أو ما يترتب عليه مفسدة فلا تجب طاعتهما.

ومع جميع الظروف يجب على الأبناء إحراز رضا الوالدين بأيّ أسلوب شرعي إن أمكن، لأنّ رضاهما مقروناً برضى الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

رضا الله مع رضى الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين.[2]

وبرّ الوالدين بطاعتهما والإحسان إليهما، كفيل بإشاعة الودّ والحبّ والوئام في أجواء الأسرة، وبالتالي إلى تحكيم بنائها، وإنهاء جميع عوامل الاضطراب والتخلخل الطارئ عليها، ولا يتحقّق ذلك إلّا بالالتزام بالحقوق والواجبات المترتّبة على أفرادها.

صلة الأرحام

من السنن الإلهية الثابتة: أنّ الإنسان يميل إلى أرحامه وأقربائه، وهي ظاهرة فطرية مودوعة في النفس الإنسانية وسنّة ثابتة.

فالحبّ المودع في القلب، هو العلقة الروحية المهيمنة على علاقات الإنسان بأقربائه، وهو يتفاوت تبعاً للقرب والبعد النسبي إلّا أنّه لا يتخلّف بالكليّة.

ولقد راعى الإسلام هذه الرابطة، ودعا إلى تعميقها في الواقع، وتحويلها إلى مَعلَم منظور وظاهرة واقعية تترّجم فيه الرابطة الروحية إلى حركة سلوكية وعمل ميداني.

---

١. *الكافي*: ١٦٢/٢.

٢. *بحار الأنوار*: ٨٠/٧٤.

فانظر كيف قرن تعالى بين التقوى وصلة الأرحام، فقال: ﴿...وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1]

وذكر صلة القربى في سياق أوامره بالعدل والإحسان، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[2]

وبالإضافة إلى الصلة الروحية دعا إلى الصلة المادية، وجعلها مصداقاً للبرّ، فقال تعالى: ﴿...وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ... آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[3]

وجعل قطيعة الرحم، سبباً للّعنة الإلهية فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.[4]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام إلى صلة الأرحام في جميع الأحوال، وأنّ تقابل القطيعة بالصلة حفاظاً على الأواصر والعلاقات، وترسيخاً لمبادئ الحبّ والتعاون والوئام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل مَن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها.[5]

وقال أبو ذر الغفاري: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أصل رحمي وإن أدبرت.[6]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صلوا أرحامكم وإن قطعوكم».[7]

---

١. النساء: ١.

٢. النحل: ٩٠.

٣. البقرة: ١٧٧.

٤. محمد: ٢٢ ـ ٢٣.

٥. *جامع الأخبار*: ٢٨٧.

٦. *الخصال*: ٣٤٥/٢.

٧. *بحار الأنوار*: ٩٢/٧٤.

ومما جاء في فضل صلة الأرحام في الحديث الشريف، أنّها خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة، وأنها أعجل الخير ثواباً، وأنها أحبّ الخطى التي تقرّب العبد إلى الله زلفى، وتزيد في إيمانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ من عفا عمن ظلمه، ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه.[١]

وقال صلى الله عليه وآله: «أعجل الخير ثواباً صلة الرحم، وأسرع الشرّ عقاباً البغي».[٢]

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

ما من خطوة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من خطوتين: خطوة يسدّ بها المؤمن صفّاً في سبيل الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع.[٣]

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «صلة الأرحام وحسن الخلق زيادة في الإيمان».[٤]

ولقد رتّب الإمام علي بن الحسين عليه السلام حقوق الأرحام، تبعاً لدرجات القرب النسبي، فيجب صلة الأقرب فالأقرب، فقال:

وحقوق رحمك كثيرة متّصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حقّ أمّك، ثمّ حق أبيك، ثمّ حقّ ولدك، ثمّ حقّ أخيك، ثمّ الأقرب فالأقرب، والأوّل فالأوّل.[٥]

وتتجلّى مظاهر الصلة بالاحترام والتقدير والزيارات المستمرة، وتفقّد أوضاعهم الروحية والمادية، وتوفير مستلزمات العيش الكريم لهم، وكفّ الأذى عنهم.

ولقد دعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى تفقّد أحوال الأرحام المادية وإشباعها، فقال:

---

١. *جامع الأخبار*: ٢٨٧.

٢. *المصدر*: ٢٩٠.

٣. *الخصال*: ٥٠/١، ح ٦٠.

٤. *جامع الأخبار*: ٢٩٠.

٥. *تحف العقول*: ١٨٣.

ألا لا يعدلَنّ أحدُكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدّها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تُقبض منه عنهم يَدٌ واحدة، وتقبضُ منهم عنه أيدٍ كثيرةٌ، ومن تَلن حاشيته يستدم من قومه المودة.[١]

وأدنى الصلة هي الصلة بالسلام، قال رسول‌ﷺ: «صلوا أرحاكم ولو بالسلام».[٢]

وأدنى أنواع الصلة المادية هي الإسقاء، قال الإمام جعفر الصادق‌عليه السلام: «صل رحمك ولو بشربة ماء...».[٣]

ومن مصاديق صلة الأرحام كفّ الأذى عنهم، قال الإمام جعفر الصادق‌عليه السلام:

عظّموا كباركم، وصلوا أرحامكم، وليس تصلونهم بشيء أفضل من كفّ الأذى عنهم.[٤]

قطيعة الأرحام في الأحاديث الشريفة

الإسلام دين التآزر والتعاون والوئام، لذا حرّم جميع الممارسات التي تؤدّي إلى التقاطع والتدابر، لأنّها تؤدي إلى تفكيك أواصر المجتمع، وخلخلة صفوفه، فحرّم قطيعة الرحم، وجعلها موجبة لدخول النار والحرمان من الجنة.

قال رسول الله‌ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، مدمن سحر، وقاطع رحم».[٥]

وقال‌ﷺ: «اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة: قاطع رحم، وجار السوء».[٦]

وقطيعة الرحم موجبة للحرمان من البركات الإلهية، كنزول الملائكة وقبول الأعمال.

قال رسول الله‌ﷺ: «إنّ الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».[٧]

---

١. *نهج البلاغة*: ٦٥، الخطبة: ٢٣، تحقيق صبحي الصالح.

٢. *تحف العقول*: ٤٠.

٣. *بحار الأنوار*: ٨٨/٧٤.

٤. *الكافي*: ١٦٥/٢.

٥. *الخصال*: ١٧٩/١، ح ٢٤٣.

٦. *كنز العمال*: ٣٦٧/٣، ح ٦٩٧٥.

٧. *المصدر*: ٣٦٧/٣، ح ٦٩٧٤.

وقالﷺ: «إن أعمال بني آدم تُعرض كلّ عشية خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم».[١]

وقطيعة الرحم من الذنوب التي تعجّل الفناء، قال الإمام الصادقعليه السلام: «الذنوب التي تعجّل الفناء قطيعة الرحم».[٢]

وكان رسول اللهﷺ يتخوّف على المسلمين من قطيعتهم لأرحامهم، وكان يقول: «إني أخاف عليكم استخفافاً بالدين، ومنع الحكم، وقطيعة، الرحم، وأن تتخذوا القرآن مزامير، تقدّمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين».[٣]

ومقابلة القطيعة بالقطيعة، ظاهرة سلبية في العلاقات، وهي موجبة لعدم رضا الله تعالى عن الجميع، ففي رواية، أنّ رجلاً أتى رسول اللهﷺ فقال:

يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلّا توثّباً عليَّ، وقطيعةً لي وشتيمة، فأرفضهم؟ قالﷺ: «إذن يرفضكم الله جميعاً» قال: كيف أصنع؟ قالﷺ: «تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك، كان لك من الله عليهم ظهير».[٤]

الآثار الروحية والمادية لصلة الأرحام وقطيعتها

لصلة الأرحام آثار إيجابية في الحياة الإنسانية بجميع مقوماتها الروحية والخلقية والمادية.

قال الإمام محمد الباقرعليه السلام:

صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتنمّي الأموال، وتدفع البلوى، وتيّسر الحساب، وتنسئ في الأجل.[٥]

---

١. *المصدر*: ٣٧٠/٣، ح ٦٩٩١.

٢. *بحار الأنوار*: ٩٤/٧٤.

٣. *عيون أخبار الرضا*: ٤٢/٢.

٤. *الكافي*: ١٥٠/٢.

٥. *المصدر*.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

صلة الأرحام تحسّن الخُلُق، وتسمّح الكف، وتطيّب النفس، وتزيد الرزق، وتنسئ في الأجل».[١]

وصلة الرحم تزيد في العمر، وقد دلت الروايات على ذلك، وأثبتت التجارب الاجتماعية ذلك من خلال دراسة الواقع.

فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «ما تعلم شيئاً يزيد في العمر إلّا صلة الرحم، حتى إنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيده الله في عمره ثلاثين سنة، يجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين».[٢]

والواصل لأرحامه يكون محل احترام وتقدير من قبلهم، ومن قبل المجتمع، وهو اقدر من غيره على التعايش مع سائر الناس، لقدرته على إقامة العلاقات الحسنة، ويمكنه أن يؤدي دوره الاجتماعي على أحسن وجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء مسؤوليته في البناء المدني والحضاري، باعتباره عنصراً مرغوباً فيه، وبعكسه القاطع لرحمه، فإنّه يفقد تأثيره في المجتمع، لعدم الوثوق بنواياه وممارساته العملية.

حقوق الجيران

لرابطة الجوار دور كبير في حركة المجتمع التكاملية، فهي تأتي في المرتبة الثانية من بعد رابطة الأرحام، إذ للجوار تأثير متبادل على سير الأسرة، فهو المحيط الاجتماعي المصغّر الذي تعيش فيه الأسرة وتنعكس عليها مظاهره وممارساته التربوية والسلوكية، ولهذا نجد أنّ المنهج الإسلامي أبدى فيه عناية خاصة، فقد قرن القرآن

---

١. *المصدر*: ١٥١.

٢. *المصدر*: ١٥٢ ـ ١٥٣.

الكريم عبادة الله تعالى والإحسان إلى الوالدين، والأرحام بالإحسان إلى الجار، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ...﴾.[1]

فقد رسم القرآن الكريم منهجاً موضوعياً في العلاقات الاجتماعية، يجمعه الإحسان إلى أفراد المجتمع وخصوصاً المرتبطين برابطة الجوار.

وحقّ الجوار لا ينظر فيه إلى الانتماء العقائدي والمذهبي، بل هو شامل لمطلق الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة، ومنهم من له حقّان: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار، ومنهم من له حقّ واحد: الكافر له حقّ الجوار».[2]

الوصايا الشريفة

أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بمراعاة حق الجوار، والسعي إلى تحقيقه في الواقع، وركّز على ذلك باعتباره من وصايا الله تعالى له، قال صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».[3]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

والله الله في جيرانكم، فإنّهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظنّنا أنّه سيورثهم.[4]

وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل المدينة: «إن الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه».[5]

---

١. النساء: ٣٦.

٢. *جامع السعادات*: ٢٦٧/٢.

٣. *بحار الأنوار*: ٩٤/٧٤.

٤. *نهج البلاغة*: ٤٢٢، كتاب: ٤٧.

٥. *الكافي*: ٦٦٦/٢.

وقد جعل رسول الله ﷺ إكرام الجار من علامات الإيمان، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».[١]

واستعاذ ﷺ من جار السوء الذي أطبقت الأنانية على مشاعره ومواقفه فقال:

أعوذ بالله من جار السوء في دار إقامة، تراك عيناه ويرعاك قلبه، إن رآك بخير ساءه، وإن رآك بشر سرّه.[٢]

حسن الجوار

إنّ حسن الجوار من الأوامر الإلهية، كما قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «عليكم بحسن الجوار، فإن الله عزَّ وجلَّ أمر بذلك».[٣]

وحسن الجوار ليس كف الأذى فحسب، وإنّما هو الصبر على الأذى من أجل إدامة العلاقات، وعدم حدوث القطيعة.

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «ليس الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى».[٤]

ودعا ﷺ إلى تفقد أحوال الجيران وتفقد حاجاتهم، فقال: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع».[٥]

وحثّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام على حسن الجوار لما فيه من تأثيرات إيجابية واقعية تعود بالنفع على المحسن لجاره، فقال: «حسن الجوار يعمّر الديار، ويزيد في الأعمار».[٦]

---

١. *المحجة البيضاء*: ٣/٤٢٣.

٢. *الكافي*: ٢/٦٦٩.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٤/١٥٠.

٤. *تحف العقول*: ٣٠٦.

٥. *جامع السعادات*: ٢/٢٦٨.

٦. *الكافي*: ٢/٦٦٧.

وقد أمرﷺ علياًعليه السلام وسلمان وأبا ذر والمقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم، بأنّه «لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه»، فنادوا بها ثلاثاً، ثم أومأ بيده إلى كلّ أربعين داراً من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله.[١]

والاعتداء على الجار، موجب للحرمان من الجنة، كما ورد عن رسول اللهﷺ أنه قال:

من كان مؤذياً لجاره من غير حقّ، حرمه الله ريح الجنة، ومأواه النار، ألا وإن الله عزّ وجلّ يسأل الرجل عن حقّ جاره، ومن ضيّع حقّ جاره فليس منّا.[٢]

ومن يطلع على بيت جاره ويطلب عوراته يحشر مع المنافقين يوم القيامة قال رسول اللهﷺ:

ومن أطلع في بيت جاره، فنظر إلى عورة رجل، أو شعر إمرأة، أو شيء من جسدها، كان حقّاً على الله أنْ يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات الناس في الدنيا، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله، ويبدي عورته للناس في الآخرة.[٣]

ويحرّم الاعتداء على ممتلكات الجار، ومن اعتدى فالنار مصيره، قالﷺ:

ومن خان جاره شبراً من الأرض، طوّقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين ناراً حتى يدخله نار جهنم.[٤]

وأمرﷺ بالتكافل الاجتماعي، والنظر إلى حوائج الجار والعمل على إشباعها فقالﷺ:

ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه، منعه الله فضله يوم القيامة، ووكَلَه إلى نفسه، ومن وكَلَه الله إلى نفسه هلك، ولا يقبل الله عزّ وجلّ له عذراً.[٥]

---

١. *المصدر*: ٦٦٦/٢.

٢. *بحار الأنوار*: ٣٦٢/٧٦.

٣. *المصدر*: ٣٦١/٧٦.

٤. *المصدر*.

٥. *المصدر*: ٣٦٣/٧٦.

حقّ الجار في رسالة الحقوق

وضع الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق منهجاً شاملاً للتعامل مع الجيران، متكاملاً في أسسه وقواعده، مؤكداً فيه على تعميق أواصر الإخوة، مجسّداً فيه السير طبقاً لمكارم الأخلاق، التي بعث رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل إتمامها، فقال عليه السلام:

وأمّا حقّ الجار فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً، ونصرته ومعونته في الحالين معاً، لا تتّبع له عورة، ولا تبحث عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلّف، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنة عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه.

لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلّمه عند شديدة ولا تحسده عند نعمة.

تقبل عثرته، وتغفر زلّته، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له ترد عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النميمة، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة إلّا بالله.[1]

١. *تحف العقول*: ١٩١.

حقوق المجتمع

الإسلام ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية، يتحوّل فيها الاعتقاد والإيمان إلى ممارسة سلوكية في جميع جوانب الحياة، لتقوم العلاقات على التراحم والتكافل والتناصح، فتكون الأمانة والسماحة والمودة والاحسان والعدل والنخوة، هي القاعدة الأساسية التي تنبثق منها العلاقات الاجتماعية.

وقد جعل الإسلام كلّ مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي البنّاء من موقعه، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».[1]

ودعا ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، فقال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».[2]

ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق والاندكاك بجماعة المسلمين فقال:

من فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.[3]

---

١. *جامع الأخبار*: ٣٢٧.

٢. *الكافي*: ١٦٣/٢.

٣. *الكافي*: ٤٠٥/١.

وقال صلى الله عليه وآله:

مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر.[١]

وأمر الإمام الصادق عليه السلام بالتواصل والتراحم والتعاطف بين المسلمين، وذلك هو أساس العلاقات بينهم، فقال: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا».[٢]

ودعا الإمام علي عليه السلام إلى استخدام الأساليب المؤدية إلى الألفة والمحبّة، ونبذ الأساليب المؤدية إلى التقاطع والتباغض، فقال: «لا تبغضوا ولا تُبغضوا، افشوا السلام وأطيبوا الكلام».[٣]

والأسرة بجميع أفرادها مسؤولة عن تعميق أواصر الودّ والمحبّة والوئام مع المجتمع الذي تعيش فيه، ولا يتحقق ذلك إلّا بالمداومة على حسن الخلق والمعاشرة الحسنة، وممارسة أعمال الخير والصلاح، وتجنب جميع ألوان الإساءة والاعتداء في القول والفعل.

ولذا وضع الإسلام منهجاً متكاملاً في العلاقات قائماً على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع فرداً فرداً وجماعة جماعة، وتتمثل هذه الحقوق العامة في:

حقّ الاعتقاد، وحقّ التفكير وإبداء الرأي، وحقّ الحياة، وحقّ الكرامة، وحقّ الأمن، وحقّ المساواة، وحقّ التملّك، وتنطلق بقية الحقوق من هذه القواعد الكلية؛ لتكون مصداقاً لها في الواقع العملي.

والالتزام بالأوامر الإلهية كفيل بإحقاق حقوق المجتمع، ومن الأوامر الإلهية الجامعة لجميع الحقوق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[٤]

---

١. *المحجة البيضاء*: ٣٥٧/٣.

٢. *الكافي*: ١٧٥/٥.

٣. *تحف العقول*: ١٤٠.

٤. النحل: ٩٠.

فالتقيّد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان من التقصير في حقوق المجتمع، ويدفعه للعمل الجادّ الدؤوب لتحقيق حقوق الآخرين، وأداء مسؤوليته على أحسن وجه أراده الله تعالى منه.

حقوق المجتمع في القرآن الكريم

القرآن الكريم دستور البشرية الخالد، يمتاز بالشمول والإحاطة الكاملة، بجميع شؤون الحياة، وقد وضع أسساً في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكلّ طرف حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق، وإشاعة الود والحبّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني.

وفيما يلي نستعرض جملة من حقوق المجتمع على الفرد والأسرة، وهي الخليّة الاجتماعية الأولى، وأهم تلك الحقوق هو التعاون على البرّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان قال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾.[1]

وأمر القرآن الكريم بالاحسان إلى أفراد المجتمع: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.[2]

وأقرّ القرآن حق النصرة: ﴿...وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...﴾.[3]

وأمر بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...﴾.[4]

وأمر بالسعي للإصلاح بين المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[5]

---

١. المائدة: ٢.

٢. النساء: ٣٦.

٣. الأنفال: ٧٢.

٤. آل عمران: ١٠٣.

٥. الحجرات: ١٠.

وأمر بالعفو والمسامحة: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.[١]

وأمر بالوفاء بالعقود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ...﴾.[٢]

وأمر بأداء الأمانة: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾.[٣]

وأمر بأداء حقِّ الفقراء والمساكين، وابن السبيل، وعدم تبديد الثروة بالتبذير والإسراف: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.[٤]

وقال أيضاً: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.[٥]

ومن أجل إشاعة مكارم الأخلاق، والسير على النهج القويم، أمر القرآن بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر: ﴿...وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[٦]

ومن حقوق المجتمع على الفرد أنْ يقوم بواجب الإصلاح والتغيير للحفاظ على سلامة المجتمع من الانحراف العقائدي والاجتماعي والأخلاقي، وأن يقابل الإساءة والمصائب التي تواجهه بصبر وثبات، فمن وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.[٧]

ونهى القرآن الكريم عن الاعتداء على الآخرين، بالظلم والقتل وغصب الأموال والممتلكات والاعتداء على الأعراض: ﴿...وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[٨]

وحرّم الدخول إلى بيوت الآخرين دون إذن منهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا

---

١. الأعراف: ١٩٩.

٢. المائدة: ١.

٣. النساء: ٥٨.

٤. الإسراء: ٢٦.

٥. الذاريات: ١٩.

٦. العصر: ٣.

٧. لقمان: ١٧.

٨ البقرة: ١٩٠.

بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا...﴾.[١]

ونهى عن بخس الناس حقوقهم: ﴿...وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ...﴾.[٢]

وحرّم التعامل الجاف مع الآخرين: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾.[٣]

وحرّم جميع الممارسات التي تؤدي إلى قطع الأواصر الاجتماعية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ...﴾.[٤]

وحرّم الظن الآثم، والتجسس على الناس واغتيابهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا...﴾.[٥]

وحرّم إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...﴾.[٦]

وحرّم ارتكاب الفواحش الظاهرية والباطنية: ﴿...وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾.[٧]

وهكذا يوفر القرآن في هذه اللائحة الطويلة والعريضة، ما يضمن توفير الحصانة للمجتمع البشري، وهو يضع النظام الدقيق والشامل، من أحكام وقيم أخلاقية، ليكون الأمان والتآلف والتعايش والتكافل، معالم أصيلة في الحياة الاجتماعية.

ثمّ تأتي السنّة الشريفة متمّمة لهذا المنهاج ومفصّلة له:

---

١. النور: ٢٧.

٢. هود: ٨٥

٣. لقمان: ١٨.

٤. الحجرات: ١١.

٥. الحجرات: ١٢.

٦. النور: ١٩.

٧. الأنعام: ١٥١.

حقوق المجتمع في الأحاديث الشريفة

أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على التآزر والتعاون والتواصل والتحابب ليكون الودّ والوئام والسلام، هو الحاكم في العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع وبين الأفراد أنفسهم، فلا يطغى حقّ الفرد على حقّ المجتمع، ولا حقّ المجتمع على الفرد، ونهوا عن تبادل النظرة السلبية كحدّ أدنى في الحقوق المترتبة على الفرد اتجاه المجتمع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحلّ لمسلمٍ أن ينظر إلى أخيه بنظرة تؤذيه».[١]

وعدم جواز النظرة السلبية. يعني عدم جواز سائر مظاهر الأذى ومصاديقه في القول وفي الممارسة العملية، فلا تجوز الغيبة ولا البهتان ولا الاعتداء على أموال الآخرين وأعراضهم وأرواحهم، بل يجب صيانة حرماتهم بجميع مظاهرها.

وحثّ رسول الله صلى الله عليه وآله على مداراة الآخرين والرفق بهم، والالتزام بهذه التوصيات من شأنه أن يؤدي إلى مراعاة جميع الحقوق الاجتماعية لانبثاقها منها وتفرّعها عليها، قال صلى الله عليه وآله:

مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش.[٢]

ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى والواقعة في أفق مراعاة الحقوق الاجتماعية هي: دخال السرور على المؤمنين، قال صلى الله عليه وآله: «إنّ أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمنين».[٣]

وإدخال السرور يتحقّق بإسماعهم الكلمة الطيبة والقول الجميل، واحترامهم، والتعاون في حلّ مشاكلهم، ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، وأفراحهم وأحزانهم، والدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ورفع الأذى عنهم، ونصرتهم للقيام بمواجهة أعباء الحياة.

---

١. *المحجة البيضاء*: ٣٥٩/٣.

٢. *الكافي*: ١١٧/٢.

٣. *المصدر*: ١٨٩.

وحدّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سبعة من الحقوق تكون مصداقاً لإدخال السرور على المؤمنين من أفراد المجتمع الكبير.

عن معلّى بن خنيس، عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال له:

سبع حقوق واجبات، ما منهنّ حقّ إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب...

أيسر حقّ منها: أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

ومنها: أن تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، ولا تَلبَس ويَعرى.

ومنها: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك، وصلتَ ولايتَك بولايته، وولايته بولايتك.[١]

وفي رواية أخرى ذكر عليه السلام جملة من الحقوق فقال:

إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن: المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات، الزيارة في قبره، وأنْ لا يظلمه، وأن لا يغشّه، وأن لا يخونه، وأنْ لا يخذله، وأنْ لا يكذب عليه، وأنْ لا يقول له أف... .[٢]

ومن الحقوق أن يناصح المؤمن غيره من المؤمنين، قال الإمام الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن أنْ يناصحه».[٣]

ومن الحقوق: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وحسن الخلق، والقرب من الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خُلقاً، وأقربُكم من الناس.[٤]

---

١. *المصدر*: ١٦٩.

٢. *المصدر*: ١٧١.

٣. *المصدر*: ٢٠٨.

٤. *تحف العقول*: ٣٢.

ومن الحقوق تحكيم الأواصر المشتركة في العلاقات، والتعامل من خلال الأفق الواسع الذي يجمع الجميع في أُطر ونقاط مشتركة، ونبذ جميع الأواصر الضيّقة، فحرّم الإسلام التعصب للعشيرة أو القومية، ودعا إلى إزالة جميع المظاهر التي تؤدي إلى التعصّب المقيت، قال رسول الله ﷺ:

ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية.[1]

ومن أهم الحقوق إصلاح ذات البين؛ لأنّه يؤدي إلى علاج كثير من الممارسات السلبية التي تفكّك أواصر الإخاء، وتستأصل الوئام في أجوائه، لذا قال ﷺ: «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».[2]

حقوق المجتمع في رسالة الحقوق

وضع الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق منهجاً متكاملاً في خصوص الحقوق الاجتماعية المترتّبة على الفرد باعتباره جزءاً من الأسرة ومن المجتمع، ومما ورد في قوله عليه السلام:

وأما حقّ أهل ملتك عامة: فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة، والرفق بمسيئهم، وتألّفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك، فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه وكفاك مئونته، وحبس عنك نفسه، فعمهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك.

وأنزلهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهده بلطف ورحمة، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه.

---

١. *كنز العمال*: ٣/٥١٠، ح ٧٦٥٧.

٢. *ثواب الأعمال*: ١٧٨.

وأما حقّ أهل الذمة، فالحكم فيهم، أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم، وأجيروا عليه، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين من ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله حائل، فإنّه بلغنا أنّه قال: من ظلم معاهداً كنت خصمه.[١]

الآثار الإيجابية لمراعاة حقوق المجتمع

فيما يلي نستعرض بعض الروايات التي وردت في ثواب من راعى حقوق أفراد المجتمع.

قال رسول الله ﷺ: «من ردّ عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة البتة».[٢]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

من كفّ عن أعراض الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة، ومن كفّ غضبه عن الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة.[٣]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

أربع من كنّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه.[٤]

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر.[٥]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

البرّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء.[٦]

---

١. *تحف العقول*: ١٩٥ ـ ١٩٦.

٢. *ثواب الأعمال*: ١٧٥.

٣. *المصدر*: ١٦١.

٤. *المصدر*: ١٦١.

٥. *المصدر*: ١٦٤.

٦. *المصدر*: ١٦٩.

ولمراعاة الحقوق الاجتماعية مزيد من الآثار الإيجابية التي تنعكس على الفرد والأسرة والمجتمع في دار الدنيا والأخرة.

وردت في كتب الحديث، سيّما في كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق، لا مجال لذكرها جميعاً في هذا المختصر.

وينبغي الاهتمام بهذه الإرشادات الدينية والترويج لها في محيطنا الاجتماعي، لكي يترعرع الطفل في ظل التراحم والتناصح والشعور بالمسؤولية والقيام بأعبائها، وهي أفضل وأسهل إرشادات يتفاعل معها كلّ من يجد نفسه مسؤولاً عن إعداد الجيل الناشئ، وأودّ أن أشير إلى أهميّة تعاليم وإرشادات الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالته المسماة رسالة الحقوق، فهي منهج متكامل وشامل لجميع الحقوق وأهمها: حقّ الله، وحقّ النفس، وحقّ الوالدين، وحقّ الأرحام، وحقّ المجتمع، ومن كل حقّ تتفرع حقوق أخرى، واقترح على من يكتب في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع؛ أن يراجع هذه الرسالة ويستوحي من إرشاداتها منهجاً في تحديد قواعد وأسس ومظاهر وأركان المسؤولية الاجتماعية، وما أحوجنا جميعاً إلى تلقّي مثل هذه الإرشادات والتوجيهات، ومن ثمّ تقريرها في واقعنا التربوي والاجتماعي، لتكون منهجاً تربوياً لإعداد الأطفال والمراهقين نفسياً واجتماعياً.

القسم السابع

النمو الأخلاقي

أهميّة الأخلاق

الأخلاق هي الغاية التي تتوخّاها جميع الديانات والمذاهب الفكرية، فقد جاءت من أجل هداية الإنسان وتحريره من جميع ألوان الانحراف في فكره وسلوكه، وتحريره من الانسياق اللّامحدود وراء الشهوات والمطامع، وتحرير سلوكه من الرذيلة والانحطاط، وتكفّلت الرسالة الإسلامية مسؤولية تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، لينسجم مع المنهج الصالح؛ بتهيئة العقول والقلوب للتلّقي والاستجابة لقواعده وأسسه، ثمّ استتباعها بالعمل الإيجابي، الذي يترجم المفاهيم والآراء والنصوص إلى مشاعر وعواطف وأعمال وممارسات وعلاقات متجسّدة في الواقع؛ يكون الحسن والصلاح حاكماً عليها ومتحكّماً فيها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».[1]

فقد جعل صلى الله عليه وآله غاية بعثته إتمام مكارم الأخلاق، فكلّ ما جاء به من عقائد وأفكار ومن مفاهيم وإرشادات وتعاليم، يقع مقدمة للغاية النهائية وهي إتمام مكارم الأخلاق.

ولأهمية الأخلاق الحسنة جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله نصفَ الدين، وبرّز دورها الأكبر في التقييم والتقديم والتفاضل، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال:

---

١. *كنز العمال*: ١٦/٣.

«حسن الخلق نصف الدين».
«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً».
«أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقاً».
«أول ما يوضع في الميزان الخُلق الحسن».[١]

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

ما استوى رجلان في حسب ودين قط، إلّا كان أفضلهما عند الله آد بهما.[٢]

والشعور الخلقي في الإنسان:

شعور فطري، فطره عليه الخالق تعالى، فيحمله على حبّ بعض صفات الإنسان وكراهة أخرى، وهو وإن كان متفاوتاً وعلى أقدار متنوّعة في مختلف أفراد البشر، إلّا أنّ الشعور العام ـ بقطع النظر عن الأفراد ـ لا يزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحُسن وعلى بعضها بالقُبح في كل زمان، فالصدق والأمانة والعدالة والوفاء بالعهد مثلاً، كلّ ذلك ممّا عدّته الإنسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح في كلّ دور من الأدوار، ولم يأت على الإنسانية حين من الدهر استحسنت فيه الكذب والظلم والغدر والخيانة، وهكذا أمر المساواة والتراحم والسخاء وسعة الصدر والتسامح.[٣]

والنفس الإنسانية:

مجبولة على فعل الخير... إذ الميل إلى الخير مما أودع في طبع الإنسان، ولا يحتاج إلى مشقّة في فعله... وأمّا الشرّ فإنّه يعرض للنفس لأسباب ليست من طبيعتها، ولا مقتضى فطرتها، ولا يخفى عليها إذ ذاك أنّها ممقوتة في نظر الناس، وأنّها مهينة في قرارة نفوسهم.

فالطفل ينشأ على الصدق حتى يسمع الكذب من الناس فيتعلمه وهو يشعر بقبحه، وهكذا شأنه عند اجتراح كل شرّ، فتراه يشعر بقبحه، ويجد بين جوانحه وازعاً يقول له: لا تفعل، ويحاسبه بعد الفعل ويوبخه.[٤]

---

١. *المصدر*: ٧ و ٣ و ٢.

٢. مختصر *تاريخ دمشق*: ٨٥/٢٣.

٣. *نظام الحياة في الإسلام*: ٥ ـ ٦.

٤. تفسير *المراغي*: ٨٦/٣.

ومن هنا فحسن الخلق هو الأصل في النفس الإنسانية، وسوء الخلق هو الاستثناء الطارئ، وعلى أساس هذه القاعدة، فإنّ للبيئة الفكرية والاجتماعية الدور الأساسي في تنشئة الأطفال وإعدادهم، ليكونوا صلحاء أو طلحاء، ولفطرية حُسن الخُلق، يبقى الطفل في دائرة الصلاح، وإنْ انحرف عنها في بعض مقاطع حياته، حيث يمكن إرجاعه إلى الأصل قبل استشراء وتأصّل الانحراف.

قال الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام:

...وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبُك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته.[١]

وممّا ينسب إليه عليه السلام:

حرّض بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرّ بهم عيناك في الكبر

وإنّما مَثَلُ الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر[٢]

مظاهر ومراحل النمو الأخلاقي

يمرّ الإنسان بعدة مراحل ليكتمل نموه الخلقي بالتدريج، ونستعين بتقسيم مراحل النمو في مرحلة الطفولة بالأحاديث.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين».[٣]

وقال الإمام علي عليه السلام: «يرخى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً، ويستخدم سبعاً».[٤]

---

١. *نهج البلاغة*: ٣٩٣.

٢. *ديوان الإمام علي*: ٧٥.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٢.

٤. *المصدر*: ٢٢٣.

وقال الإمام جعفر الصادقعليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسَك سبع سنين».[١]

وقال أيضاً:

الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين.[٢]

وعلى ضوء هذه الأحاديث الشريفة يمرّ الطفل بثلاثة مراحل وهي:

١. المرحلة السّيديّة

وهي مرحلة الطفولة المبكرة حيث يكون الطفل في هذه المرحلة سيداً أو طليقاً، ففي مرحلة الرضاعة لا يكون الطفل قد نمى لديه الضمير، ولا نظام القيم الأخلاقية، فليس من الصحيح الحكم عليه أو تقييمه، لأنّ نظرته للسلوك ناشئة من سروره وألمه، فما سرّه يعتبره جيداً، وما آلمه يعتبره غير جيد.

وبعد مرحلة الرضاعة، يقتصر تعلّم الطفل على استخدام مصطلح الصحٍ والخطأ، أو الجيد والرديء في الحكم على السلوك الخلقي، ولكنّه لا يعلم لماذا حكم على هذا بالصح، وذاك بالخطأ؟ فنموه العقلي لم يصل إلى مرحلة تسمح له أن يتعلّم المفاهيم والقيم الأخلاقية المجرّدة له، أو رغبة منه في توجيه الأنظار إليه، كعدم الطاعة والكذب والغضب والتخريب.

والطفل في هذه المرحلة، يكون أشبه بالسيد حيث يكون حرّاً طليقاً يجرّب بنفسه مع مراعاة بعض القيم التي لا تسمح له بتجاوزها.

ومعنى السيدية، أنّ الطفل في هذه المرحلة بحاجة إلى الحريّة والانطلاق، وليس من الصحيح تكثيف الإرشادات والتوجيهات والأوامر الأخلاقية المجردة له، لأنّ ذاكرته لا تساعده على الاحتفاظ بمفاهيم وقيم ومبادئ السلوك الأخلاقي.

---

١. *المصدر*: ٢٢٢.

٢. *المصدر*: ٤٧/٦.

وقد تصدر منه بعض الممارسات المخالفة للثوابت الأخلاقية، ناجمة من جهله بالمفاهيم والقيم الأخلاقية المجرّدة، أر رغبة منه في توجيه الأنظار إليه، كعدم الطاعة والكذب والغضب والتخريب.

فهذه المرحلة هي مرحلة اللعب والانطلاق والارتخاء، لإشباع حاجاته المنطلقة من تمحوره حول ذاته.

٢. المرحلة العبديّة

وهي مرحلة الطفولة الوسطى، متداخلة مع سني مراحل الطفولة المتأخّرة، وهي مرحلة تقبل الإشادات والتوجيهات والأوامر الأخلاقية، حيث يكون مهيئاً لإدراك مفاهيم وقيم ومبادئ السلوك وموازينه ومعاييره.

واصطلحنا عليه ـ تبعاً للأحاديث الشريفة ـ مصطلح المرحلة العبديّة لأنّ الطفل يكون فيها أشبه بالعبد تجاه سيده وهو الوالد والوالدة والمعلم والمربّي، حيث تصدر إليه الإرشادات والتوجيهات والأوامر التي يجب أن يتبعها ويتحرك على ضوئها، فهو مسؤول أمام سيده بالالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وهو محاسب عليها على ضوء الثواب والعقاب أو الاستحسان والاستهجان، حيث يتعلّم الصواب والخطأ، ويتعلّم ما هو مرغوب وما هو ممنوع.

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بإدراك المفاهيم المجرّدة كالصدق والأمانة والنزاهة، ويستطيع الانتقال من المفاهيم المطلقة والعامة لتطبيقها على مصاديقها في الواقع السلوكي.

وفي هذه المرحلة، قد ينمو الضمير والرقابة الذاتية على السلوك الأخلاقي.

وفي هذه المرحلة قد يكون بعض الأطفال يمارسون ممارسات خاطئة، كالشجار مع الآخرين والاعتداء عليهم بألفاظ نابية أو عدوان بدني، كالكذب والسرقة بسبب ظروف التربية الخاطئة.

٣. المرحلة الوزيرية

وهي المرحلة الأخيرة من سني مرحلة الطفولة المتأخرة، والسنين الأولى من مرحلة المراهقة.

ففي هذه المرحلة تتبلوّر المفاهيم والقيم الخلقية في ذهن الطفل وفي ضميره، وفي واقعه العملي، حيث يكون مرآة للمرحلتين السابقتين، فهو قادر على معرفة الموازين والمعايير الأخلاقية من حيث تفاصيلها ومصاديقها المتعدّدة، بل قادر على الحكم على الآخرين وإنْ كانوا أكبر منه سنّاً، حيث يفوقونه بالتجربة أكثر مما يفوقونه في إدراك المعايير، فهي مرحلة متداخلة تمتزج بها السيدية مع العبدية، فهو يتبنى المفاهيم والقيم والموازين على أساس أنّها أمور اختيارية، فهو يميّز بين صوابها وخطئها، وهو حرّ في تبنّيها وممارستها في الواقع.

وهو في جميع هذه المراحل يكون بحاجة إلى الاقتداء، وخصوصاً في مرحلة العبديّة حيث يتشبّث بسلوك النماذج العليا في المجتمع محاولاً التشبه والاقتداء بها.

والطفل في المرحلة الأخيرة قد انتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد في خطواتها الأولى، واصطلحنا عليها المرحلة الوزيرية ـ تبعاً للأحاديث الشريفة ـ لأنّ علاقة الطفل أو الحدث بوالديه أو معلميه أو مربيه، أشبه بالعلاقة بين الرئيس والوزير، فهو هنا ليس كالفرد العادي، بل هو كمستشار أو مساعد، ولكنّه يبقى تبعاً لغيره، وليس مستقلّاً عن إرشاداته وتوجيهاته وأوامره.

وقد أشارت الروايات الشريفة إلى هذا الدور، كما ورد «وزير سبع سنين»، «يستخدم سبعاً»، «ألزمه نفسك سبع سنين».

فهو يستطيع في هذه المرحلة الحكم على أخلاقه وسلوكه من وجهة نظره، ممزوجة مع وجهة نظر الآخرين، خلافاً للمرحلة الأولى التي يُحكم على أخلاقه وسلوكه من وجهة نظره هو وحده، وفي المرحلة الثانية يحكم عليها من وجهة نظر

الآخـرين، كالوالـدين والمعلمـين ومطلـق المـربين، أو يحكـم عليهـا علـى أسـاس الاستحسان والاستهجان، أو الثواب والعقاب.

والتنمية أو التربية الخلقية في مراحل الطفولـة، هـي التـي تحـدّد الثوابـت النهائيـة للسلوك، وتحدّد الوجهة النهائية لأخلاقه من حيث الفضيلة والرذيلة، والحسن والقبح، إلّا إذا توفّرت ظروف موضوعية بتضافر جهـود القيّمـين علـى التربيـة والتنشئة، حيث يمكن تغييره جذرياً نحو ما يصبون إليه من متبنيات خلقية.

ويعتقد «بياجة» أنّ التطوّر الأخلاقي عند الطفل يمرّ بعدة مراحل:

مرحلة التحلّل: وفيها لا تكتسب الأوامر والنواهي الأخلاقية أهمية في نظر الطفـل، حيث لا يكترث الطفل بغير أهوائه ورغباته الشخصية، وهي مرحلة لا يشعر الطفل فيها بأنّه ملزم باحترام أي ضابطة وقاعدة، في هـذه المرحلـة تكـون التكوينـة النفـسية لـدى الطفل غير متفتحة بشكل كافٍ، كما أنّ علاقاته الاجتماعية لم تتبلور بعد، فيتبع الطفل ميوله النفسية ولا يتقيّد بأي ضابطة عرفية وأخلاقية.

مرحلة التقليد: وفيها يقوم الطفل بمحاكاة تصرفات الكبـار لاعـن بـصيرة واعتقـاد، وفي هذه السنوات يبدو الكبار فـي نظـر الطفـل أقويـاء، ويجـب أن يطـيعهم ويستـسّلم للعقوبات التي يوجِّهونها له، وتكتسب توجيهاتهم وأوامرهم هالة قدسيّة لا يجوز له أن يخترقها مطلقاً.

ومن الخصائص المميّزة لهذه المرحلة، قدرة الطفل على إدراك الواقعيات الأخلاقية بالمقدار الذي تفرزه حالة المحورية التي ما زالت تهيمن على سـلوكياته؛ يتـصوّر الطفـل في هذه المرحلة: أنّ الصلاح يرتبط بمقدار التبعية والالتزام بتوجيهات الكبار.

مرحلة الاعتداد بالنفس: يبني فيها الفرد علاقاته مع الآخرين على أساس، الاحتـرام المتبادل والانضباط الذاتي، وينظر إلى الأحكام والمعايير الأخلاقية علـى أسـاس، أنّهـا أمور اختيارية مرنة وليست مطلقة لا تقبل التغيير.

وتقوم أخلاق مرحلة الاعتداد بالنفس على أساس من التقابل؛ بمعنى أنّ الفرد يلتزم بالأخلاق والأعراف المتوازنة لديه ولدى الآخرين.

وفي هذه المرحلة لا يرى الطفل نفسه ملزماً بطاعة مراجع القدرة والنفوذ (الوالدين مثلاً)، ويتلاشى لديه التلازم بين تجاهله لقوانين ومقررات هؤلاء، وبين استحقاقه للعقوبة.

وينقاد الطفل باختياره للمقرّرات، وربما يساهم في صياغتها وبالتالي يخضع نفسه إرادياً لنظام المقررات الأخلاقية الساري على الجميع.[1]

---

١. *الأخلاق عند الطفل*: ٢٦ ـ ٢٨.

العوامل الأساسية للنمو الأخلاقي

قال الإمام محمد الجوادعليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه».[1]

النمو الأخلاقي، ليس كلمة تقال أو رأياً يطرح ببساطة، بل هو عمل شاقّ وعسير، إذ نظرنا إلى طبيعته وظروفه والمحالات التي يحلّ فيها وهي مجالات النفس الإنسانية.

والنمو الأخلاقي يواجه جملة من الأمور الشائكة والمعقدّة وخصوصاً في مرحلتنا الراهنة، ومن هذه الأمور:

١. محدودية الإنسان ـ الطفل ـ.

٢. ضعف الإنسان واتصافه بالتسرّع والعجلة.

٣. شهوات النفس ورغباتها غير المحدّدة الثابتة والمتجذّرة أو الطارئة والمكتسبة، أو المتقلّبة من حين لآخر.

٤. كبرياء النفس واعتزازها بالمفاهيم والقيم، التي ألفتها وآنست بها في الأسرة وفي المحلّة الاجتماعية وفي المدرسة.

---

١. *تحف العقول*: ٣٤٠.

٥. التباس المفاهيم والقيم بالمصالح الذاتية والشخصية.

٦. المغريات الخارجية التي تدعو لإشباع الرغبات والشهوات.

٧. الشيطان والوسوسة الداخلية للتحرّر من المفاهيم والقيم والصالحة.

٨ الهيئات والمؤسسات التي تسعى لإفساد الأخلاق.

٩. وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

١٠. الظروف الاجتماعية المضطربة.

١١. الظروف الاقتصادية المتدهورة.

ومن هنا فانّ النمو الاخلاقي بحاجة الى: توفيق إلهي، وواعظ ذاتي، وناصح مقبول.

أولاً: التوفيق الإلهي

من السنن الإلهية الثابتة التي لا تتغيّر ولا تتبدّل ولا تتخلّف: انّ الله سبحانه وتعالى هو مصدر الهداية ومصدر التوفيق في كلّ الأمور.

قال سبحانه وتعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[2]

وقال سبحانه وتعالى ـ حاكياً عن النبي شعيب عليه السلام ـ: ﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.[3]

والتوفيق الإلهي قائم على شروط ومقومات ومؤهلات فهو يهدي ويوفّق من له قابلية على الهداية والتوفيق.

---

١. البقرة: ٢١٣.

٢. المائدة: ١٦.

٣. هود: ٨٨.

قال سبحانه وتعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾.[1]

والتوفيق الإلهي؛ حقيقة ثابتة لمسناها في كثير من الأحيان، فكلّ منّا يتذكّر أنّ هنالك رعاية غيبية تصدّه عن فعل القبيح، وإن تحققت مقدماته، فكم من إنسان أراد فعل بعض القبائح إلّا أنه يشعر بأنّه لا يحققها وأنّ هنالك رعاية خفية تمنعه من ذلك.

والتوفيق الإلهي، ضرورة واقعية من ضرورات النمو الأخلاقي، وخصوصاً في مرحلة الطفولة، والتوفيق الإلهي متنوّع بتنوع رغبات وممارسات الإنسان، وله دور أساسي في النمو الأخلاقي حيث يعمل على:

١. الهداية من خلال البينات والدلائل.

٢. التحرير من الانسياق وراء الملذّات والرغبات غير المشروعة.

٣. الصدّ عن فعل القبيح.

٤. الحفظ للعقل والنفس والبدن.

والله رؤوف بعباده، وخصوصاً الأطفال فيرعاهم جميعاً، ويوفقهم جميعاً وفي مقدّمتهم من هو أهل للرعاية والتوفيق، أو كانت له مؤهلات مستقبلية في خدمة الدين والإنسانية.

ومن خلال دراستنا الميدانية استمعنا إلى قصص عديدة تتحدّث عن التوفيق والرعاية الإلهية، ومنها:

١. طفل عمره ٦ سنوات تربّى على حبّ الفقراء والمساكين والمحرومين، وكان يشفق على أحد الأيتام، وكان إذا لعب معه يحاول أن تكون نتيجة المراهنة متعادلة، وإذا كان هو الفائز يعيد ما ربحه إليه فيخسر المرحلة الثانية من اللعب.

وفي يوم من الأيام كان الطفل اليتيم هو الرابح، فكسب جميع ما يملكه الطفل الشفوق عليه، فتألّم ذلك الطفل فقرر سرقة ما ربحه اليتيم.

---

١. الرعد: ١١.

وقبل أن ينفذ قراره، رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يعاتبه على هذا القرار، فتراجع عن قراره، وازدادت شفقته على اليتيم أكثر فأكثر.

٢. طفل في الثالثة عشر من العمر، تأثّر برفاق السوء الذين شجّعوه على النظر لفتاة تسبح في زاوية من بيتها، فحينما دخلت إلى الزاوية التي لا يحيطها باب أو ستار، وأرادت خلع ثيابها فجاءت بقرة ووقفت أمام الفتاة، فمنعت من النظر إليها، وتكرّرت الحالة عدة مرّات وفي أيام متعدّدة، فكتب الطفل رسالة لأحد الصالحين، فأجابه: إنّ الله يريد أن يوفقك للخلق السليم، ويريد ستر تلك الفتاة، واستمر التوفيق الإلهي لذلك الطفل إلى يومنا هذا، حيث أخبرني بأنّ أمراً غيبياً يحول بينه وبين مقرراته السيئة، فقرّر الاخلاص لله، وأصبح من الدعاة الصالحين وقد تجاوز عمره ـ حين الحديث معه ـ ٤٦ عاماً.

٣. طفل في الثانية عشر من عمره، توقّدت طاقته الجنسية في وقت مبكّر، فأقام علاقة صداقة مع فتاة مراهقة، فكلّما اتفق معها لّلقاء في داره مستثمراً غياب أهله، يأتي أحدهم بصورة غير متوقّعة فيحول بينه وبين عمله السيئ، ولم يتمّ له ذلك، وكان يأتيه آت في المنام ويحذّره من هذا العمل السيئ، وفي حديثه معي ـ وهو الآن في الثالثة والأربعين من العمر ـ يقول: إنّ الله وفّقني للصلاح فلم ارتكب معصية مع أي فتاة ولحدّ الآن.

٤. طفل يتيم، شجّعه رفاق سوء على سرقة أحد المنازل، ففي المرّة الأولى اصطحبهم لتنفيذ السرقة فصادف أحد المحسنين فأعطاه مبلغاً من المال لإيصاله إلى والدته وأخواته، فعاد إلى المنزل ولم تتمّ السرقة، وفي مرة أخرى وقبل الوصول إلى المنزل المراد سرقته، رآه أحد معلّميه، فكلّفه بشراء فاكهة له وأعطاه هدية ففرح بها وتراجع عن السرقة، وفي المرة الثالثة، وقبل الوصول إلى المنزل المراد سرقته أصابه العطش، فتوجّه إلى أحد المساجد ليشرب ماءً فسمع قارئاً للقرآن الكريم يقرأ بصوت جميل بعض الآيات الكريمة فتأثر بها وآنس لسماعها، فقرّر بعد ذلك الذهاب إلى المسجد كلّ يوم، وكان يحصل على رزق لعائلته من بعض المحسنين فتخلّى عن رفاق السوء، وهو الآن أستاذ في أحد الجامعات السورية.

والتوفيق الإلهي لا يأتي جزافاً، وإنّما يستند إلى أسباب ومسببات وإلى شروط ومقوّمات ومن أهمها:

١. الرغبة في الصلاح والاستقامة.

٢. الإخلاص لله تعالى.

٣. الرغبة في عمل الخير.

٤. الارتباط بالله تعالى عن طريق الذكر وقراءة القرآن.

٥. استشعار الرقابة الإلهية.

٦. الدعاء بالتوفيق.

٧. سبق علم الله تعالى، بأن الفرد سيكون عنصراً نافعاً للدين وللمجتمع الإسلامي.

ولهذا نجد أرقى نماذج الشخصية الإسلامية، يدعون الله تعالى ليوفّقهم في تجنب منكرات الأخلاق وتحسين أخلاقهم.

فرسول الله ﷺ، وهو سيد الكائنات كان يدعو بهذا الدعاء:

«اللهم حسّن خَلقي وخُلقي».[١]

«اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء والأعمال والأدواء».[٢]

ومن دعاء للإمام محمد الباقر عليه السلام كان يسميه الجامع:

> اللهم املأ قلبي حبّاً لك، وخشية منك، وتصديقاً وإيماناً بك، وفَرَقَاً منك وشوقاً إليك، يا ذا الجلال والإكرام، اللّهم حبّب إليّ لقاءك، واجعل لي في لقائك خير الرحمة والبركة، وألحقني بالصالحين، ولا تؤخرني مع الأشرار، وألحقني بصالح من مضى، واجعلني مع صالح من بقي، وخذ بي سبيل الصالحين، وأعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم، ولا تردّني في سوء استنقذتني منه يا ربّ العالمين... .[٣]

---

١. *المحجة البيضاء*: ١١٩/٤.

٢. *المستدرك على الصحيحين*: ٥٣٢/١.

٣. *الكافي*: ٥٨٢/٢، كتاب الدعاء.

ومن الأفضل أن يشجّع الطفل على قراءة الأدعية المختصرة التي تدعو إلى طلب التوفيق الإلهي، ومن ثمّ تحفيظه قدر المستطاع بعض الأدعية القصار ليدعو بها عن قناعة واستسلام، وهي كفيلة بتوجيهه نحو الأخلاق الحسنة والحميدة، فهي تساهم في جملة من الإنجازات ومنها:

١. الارتباط بالله تعالى.

٢. استشعار الرقابة الإلهية.

٣. التوجّه نحو تحسين الأخلاق المتناسبة مع الهدف من الدعاء.

٤. القناعة بالاستجابة.

٥. تعويد اللسان على القول، أو الكلام الصالح.

٦. والاهم من جميع ذلك الحصول على التوفيق الإلهي، فقد وعد الله تعالى الداعين بأن يستجاب دعاؤهم.

ويمكن تمرين وتعويد الطفل على الدعاء عن طريق:

١. الإيحاء من قبل الوالدين والمعلمين بتأثير الدعاء، على النمو العقلي والانفعالي والخلقي والبدني.

٢. ممارسة الدعاء عن طريق الوالدين أو الإخوة والأخوات، فيتأثّر الطفل عن طريق محاكاتهم.

٣. استحسان مواظبة الطفل على الدعاء.

٤. تشجيعه أمام أسرته، والتحدّث عنه أمام الآخرين.

٥. المكافئات الماديّة والمعنوية.

والدعاء يجعل الطفل مطمئناً مستقراً يتنعّم بالإشراق والتحليق والرفرفة في أجواء السمو والتكامل، حيث يمتلأ قلبه بالقيم الصالحة، يستتبعها استقامة في القول والفعل وتحسين الأخلاق.

ثانياً: الواعظ النفسي أو الذاتي

الواعظ النفسي أو الذاتي، يوجه الإرادة نحو عمل الصالحات وتحقيق أو تجسيد القيم في القول والفعل، ويوجّه الإرادة نحو اجتناب الرذائل والمساوئ وردعها عن أي قول أو فعل مشين، مخالف لقواعد السلوك التي حددتها الشريعة الإسلامية، أو الأعراف الاجتماعية العقلائية.

والواعظ النفسي أو الذاتي هو صمّام الأمان للإرادة، يحصّنها من الشر والرذيلة، ويحثّها للخير والاستقامة.

والواعظ النفسي أو الذاتي، يتحقّق بتنمية الحياء داخل نفس الطفل، وهو مقدّمة لتكوين الضمير أو تنميته.

وفيما يلي نستعرض تفاصيل الحياء وتكوين الضمير:

تنمية الحياء

الحياء: عبارة عن الانفعال والانكسار النفسي والعاطفي داخل خلجات النفس، وهو نتيجة طبيعية للتربية على الخوف والحذر والخشية من لوم وتوبيخ الوالدين والمربين وسائر أفراد المجتمع، ومن أهم الأدوار التي يؤديها الحياء أو يساهم في تحقيقها:

١. مراعاة المثل والقيم والضوابط الأخلاقية.

٢. مراعاة الثوابت الدينية.

٣. مراعاة العادات والتقاليد الأُسرية والاجتماعية.

٤. المنع من الإقدام على التجاوز والاعتداء.

٥. تنفيذ القوانين.

٦. التحصين من جميع ألوان الانحراف والرذيلة.

٧. عدم التقصير في الواجبات والمسؤوليات.

قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلّا بخير».[١]

وقال ﷺ: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».[٢]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الحياء لباس سابغ، وحجاب مانع، وستر من المساوئ واق، وحليف للدين، وموجب للمحبّة، وعين كالئة تذود عن الفساد، وتنهى عن الفحشاء.[٣]

وقال عليه السلام: «أفضل ما تخلّق به متخلّقٌ الحياء».[٤]

وقال عليه السلام: «البذاء من ضيق التصرّف، وفعل السوء من قلّة الحياء».[٥]

وللحياء آثار تربوية إيجابية جاءت في حديث أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

١. «الحياء مفتاح كل خير».

٢. «الحياء يصدّ عن فعل القبيح».

٣. «ثمرة الحياء العفة».

٤. «من كسا الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه».[٦]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

فلولاه لم يقرّ ضيف، ولم يوف بالعداة، ولم تفض الحوائج، ولم يتحرَّ الجميل، ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء، حتى إن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنّما يُفعل للحياء، فانّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حقَّ والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤد أمانة، ولم يعفّ عن فاحشة.[٧]

---

١. مختصر *صحيح البخاري*: ٥٢٣.

٢. *المصدر*: ٥٢٤.

٣. شرح *نهج البلاغة*: ٢٧٢/٢٠.

٤. مجموعة *ورّام*: ٢٤٦/٢.

٥. *المصدر*: ١٥/١.

٦. *تصنيف غرر الحكم*: ٢٥٧.

٧. *بحار الأنوار*: ٢٥/٢.

والحياء الإيجابي هو الحياء من: الله تعالى، والنفس، والمجتمع، والقانون، والذي يحقق آثاراً صالحة في الفكر والسلوك.

قال الإمام موسى الكاظمعليه السلام:

استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم.[١]

وقالعليه السلام:

رحم الله من استحيا من الله حقّ الحياء، فحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات.[٢]

وقال أمير المؤمنينعليه السلام: «غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه».[٣]

وتتشعب من الحياء جملة من القيم و الممارسات السلوكية كَمقدمة لاستقامة الطفل ومطلق الإنسان.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

وأما الحياء، فيتشعب منه: اللّين والرأفة، والمراقبة لله في السرِّ والعلانية، والسلامة، واجتناب الشرِّ والبشاشة والسماحة والظفر، وحسن الثناء عل المرء في الناس.[٤]

فالحياء من الله تعالى ومن النفس، يردع الإنسان عن الانحراف الخفي وغير المعلن، والحياء من المجتمع والقانون يردعه عن الانحراف العلني والمخفي معاً، خوفاً من انكشافه أمام الملأ.

والحياء له دوران: الأول: الصدّ عن العمل القبيح والشائن، والثاني: التخلق بالأخلاق الحسنة والصالحة وخصوصاً في العلاقات الاجتماعية، وبه ترعى حقوق الآخرين.

---

١. *تحف العقول*: ٢٩٣.

٢. *المصدر*: ٢٩١.

٣. شرح *نهج البلاغة*: ٢٦٥/٢٠.

٤. *تحف العقول*: ١٣ ـ ١٤.

والحياء من الله تعالى، هو القمّة في الحياء؛ لأنّه يحثّ الإنسان على العمل الصالح، ويردعه عن العمل القبيح، وان كان بعيداً عن رقابة الناس ورقابة السلطة، ويأتي الحياء من الناس بالدرجة الثانية؛ لأنّ الإنسان لا يعيش منزوياً عن المجتمع غالباً، فأغلب أقواله وأعماله واقعة تحت نظر الآخرين.

ومن القصص التي اطلعنا عليها من خلال الدراسات الميدانية:

القصة الأولى: طفل في السادسة من العمر، طلب من أحد جيرانه ان يتسلق الجدار ليقطف ثماراً من شجرة محاذية له تابعة له، فاعتذر بأن المارّة لو رأوه ظنوا أنّه يسرق الثمار، ولم يعلموا أنّك كلفتني بذلك، وأنا استحي من الناس.

وحينما بلغ وتوقدت طاقته الجنسية، طلبت منه أحد النساء أن يرافق ابنتها للذهاب إلى أحد الأطباء، فاعتذر خوفاً أو حياءً من كلام الناس.

وحينما تقدّم في العمر طلبت منه إحدى الأرامل أن يساعدها في نقل أثاث أحد الغرف إلى غرفة أخرى فاعتذر.

وتعهد لأحد المسنين أن يرافقه للزيارة، وصادف أن شغله شغل مهمّ فيه مصلحة مادية له، إلّا انه استحى أن ينقض العهد، واستحى من الاعتذار، فأنجز ما تعهد به حياءً.

القصة الثانية: طفل في العاشرة من عمره، تأثّر ببعض تصرفات رفاقه الذين كانوا يتسللون إلى أحد البساتين للحصول على ثمار أشجارها من العنب والتين والرمّان، وكانوا ينطلقون من حبٍّ المغامرة وليس للسرقة البحتة، وحينما حاول الدخول إلى البستان رآه جماعة من الراشدين فاستحيى، ولم يدخل مع رفاقه.

وحينما دخل الجامعة كان يرغب في إقامة علاقة عاطفية مع فتاة تعجبه، إلّا أنّ حياءه من بعض أصدقائه المتدينين منعه من الاقتراب من أيٍّ فتاة.

والحياء المتوازن أو المعتدل، هو حياء إيجابي. وهنالك حياء سلبي، وهو الحياء المفرط وهو ظاهرة تعبّر عن ضعف نفسي، ومن مصاديقه: أنّه يستحي من قول الحقّ، أو نصح الآخرين، أو ردعهم عن المعصية، أو يستحي من إنجاز بعض الأعمال البناءة والنافعة، أو يدفعه الحياء لمجاملة أصدقاء السوء أو السكوت عن ممارساتهم الخاطئة، أو يستحي من المطالبة بحقّه أو الدفاع عن نفسه وما شابه ذلك.

وفي مقام تنمية الحياء عند الطفل، ينبغي تمرينه على الحياء الإيجابي، وهو تجنّب كلّ ما هو قبيح شرعاً أو عرفاً، وبعبارة أخرى مراعاة حقّ الله تعالى وحقوق المجتمع بالحدود التي لا تخالف ثوابت الشريعة، وتمرينه على قول الحق برفق وبأسلوب شيّق وجذّاب، وتمرينه على الحياء المتوازن والمتناسب مع مراعاة مصالحه المشروعة؛ لأنّ الحياء المفرط أو الحياء السلبي قد يمنعه من الفعالية والنشاط الإيجابي، والتفريط بحقوقه أو حقوق أُسرته أو حقوق بعض الناس على حساب البعض الآخر.

تنمية الضمير

الضمير، هو الرادع الداخلي الذي يقدّر ما هو حَسَنٌ وما هو قبيح!! فيساعد الإنسان على اتخاذ السلوك والقرار الصالح والسليم، والتخلّي عن السلوك والقرار المخالف للقواعد الصالحة والضوابط الاجتماعية السليمة.

ويرى الباحثون في حقول التربية وعلم النفس أنه:

> لا الفكر ولا المنطق يأمران الإنسان بالتصرّف، هما أداتان تمكنان الإنسان من الوصول إلى هدف ما، الضمير هو الآمر، والفكر هو المنفّذ... ويرى «نيومن» أنّ الإنسان يفضل التصرّف الخاطئ على الصواب إذا رضي ضميره، ولو دلّه المنطق على الخطأ عمله وأرشده إلى الصواب.[1]

---

١. *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*: ٢٧١ ـ ٢٧٣.

وان الضمير عند «فروم» هو:

المستودع الرئيسي للمثيرات الاجتماعية والثقافية في تكوين الشخصية. وهو القوة المحرّكة التي تدفع الإنسان إلى أداء سلوك معيّن أو عدم أدائه لهذا السلوك حسب متطلبات المجتمع، ويتكون الضمير من خلال التأثيرات الاجتماعية والثقافية وتجارب الطفولة مع الآخرين، فالضمير يتكون على شاكلة ضميري الأب والأم، ولا يوجد ضمير واحد للفرد، فهو يمتلك مجموعة من الضمائر تؤلف الضمير الكلي للفرد.[١]

والضمير هو:

السلطة الخفية التي تتحكّم بالإنسان، وهو صوت الله في داخل الإنسان... وهو تلك القوة التي تتّخذ موقفاً من الإنسان فيما إذا أقدم على رذيلة من الرذائل أو عمل من الأعمال غير الطيّبة، فتحدثه وتؤنبه.

إن جميع أفراد النوع الإنساني يتمتعون بوجود الضمير الإنساني.[٢]

والضمير هو:

وليد ما يلقاه الطفل من الأوامر والنواهي والنصائح التربوية والروحية، وتعويد الطفل على الطاعة والانضباط وكبح الشهوات واحترام القانون والنظام.[٣]

والضمير هو الواعظ للإنسان الذي يردعه عن القبيح ويدفعه إلى عمل الحسن والصالح، وهو الرقيب عليه في جميع الأحوال والظروف سرّية كانت أم علنية.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فانّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً».[٤]

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

---

١. *التحليل النفس للشخصية*: ١٨٠.

٢. *الإسلام ومتطلبات العصر*: ٣١٧ ـ ٣١٨.

٣. *دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية*: ٧٧.

٤. *تحف العقول*: ٢١٤.

ابنَ آدم، إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة لها من همّك.[١]

والضمير ينمو باتجاه الاستقامة من خلال التربية المتواصلة والتوجيه الدائم من قبل الوالدين والمعلمين وعلماء الدين، ومن خلال توجيه الأنظار إلى احترام القواعد السلوكية للمجتمع، وينمو عن طريق الإيحاء والتلقين، ومن خلال ملاحظة القدوة الحسنة، فاعتراف الكبار بالخطأ الذي يرتكبونه، يقوّي في أعماق الطفل القدرة على ضبط سلوكه وسيرته.

ومن العوامل المساعدة على تنمية الضمير، أن يتعامل مع الطفل على أساس أنه شخصية مستقلّة؛ لأنّ ذلك ينمّي في داخله الإحساس بالمسؤولية ومعرفة الخطأ والصواب وتمييز الانحراف عن الاستقامة.

والأهم من جميع ذلك، إنّ الارتباط بالغيب هو الأساس في تنمية الضمير ليؤدي دوره في التوجيه والتهذيب والردع؛ لأنّه يشعر بالرقابة الغيبية التي تراقبه وتتابعه، وتحصي عليه سكناته وحركاته.

والإيمان بالغيب، ومراعاة المفاهيم والقيم الدينية والإسلامية، تنمّي الضمير السليم، لأنّ الضمير يستتبع صحتها، فيكون ضميراً سامياً كاملاً شاملاً وإلّا فيبقى الضمير ناقصاً أو غير متكامل أو مشوّهاً إنْ آمن صاحبه بمفاهيم وقيم التبس فيها الحقّ بالباطل، واختلطت فيها الفضيلة مع الرذيلة.

ومن القصص الواقعية: قصة شاب كان يتألّم للفقراء والمساكين والمحتاجين، فدفعه ضميره لأنّ يشكّل عصابة مهمتها سرقة أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء.

وشاب آخر كان يتألّم لقيام بعض أفراد طائفة بالاعتداء على أبناء طائفته، فشكّل عصابة لردع المعتدين؛ فكان لا يفرّق بين المعتدين وغيرهم من أبناء الطائفة الأخرى، فيقتل المعتدين ويعوّق ذويهم ظنّاً منه أنّه يحسن صنعاً.

---

١. *الأمالي*: ١١٠.

وشاب آخر كان يرى أن ضميره حيّ، لأنّه لا يمارس الجنس مع فتاة فقيرة أو محتاجة إلى العون، ولا يخدع أي فتاة ليصل إلى مبتغاه، ولا يقيم علاقة مع فتاة من أقربائه أو جيرانه أو محلّته، ولكنّه يذهب إلى دور الدعارة ليحقّق رغبته الجنسية في مقابل ثمن يعطيه، أو يتوجّه إلى أماكن المشهورات بالرذيلة، وكان ينصح أصدقاءه وإخوانه الأصغر منه سنّاً بأن يكون لهم ضمير حيّ، بأن لا يستثمروا حاجة الفتاة لهم، ولا يستغلوا الفقيرات البائسات، ولا يخدعوا الفتيات بإظهار الحبّ لهنّ ثمّ إيقاعهن في شراك الرذيلة، وينصحهم بالتوجّه إلى بيوت الدعارة لإشباع رغباتهم.

ولكنّه لم يدم طويلاً على هذه الحالة فقد أدركته الرحمة الإلهية، بأن اتصل بأحد علماء الدين الشباب فتأثّر بمواعظه وإرشاداته، فاستغفر ربّه وتاب إليه، وأصبح من خيرة الشباب؛ بل من خيرة الصالحين المصلحين، بعد أن تبنّى الإسلام منهجاً له في الحياة.

والضمير السليم الواعي يخلّف أجواءً سليمة في مجاهدة النفس ومحاسبتها على ضوء المفاهيم والقيم الأخلاقية الصالحة، وهي أهم مقومات إصلاحها وتغييرها نحو الأفضل والأحسن.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

> حاسب نفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى منك على الله خافية.[1]

ومحاسبة النفس باستمرار تساهم في تعديل القيم والموازين، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل الأخلاق، فهي التي تخلق في أعماق الإنسان: تقوى في الضمير، وطهارة في المشاعر، وضخامة في الاهتمامات، ورفعة في الأخلاق، واستقامة في السلوك.

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٤٦٥.

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

يا هشام ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلِّ يوم، فإنْ عمل حسناً استزاد منه، وإنْ عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.[١]

ومحاسبة النفس، تستلزم تقييمها قبل الممارسة الميدانية وأثنائها وبعدها، وهي خير حصن للاستقامة والثبات على حسن الخلق، فينبغي إشاعة مثل هذه المفاهيم والقيم والممارسات بين أوساط الأطفال والمراهقين وتمرينهم عليها حتى تصبح جزءاً هاماً من اهتماماتهم، وخصوصاً التفكير في الأمر أو الظاهرة قبل الممارسة من حيث سلامتها وصحتها وانسجامها مع القواعد والضوابط والموازين الأخلاقية.

قال الإمام علي عليه السلام:

«الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل»، «الفكر يوجب الاعتبار ويؤمن العثار ويثمر الاستظهار»، «الفكر في العواقب ينجي من المعاطب».[٢]

وبمحاسبة النفس يتمّ إصلاحها وتغييرها ابتداءً؛ بتشخيص الممارسة المنحرفة وانتهاءً بوضع العلاج المناسب للسلبيات والأخطاء، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ تمرين الاطفال على محاسبة النفس كفيل بإصلاحهم وتغييرهم والسمو بهم إلى القمّة التكاملية في المثل والقيم والأخلاق، ولهذا ينبغي تضافر الجهود والإمكانات التربوية لتساهم مجتمعة في إرشادهم وتوجيههم، لكي يكون الواعظ الذاتي هو الحاكم على أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم، فإذا وجد الناصح والمربّي الصالح فإن تأثيره سيكون تاماً، ويستطيع الإصلاح والتغيير بأقل جهد وبوقت قياسي.

وفي جميع الظروف والأحوال ينبغي تمكين الطفل من تكوين ضمير حي متوازن، غير متزمّت ولا متساهل، بعد تربيته على المفاهيم والقيم والموازين والمعايير الأخلاقية، وسلوكه وممارساته الفردية والاجتماعية.

---

١. *تحف العقول*: ٢٩٥.

٢. *تصنيف غرر الحكم*: ٥٨.

اختبار مستوى الضمير

في عام ١٩٩١م لجأ جمع من العوائل العراقية إلى كردستان إيران كان أغلبهم من الأكراد وقليل من التركمان والعرب، فانتزهت الفرصة، كمبلّغ وداعية لإجراء اختبار مستوى الضمير لأربعة وأربعين طفلاً، تتراوح أعمارهم بين التاسعة والثالثة عشر، فقمت بتوزيعهم على مجموعة من الخيام، كلّ طفل في خيمة وعلى وجبات لقلّة الخيام وقلة المشرفين.

ووضعنا في كلّ خيمة مجموعة من الأشياء:

١. قرآن موضوع على علبة فارغة.

٢. منضدة، ولوحة للكتابة، مع قلم خاص بالكتابة على اللوحة، ودفتر.

٣. فاكهة وحلويات.

٤. ملابس وأحذية، وكرة قدم صغيرة.

٥. مبلغ قدره ٦٠ ديناراً.

وقمنا باختبارين: الأوّل بحضور مشرف أو مراقب، والثاني بغيابه.

وأخبرناه بأنّهم أحرار في كتابة أيٍّ شيء، أو القيام بأيّ عمل مهما كان حسناً أو قبيحاً.

ففي الاختبار الأوّل: كانت النتائج كالآتي:

١. وضع الجميع القرآن الكريم على المنضدة احتراماً له.

٢. العبارات المكتوبة على اللوحة كانت جميلة، حيث كتبوا ما تعلّموه من نصائح، أو آيات قرآنية، أو أحاديث، أو أشعار أو معلومات عامة.

٣. قام ٢٤ منهم بالاستئذان لتناول الفاكهة.

٤. قام ٥ منهم بأكل الفاكهة دون استئذان.

٥. لم يأكل ١٥ منهم أيَّ شيء.

٦. قام ٢٥ منهم بالاستئذان لأخذ الملابس والأحذية وكرة القدم، كلّ حسب رغبته.

٧. لم يأخذ ١٩ منهم أيَّ شيء من الملابس والأحذية.

٨. قام ٧ منهم بأخذ المبلغ كاملاً مع الاستئذان، وقام ٥ منهم بأخذ مبلغاً متفاوتاً دون استئذان، وامتنع ٣٢ منهم من أخذ أيّ مبلغ.

وفي الاختبار الثاني: كانت النتائج كالتالي:

١. وضع الجميع القرآن الكريم على المنضدة احتراماً له.

٢. كتب ٣٢ منهم عبارات جميلة، وكتب ١٢ منهم عبارات غير لائقة كسب وشتم المبلّغ الفلاني، أو مسؤول المخيم، أو سب وشتم لأطفال آخرين.

٣. قام ٢٥ منهم بأكل الفاكهة والحلويات جميعاً.وقام ٧ منهم بأكل بعضها، وامتنع ١٢ من أكل أيٍّ شيء.

٤. قام ١١ منهم بأخذ المبلغ كاملاً، وقام ٨ منهم بأخذ مبالغ متفاوتة، وامتنع ٢٥ منهم عن أخذ أيّ مبلغ.

وحينما طلبنا منهم ذكر أسباب بعض الممارسات بكتابتها بورقة خاصة كتبوا كالتالي:

١. ذكر ٤ منهم: أنّ المشرف قال: أنتم أحرار في كتابة أو اتخاذ أي فعل.

٢. ذكر ٢٢ منهم: أنّهم أكلوا الفاكهة بسبب الجوع.

٣. ذكر ١٠ منهم أنّهم أكلوا الفاكهة لأنّها مجاناً.

٤. ذكر ١٩ منهم أنّهم أخذوا المبالغ لأنّهم محتاجون إليها، وإنّ كلّ واحد منهم أخذ ما يحتاجه.

وبعد أسبوعين قمنا بإعادة الاختبار بعد أن حصلنا على مساعدات مادية وعينية ووزعناها عليهم، وأعطينا كلّ طفل مبلغاً قدره ٣٠ ديناراً، ثم قدّمنا لهم فاكهة وطعاماً.

فكانت النتيجة:

١. كتبوا عبارات جميلة في الحالتين.

٢. لم تصدر أي مخالفة بوجود المشرف أو الرقيب.

أما بغيا به فكانت النتائج كالتالي:

١. لم يأكل أيّ منهم أيّ فاكهة أو حلويات.

٢. واحد منهم أخذ مبلغاً قدره ٦٠ ديناراً، وواحد أخذ ١٥ ديناراً، واثنان أخذوا ١٠ دنانير لكلّ منهم.

٣. واحد منهم أخذ قلنسوة، والآخر أخذ كرة قدم.

وكانت الإناث أكثر التزاماً من الذكور، ولكن لم أحتفظ بالنتائج الدقيقة.

وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج حول تأثير بعض العوامل على مستوى أو درجة الضمير.

١. المستوى العقلي.

٢. المستوى الثقافي والعلمي.

٣. المستوى المعيشي.

٤. المحيط التربوي.

٥. الحالة الآنية من حيث الحاجة إلى المال أو الطعام.

٦. درجة العلاقة مع المشرف، من حيث المحبّة والمودة أو الكراهية.

٧. الشعور بالرعاية والإهمال من قبل المبلّغ والداعية.

٨ المواظبة على العبادات ومستوى الإيمان.

٩. غياب أحد الوالدين بطلاق أو موت أو أسر.

ثالثاً: الناصح والمربّي

مسؤولية التربية الأخلاقية مسؤولية متبادلة ومتكافئة، بين الناصح أو المربّي والمتلقي، وهي ليست مجرد إرشادات وتوجيهات وأوامر ونواه تصدر من الناصح والمربّي، بل هي عملية تغيير للفكر والعاطفة والإرادة.

ويقوم الناصح والمربي بتهيئة الأرضية اللازمة التربية الأخلاقية، ومن مسؤوليته:

١. توجيه عقل الطالب نحو المفاهيم والقيم الصالحة.

٢. توجيه العواطف نحو الحبّ والأنس بالأهداف النبيلة والغايات السامية.

٣. توجيه الإرادة نحو تجسيد المفاهيم والقيم الصالحة في ممارسات عملية، وكفّها عن الانحراف والسوء والشرّ.

والتربية الاخلاقية مسؤولية متبادلة تقع بين أو المربّي و الطالب، تراعى فيها حقوق وواجبات الطرفين.

وقد حدد الإمام علي بن الحسين عليه السلام حقوق الناصح بقوله: وأمّا حقّ الناصح فأن:

١. تلين له جانبك.

٢. ثمّ تشرئبّ له قلبك.

٣. وتفتح له سمعك.

٤. حتى تفهم عنه نصيحته.

٥. ثمّ تنظر فيها».[1]

وحدد حقوق المستنصح بقوله عليه السلام:

وأما حقّ المستنصح، فان حقّه:

١. أن تؤدي إليه النصيحة على الحقّ الذي ترى أنه يحمل، ويخرج المخرج الذي يلين على مسامعه.

٢. وتكلّمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإنّ لكلّ عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه.

٣. وليكن مذهبك الرحمة.[2]

---

١. *تحف العقول*: ١٩٤.

٢. *المصدر*: ١٩٣.

مقومات وضرورات التنمية والتربية الأخلاقية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».[1]

يدلّ الحديث الشريف على أنّ جميع ما جاء به الإسلام يراد به إتمام مكارم الأخلاق، والأخلاق ممتدّة في جميع جوانب الشخصية، وجميع جوانب الحياة الإنسانية، فلا فصل ولا تضاد.

ومن هنا فإننا سنتطرق إلى مقومات وضروريات التنمية والتربية الأخلاقية الشاملة للتربية في جميع مظاهرها ومنها الاجتماعية؛ للحيلولة دون تكرار بعض التفاصيل في فصول أو مواضيع أخرى:

أولاً: تكثيف التربية

التربية الصالحة وحسن الأدب من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين، وهي حق للطفل أوجبه الإسلام على الوالدين، والطفل في مرحلة ما قبل سن الرشد، بحاجة إلى تربية مكثّفة وجهد إضافي، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

---

1. *كنز العمّال*: ١٦/٣.

وأما حقّ ولدك... إنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذِّر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه.[١]

ولحراجة المرحلة التي يمرّ بها الطفل، فإنّ الوالدين بحاجة إلى الرعاية الإلهية للقيام بمهام المسؤولية التربوية، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

اللهم ومنّ عليّ ببقاء ولدي... وربّ لي صغيرهم... وأصحّ لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم... وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم.[٢]

وقد أكّدت الروايات على المبادرة إلى التربية وحسن الأدب.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم».[٣]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

إن للولد على الوالد حقاً، وإن للوالد على الولد حقاً، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كلِّ شيء، إلّا في معصية الله سبحانه، وحقّ الولد على الوالد أن يحسّن اسمه، ويحسّن أدبه، ويعلّمه القرآن.[٤]

والتربية في هذه المرحلة أكثر ضرورة من المراحل الأخرى، لأنّ فطرة الطفل في هذه المرحلة لا تزال سليمة ونقية تتقبّل ما يلقى إليها من توجيهات وإرشادات ونصائح قبل أن تتلوّث ويستحكم التلوّث فيها، فيجب على الوالدين استثمار الفرصة لأداء المسؤولية التربوية.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

...وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته.فبادرتك

---

١. *تحف العقول*: ١٨٩.

٢. *الصحيفة السجادية الجامعة*: ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣. *مستدرك الوسائل*: ٦٢٥/٢.

٤. *نهج البلاغة*: ٥٤٦.

بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته... .[١]

وقالعليه السلام: «علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم».[٢]

والمنهج التربوي المراد تحكيمه في الواقع، هو المنهج الإسلامي الذي يدور حول العبودية والطاعة لله تعالى في كلّ شؤون الحياة.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام: «اعملوا الخير وذكّروا به أهليكم، وأدبوهم على طاعة الله».[٣]

وقالعليه السلام: «تأمرهم بما أمرهم الله به، وتنهاهم عمّا نهاهم الله عنه...».[٤]

وهذا الحديث جامع للقواعد الكلية التي تقوم عليها أعمدة المنهج التربوي السليم في كلّ جانب من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، العاطفية والروحية، فإذا أبدى الوالدان عناية فائقة في العمل على ضوء المنهج التربوي، فانّ الطفل سيكون عضواً صالحاً في المجتمع.

وقد كان أهل البيتعليهم السلام قد أبدوا عناية خاصة بتربية أبنائهم في هذه المرحلة حتى أعدّوهم إعداداً متكاملاً، فكانوا قمّة ونموذجاً أعلى في كلّ شيء.

فأمير المؤمنينعليه السلام تربّى في مرحلة الصبا في بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله قبل أن يبعث، فآمن في اللحظات الأولى لدعوة الرسولصلى الله عليه وآله، وأخلص في إيمانه وطاعته لله ولرسوله، وكان قمّة في الشجاعة والإقدام وفي التضحية والفداء، وفي الكرم والتواضع، والصدق، وفي كلّ الفضائل الخلقية، و هوعليه السلام قام بتربية أبناءه فكانوا على شاكلته في الارتقاء إلى القمة الشامخة في جميع المكارم والفضائل، وهكذا كان بقية الأئمةعليهم السلام.

---

١. *المصدر*: ٣٩٣.

٢. *كنز العمال*: ٥٣٩/٢، ح ٤٦٧٥.

٣. *مستدرك الوسائل*: ٣٦٢/٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٤/١٠٠.

وتزداد مسؤولية الوالدين في التربية والتأديب، كلّما ابتعد المجتمع عن الإسلام، أو كان مجتمعاً إسلامياً في الظاهر ولم يتبنَّ الإسلام منهاجاً له في الواقع العملي لتأثير العادات والتقاليد والأفكار والمناهج التربوية غير السليمة على تربية الطفل، وخصوصاً أجهزة الإعلام كالراديو والتلفزيون والسينما وغيرها.

ويلحق بالتربية الروحية والنفسية والعاطفية، شطرها الآخر وهو التربية البدنية فهي ضرورية جدّاً للطفل للحفاظ على صحته البدنية وإعداده للعمل البدني، حيث حثّ رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «علّموا أولادكم السباحة والرماية».[١]

وجعل الإمام موسى الكاظم عليه السلام تدريب الطفل على الأمور الشاقة من المستحبّات فقال:

تستحب عرامة الطفل في صغره ليكون حليما في كبره.[٢]

وتكثيف التربية، لا يعني تكثير النصائح والإرشادات وتوجيه أو إصدار الأوامر والنواهي، وإنّما اختيار أفضل الأساليب والوسائل المنسجمة مع النمو العقلي للطفل مع ملاحظة الفوارق بين طفل وآخر وبين بيئة وأخرى، وبين ظرف وآخر، وليس من الصحيح إثقال ذهن ومسمع الطفل بالألفاظ والمصطلحات والارشادات والتوجيهات، بل ينبغي مراعاة مزاجه وظروفه النفسية في جميع المراحل التي يمرّ بها.

ثانياً: تربية الطفل على طاعة الوالدين

يلعب الوالدان دوراً كبيراً في تربية الأطفال، فالمسؤولية تقع على عاتقهما أوّلاً وقبل كلّ شيءٍ، فهما اللذان يبدأن به منذ ولادته ويستمرّان معه إلى نهاية عمره تقريباً، وتلعب المدرسة والمحيط الاجتماعي بجميع مظاهره دوراً ثانوياً في التربية.

---

١. *الكافي*: ٤٧/٦، باب تأديب الولد.

٢. *المصدر*: ٥١/٦.

والطفل إذا لم يتمرّن على طاعة الوالدين، فإنه لا يقبل ما يصدر منهما من نصائح وإرشادات وأوامر إصلاحية وتربوية، فيخلق لنفسه ولهما وللمجتمع مشاكل عديدة، فيكون متمرّداً على جميع القيم وعلى جميع القوانين والعادات والتقاليد الموضوعة من قبل الدولة ومن قبل المجتمع.

قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

جرأة الولد على والده في صغره، تدعو إلى العقوق في كبره.[١]

وقال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «...شرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق».[٢]

وتربية الطفل على طاعة الوالدين، تتطلّب جهداً متواصلاً منهما على تمرينه على ذلك، لأنّ الطفل في هذه المرحلة يروم إلى بناء ذاته وإلى الاستقلالية الذاتية، فيحتاج إلى جهد إضافي من قبل الوالدين، وأفضل الوسائل في التمرين على الطاعة هو إشعاره بالحب والحنان. يقول الدكتور يسري عبد المحسن:

أهم العوامل التي تساعد الطفل على الطاعة... الحبّ والحنان الذي يشعر به الطفل من كلّ أفراد الأسرة.[٣]

ومن الوسائل التي تجعله مطيعاً هي إشباع حاجاته الأساسية وهي:

الأمن، والمحبّة، والتقدير، والحريّة، والحاجة إلى سلطة ضاغطة.[٤]

ويرى الدكتور فاخر عاقل هذه الحاجات بالشكل التالي:

الحاجة إلى توكيد الذات، أو المكانة، أن يتعرّف به وبمكانته، وأن ينتبه إليه... والحاجة إلى الأمان والحاجة إلى المحبّة والحاجة إلى الاستقلال.[٥]

---

١. *تحف العقول*: ٣٦٨.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٣٢٠.

٣. *قاموس الطفل الطبي*: ٣٢٨.

٤. *علم النفس*: ٢٦٤.

٥. *علم النفس التربوي*: ١٠٠ ـ ١٠١.

فإذا شعر الطفل بالحبّ والحنان والتقدير من قبل والديه، فإنّه يحاول المحافظة على ذلك بإرضاء والديه وأهم مصاديق الإرضاء هو طاعتهما.

فالوالدان هما الأساس في تربية الطفل على الطاعة. قال رسول الله ﷺ: «رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما».[١]

وأسلوب الإعانة كما حدّده رسول الله ﷺ: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتآلف له، وتعليمه وتأديبه».[٢]

وقال ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله».[٣]

وقال ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به...».[٤]

وحبّ الاطفال للوالدين ردّ فعل لحبّ الوالدين لهما.[٥]

فإذا كان الحبّ هو السائد في العلاقة بين الطفل ووالديه، فإنّ الطاعة لهما ستكون متحقّقة الوقوع، وعلى الوالدين أن يصدرا الأوامر برفق ولين بصورة نصح وإرشاد، فإنّ الطفل يستجيب لهما، أما استخدام التأنيب والتعنيف فإنّه سيؤدي إلى نتائج عكسية، ولذا أكّد علماء النفس والتربية على التقليل من التعنيف، كما جاء في قول أنور الجندي:

> يقتصد في التعنيف عند وقوع الذنب، لأنّ كثرة العقاب تهوّن عليه سماع الملامة وتخفّف وقع الكلام في نفسه.[٦]

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٦١٨/٢.

٢. *المصدر*: ٦٢٦/٢.

٣. *عدة الداعي*: ٦١.

٤. *الكافي*: ٥٠/٦.

٥. *علم الاجتماع*: ٢٥٢.

٦. *التربية وبناء الأجيال*: ١٦٧.

وإطاعة الأوامر لا يجد فيها الطفل الذي حصل على المحبّة والتقدير أيّة غضاضة على حبّه للاستقلال، وبالمحبّة التي يشعربها تتعمّق في نفسه القابلية على تقليد سلوك من يحبّهم وهما الوالدان، فينعكس سلوكهما عليه، ويستجيب لهما، فإنّه إذا عومل كإنسان ناضج وله مكانة، فإنّه يستريح إلى ذلك ويتصرّف بنضج وبصورة لا تسيء إلى والديه، فيتمرّن على الطاعة لوالديه، ومن ثمّ الطاعة لجميع القيم التي يتلقّاها من والديه أو من المدرسة أو من المجتمع.

ثالثاً: ربط الطفل بالقدوة الحسنة

الطفل في الأعوام الأخيره منّ مرحلة الطفولة يحاول التشبّه بالأشخاص الأكثر حيوية، والأشد فاعلية في المجتمع، ويطلق علماء النفس مفهومَ المحاكاة للتعبير عن التشبّه الفجائي السريع الذي ينتهي بانتهاء المؤثر، فهو تشبّه آني ويطلقون عبارة الاقتباس على التشبّه البطيء... الذي يستحكم في العقل والعاطفة ومن مصاديقه التقليد والاقتداء، والنماذج العالية من الشخصية هي المؤثرة في التشبّه، فأهل الكرامة وأهل القدوة يكرمهم الشعب ويبجّلهم وهم الذين «يقتدي بهم عامة الشعب».[1]

والطفل غالباً ما يتشبه بمن له سلطان روحي ونفسي على الناس، ومنهم الملوك والحكام، والفائزون والناجحون في الحياة، وكلّ من له تأثير على الناس كالمعلم وعالم الدين.

ويرى بعض علماء النفس الحاجة إلى تصوّر المثل الأعلى لدى كل إنسان[2] وهي حاجة ضرورية، والمثل الأعلى في رأي هؤلاء العلماء يختلف باختلاف الناس، ويتبدّل بتبدل ظروفهم المادية والنفسية والاجتماعية، ويعتبرون المثل الأعلى متجسّداً في القيم المعنوية والأهداف المتوخاة في الحياة.

---

١. *علم الاجتماع*: ٨٦ ـ ١٠٤.

٢. *علم النفس*: ٧٢٨.

والمثل الأعلى بهذا المفهوم ضروري جداً لكل إنسان، وخصوصاً الطفل في الأعوام المتأخّرة من هذه المرحلة، ولكنّ المثل الأعلى إنْ لم يتحوّل من المفهوم إلى المصداق، وإلى من تتجسّد فيه قيم هذا المثل الأعلى يبقى محدوداً في حدود التصورات، فالطفل بحاجة إلى التشبّه والاقتداء بما هو ملموس في الواقع الموضوعي، وخير من يتجسّد به المثل الأعلى هو النموذج الأعلى للشخصية الإنسانية.

ويرى الباحثان باندورا ومكدونالد:

إنّ للقدوة دوراً مؤثراً في مستوى المعيارية الإخلاقية، وكلّما اقترنت القدوة مع وجود دعم وإشادة كلّما كان التأثير أبلغ، وقد أجريا تجاربهما على ثلاث مراحل:

الأولى: مع وجود القدوة.

الثانية: بوجود القدوة إلى جانب الدعم والتأييد.

الثالثة: اقتصرت على الدعم والتأييد لأجوبة الطفل من دون وجود قدوة.

وقد بيّنت التجارب، أنّ المرحلة الثانية كانت هي الأكثر وقعاً على مستوى المعيارية الأخلاقية عند الاطفال.[١]

والاقتداء بالأسلاف: أكثر من الاقتداء بالطبقة العليا.[٢]

ومن هنا فالضرورة الحاكمة في الاقتداء بالسلف الصالح، وهم الأنبياء والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والصالحين من الصحابة والتابعين، والماضين من علماء الدين، فهم قمم في الفضائل والمكارم والمواقف النبيلة، ومما يساعد على التشبّه والاقتداء بهم تأثيرهم الروحي على مختلف طبقات الناس الذين يكنّون لهم التبجيل والتقديس.

وحياة الصالحين، مليئة بجميع القيم والمكارم التي يريد الإنسان التمسّك بها، والاقتداء هو الذي يجعل الطفل إنساناً عظيماً تبعاً لمن يقتدي بهم، وإذا فقد الاقتداء،

---

١. *الأخلاق عند الطفل*: ٧٤ ـ ٧٥.

٢. *علم الاجتماع*: ١٤٦.

جمدت جذوة الحياة، وضعف الطموح، وانحرف عن مساره للتعلّق والاقتداء بالهامشيين من الأشخاص العاديين.

فالواجب على الوالدين: توجيه أنظار الطفل وأفكاره وعواطفه ومواقفه نحو الشخصيات النموذجية ابتداءً من آدم وانتهاءً بالعظماء المعاصرين، ولكلّ نبي أو إمام من أئمة الهدى تاريخ حافل بجميع المكارم والقيم والمواقف السائدة في الحياة.

والقدوة الصالحة، لها تأثير ومواقف مشرّفة في كلّ زاوية من زوايا الحياة، والاقتداء بها تنعكس آثاره على جميع جوانب شخصية الطفل العاطفية والعقلية والسلوكية، فتندفع الشخصية للوصول إلى المقامات العالية التي وصلها الصالحون المقتدى بهم.

الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله

كان رسول الله صلى الله عليه وآله:

> يبدأ من لقي بالسلام، وكان يأكل على الأرض، وكان إذا دعاه رجل فقال: يا رسول الله! قال: لبيك، وإذا قال يا أبا القاسم! قال: يا أبا القاسم، وإذا قال يا محمد! قال: يا محمد، وإذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها، وإذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخلّيه، وإذا سأله سائل حاجة لم يردّه إلّا بحاجة أو بميسور من القول.[1]

وكان عنده القريب والبعيد والقوي والضعيف في الحقّ سواء، يحبّ المساكين ولا يحقّر فقير بفقره.[2]

وكان يقسّم لحظاته بين أصحابه فينظر إلى ذا، وينظر إلى ذا بالسوية.[3]

وجاء إليه رجل لحاجته يذكرها، فأخذته رعدة شديدة ومهابة، فقال له:

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ١١٦/٢.

٢. *تاريخ ابن الوردي*: ١٣٠/١.

٣. *الكافي*: ٢٦٨/٨.

هوّن الله عليك، فإنّي لست بَملِك ولا جبّار، وإنّما أنا ابن إمرأة من قريش تأكل القديد بمكة.[١]

وكان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فان كان غائباً دعا له، وان كان شاهداً زاره، وان كان مريضاً عاده.[٢]

وقال زيد بن ثابت: كنّا إذا جلسنا إليهﷺ أخذنا في حديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا.[٣]

وإذا كان في بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه.[٤]

وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو يسميّه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بال الصبي عليه، فيصيح بعض من رآه حين يبول، فيقول: «لا تزرموا بالصبي» فيدعه حتى يقضي بوله، ثمّ يفرغ له من دعائه أو تسميته، ويبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنّه يتأذّى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده.[٥]

وكانﷺ يقدم من السفر، فيتلقّاه الصبيان فيقف لهم، ثمّ يأمر بهم فيرفعون إليه، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم.[٦]

وذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال:

أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه.[٧]

وجاءه رجل يسأله أن يعطيه فقال: «ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ».

---

١. *السيرة النبوية*: ٣٦٠/٢.

٢. *الوفاء بأحوال المصطفى*: ٤٣٣/٢.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢١.

٤. *السيرة النبوية، الذهبي*: ٣٢٣.

٥. *مكارم الأخلاق*: ٢٥.

٦. *المحجة البيضاء*: ٣٦٦/٣.

٧. جمع *الفوائد*: ١٠٢/٣.

وفي رواية: «ما عندي شيء أعطيك، ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك».[١]

وما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولكنّه بارز، من أراد أن يلقيه لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف عبده، ويعلف دابته بيده.[٢]

وكان إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا وكذا، ولكن يقول: «ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا» ينهي عنه ولا يسمّي فاعله.[٣]

وكان يشارك المسلمين في أعمالهم.

قال البرّاء بن عازب: «ولقد رأيته يومئذ ـ في الخندق ـ يحمل التراب على ظهره، حتى حال الغبار بيني وبينه».

وقال أبو سعيد الخُدَري: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحفر الخندق مع المسلمين والتراب على صدره».

وقالت أم سلمة: «كنت مع رسول الله ﷺ في الخندق فلم أفارقه مقامه كلَّه، وكان يحرس بنفسه في الخندق».[٤]

وحينما فتح مكّة قال:

يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء.[٥]

وفي أُحد أصابت رسول الله ﷺ بعض الجراحات، فقيل له: ألا تدعو عليهم، قال: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون».[٦]

---

١. *السيرة النبوية*: ٣٦٩/٢.

٢. *صفة الصفوة*: ١٦٨/١ ـ ١٦٩.

٣. *عيون التواريخ*: ٤٤٠/١.

٤. *المغازي*: ٤٤٩/١ ـ ٤٦٤.

٥. *السيرة النبوية*، ابن هشام: ٥٥/٤.

٦. *إعلام الورى بأعلام الهدى*: ٩٢.

وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «كان رسول اللهصلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، لا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا إمرأة، ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليها...».[١]

وكان ستوعب الرأي المخالف والاعتراض برحابة صدر، فحينما أمر بعدم قتل بني هاشم الذين أجبرتهم قريش على المشاركة في قتال المسلمين، قال أبو حذيفة:

أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العبّاس ـ عمّ النبي ـ والله لئن لقيته لألحمنّه بالسيف.[٢]

وكان لا بستغلّ منصبه كرسول، وكقائد دولة، وحتى لايستغلّ تقديس المسلمين له و احترامهم له لدفعهم عن التنازل عن بعض حقوقهم له، ويترك لهم حريتهم في التصرّف كما يحبّون؛ فحينما طلب وفد هوازن منهصلى الله عليه وآله إرجاع سباياهم من النساء، قال لهمصلى الله عليه وآله: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم».

وحينها بادر المهاجرون والأنصار بالقول: «وما كان لنا فهو لرسول الله».

أما بنو تميم، وبنو فزارة، وبنو سليم فأبوا، فقال لهم رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من أمسك منكم بحقّه فله بكلّ إنسان ستة فرائض من أوّل فيء نصيبه، فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم».[٣]

وحينما أراد إرجاع بريرة إلى زوجها، قالت: يا رسول الله، تأمرني به؟ فلم يستغلّصلى الله عليه وآله منصبه وتقديس بريرة له، ليأمرها بالرجوع مع كراهيتها لزوجها، وإنما قال: «إنّما أنا شافع».[٤]

الاقتداء بالإمام عليعليه السلام

كان الإمام عليعليه السلام أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة

---

١. *وسائل الشيعة*: ٥٨/١٥، كتاب الجهاد.
٢. *السيرة النبوية*، ابن هشام: ١٩٧/٢.
٣. *السيرة النبوية*، ابن كثير: ٦٦٨/٣.
٤. *سنن الدار القطني*: ١٥٤/٢.

الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.[١]

وكان يقول لأصحابه:

من كانت له إليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.[٢]

وكان يقول:

لقد تزوجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وما لي فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها.[٣]

وطلب منه أخوه عقيل أن يقضي دينه البالغ مائة ألف درهم، فقال: «يخرج عطائي فأواسيكه».

فقال عليه السلام عقيل:

بيت المال في يدك، وأنت تسوفني إلى عطائك، وكم عطاءك وما عسى أن يكون لو أعطيتنيه كلّه.

فقال عليه السلام: «ما أنا وأنت فيه إلّا بمنزلة رجل من المسلمين».[٤]

وقال صالح بياع الأكيسة: رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ألا نحمله عنك؟

فقال: «أبو العيال أحقّ بحمله».[٥]

ووصفه صعصعة بن صوحان، قائلاً:

---

١. شرح *نهج البلاغة*: ٢٧/١.

٢. *العقد الفريد*: ١٩٩/١.

٣. مختصر *تاريخ دمشق*: ١٦/١٨.

٤. *مناقب آل أبي طالب*: ١٢٥/٢.

٥. مختصر *تاريخ دمشق*: ٦٤/١٨.

كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدّة تواضع، وسهولة قياد، وكنّا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.[١]

وكان الإمام علي عليه السلام يقول:

لا تكلّموني بما تكلَّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا مني ما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو عدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورةٍ بعدل، فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن أُخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي.

فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا.[٢]

وفي خلافته وجد درعه عند نصراني، فحاكمه إلى القاضي شريح، فقال النصراني: ما هي إلّا درعي، فقال شريح للإمام علي عليه السلام: ألك بيّنة؟ قال عليه السلام: «لا»، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد، وقال: أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء.[٣]

وكان من روّاد الوحدة الإسلامية والحرص على المصلحة الإسلامية العليا، فكان يقول:

... فأمسكت يدي ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمد صلى الله عليه وآله في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده، فلبثتُ بذاك ما شاء الله، حتى رأيت راجعةَ من الناس رجعت عن الإسلام؛ يدعون إلى محق دين الله وملّة محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً، يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم... فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا.[٤]

وفي فترة الحصار التي واجهها الخليفة الثالث، توجّه عدد كبير من المسلمين إلى

---

١. شرح *نهج البلاغة*: ٢٥/١.

٢. *نهج البلاغة*: ٣٣٥.

٣. *الكامل في التاريخ*: ٤٠١/٣.

٤. شرح *نهج البلاغة*: ٩٥/٦.

الإمامعليه السلام ليصلّي بهم جماعة، ولكنّه رفض طلبهم، وقال: «لا أصلّي بكم والإمام محصور، ولكن أصلّي وحدي».[١]

وكان رأيه بالخوارج:

أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا».[٢]

الاقتداء بفاطمة الزهراءعليها السلام

قال الإمام الحسنعليه السلام:

رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة الجمعة، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه، لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجارَ ثمَّ الدار.[٣]

ودخل عليها رسول اللهصلى الله عليه وآله وإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها، فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أنت مني يا فاطمة» ثم جاء سائل فناولته القلادة.[٤]

وقال الإمام عليعليه السلام:

كانت ابنة رسول اللهصلى الله عليه وآله وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّت بالرحا حتى أثّرت الرحا بيدها، واستقَت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى أغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر.[٥]

والحديث يستلزم أنهاعليها السلام لم تكن تعمل بحدود أُسرتها، وإنّما كانت تعمل من

---

١. تاريخ الخميس: ٢/٢٦٣.

٢. الأموال:٢٤٥.

٣. *كشف الغمة*: ٢/٩٤.

٤. *بحار الأنوار*: ٤٣/٢٢.

٥. *حلية الأولياء*: ٢/٤١.

أجل خدمة المسلمين وخصوصاً جيرانها، فتطحن وتكرمهم، وتطبخ وتكرمهم، وإلاّ فإنّ هذه الأعمال لا تتطلب جهداً إذا كانت مقتصرة على الأسرة.

الاقتداء بالإمام الحسن عليه السلام

مشى عشرين مرّة من المدينة للحجّ على رجليه، وسمع إلى جنبه رجلاً يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف، فانصرف، فبعث بها إليه.[1]

وجاءه رجل من أهل الشام، يبغض علياً عليه السلام فسبّ أباه، فقال له الحسن عليه السلام:

أحسبك غريباً... فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإلى مال آسيناك، أو حاجة عاونّاك

فانصرف عنه وما على الأرض أحبّ إليه منه.[2]

وقال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال له: «لا تقل ذلك يا أبا عامر، لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك».[3]

وحينما طلب منه معاوية مقاتلة الخوارج، أجابه: «لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فاني تركته لصلاح الأمة وحقن دمائهم».[4]

الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام

مرّ مساكين قد بسطوا كساءً لهم، وألقوا عليه كسراً، فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله، فثنى وركه، فأكل معهم، ثمّ تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِين﴾ ثمّ قال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدّخرين.[5]

---

١. *مختصر تاريخ دمشق*: ٢٣/٧ ـ ٢٥.
٢. *وفيات الأعيان*: ٦٧/٢.
٣. *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*: ١٨٤/٥.
٤. *الكامل في التاريخ*: ٤٠٩/٣.
٥. *بحار الأنوار*: ١٨٩/٤٤.

ودخل على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: وا غمّاه، فقال لهعليه السلام وما غمّك يا أخي؟ قال: دَيني وهو ستون ألف درهم، فقالعليه السلام: هو عليّ... لن تموت حتى أقضيتها عنك، فقضاها قبل موته.[1]

وفي طريقه إلى كربلاء، التقى بأحد ألوية الجيش الأموي الذي جاء لقتاله، وكانوا عطاشى مع خيولهم، فقال لأتباعه: «اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً» وسقى الإمام أحدهم بنفسه.[2]

واتفق مع قائد الجيش الأموي على أن يسايره، فلا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة، وبعد هذا الاتفاق قال له الطرمّاح بن عَدي: «أسير معك حتى أُنزلك القرية... فإن هاجك هيج، فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، فو الله، لا يوصل إليك أبداً وفيهم عين تطرف».

فقال له الإمامعليه السلام: «جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول، لسنا نقدر معه على الانصراف».[3]

الاقتداء بالإمام علي بن الحسينعليه السلام

كان إذا أتاه السائل يقول: «مرحباً بمن يحمل لي زادي إلى الآخرة».[4]

وكلّمه رجل فافترى عليه فقال:

إن كنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت، فغفر الله لك.

فقام إليه الرجل فقبّل رأسه، وقال: جعلت فداك، ليس كما قلتُ أنا، فاغفر لي.

قال: «غفر الله لك».[1]

---

١. *المصدر*: ١٨٩/٤٤.

٢. *الإرشاد*: ٢٢٤.

٣. *الكامل في التاريخ*: ٥٠/٤.

٤. *صفة الصفوة*: ٩٥/٢.

وقيل له: إنّك أبرّ الناس ولا تأكل مع أمّك في قصعة، وهي تريد ذلك؟ فقال:

أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون عاقّاً لها.[٢]

واستطال رجل عليه فأغضى عنه، فقال له: إياك أعني، فقال: «وعنك أُغضي».[٣]

ودعا مملوكه مرّتين، فلم يجبه، ثمّ أجابه في الثالثة، فقال: «يا بنيَّ أما سمعت صوتي؟»، قال: بلى، قال: «فمالك لم تجبني؟» قال: أمنتك، قال: «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني».[٤]

وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له، فقال: «تدرون بين يدي من أقوم ومن أُناجي».[٥]

الاقتداء بالإمام محمد الباقر عليه السلام

قال قيس بن نعمان: خرجت يوماً إلى بعض مقابر المدينة، فإذا بصبي عند قبر يبكي بكاءً شديداً، وأنّ وجهه ليلقي شعاعاً من نور، فقلت: أيها الصبي، ما الذي عقلت له من الحزن، حتى أفردك بالخلوة في مجالس الموتى، فرفع رأسه وطأطأه، ثمّ قال:

إن الصبي صبيّ العقل لا صغر أزرى بذي العقل فينا ولا كبر[٦]

وقال له نصراني: أنت بقر؟ قال: أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها، قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذيّة؟ قال: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك».[٧]

---

١. *المصدر*: ٩٥/٢.

٢. *مناقب آل أبي طالب*: ١٧٦/٤.

٣. *تهذيب التهذيب*: ٢٧٠/٧.

٤. *مختصر تاريخ دمشق*: ٢٤٠/١٧.

٥. *سير أعلام النبلاء*: ٣٩٢/٤.

٦. *مختصر تاريخ دمشق*: ٨٠/٢٣

٧. *مناقب آل أبي طالب*: ٢٢٤/٤.

وقالت سلمى مولاته:

كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليقلّ منه؟ فيقول: يا سلمى، ما حسنة الدنيا إلّا صلة الإخوان والمعارف.[1]

الاقتداء بالإمام جعفر الصادق عليه السلام

كان عليه السلام يقول: «إني لأُسارع إلى حاجة عدوّي؛ خوفاً من أن أردّه فيستغني عنّي».[2]

وبعث غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج في أثره فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتى انتبه، فلمّا انتبه قال: «يا فلان والله، ما ذاك لك لتنام الليل والنهار؟ لك الليل، لنامنك النهار».[3]

وقال أبو عمر الشيباني: رأيت أبا عبد الله وبيده مسحاة، وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له، والعرق يتصابّ عن ظهره، فقلت: جعلت فداك، أعطني أكفِكَ، فقال لي: «إنّي أحبّ أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة».[4]

وقال أبو حنيفة سعيد بن بيان: مرّ بنا المفضّل، وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم... قال: أما أنّها ليست من مالي، ولكنّ أبا عبد الله عليه السلام، أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيءٍ أنْ أصلح بينهما وأفتديهما من ماله.[5]

وكان يدعو أصحابه إلى تعميق العلاقات مع بقية المسلمين، ومشاركتهم في نشاطاتهم وفعالياتهم، وفي آمالهم وآلامهم، وممّا ورد عنه عليه السلام في ذلك: «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة...

---

١. *كشف الغمة*: ١١٨/٢.

٢. *ربيع الأبرار*: ٦٢٩/٢.

٣. *مناقب آل أبي طالب*: ٢٩٦/٤.

٤. *الكافي*: ٧٦/٥.

٥. *المصدر*: ٢٠٩/٢.

صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري فيفرّحني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وإذا كان على غير ذلك، دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدبُ جعفر...».[١]

وكان ينصح الحكام بما هو صالح لخدمة المصلحة العامة، وكان لا ينظر إلى شخص الحاكم، فليس المهم أن يحكم فلان أو فلان أو الإمام، ولكنّ المهمّ تطبيق المفاهيم والقيم الإسلامية في الواقع، فكان يقول للحاكم العباسي المنصور:

نحن لك أنصار وأعوان ولملكك دعائم وأركان، ما أمرت بالمعروف والإحسان، وأمضيت في الرعية أحكام القرآن، وأرغمت بطاعتك أنف شيطان.[٢]

ومن حرص الإمام على سلامة أرواح المسلمين وإن كانوا مخالفين للإمام أو معادين له. سأله محمد بن القيس:

عن الفئتين من أهل الباطل أبيعهما السلاح؟ فقال عليه السلام: «بعهما ما يكنّهما: الدرع والخفتان والبيضة ونحو ذلك».[٣]

الاقتداء بالإمام موسى الكاظم عليه السلام

روي أن رجلاً من أهل المدينة كان يؤذيه ويشتم علياً عليه السلام، وكان قد قال له بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم وزجرهم، وفي أحد الأيام نزل إليه في مزرعته، وقال له: «كم ترجو في زرعك؟ قال: أرجو أن يجيئني مئتا دينار، فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: «هذا زرعك على حاله»، فقام الرجل فقبّل رأسه، وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل يدعو له في كل وقت.[٤]

---

١. *المصدر*: ٦٣٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٢١٨/١٠.

٣. *تحف العقول*: ٢٧٩.

٤. *سير أعلام النبلاء*: ٢٧٢/٦.

وخرج إلى أحد الضياع، فأهدى له عبد عصيدة وحطب، ومن أجل ردّ الجميل، اشترى الإمامعليه السلام الضيعة والرقيق من مالك العبد، وأعتقه، ووهب له الضيعة.[١]

وعلى الرغم من ظروف الملاحقة والإرهاب والاعتقال التي أحاطت بالإمام موسى الكاظمعليه السلام، والتي دامت ١٦ عاماً، إلّا أنه كان ينطلق من المصلحة العامة، فلم ينقطع عن النشاطات والممارسات العبادية الوحدوية، كصلاة الجمعة، والتي تؤدى جماعة، تشترك فيها كافة الطوائف الإسلامية، وهي وان كانت مقامة من قبل ولاة الحكم العباسي، إلّا ان الإمامعليه السلام وانطلاقاً من نظرته الوحدوية كان يشارك في صلاة الجمعة.

ووردت روايات تنصّ على أنّه كان يتهيأ للمشاركة فيها منذ يوم الخميس، وكان يقول لأصحابه: «إنّكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة».[٢]

فقد كان يشجّع أصحابه على المشاركة في صلاة الجمعة، لأنّها أحد العوامل التي تساهم في تآلف وتآزر القلوب ومن ثمّ المواقف العملية.

الاقتداء بالإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام

كان إذا جلس على مائدته، أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبواب.[٣]

وعن ياسر الخادم قال: قال لنا أبو الحسنعليه السلام: «إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون فلا تقوموا حتى تفرغوا» ولربما دعا بعضنا، فيقال: هم يأكلون، فيقول: «دعوهم حتى يفرغوا».[٤]

ودخل يوماً حماماً فبينما هو في مكان من الحمام، إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه، وقال صبّ على رأسي، فصبّ على رأسه، فدخل من عرفه، فصاح يا جندي،

---

١. *تاريخ بغداد*: ٣٠/١٣.

٢. *الشافي*: ١٩/٢.

٣. *مناقب آل أبي طالب*: ٣٩٠/٤.

٤. *الكافي*: ٢٩٨/٦.

هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ؟ فاقبل الجندي يقبّل رجليه، ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك، فقال عليه السلام: «إنها المثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أُثاب عليه».[١]

وقال له رجل: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً، فقال: «التقوى شرّفتهم، وطاعة الله أحظتهم».

وقال له آخر: أنت والله، خير الناس، فقال له: «لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى لله عزّ وجلّ وأطوع له».[٢]

الاقتداء بالإمام محمد الجواد عليه السلام وبقية الأئمة

اجتاز المأمون به، وهو بين صبيان فهربوا سواه، فقال: عليّ به، فقال له: مالك ما هربت في جملة الصبيان؟ قال: «ما لي ذنب فأفرَّ، ولا الطريق ضيّق فأوسعه عليك، تمرّ من حيث شئت».[٣]

وبعد وفاة الإمام الجواد عليه السلام أمر المعتصم، عمر بن الفرج أن يختار للهادي عليه السلام معلِّماً ببغض أهل البيت عليهم السلام، فاختار محمد بن جعفر الجنيدي، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من الاتصال به... فالتقى عمر بالجنيدي، وقال له: ما حال هذا الصبي؟ فقال الجنيدي: أتقول هذا الصبي ولا تقول هذا الشيخ؛ إنه يملي أبواباً استفيده منه، فيظنّ الناس أنّي أعلمه، وأنا والله، أتعلم منه.

والتقى به ثانية وسأله: ما حال هذا الصبي، فانكر عليه الجنيدي ذلك، وقال:

> دع عنك هذا القول، والله تعالى، لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برّأه الله تعالى... وأنّه حافظ القرآن من أوّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله.[٤]

---

١. *نور الأبصار*: ١٦٨.

٢. *بحار الأنوار*: ٩٥/٤٩.

٣. *مناقب آل أبي طالب*: ٤٢٠/٤.

٤. *حياة الإمام الهادي*: ٢٥ ـ ٢٦ عن *مآثر الكبراء*: ٩٥/٣ ـ ٩٦.

وقال أبو هاشم:

كنت مضيقاً، فأردت أن أطلب منه ـ الإمام العسكري ـ معونة، فاستحييت، فلما صرت إلى منزلي، وجّه إليّ بمائة دينار، وكتب إليّ: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم، واطلبها، فإنّك ترى ما تحبّ إن شاء الله.[1]

ودخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس الإمام العسكري فقالوا له: ضيق عليه ولا توسّع، فقال لهم:

ما أصنع به وقد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم.[2]

ومرّ به شخص وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنّ ذلك الشخص أنّه يبكي متحسّراً على ما في أيدي أترابه، ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فردّ عليه الإمام: «لا، ما للعب خلقنا» وبهر الرجل فقال له: «لماذا خلقنا؟»، قال: «للعلم والعبادة»، قال: «من أين لك هذا؟»، قال: «من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...﴾».

وبهت الرجل ووقف حائراً وقال: «ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك؟»

قال: «إليك عني، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبير، فلا تتقد إلّا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم».[3]

وينبغي توجيه الطفل للإقتداء ببقية الأولياء والصالحين من المتقدّمين والمعاصرين، ومنهم بعض الصحابة وبعض التابعين والفقهاء من مختلف المذاهب.

والتربية بالإقتداء بالقدوات الصالحة تربية ضرورية؛ لأنّ إهمالها سيؤدي بالأطفال إلى الاقتداء بغيرهم من الهامشيين، حينما لم يجدوا القدوة السامية، فيقتدون بواحد من النجوم اللامعة في مجالات:

---

١. *مناقب آل أبي طالب*: ٤٧٢/٤.

٢. *الإرشاد*: ٣٤٤.

٣. *الصواعق المحرقة*: ٣١٤.

١. الفن والتمثيل.

٢. الرياضة كأبطال كرة القدم، أو المصارعة أو الملاكمة.

٣. الغناء والطرب.

٤. السياسة، كبعض الرؤساء والوزراء.

ويؤدي فقدان القدوة الصالحة، أو يؤدي الاقتداء بالهابطين أو المنحرفين إلى انحراف الأطفال.

رابعاً: تنمية الإرادة

للإرادة دور كبير في النمو والتنمية الأخلاقية، فهي العامل الأساسي في تحويل المفاهيم والقيم الأخلاقية من طور القوة والكمون والجمود إلى طور الفعل والحركة والنشاط العملي، حينما تترجم التصوّرات إلى أعمال وحركات وممارسات ميدانية، وحينما تتجذّر في العقول والقلوب والنفوس، وتتحول إلى عادة ثابتة وملكة راسخة، حيث يكون دور التنمية والتربية دور استحثاث الطاقات الكامنة وإنماء القدرات الممكنة النماء، وأفضل الطرق لتقرير المبادئ الأخلاقية في الواقع وتحكيمها على الأفكار والعواطف والممارسات، أن تقوّى الإرادة.

وتقوم الإرادة بأدوار حيوية ومنها:

١. تمنع الإنسان من الاندفاع والانكماش الآلي نحو الفعل الخارجي، بعد التأمل والتفكير بالمصالح والمفاسد.

٢. تقلب الفعل الغريزي أو العادي إلى فعل تأملي مقصود ومراد.

٣. تنظّم التصوّرات والارتباطات والممارسات تنظيماً موافقاً للمصالح والمفاسد تبعاً للظروف الطارئة والمستجدة.

٤. تجعل الإنسان يشعر بما يريد فعله أو قوله ويدرك الغاية من ورائه.

٥. تجعل الإنسان قادراً على إدراك إمكانية تحقيق ما يريد، أو عدم إمكانيته، فهي عمل معقول.

وتختلف الإرادة عن العادة، لأنّها تقوم على التكرار، وتختلف عن الغريزة، لأنّ الغريزة أشبه بالرغبة العمياء.

والإرادة، حركة وفاعلية وقرار واقعي، يتقوّم أو يرتكز على ما يتبنّاه الإنسان من مفاهيم وقيم ومثل وتصورات وأفكار، وما يستتبعها من عواطف ومشاعر، والإرادة هي جزء هام من مقوّمات الشخصية الإنسانية التي تتقوم بثلاث مقومات:

١. الفكر والعقيدة.

٢. العاطفة من حيث الحبِّ والبغض.

٣. الإرادة.

فإذا انطبقت هذه المقوّمات تمتعت الشخصية بالاطمئنان والاستقرار، وإذا لم تنطبق أو بمعنى آخر إذا لم تتبع الإرادة الفكر والعاطفة اضطربت الشخصية وابتعدت عن الاستقرار.

والفعل الإرادي يمكن تحليله إلى عنصرين:

١. نيّة الفعل، حيث تشتمل على رغبة وحاجة وأمل.

٢. إرادة الفعل، حيث تنزع الإرادة إلى تقرير الفعل من حيث تجسيده في الواقع أو عدم تجسيده، والفعل الإرادي يمكن إرجاعه إلى عدّة مراحل:

١. تصوّر الهدف أو الغاية.

٢. مناقشة التصوّر والتدبّر فيه.

٣. القرار أو العزم وهو السعي بالإراده.

٤. التنفيذ.

وقوة وضعف الإرادة المتمثلة بمرحلتها الأخيرة، وهي التنفيذ تتأثّر بعدة عوامل ومنها:

١. إلحاح الغريزة.

٢. وجود المغريات الخارجية.

وتلعب التربية والتنشئة الاجتماعية دوراً أساسياً في تنظيم الغريزة من حيث الاندفاع والانكماش، أو التأجيل أو الإطلاق والتقييد، حيث يمرّ الإنسان بعدة مراحل أو تواجهه عدة مراحل:

١. مرحلة الحذر: حيث يتعلّم فوائد أو أضرار بعض الممارسات، فيحذر من ترك الفوائد أو ممارسة الأضرار سواء كانت أضراراً فردية أوشخصية، أو أضراراً اجتماعية.

٢. مرحلة السلطة الاجتماعية: حيث يتعلّم الإنسان مراعاة السلطة الاجتماعية فبعض ممارساته تسبّب رضى الناس لموافقتها لهم، وبعضها تسبّب سخط الناس أو عدم ارتياحهم.

٣. مرحلة المسايرة أو المجاملة: حيث يتعلّم الإنسان مسايرة المجتمع أو مجاملته في عاداته وتقاليده وأعرافه وممارساته.

٤. مرحلة الإرادة: وهي أرقى وأنضج المراحل، حيث يتعلّم الإنسان القدرة على التحكّم في رغباته ودوافعه، بغضّ النظر عن رأي المجتمع، أو بغضّ النظر عن رضا الناس وسخطهم، حيث يكون قراره النهائي نابعاً من المفاهيم والقيم التي آمن بها وتبنّاها منهجاً له في الحياة.

وقوة الإرادة لها معنيان:

١. قوة الإرادة الإيجابية إذا كان العمل صالحاً وبنّاءً.

٢. قوة الإرادة السلبية إذا كان العمل طالحاً وهدّاماً.

وقوة الإرادة الإيجابية تعتمد على:

١. الإيمان العميق المتفاعل مع المفاهيم والقيم الدينية والروحية.

٢. الشعور المتجذّر بالرقابة الإلهية.

٣. التدريب المتكرّر على الأعمال الصالحة.

٤. ممارسة الأعمال الصالحة في الواقع.

٥. حيوية الضمير.

٦. التدريب على ضبط الغرائز وعدم الانسياق وراء ما هو غير مشروع منها.

٧. دور الثواب والعقاب.

تسافل الإرادة

والإرادة قد تتسافل وتتجه نحو الهاوية، حينما تفرض على الفكر والعاطفة حالة التبعية لها خلافاً لواقعها، فالإرادة في الوضع السوي والطبيعي تتبع العاطفة، والعاطفة بدورها تتبع الفكر، فيتحقّق الاطمئنان والاستقرار في الشخصية، وفي حال عدم الاتباع تبقى الشخصية قلقة ومضطربة.

أما الحالة أو الوضع غير السليم للإرادة، هو إرغام الفكر والعاطفة على متابعة الإرادة، وهي خدعة تتجه لها النفس للمحافظة على الاستقرار الآني.

ومن خلال دراسة التاريخ تظهر لنا إرادتان أحدهما إيجابية والأخرى سلبية تتسافل فيها الإرادة، لتكون حاكمة على الفكر والعاطفة.

ظاهرة الحر بن يزيد الرياحي

الحر بن يزيد الرياحي كان يؤمن بأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو ابن خير الرجال وخيرة النساء، وأنّه أحقّ بالخلافة من يزيد، وكانت عاطفته مع الحسين عليه السلام تبعاً لنظرته إليه، وكان قائداً في الجيش الأموي، وكلّفه والي الكوفة بأن يضايق الحسين ولا ينزله إلّا بالعراء.[1]

وقد كان الحرّ متردداً في قتال الإمام عليه السلام، بل لم يتوقّع أن الأمر يصل إلى القتال، وقد بقي يعيش صراعاً داخلياً بين عقله وإرادته، أي بين فكره وعاطفته وسلوكه المرتقب، وهذا

---

١. *الكامل في التاريخ*: ٥٢/٤.

الصراع سلبه الاطمئنان والأمان، فهو مخيّر بين الدنيا وجميع ما فيها، وبين الآخرة، بين الحياة وبين الموت، بالبقاء مع الجيش الأموي أو الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام.

وحينما أيقن بأنّ القتال سوف يقع لا محالة، أتبع إرادته بعاطفته وفكره، لأنّه كان يوالي الحسين عليه السلام في أعماقه، وكان موقفه الظاهري مع بني أمية، إلّا أنه حسم الوقف وقرّر أن يكون موقفه مع الحسين عليه السلام فتطابق لديه الفكر والعاطفة والإرادة، حيث صرّح لأحد الرجال: إني والله أخيّر نفسي بين الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت. ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين عليه السلام.[1]

ظاهرة عمر بن سعد

كان عمر بن سعد، من الشخصيات المرموقة في مجتمع الكوفة، وكان يعدّه البعض من الفقهاء، وكان يؤمن بأحقيّة الإمام الحسين عليه السلام، وبأنّه يجسد الرسالة الإسلامية، وكان كغيره من المسلمين تابعاً للحكومة الأموية كقائد عسكري، فكان موقفه الظاهري معها مع الاحتفاظ بفكره وعاطفته بمعية الحسين عليه السلام، وكان يعيش الصراع الداخلي الذي سلبه الأمان والاطمئنان والاستقرار، واشتدّ الصراع، وعظم لديه حينما خُيّر بين ملك الريّ وبين قتل الحسين عليه السلام، وقد أفصح عن حقيقة الصراع قائلاً:

أأترك ملك الريّ والريّ منيتي ... أو أرجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عيني[2]

وبقي يعيش عدم الاستقرار النفسي لعدم تطابق الفكر والعاطفة والإرادة، ففقد الاستقرار والتوازن النفسي وخدعته نفسه أو خدع نفسه، فجعل فكره وعاطفته تبعاً لإرادته.

وأول خطوة خطاها هي نكران يوم القيامة أو التشكيك به.

---

١. *المصدر*: ٦٤.

٢. *الكامل في التاريخ*: ٥٢/٤.

يقولـــــون إن الله خـــــالق جنـــــة ونـــار وتعـذيب وغـــلّ يـــدين
فـــإن صـــدقوا فيمـــا يقولـــون إننـــي أتـــوب إلـــى الـــرحمن مـــن ســـنتين
وإن كـــذبوا فزنـــا بـــدنيا عظيمـــة وملـــك عقـــيم دائـــم الحجلـــين[١]

والخطوة الثانية هي إعلان إيمانه الكامل بأحقية الحكم الأموي حيث يقول: «يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري».[٢]

وبعد انتهاء المعركة، لم يحصل على ملك الري، فعاد إلى ثوابته الفكرية وقال:

ما رجع أحد إلى أهله بشرّ مما رجعت به، أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة.[٣]

وخلاصة القول: إن تنمية الإرادة ضرورة تربوية ينبغي الانتباه إليها في أجواء تربية الطفل، وهي تعتمد بالأساس على مقومين:

الأول: سمو المفاهيم والتصوّرات والأفكار والعقائد والذي تتشعب منها الأهداف والغايات السامية، ولهذه الأهداف سلطان قوي على أعماق النفس الإنسانية، فهي التي توجّه إرادته، وتحشّد قواه النفسية في خدمة الهدف، وكلّما كان الهدف أسمى وأرفع كانت القوى اللازمة لتحقيقه أكثر وأغزر.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الهدف العظيم يخلق الإنسان العظيم.

الثاني: الثقة بالنفس لتحقيق الأهداف، فمن تكون ثقته عالية بنفسه، يجد نفسه قادراً على القيام بكل عمل يقع مقدمة لتحقيق الهدف، فيقدم عليه بحماسة متعالياً على جميع ألوان ومظاهر المصاعب والتعقيدات والعراقيل، فيفضل الجهد على الراحة والإقدام على التراجع والخطر على السلامة، وخير نموذج هم أرقى الشخصيات الذين وصلوا إلى حدٍّ التضحية بالمال والنفس من أجل تحقيق أهدافهم السامية.

---

١. *مقتل الحسين*، *أبي مخنف*: ٧٩.
٢. *بحار الأنوار*: ٣٩١/٤٤.
٣. *أنساب الأشراف*: ٢١١/٣.

القسم الثامن

النمو الجنسي

تمهيد

سنتطرق في هذا البحث إلى القضايا المتعلّقة بالنمو الجنسي للوليد، والعلاقات الجنسية بين الزوجين، وإلى العوامل الدخيلة في إعداد الوليد لخوض الحياة المستقبلية، بعد أن توصل علماء التحليل النفسي الى: أنّ الانحراف الجنسي في الكبر يرتبط بنوع معاملة الرضيع في هذه السن بخصوص سلوكه الجنسي.[1]

ونحن إذ نتفق معهم في تحليلهم، إلّا أنّنا نرى نوعاً من المبالغة في الأمر، وهو لا يتعدّى خلق الاستعداد في نفس الرضيع للاستقامة أو الانحراف، تبعاً للبيئة التي يترعرع فيها ابتداءً من شخصية المرضعة ومصدر حليبها، والأجواء الانفعالية التي تحيط به، وأسلوب التعامل معه في إشباع حاجاته كمّاً ونوعاً.

والولادة، هي عملية انتقال من بيئة الجسم إلى العالم الخارجي، وهي انتقال من الاعتماد الكامل على الأم إلى الاستقلال النسبي، فبعد أن كان الجنين يعتمد على أمّه في تنفّسه وغذائه، يبدأ الوليد يستقلّ بأمر تنفّسه وغذائه، والوليد بحاجة إلى رعاية خاصة لكي يقضي فترة التكيّف والتوافق مع العالم الخارجي، حيث ينتقل

---

١. *علم نفس النمو*: ١٥٨، *سيكولوجية النمو والارتقاء*: ١٧٦.

من بيئة ذات حرارة ثابتة إلى البيئة الخارجية ذات الحرارة المتغيّرة، والوليد يتأثّر بالظروف المحيطة به من الناحية البدنية والنفسية، ومن حيث نموّه الجسمي والنفسي والعصبي، فهو وان كان صغيراً إلّا أنه يتأثر بالأفكار والمشاعر والرغبات والاتجاهات التي يحملها الوالدان أو الأم خاصة اتجاهه، من حيث الرغبة أو عدم الرغبة في ولادته، فيستجيب لما يدور حوله من مشاعر وأفكار استجابة سليمة، أو مرضية تبعاً لدرجة المرغوبية فيه، وستؤدي إلى آثار سلبية في المستقبل إن لم تعالج علاجاً موضوعياً صائباً.

الإيجابيات الجنسية للختان في مرحلة الرضاعة

من إيجابيات الختان في مرحلة الرضاعة وخصوصاً في الأسبوع الأول منها، عدم الشعور بالألم لضعف النمو الحسّي عند الرضيع، وهذا الأمر مستحسن من قبل الشريعة ومن قبل الأطباء، وعلماء النفس.

قال رسول الله ﷺ:

طهّروا أولادكم يوم السابع؛ فإنه أطيب وأطهر وأسرع لنبات اللحم... .[1]

وإذا تأخر الختان إلى المراحل المتقدمة في العمر، فإنه يخلق حالة من الخوف والهلع لدى الطفل تترك آثاراً سلبية على وضعه الانفعالي بعض الوقت.

وينصح الدكتور سبوك الآباء الأمهات: أن تكون عملية الختان للذكور في الأسابيع الأولى من الولادة؛ لأنّها عندما تجري في الفترة ما بين الثالثة والسادسة من عمرْ تؤثر على تفكير الطفل، وعلى خوفه من الخصي.[2]

والخوف من الخصي له نتائج وآثار سلبية على النمو الجنسي للذكر.

---

١. *الكافي*: ٦/٣٥.

٢. حديث *الى الأمهات*: ١٩٤.

ومن آثار الختان عند الكبر، هو كشف العورة أمام الطبيب وأمام المدعوّين وخصوصاً، أنّ بعض المجتمعات تجمع بين ختان الولد وزواج أخيه الأكبر في مناسبة واحدة.

وهنالك ظاهرة شائعة عند بعض المجتمعات، وهي ختان أو خفض الأنثى، وخصوصاً في المدن الريفية، حيث لاحظنا هذا الشيوع في العراق، وفي مصر من خلال سماع قصص الطاعنين في السنّ الذين عاشوا في العقد الثالث والرابع من هذا القرن، وشاهدوا هذه الظاهرة، التي بدأت طريقها للزوال.

وخفض البنت لا حرمة فيه، ولكنّه غير مرغوب لدى الشريعة الإسلامية.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ختان الغلام من السنّة، وخفض الجواري ليس من السنّة».[١]

وقال أيضاً:

لما هاجرن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هاجرت فيهنّ إمرأة يقال لها: أمّ حبيب، وكانت خافضة تخفض الجواري، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها:

يا أمّ حبيب، العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ قالت: نعم، يا رسول الله، إلّا أن يكون حراماً فتنهاني عنه.قال: لا بل حلال، فادني منّي حتى أعلمك، يا أم حبيب، إذا أنت فعلت فلا تنهكي ـ أي لا تستأصلي ـ وأشمّي فانه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج.[٢]

وخفض البنت يتمثّل بالتقليل من طول البظر، ولعلّ الغاية منه التقليل من الهيجان الجنسي باعتبار أنّ البظر هو مركز الجنس الأساسي لدى الأنثى للوصول إلى الذروة واللذة النهائية.

فهو مباح مادام يحقّق مصلحة من المصالح الجنسية، ولذا لم ينه رسول الله صلى الله عليه وآله عنه، وإنّما نهى عن استئصال البظر أو خفضه إلى درجة انعدام الإحساس الجنسي.

---

١. *الكافي*: ٦/٣٧.

٢. *المصدر*: ٣٨.

ويمكن القول: إنه مباح في حدود ذوات البظر الطويل الذي قد يكون عائقاً من الإيلاج، أو يكون سبباً للشذوذ الجنسي لدى الأنثى لإشباع رغبتها مع أنثى أخرى.

ولا نريد الإسهاب في هذه الظاهرة، لأنّها بدأت تتناقص وفي طريقها إلى الزوال.

النمو الجنسي للرضيع

يرى بعض علماء التحليل النفسي: أنّ الطاقة الجنسية موجودة منذ الميلاد، ولكنّها تكون في حالة كمون.

ويرى أنّ اللذة الجنسية، وهي الشعور العام باللذة والدفء العاطفي والراحة الجسمية ضرورية للوليد.

ويكون مصدر اللذة هو الفم، حيث يشتقّ الوليد اللذة من المصّ وخصوصاً من ثدي أمّه، ثمّ يستعين بإصبعه أو حتى ملابسه للحصول عليها.

ويرى علماء التحليل النفسي: أنّ المشاعر الجنسية والاتجاهات الجنسية رغم أنّها تستثار بشكل واضح وملموس في فترة المراهقة إلّا أنّ جذورها ترسخ في الشهور الأولى من حياة الفرد.[1]

ويتركّز النمو الجنسي للرضيع في ذاته وخصوصاً في الأشهر الستة الأولى من ولادته.

وفي النصف الثاني من العام الأوّل يتزايد اهتمامه بجسمه بدافع حبّ الاستطلاع لديه، وزيادة مهارته في استخدام يديه، فيتحسس جوارحه وأعضاء جسده، فيكون اهتمامه الجنسي مركّزاً في الغالب حول الفم واللعب بالأعضاء التناسلية، وخصوصاً عند الذكور فهم أكثر لعباً من الإناث بأعضائهم التناسلية كما هو واضح لدى المتتبّعين لنمو الاطفال في مرحلة الرضاعة.

---

١. *علم نفس النمو*: ١٥٦.

واللعب بهذه المنطقة الحساسة يولّد لذّة وقتية من لمسها وحكّها، وهذا أمر طبيعي عادي وبريء.

والأعضاء التناسلية قابلة للإثارة والتهيج، فتوجيه النظافة الزائدة إليها يؤدّي إلى إثارتها بسبب اللمس المصحوب بالمادة المرطّبة، وتكون للملابس الضيقة دور في إثارتها عن طريق الاحتكاك، إضافة إلى ان حموضة البول تدفع الرضيع إلى تناول أعضائه التناسلية باستمرار أو بدرجة زائدة.

ومن الأخطاء الشائعة أنّ تقوم بعض الأمهات بملاطفة الطفل الرضيع عن طريق اللعب بأعضائه التناسلية، أو إسكاته بهذه الطريقة، لأنّ الهيجان غير الطبيعي قد يؤثّر على توازن النمو الجنسي في شخصيته، وقد يستمر بنفسه لتناول أعضائه باستمرار.

وينمو الدافع الجنسي أكثر فأكثر كلّما تقدّم الرضيع في العمر، ففي العام الثاني يحبّ الرضيع أن يبقى عارياً بلا ملابس، وقد يجد لذّة في التعري، وهذا أمر طبيعي أيضاً لا داعي للقلق بسببه.

الموقف السليم من نمو الرضيع الجنسي

إنّ نمو الرضيع الجنسي ظاهرة فسيولوجية طبيعية، كذلك الحال في ممارساته اتجاه أعضائه التناسلية، ويجب على الوالدين وخصوصاً الأمهات أن ينظرن إلى هذه الظاهرة نظرة طبيعية موضوعية وينبغي مراعاة النقاط التالية:

١. ان اللعب بالأعضاء التناسلية ناجم عن حبّ الاستطلاع كسائر أعضاء الجسم، وأنّ زيادة اللعب ناجمة من حصول لذّة وقتية لحساسية الأعضاء.

٢. ينبغي عدم معاقبة الرضيع على ذلك بالنهر الشديد أو بالقوة، حتى يكتمل لديه استكشاف أعضاء جسمه بطريقة طبيعية.

٣. إنّ ضرب الطفل على يديه أو إبعادها عن أعضائه التناسلية بالقوة، تولّد لديه إصراراً على إعادة الكرّة بعد غياب القوة، وقد تستمر هذه الحالة لديه حتى الكبر.

٤. يستحسن إشغال الطفل بأشياء أخرى حين يتمادى في اللعب بأعضائه التناسلية.

٥. إعطاؤه حرية وقتية في التعرّي، ثمّ العودة إلى ستر أعضائه بهدوء ويسر، بلا إكراه أو إجبار.

٦. الحذر الحذر من مسك أعضائه التناسلية لإشغاله عن الرضاعة أو الحيلولة دون استمراره في الصراخ.

وخلاصة القول: إنّ السلوك غير المنطقي مع الرضيع حين لعبه بأعضائه التناسلية، يؤدي به إلى الإصرار على لمسها وتحريكها واكتشاف مكنوناته.

والمستفاد من مرحلة النمو العاطفي والنفسي، هو تأثير خبرات الرضاعة السارّة والمحزنة على التوازن الانفعالي للرضيع، فهو يشعر بالعطف والحنان كما يشعر بعدم المرغوبية وانعدام الحب والطمأنينة، فإذا لم يجد البيئة الصالحة للتمتّع بالحب والحنان والأمن، فانه سيبقى في دوامة من الاضطراب العاطفي والإحساس بأنّه عنصر غير مرغوب فيه أو غير محبوب لدى أمه أولدى المجتمع، ويستمرّ لديه هذا الشعور إلى أن يجد الفرصة المناسبة له ليعبّر عن غضبه وحقده على المجتمع؛ بتصرّفات عدوانية متعدّدة المظاهر والأشكال، وقد يلتجأ إلى الانحراف الجنسي كوسيلة لإشباع نهمه العاطفي ولإشعار نفسه بالأمن والحماية والطمأنينة الكاذبة.

وإضافة إلى آثار الحرمان السلبية، فإنّ للدلال الزائد دوراً سلبياً في خلق الاضطراب في شخصية الرضيع عند كبره، حيث يكون في دائرة من الضعف وعدم القدرة على مواجهة أعباء الحياة والبقاء في حالة الاعتماد على الغير، وهذه الحالة تؤدي به إلى الوقوع أيضاً في براثن الانحراف وفقدان العفّة، حيث يستسلم لأي قلب يغويه ولاية نظرة تثيره، وقد يستسلم للانحراف والشذوذ خوفاً وضعفاً، حيث لا يتمكّن من التغلب على ضعفه وفقدانه الثقة بالنفس.

مراحل الطفولة الجنسية

أولاً: الطفولة المبكّرة

تمتّد هذه المرحلة من بداية السنة الثالثة إلى نهاية السنة السادسة، وقد تزيد أو تنقص، فهي تمتد من نهاية الرضاعة أو بداية الفطام وتنتهي بدخول الطفل للمدرسة، ويطلق البعض عليها اسم مرحلة قبيل المدرسة، أو مرحلة الحضانة.

ثانياً: الطفولة الوسطى

تمتدّ هذه المرحلة من بداية السنة السابعة إلى نهاية السنة التاسعة، وهي المرحلة الابتدائية من المدرسة وخصوصاً الصفوف الثلاثة الأولى.

ثالثاً: الطفولة المتأخرة

تمتد هذه المرحلة من بداية السنة العاشرة وتنتهي في بداية السنة الثالثة عشر، ويطلق البعض عليها مصطلح «قبيل المراهقة».

وهذا التقسيم اعتاد عليه كثير من علماء النفس والتربية والنمو، وهو تقسيم حسن

إلّا أنّ تحديد العمر فيه لم يكن دقيقاً، لوجود فوارق بين الذكور والإناث، وبين الذكور أنفسهم من حيث النمو المتنوع.

ونحن وإن قسّمنا مراحل الطفولة إلى قسمين.[١]

١. الطفولة المبكّرة من الفطام إلى نهاية الحضانة (٣ ـ ٧ سنوات).

٢. الصبا والفتوة من ٧ إلى ١٤ سنة.

إلا أنّنا في هذا الكتاب نتابع تقسيم العلماء المتقدّم لأنّه ينسجم مع موضوع النمو الجنسي في عهد الطفولة.

وفيما يلي نستعرض النمو الجنسي في مراحل الطفولة المختلفة حسب هذا التقسيم.

النمو الجنسي في مرحلة الطفولة المبكرة

إنّ الحيويّة الجنسية تبدأ مع الإنسان منذ عهد الطفولة المبكّرة، وتتفاعل مع فكره وسلوكه انسجاماً مع عمره الزمني وعمره العقلي.

وقد أكّدت أساسيات المنهج الإسلامي على حيوية الأطفال الجنسية، وحذّرت من آثارها الغريزية في مراحل الطفولة وحذّرت من نتائج آثارها السلبية على مستقبل الطفل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي إمرأته، وفي البيت صبيّ مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً؛ إن كان غلاماً كان زانياً، أو جارية زانية.[٢]

وتابع أئمة أهل البيت عليهم السلام رسول الله في تأكيد هذه الحقيقة.

---

١. مراحل التربية وأسس الصحة النفسية للأطفال: الباب الأوّل، للمؤلف.

٢. *وسائل الشيعة*: ١٣٣/٢٠.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لا يجامع الرجل إمرأته ولا جاريته، وفي البيت صبي؛ فإن ذلك مما يورث الزنا.[١]

ولولا يقظة الطفل الجنسية وقدرته على التفاعل والانفعال الجنسي لما حذّر أهل البيت عليهم السلام من إثارة الطفل.

وتابع الفقهاء تلك الأحاديث الشريفة، واستنبطوا منها أحكاماً شرعية تتعلّق بالمباشرة الجنسية أمام الأطفال من قبل الوالدين.

وبقيت هذه الآراء غير متداولة إلّا في حدود ضيّقة لا تتعدّى النصائح والارشادات، ولم تتبلور على هيئة حقيقية علمية أو نظرية إلّا في القرنين الأخيرين.

ولا غرابة إن وجدنا أنّ العلماء يستشهدون بأقوال وآراء (فرويد) و(آدلر ويونك) المتعلّقة بالنمو الجنسي للأطفال، دون الالتفات إلى الأقوال والآراء التي صدرت من أئمة المسلمين وفقهائهم، لانقطاع الصلة بين حاضر المسلمين وتراثهم الخالد، وللوقوع في أوهام الانبهار الحضاري بآراء الغربيين.

فالأقوال والآراء لم تكن اكتشافات لحقائق جديدة، بل هي تكرار لما قيل وتفصيل لا إجمال كالسابق.

يرى فرويد: أنّ الطفل الوليد يأتي إلى هذا العالم وبذور الغريزة الجنسية موجودة فيه، وهذه البذور تستمر على النمو بصورة دورية.

ويرى آدلر: أنّ الظاهرة الجنسية توجد في وقت مبكّر جداً في حياة الطفل، وفي وسع كل مربية أو والدة ملاحظة أطفالها، وتشاهد في الأيام الأولى بعد مولد الطفل بعض الحركات والتهيجات الجنسية، على أنّ ظهور هذه المظاهر الجنسية موقوف على البيئة المحيطة بالطفل أكثر مما يظنّه الإنسان.

---

١. *المصدر*: ١٣٤.

ويرى يونك: بدء القيم الجنسية بالظهور قبل سنّ الخامسة وتبلغ قمّتها خلال المراهقة.[١]

ويصعب على الباحث فهم الحياة الجنسية لدى الاطفال، لصعوبة ملاحظة ما وراء المظاهر الجنسية من أفكار وتخيّلات ومشاعر لتشخيص ما هو ذو طابع جنسي أو غير جنسي أو شبه جنسي.

ولذا تقتصر المعرفة عن حياة الاطفال الجنسية على:

١. الاطلاع على الحقائق البيولوجية في النمو.

٢. رصد الممارسات الجنسية الظاهرية.

وتختلف الممارسات الجنسية من طفل لآخر ومن عمر لآخر، ومن بيئة لأخرى.

والممارسات الجنسية تأتي عن طريق الصدفة أو حب الاستطلاع، وبعضها يأتي بهدف محدد وهو إرضاء وإشباع الرغبة الجنسية.

وتحدث أغلب الممارسات تلقائياً بدون تعلّم أو تلقين، وتستمر إنْ أثيرت عمداً أو بالصدفة أو تلقائياً أو بالإثارات الخارجية المتنوعة.

ومن أهم مظاهر النمو الجنسي في هذه المرحلة:

أولاً: حب الاستطلاع الجنسي

يبدأ الفضول وحبّ الاستطلاع الجنسي من العام الثالث، بكثرة الأسئلة وبالمشاهدات اليومية، وبالاهتمام بالأعضاء التناسلية البارزة، والطفل سواءً كان ذكراً أم أنثى، يبدأ بالتساؤل عن كثير من الأمور المتعلّقة بالجنس ومن أهمها:

- كيفية خلق الطفل في بطن أمه.
- اختصاص الأم بالحمل دون الأب.
- عدم حدوث الحمل عند الفتاة غير المتزوجة.

---

١. *علم النفس التكويني*: ٥٣٠ ـ ٥٣١.

- عدم حدوث الحمل عندالطفلة الصغيرة.
- كيفية الولادة.
- من أين يولد الطفل.
- لماذا يكون الوليد ذكراً أو أنثى.
- الفرق بين الذكر والأنثى وأسبابه.
- فوائد الأعضاء التناسلية لكلّ من الذكر والأنثى.
- هل ينقلب الذكر إلى أنثى وبالعكس.
- من الذي يحدّد جنس الوليد.

وكثرة الأسئلة، ظاهرة طبيعية، بل هي ظاهرة صحيّة تعبّر عن وعي الطفل وإدراكه لما يجري حوله ولما يشاهده في حياته اليومية.

وينبغي للوالدين تفهّم حاجات الطفل لمزيد من المعرفة، وأن لا يظهروا مخاوفهم من كثرة الأسئلة، والأفضل عدم منع الطفل من هذه الأسئلة، بل ينبغي فسح المجال النفسي والروحي ليسأل عما يجول في خاطره، وأن لا ينزعج الوالدان من الأسئلة، أو يبديا انزعاجاً أو قلقاً أو اشمئزازاً، بل ينبغي الإيحاء بمشروعية الأسئلة وإنها أمر طبيعي.

وينبغي أن تكون الإجابة موضوعية تتناسب مع فهم الطفل وإدراكه ودرجة تقبّله، دون تفصيل زائد ودون انفعال، وأن تكون الإجابات معقولة ومريحة تشبع فضول الاطفال وتقطع تساؤلاتهم بعد الإقناع والوثوق بها، وأن يتّفق الوالدان على إجابات واحدة لا تناقض فيها ولا اختلاف، لأنّ حبّ الاستطلاع لدى الطفل يجعله يكرّر نفس السؤال على والده أو والدته أو غيرهما، فإذا كانت الأجوبة متناقضة، فان ذلك يؤدي إلى اضطراب فهمه الأعمق والاستطلاع الأوسع بالمشاهدة والنظر إلى الأعضاء التناسلية لدى والديه أو لدى الغرباء.

وإنّ عدم الجواب أو تناقضه يدفع الطفل إلى توجيه الأسئلة إلى طفل آخر أكبر منه سناً أو إلى بالغ، وقد يستغل بعض المنحرفين هذه الأسئلة لخداع الطفل وإيقاعه في حبائل الانحراف.

وقد يرجع عدم تساؤل الطفل عن المسائل الجنسية إلى عدة أسباب:

- لم يحصل على جواب شاف، فيترك التساؤل.
- حصلت له مواجهة زجر وتوبيخ.
- أدرك كراهية الوالدين للسؤال في مثل هذه الأمور، فسأل آخرين فحصل على معلومات أرضته أو أقنعته.
- يشعر بالحياء لكي لا يتّهم بالجهل وعدم المعرفة.
- إنصاته الدقيق لما يقال عن الأمور الجنسية إلى أن جمع معلومات متفرّقة من عدة مصادر.

ولا نريد أن نخالف الواقع وننشغل بفروض ذهنية غير واقعية، لنسطّر الأجوبة عن أسئلة الطفل الجنسية، فالحقيقة التي ينبغي أن تقال: إنّ الأسئلة تسبب إحراجاً للوالدين، ويصعب عليهما وعلى غيرهما الإجابة عن هذه الأسئلة، وخصوصاً ما يتعلق بكيفية الحمل، والذي أراه مناسباً هو ربط الأجوبة بما وراء الغيب إلى أن يأتي الظرف والوقت المناسب ليدرك الطفل الحقيقة، وعلى سبيل المثال: إنْ سأل عن الحمل، فيكون الجواب: إنّ الله تعالى يضع الطفل في بطن أمه.

وإنْ سأل على الاختلاف بين الذكر والأنثى، يكون الجواب: أنت مثل والدك، وأنتِ مثل والدتك، أو يقال له: لقد خلق الله الأولاد مختلفين عن البنات.

فالإجابة المتعلّقة بالغيب هي أفضل الأساليب في إقناع الطفل وإلا فما هو الجواب المقنع؟

وهنالك أسئلة يمكن الإجابة عنها لسهولتها، ولكن ينبغي أن تكون بعيدة عن القلق والاضطراب، بل يفضّل أن تكون بشكل طبيعي وبأسلوب هادئ لكي لا يفهم الطفل من خلالها أن سؤاله غير طبيعي، لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يبحث بنفسه عن الجواب.

وأنصح الآباء والأمهات بالتخلّي عن مصطلحات «الحرام والعيب» وعدم مواجهة أسئلة الطفل بها كالقول: إنّ هذه حرام، وإنّ هذا عيب.

وفي جميع الأحوال فإنّ نقص المعلومات أو إعطائها بصورة خاطئة تؤدي إلى آثار سلبية منها:

ـ البحث عن الإجابة من أي مصدر آخر، لأنّ الممنوع مرغوب.

ـ ازدياد الولع الفضولي وحبّ الاستطلاع الجنسي.

ـ الانشغال بالتفكير بالمسائل الجنسية.

ـ الربط بين الجنس ـ وإن كان مشروعاً ـ وبين الإثم والذنب في سن البلوغ وما بعده.

ـ سوء التوافق الجنسي ـ مع شريك الحياة ـ مستقبلاً.

ـ خلق الاستعداد في النفس لمشاهدة الصور والأفلام الخلاعية، وسماع القصص والأغاني واللطائف الجنسية.

ومن المعلومات التي ينبغي إيصالها إلى الطفل، هي تعريفه بأسماء أجزاء الجسم بما في ذلك الأعضاء التناسلية الخارجية لكلّ من الجنسين، ويجب استخدام المصطلحات الفصيحة لا العامية، فالمصطلح العامي يكون مصطلحاً غير مرغوب فيه، إضافة إلى دوره السلبي في الإثارة الجنسية.

ثانياً: التعرّي وكشف العضو التناسلي

يميل أغلب الاطفال في هذه المرحلة من حياتهم إلى التعرّي وكشف العضو التناسلي وإظهاره للغير، ويكون الميل إلى الحياء قليلاً إلّا إذا تدرّب الطفل عليه تدريباً مقصوداً، وباستخدام أسلوب الثواب والعقاب.

وقد اصطلح علماء النفس على تسمية هذه الظاهرة «بالرغبة في العري».

والظاهر أنّ الاطفال يتلذذون بعرض أجسامهم من حين لآخر.[١] ويأتي التلذذ من إشباع حب الفضول وحب الاستطلاع، أو أنّ العرض بنفسه يولد اللذّة لديهم.

---

١. *مشاكل الآباء في تربية الأبناء*: ٢٨٢.

وظاهرة التعرّي قد تكون طبيعية في السنة الثالثة أو الرابعة من العمر إن حدثت بين فترة وأخرى، ولكنّها تصبح حالة مرضية إن استمرّت في السنين اللاحقة، أو ازداد التعرّي عن نسبته الطبيعية.

والطفل قد يتجنب التعرّي أمام الكبار بعد إدراكه لعدم رغبتهم في ذلك، ولكنّه إذا اختلى مع أطفال في سنّه أو مقاربين له، فإنه سيتعرّى تماماً وخصوصاً في أماكن الخلوة، وقد تحدث مقايسة بين الأعضاء التناسلية بين الذكور أو بين الإناث أو بين الخليط منهما.

وفي جميع الحالات ينبغي التمييز بين التعرّي الطبيعي والتعرّي غير الطبيعي بعد الإحاطة التامة بالظروف التي يعيشها، والعمر الذي وصل إليه وتكرار التعرّي وكيفيته.

وينبغي للوالدين أن يكونا قدوة للأطفال في هذه المسألة، فتعرّي الوالدين يشجّع على تعرّي الاطفال، فالتربية بالقدوة أو بالممارسة الصامتة أفضل من النصائح القولية.

ومن ناحية أخرى يستحسن عدم المغالات في الحياء والاحتشام، فلو أراد الطفل الدخول إلى الحمام مع أبيه أو أمه فليسمح له بذلك بلف عورته وعورة الوالدين بقطعة قماش أو سترها بلباس أو منديل، وليس من الصحيح بالنسبة لأحد الوالدين الذي يقع بصر الطفل على عورته مصادفة أن يصرخ أو يصيح، وكأنّ الطفل قد ارتكب جريمة، فمن المستحسن مقابلة الموقف بهدوء وستر العضو البارز بشكل طبيعي، وإذا حاول الطفل التركيز في نظره فلا داعي لزجره أو ضربه، بل ينبغي الإسراع في ستره.

وإذا تعرى الطفل أمام والديه، أو أحبّ الاستمرار لساعات على هذه الحالة، فالأسلوب الأفضل هو إشغاله بأمر آخر، وصرفه عن التعرّي بالأساليب الهادئة المرضية له، وعلى سبيل المثال توجيه نظره إلى بعض الألعاب التي تتطلب ستر العضو التناسلي أو ستر الجسم العاري، أو تشجيعه على الذهاب مع والده في نزهة أو لشراء بعض الحاجيات أو غير ذلك، أو إشغاله قبل التعري بأمر لا يبقى عنده وقت أو تفكير في التعري.

وفي هذا الصدد نترك الكلام للدكتور سبوك ليحدثنا عن نصائحه المنطقية حيث يقول:

إنّ كلّ أخصائي أو خبير في ميدان الأطفال، يوافق اليوم على أنّ الآباء والأمهات الذين هم من أصحاب الحياء والاحتشام، يجب أن يظلّوا كذلك مع أطفالهم، إنّ الأب والأم الممتلئ بالحياء والذي يحاول أن يتمادى مع أدعياء التقدم بتعرية جسده من أجل تربية طفله، هذا الأب لا يستطيع أن يتخلّص من الإحساس بالحرج في أعماق نفسه، وهذا الإحساس بالحرج مهما يحاول إخفاءه لابدّ أن يظهر للطفل ولابد أن يضرّه بدلاً من أن ينفعه، إنّ هذا الحرج يزعج الابن جداً بدلاً من أن يشيع في نفسه المرونة والموضوعية عندما ينظر إلى أجزاء الجسم المختلفة.

إنّ معظم الأطباء النفسيين قرّروا من واقع خبراتهم وتجاربهم، أنّ عري الأبوين وكشفهم لما يجب أن يستر أمر مزعج للطفل. فإنني أميل إلى أن أقترح على كلّ الآباء والأمهات أن يراعوا ذلك ويستروا ما يجب أن يستر إلى الحدّ المعقول في وجود الطفل، دون أن يحيطوا الأمر بهالات الانزعاج العفوية التي تحدث في كلّ أسرة.

وأنا أعتقد، أنّ اتجاهات الأبوين العامة وموقفها إزاء العري والجنس، وتجاه أطفالهما هي أهم العوامل الرئيسية، وأنّ عدد الدقائق ومقادير الأجزاء التي تظهر من الجسم هي مسألة ثانوية.[1]

وعلى كل حال فالمغالاة هي التي تصنع الاضطراب النفسي لدى الطفل، سواءً كانت مغالاة في الحشمة أو مغالاة في العري، فالأولى تدفع الطفل للتعرّي في أقرب الفرص وإلى حبّ الاستطلاع الجنسي، والثانية تجعله قلقاً مضطرباً.

وإذا استمر الأطفال في التعرّي لفترة أطول من المعتاد في ساعات اليوم أو أيام الأسبوع، أو طالت مدة التعرّي في السنين اللاحقة أي في سن الخامسة والسادسة، فانّ التعرّي انعكاس لحالة غير سليمة، فينبغي تكثيف التربية السليمة وخلق الأجواء الصالحة لنمو الطفل، وكذلك عرضه على طبيب نفساني خبير بالتربية وعلم النفس، لكي يتوصّل مع الوالدين إلى حلّ مناسب، لأنّ الاستمرار على التعرّي قد يؤدي إلى

---

١. *مشاكل الآباء*: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

اقتران التعرّي باللّذة والبهجة بحيث لا يستطيع الإنسان مستقبلاً التخلّص من هذه العادة التي ترافقه إلى الكبر.

ثالثاً: اللعب بالأعضاء التناسلية

تتركّز اللذة في السنة الثالثة من الميلاد في عضوي التناسل الذكر والفرج، وفي هذه المرحلة يكتشف الطفل أنّ لمس عضوه التناسلي يمنحه لذّة وارتياحاً مخالفاً لسائر أنواع اللذائذ، وقد يجعل هذا الاكتشاف يركّز على طلب اللذة من هذا الموقع فقط، فيحصرها فيه.

وهذا الاكتشاف يكتشف مظاهره الطفل تلقائياً عن طريق العبث بالعضو التناسلي، وتساعد وسائل الإثارة كالاحتكاك واللمس أو المداعبة الذاتية على توجيه انتباهه إلى هذه المنطقة الحساسة، فإذا أحسّ بالمتعة واللذة من خلال اللعب بها، فانه سيسعى مرة أخرى وأخرى إلى لمسها واللعب بها أو ينتظرها نتيجة لفعل التماس الخارجي.

وقد يقوم الطفل ذكراً كان أم أنثى باستخدام يده للعب بالذكر أو الفرج، وقد يلتجئ إلى حكّه بأشياء أخرى كالوسادة والغطاء الناعم والدمى المطاطية، أو يقوم باحتضان أمّه وأبيه وتحريك العضو التناسلي على جسمهما.

وهذا الأمر يكون طبيعياً إن حدث مرة وأخرى وتكرر عدة مرات بين فترة وأخرى، لأنّ إحساس الطفل باللذة والمتعة من جراء اللعب يدفعه للاستمرار في ذلك، وهو في عمر الثالثة أو الرابعة لايميز بين المسموح والممنوع، ويستمر باللعب حتى بصورة علنية إلى أن يُردع من قبل الوالدين أو من قبل الكبار، فإذا كان الردع عنيفاً شديداً مصحوباً بعقاب جسدي، فانه سيلتجئ إلى ممارسة اللعب بعضوه بصورة سرّية دون ان يشعر به أحد وخصوصاً في الفراش أو أماكن الخلوة.

وهذه الظاهرة منتشرة عند الاطفال في الدول غير الإسلامية، فقد قام أحد الباحثين بدراسة على أطفال إحدى مدارس الحضانة في أمريكا شملت (٢٨٠) ذكراً، و (٢٠٠)

أنثى، تراوحت عمارهم بين ٢ ـ ٥ سنوات لوحظ بأن ٣٤٪ من الأولاد و ٢١٪ من البنات يمارسون ظاهرة اللعب بالأعضاء التناسلية.

ويشير (كونجر) وآخرون، أنّه في خلال فترة ما قبل المدرسة يكتشف الكثير من الاطفال أنّ لمس المناطق الجنسية وتناولها يحدث إحساسات سارة، كما أنّ معظم الاطفال فيما يبدو يمارسون نوعاً من أنواع الاستمناء خلال هذه السنوات.

وقد أفادت دراسات أخرى:

ان واحداً من كل خمسة من الاطفال مارسوا الاستمناء في طفولتهم الصغيرة حتى الذروة، وحينما يبلغون السادسة والسابعة من العمر يبدأ التزايد في عدد الممارسين للعادة من الاطفال من الجنسين.[1]

أما في مجتمعاتنا الإسلامية، فإنّ ظاهرة المداومة على اللعب بالأعضاء التناسلية أقلّ انتشاراً وشيوعاً، ولا تمارس إلّا قليلاً حتى في حالة الخفاء والسّرية.

وممارسة هذه السلبية إن دلت على شيء فإنّما تدل على النمو الجنسي واستجابة الطفل للمثيرات الجنسية، حيث يبدي بعض الاطفال انتصاباً عندما يشاهدون فتاة جميلة، أو يشاهدون صورة خليعة، أو يسمعون بقصة جنسية، كما دلّت بعض البحوث حدوث الأحلام الجنسية عند الاطفال.

وقد نشر (فلايس) دراسة عن حالة الطفل (فرايتز) بأنّه في عمر الثالثة لاحظت مربيته بأنّه أبدى اهتماماً مبكّراً للجسم العاري للمرأة، وكان يعاني في الليل من نوبات متكرّرة من القلق والبكاء والهلوسة، وأثناءها كان قضيبه منتصباً مما يدلّ على ثبات الجنسية الطفولية.[2]

ونكرّر القول إنّ هذه الظاهرة تبقى ظاهرة طبيعية إن حدثت بين فترة وأخرى لا على سبيل العادة، أمّا إذا تكررت كماً ونوعاً فإنّها تنمّ عن انحراف نفسي وعصبي

---

١. *علم النفس التكويني*: ٥٤٩.

٢. *المصدر*: ٥٢٨.

وعاطفي وسلوكي، والوقاية خير من العلاج، وينبغي أن يكون العلاج هادئاً سليماً دون انزعاج او حالة من التوتر العصبي غير المعتاد.

ومن أفضل خطوات الوقاية:

١. تعويد الطفل على لبس الملابس غير الضيقة.

٢. الاهتمام بنظافة الجسم باستمرار.

٣. منع المهيجات بأنواعها المختلفة.

٤. إشغال ذهن الطفل ببعض الميول والهوايات العملية، والتي يجد اللذة والمتعة فيها عند انجازها دون أن يلتجئ إلى أجزاء جسده المختلفة للحصول على اللذة.

٥. إشغال جسد الطفل ببعض الأعمال والممارسات التي تشغله عن هذه الممارسة المنحرفة.

أما العلاج فينبغي ان يقوم به الوالدان بعد استشارة الطبيب النفسي.

ويجب ملاحظة كيفية ظاهرة اللعب الجنسي، أو الاستمناء من حيث درجة الانفعال والاستغراق.

فإذا صاحبه انفعال واستغراق كان راسخاً عميق الجذور، وإن كان لا يصاحبه انفعال واستغراق فهو لعب عادي بسيط سريع الزوال.

ويجب الاطلاع على الأسباب الحقيقية وراء نشوء هذه الظاهرة، حيث لوحظ أنّ الاطفال الذين يداومون على هذه الممارسة هم الذين يفتقرون إلى الراحة والعطف والحب، ويشعرون بعدم الأمن والملل وقلّة اللعب، وضيق دائرة التفاعل الاجتماعي، والأرق والخمول، وأحلام اليقظة أو في وقت الأزمات، وخلال الحياة اليومية الرتيبة.

ويستحسن عدم استخدام العقوبة الشديدة في العلاج، لأنّ الطفل سيلتجئ إلى مزيد من الكتمان والسرية.

ولأنّ العقاب يولّد القلق، لأنّ الأعضاء التناسلية ستصبح مركزاً للصراع عند الطفل، لأنّها تزوده من ناحية بإحساسات سارّة فريدة، ولأنّها تثير عنده من ناحية أخرى توقّع العقاب والقلق الذي من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الانشغال الذهني بمصدر الصراع.[١]

ومن الخطأ الفاحش أن يقوم الوالدان أحيانا بربط يدي الطفل ورجليه إلى جانب السرير أو النافذة، حتى لا يقوم بهذه الممارسة، وهذا العمل يركّز اهتمام الطفل أكثر فأكثر بأعضائه التناسلية.

ومن أفضل خطوات العلاج:

١. تحويل نشاط الطفل إلى مجال حركي أو ذهني جديد.

٢. علاج أي توتر وقلق يعاني منه الطفل.

٣. تدريب الطفل على ضبط النفس بدرجة عالية.

٤. تكليف الطفل القيام ببعض الأعمال الحركية أو الذهنية، وتخصيص جائزه له عند انجاز العمل في أوقات مناسبة.

٥. الاهتمام بخلق الأجواء الترفيهية للطفل.

وإذا لم تنفع هذه الخطوات، فيجب عرض الطفل على طبيب نفساني لتشخيص حالته المرضية، والأسباب الخفية التي تدفعه إلى هذه الممارسة، لأنّ الإدمان عليها أو تكرارها باستمرار يؤدي إلى آثار خطيرة على الفرد نفسياً وعصبياً وعاطفياً وخلقياً.

رابعاً: الاشتراك في اللعب الجنسي

اللعب، استعداد فطري عند الطفل يتم من خلاله التخلص من الطاقة الزائدة، وهو مقدمة للعمل الجدّي الهادف، وفيه يشعر الطفل بقدرته على التعامل مع الآخرين، وبمقدرته اللغوية والعقلية والجسدية، ومن خلاله يكتسب الطفل المعرفة الدقيقة بخصائص الأشياء التي تحيط به.

---

١. *المصدر*: ٥٤٧.

والطفل يتعلّم عن طريق اللعب عادات التحكّم في الذات والتعاون والثقة بالنفس... والألعاب تضفي على نفسيته البهجة والسرور، وتنمي مواهبه وقدرته على الخلق والإبداع.[١]

ومن خلال اللعب يتحقّق النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والانفعالي للطفل... ويتعلّم من خلاله المعايير الاجتماعية، وضبط الانفعالات والنظام والتعاون... ويشبع حاجات الطفل مثل حبّ التملّك... ويشعر الطفل بالمتعة ويعيش طفولته.[٢]

وقد أكدّت الروايات على فسح المجال للأطفال ليلعبوا في مرحلة الطفولة المبكرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد سيّد سبع سنين».[٣]

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين».[٤]

واللعب وسيلة لفهم نفسيات الأطفال والوقوف على استعداداتهم، وهو وسيلة أيضاً للتربية والتعليم.[٥]

والطفل أثناء لعبه يعبّر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها، ويسقط ما بنفسه من انفعالات تجاه الكبار على لعبه.[٦]

واللعب هو انعكاس للعمل الجدي والواقعي، وهو تمثيل للممارسات السلوكية التي يراها الطفل أو يسمع بها، وقد يأخذ الطفل ممارسة إجمالية ليمثّلها في لعبه بصورة تفصيلية حيث يبتدع التفاصيل ابتداعاً، ومن هنا فاللعب لا ينحصر بمورد أو مجال فهو شامل لجميع أوجه النشاط، وهو متعدّد بتعدّد المواقف والأحداث اليومية.

---

١. *قاموس الطفل الطبي*: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢. *العلاج النفسي الجماعي للأطفال*: ١٦٢.

٣. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٢.

٤. *المصدر*: ٢٢٢.

٥. *علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية*: ٢٣٩.

٦. *علم النفس العلاجي*: ١٥٢.

ومن ألوان اللعب عند الأطفال هو اللعب الجنسي، حيث يشترك طفلان أو أكثر في لعبة جنسية، كاستعراض الأعضاء التناسلية، والمقايسة بينها من حيث الطول والكبر، والمقارنة بين العضو الذكري والعضو الأنثوي.

وكلعبة الطبيب والمريض، حيث يقوم الطفل ـ الذكر غالباً ـ بدور الطبيب الذي يفحص جسد الطفلة الأنثى فحصاً كاملاً، بما في ذلك الأعضاء التناسلية، وقد تقوم الأنثى بدور الطبيب، وقد يكون اللعب مع أفراد الجنس الواحد إن لم يوجد الجنس الآخر، أو مع الجنس الآخر، أو اللعب الخليط.

وكلعبة العريس والعروس أو الأب والأم، حيث يقوم الطفل الذكر بدور العريس أو الأب، وتقوم الأنثى بدور العروس أو الأم، والأغراض المرجوة من هذا اللعب هي:

١. الاهتمام بمعرفة أجسام الآخرين وخصوصاً من الجنس الآخر.

٢. ملاحظة الفوارق بين الأجسام.

٣. استعراض الأعضاء التناسلية.

ولعبة العريس والعروس قد تكون مجرد حفلة زفاف يقوم بها الأطفال بالتصفيق والغناء، وقد تكون أكثر من ذلك بأن يقوم الطفل بتقبيل الطفلة ومسك يدها، وهذا اللعب ظاهرة طبيعية تعكس تأثّر الاطفال بالمحيط الذي يعيشونه وهم يحضرون حفلات العقد والزفاف.

وقد يتطوّر اللعب ليصل إلى وضع الطفل الذكر عضوه التناسلي قرب أو فوق العضو التناسلي للأنثى، إما أن يتوصّل إليه الطفلان من خلال التجربة بمسك كل منهما عضو الآخر، أو من خلال الصدفة، فحينما يجد كل منهما نوعاً من اللذة في ذلك، فإنّ الأمر يتطوّر ليبقى عالقاً في الذهن يكرّر مرة وأخرى.

وقد يتوصّل إليه من خلال المشاهدة الحية للمباشرة الجنسية التي تحدث بين الوالدين، أو من خلال متابعة الأفلام الجنسية لدى العوائل المتفسخة.

وأنا أميل إلى الاحتمال الثاني؛ وهو مشاهدة الاطفال الحية للمباشرة الجنسية، ودليلي على ذلك أنّ هذه الظاهرة كانت منتشرة في السابق بين الاطفال وخصوصاً جيل الخمسينات والستينات والسبعينات، وأصبحت الآن أقل انتشاراً وبنطاق محدود جداً، وهذا يدل على أن فرص المشاهدة قد قلّت عما عليه سابقاً، لوعي الوالدين للأمر، ولقلّة إنجاب الأطفال، وتغيّر تصاميم المنازل.

فالأمر لا يعدو تقليداً للكبار، وممارسة ما شاهده الطفل في عالم الواقع.

وقد يستمر مثل هذا اللعب مرات عديدة في أيام مختلفة، وقد لا يكرر إلّا مرة أو مرتين.

والوقاية من هذه الظاهرة أفضل من أي لون من العلاج، وتتمّ الوقاية بخطوات عملية:

١. تجنب المباشرة الجنسية أمام مرأى ومسمع الأطفال، وتجنب مقدّماتها كالتقبيل والتعري.

٢. الاحتياط في المباشرة حتى في حال نوم الطفل خوفاً من استيقاظه فجأة.

٣. تجنّب الحديث عن الجنس بين الوالدين، أو أمام الضيوف في حال وجود الأطفال.

٤. وقاية الأطفال من أيٍّ لون من ألوان الإثارة الجنسية.

٥. التفريق بين الأطفال أثناء النوم، بأن توضع فاصلة بينهم فلا ينامون تحت غطاء واحد بحيث يحتّك جسم أحدهم بالآخر وإن كانوا أخوة.

٦. مراقبة سلوك الأطفال باستمرار.

٧. التعرف على طريق اللعب وأسلوبه الذي يمارسونه.

٨. مراقبة الاطفال في خلواتهم دون أن يشعروا بالمراقبة.

٩. مشاركة الأطفال في ألعابهم وتوجيههم إلى ألعاب معيّنة شيّقة وجذّابة.

١٠. تشجيعهم على ممارسة بعض الأعمال الفنية ووضع الهدايا لهم بعد إتمامها.

فالوقاية خير من العلاج، والوقاية بنفسها مانعة من هذه الظاهرة، فلا يلتجئ إليها الطفل، بل قد لا تأتي في ذهنه، وفي أغلب الأحيان قد لا يعرف تفاصيلها إن عاش دون مشاهدة حيّة.

وفي جميع الأحوال، فإن أساليب التربية ونوع العلاقات القائمة بين الوالدين والأطفال من حيث المحبّة والمودة والتقدير لها الدور الأكبر في استقامة الطفل وعدم التجائه إلى اللعب الجنسي.

والظاهرة الأخرى الأكثر سلبية وخطورة على مستقبل الأطفال السلوكي والجنسي، هي ظاهرة اللعب الجنسي مع أفراد نفس الجنس، وخصوصاً لعب الذكر مع الذكر بالشكل المشابه لحالات اللواط، فهذه حالة شاذة عند الأطفال يجب الوقوف في مواجهتها بشتى الوسائل المشروعة، لأنّها لا تحصل بمفردها، أو لا يتوصل إليها الأطفال بمفردهم دون تعليم الكبار لهم، أو تدخل طفل كبير في الموضوع، ولا يوجد علاج إلّا العقوبة البدنية أو المعنوية الرادعة للطفل عن الاستمرار بها، والعقوبة هي أمر واقعي يتّخذه جميع الآباء، ولا نريد الدخول في الآثار السلبية للعقوبة البدنية لأنّنا لا نعيش في مجتمع مثالي، ولا نقيس ممارساتنا بمقاييس علم النفس وعلم الاجتماع، ومصطلحات العقد النفسية أو الجنسية.

وهنالك حالات شاذّة كقيام الطفل بوضع ذكره على الحيوانات الأليفة كالقطّة والكلبة والدجاجة لإشباع حاجته الجنسية، فهذه حالة من حالات الشذوذ.

وفي جميع الأحوال، فإنّ اللعب الجنسي سينتهي بالتقدّم في العمر، إن كان الهدف منه حبّ الاستطلاع ومعرفة الفوارق بين الجنسين، أو الحصول على اللذة والبهجة.

وأمّا في حال الاستمرار به والمداومة عليه وتكراره كمّاً ونوعاً، فإن ذلك يعبّر عن حالة مرضية بحاجة إلى علاج نفسي وروحي وعاطفي، إضافة إلى العلاج الرادع بالعقوبة المعنوية أو البدنية، والطفل الذي يعيش الهدوء والطمأنينة والاستقرار والتوازن العاطفي، ويشعر بأنّه عنصر مرغوب فيه، وتكون علاقاته مع والديه علاقات صداقة وحبّ وودّ، فإنه لا يلتجئ إلى هذه الممارسات المنحرفة، وإنْ التجأ إليها بعض الوقت فإنّه سرعان ما يعود إلى الاستقامة بنصح الوالدين وإرشاداتهم، ويكون أكثر استجابة للنصائح من غيره.

الحديث الجنسي

الحديث الجنسي ظاهرة طبيعية في مرحلة الطفولة المبكّرة، ونقصد بالحديث الجنسي هو ترديد أو نطق الكلمات والمصطلحات الجنسية، فكثير من الاطفال يستخدمونها في أحاديثهم بين فترة وأخرى، وتكون دوافع الاستخدام متركّزة على حبٍّ الاستطلاع، فالطفل لا يقصد اللفظ بنفسه بل يقصد المعنى.

فأحياناً يقارن بين الأعضاء التناسلية، فيقول: إن ذكر أبي أكبر من آلة أمي، وإن دبر كذا أكبر من كذا.

ويتكلم الطفل ذكراً كان أم أنثى عن رغبته في الزواج من بنت أو ابن الجيران أو الأقارب، أو الزواج من أخته أو أمّه أو عمته أو زوجة عمه أو خاله وهكذا.

وأحياناً يتحدّث بعض الاطفال عن مشاهداتهم الجنسية لوالديهم، أو مشاهداتهم عن جماع الحيوانات.

وكلّ هذه الأحاديث تعبّر عن نمو الطفل اللغوي والجنسي، وهي ظاهرة طبيعية، إن بقيت في حدودها المعقولة، والوقاية خير من العلاج، فيستحسن إشغال الطفل وصرفه عن مثل هذا الحديث وتحويل مجرى الحديث إن تكلم به، وتوجيه نظره إلى قضية أخرى، كتوجيه سؤال له أو شرح قصّة له أو ما شابه ذلك.

وإن استمر بذلك متعمّداً معانداً فيجب على الوالدين البحث عن الأسباب الحقيقية وراء ذلك ومعالجتها معالجة جذرية، وإذا لم تنفع معه بعض ألوان العلاج، فيأتي دور العقاب المعنوي إلى أن يقلع عن هذه الممارسة.

حقيقة عقدتي (أوديب) و(الكترا)

يرى بعض علماء التحليل النفسي: أنه في حوالي سنّ الثالثة يفضّل الابن أمه ويحبّها بدرجة قوية ويتعلّق بها انفعالياً ويلصق جسده بجسدها، ويظهر منه القول: عندما أكبر

أتزوج ماما، وهو يرى أن أباه ينافسه في حبٍّ أمه ويغار منه ويكرهه، وفي نفس الوقت يشعر بالإثم، لأنّه يحبّ أباه ويتقمص شخصيته، وهذه تسمى «عقدة أوديب».

ومثل هذا يحدث بين البنت وأبيها، وهذه تسمى «عقدة الكترا».حيث تحبّ البنت أباها وتكره أمّها مع الشعور بالذنب نتيجة لذلك.

ويرى من يتبنى الاعتقاد بذلك أنّ هذه العقد إن لم تعالج بالتربية السليمة، فإنها توجّه سلوك الفرد إلى أساليب شاذّة مثل الامتناع عن الزواج أو الزواج، من إمرأة أو رجل في سن الوالدين، أو العجز الجنسي أو التخنّث، والغيرة الشديدة على الزوج، أو الخوف الشديد من فقدانه، أو الصدام المستمر مع الوالد من الجنس الآخر.[١]

ونحن إذا نوافق علماء التحليل النفسي على وجود علاقة عاطفية بين الطفل وأمّه، والطفلة وأبيها، ونوافقهم على الغيرة الحاصلة، ولكن نخالفهم في جعل هذه الظاهرة عقدة جنسية، أو عقدة نفسية.

فالحبٍّ ظاهرة طبيعية فالطفل يميل لأحد والديه أكثر من الآخر أحياناً، والميل إلى المخالف في الجنس ظاهرة طبيعية دافعها النمو الجنسي، والغيرة الحاصلة طبيعية أيضاً، ولا تقتصر على الغيرة من الجنس المماثل، فلو تعلّق الطفل الذكر بأبيه أكثر من أمّه، فإنه يغار عليه من أمّه، والبنت كذلك، كما يغار كلّ طفل من طفل آخر إن نافسه في الحبّ.

فهذه الظاهرة طبيعية، ولا نريد تعميق العقد في أذهان الناس كما فعل فرويد، وبعض علماء التحليل النفسي.

وأمّا ما توصلوا إليه من ظواهر، كالامتناع عن الزواج، أو الزواج من إمرأة أو رجل في سنّ الوالدين، أو الغيرة الشديدة على الزوج، فهذه ظواهر لا تمتّ إلى العلاقة مع أحد الأبوين في الصغر، إنما هي نتيجة طبيعية للتنشئة الاجتماعية غير السليمة، كالحرمان العاطفي بفقدان أحد الوالدين، والشعور بفقدان الحنان والحب، والشعور بعدم المرغوبية، إضافة إلى فقدان الاستقرار والأمان والطمأنينة داخل الأسرة في عهد الطفولة.

---

١. *علم نفس النمو*: ١٩٩.

وما قيل عن عقدة (أوديب) و(الكترا) فما هو إلّا فرضية بحتة أسندت ببعض الظواهر، أو جاءت نتيجة لتحليل عدة ظواهر متشابهة في الأسباب والنتائج.

وقد ذكر علماء التحليل النفسي بعض العقد و سمّوها باسم «حسد القضيب» و«عقدة الخصاء».

فقد تشعر البنت بنوع من الغيرة عند مشاهدتها الاختلاف بينها وبين الولد بالنسبة لأعضاء التناسل، وتعتقد أنّه كان لها قضيب وفقدته، وتلاحظ عقدة الخصاء عند الولد في شكل خوف مكبوت من أن يفقد قضيبه كما هو الحال عند البنت.

ونحن نرى أنّ هذا الشعور إن صحّ فهو أمر طبيعي يزول سريعاً بالتثقيف الجنسي ولا تأثير له على نفسية الطفل الحالية والمستقبلية، ولا يولد أي عقدة نفسية أو جنسية، باستثناء الخوف من فقدان القضيب وهو حالة من الخوف الشّاذ النادر قد يستفحل على الطفل وينمو معه، ومن آثاره السلبية هي سرعة القذف عند الزواج أو الإصابة ببعض ألوان العنّة.

النمو الجنسي في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخّرة

يدخل الطفل في المرحلة الوسطى إلى المدرسة ليبدأ في التعلّم والدخول في حياة اجتماعية أوسع من الحياة الأُسرية، وتكوين علاقات جديدة مع أطفال جدد.

وتتميّز هذه المرحلة بالمظاهر التالية:

١. اتساع الآفاق العقلية، والقدرة على التفكير المجرّد غير الحسي.

٢. تعلّم القراءة والكتابة والحساب.

٣. تعلم الألعاب الرياضية المنظمة.

٤. التمرين على الانضباط والتقيّد بالقوانين.

٥. زيادة الاستقلال عن الوالدين وعن الأسرة.

٦. الشعور بالمسؤولية.

٧. إقامة علاقات صداقة مع نفس الجنس، الذكر مع الذكر والأنثى مع الأنثى.

ويختلف الذكر عن الأنثى في سلوكه العام فيتميّز باختياره للحركات الشّاقة، ويتعلّم الذكر ليكون أكثر خشونة من الأنثى، ويختلفان في تكون العواطف والعادات الانفعالية، فإذا تابعنا شجار وصراع الاطفال لوجدنا كثرة الشجار والصراع اليدوي لدى الذكور، وكثرة الشجار اللفظي عند الإناث.ويبدأ الذكور عن الانعزال عن الإناث في أغلب الأحيان في الدراسة والصداقة واللعب وغير ذلك.

ونتيجة لانشغال الاطفال بنشاطات عديدة ـ كالدوام الرسمي في المدرسة، وتهيئة الواجبات المدرسية، واللعب في أوقات الفراغ ـ فإنّ الاهتمام بالمسائل الجنسية يكون قليلاً جداً، وخصوصاً الاهتمام العملي بممارسة أو سلوك.

وتنمو الأعضاء التناسلية في هذه المرحلة نموّاً بطيئاً بالقياس إلى باقي أعضاء الجسم.

وتبقى الغريزة الجنسية كامنة في أعماق الطفل، لنموها البطيء ولانشغال الطفل بأعمال وممارسات ونشاطات عديدة، وهي في جميع الظروف متوقّفة على مرحلة الطفولة المبكّرة، فإذا حصل الطفل على تربية جنسية سليمة، وحصل على أجوبة مقنعة لتساؤلاته الجنسية، وإذا حصل على ما يحتاج من الحبّ والحنان والتقدير، فإنه سينصرف عن الاهتمام بالجنس، ويبقى الجنس لدية أمراً ثانوياً محصوراً في حبّ الاستطلاع لا غير.

أما إذا لم يحصل الطفل على تربية جنسية سليمة في مرحلة الطفولة المبكّرة، وكان متعرّضاً للإثارة الجنسية أو التنبيه إلى المسائل الجنسية بالإباحة أو المنع اللاواعي المتزمّت؛ كان ذلك أدعى إلى التفكير فيها والردّ على مستدعيات إباحتها أو منعها بما يناسبها من سلوك قد «يتعزّز باستمرار ويثبت مع الطفل».[1]

---

١. *الموسوعة النفسية الجنسية*: ٨٤

وإذا عاش الطفل الحرمان العاطفي من الحبّ والودّ والتقدير، فإنّ الدافع الجنسي لديه لا يمرّ بمرحلة كمون أو ركود، بل يتفاعل مع الإثارة والمغريات، ويزداد اهتمام الطفل بالجنس وقد يظهر ذلك من خلال المناقشات التي تحدث بين الأطفال، أو في ولعهم بسماع القصص والحوادث الجنسية، وفي جميع الأحوال تبقى هذه الظاهرة نادرة الحدوث ومحصورة في الأطفال الذين يأتون من أسر منحرفة ومفككة.

وفي مرحلة الطفولة المتأخرّة التي تبدأ من الصفّ الرابع ابتدائي، وتنتهي بإكمال المرحلة الابتدائية أو بداية المرحلة المتوسطة، يكون النمو الجنسي بطيئاً أيضاً، ويكون الاهتمام بالمسائل الجنسية قليلاً جداً أو كامناً.

وقد تتجدّد الأسئلة بالولادة والجماع والجنس وفي مستوى أرقى من جميع المراحل.

ويتوجّه الطفل في هذه المرحلة ـ بصورة أوضح ـ إلى نفس جنسه ليتوحّد معه في الخصائص والمميزات والمشخّصات، فيكتسب صفات الذكورة وخصائصها إذا كان ذكراً، وصفات الأنوثة وخصائصها إذا كان الطفل أُنثى، وهذا التوجّه يطلق عليه «التنميط الجنسي».[1]

ويبدأ التنميط الجنسي مبكراً بالتوحّد مع شخصية الوالد والكبار من نفس الجنس، ويتضمّن اكتساب الميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام، واكتساب المعايير السلوكية، والاطلاع على العادات والتقاليد.

ومع استمرار النمو يتمايز الجنسان اجتماعياً في جميع المجالات من الملابس والمظهر الخارجي إلى مقاييس الجمال والقوة، إضافة إلى المجالات الحيوية كالميول والاتجاهات.

وفي هذه المرحلة يبتعد كلّ من الجنسين في صداقته عن الجنس الآخر ويتوجّه إلى جنسه فقط، وقد تكون العلاقات الاجتماعية بينهما مشوبة بالفظاظة وقلّة الاستجابة، وقد تكون مصحوبة بالحياء المتبادل إلّا ما ندر.

---

١. *علم نفس النمو*: ٢٤٧.

مظاهر الانحراف الجنسي

إنّ قصور التربية بانحراف الوالدين أو المحيط الاجتماعي يؤدي إلى انحراف الطفل في هذه المرحلة، وخصوصاً الطفل الذي يعاني من الحرمان والشعور بالنقص والنبذ وعدم الطمأنينة.

ومن مظاهر الانحراف الجنسي، هو الرغبة في التشبه بالجنس الآخر وظهور تلك الرغبة بممارسات عملية، كلبس ملابس الجنس الآخر، أو التشبّه به في المظهر الخارجي كقصر شعر الرأس أو طوله، أو اللعب بنفس ألعابه، أو الارتباط الاجتماعي به كرغبة الذكر باللعب مع الإناث والخروج معهن، والرغبة في الالتصاق بالأم، ومصاحبتها في جميع الأماكن التي تتوجّه إليها، وكرغبة الأنثى في اللعب مع الذكور، والالتصاق بالأب والخروج معه، وكراهية اللعب والعلاقة مع الإناث.

وهذا اللون من الانحراف يعدّ في لائحة الانحرافات الخطيرة إن استشرى وتجذّر عند الطفل أو لازمه في جميع مراحل الحياة.

ولهذا الانحراف أسباب ومناشئ وراثية وبيئية.

أما الوراثية: فإنها تكون مطبقة على الإنسان، يصعب التخلّي عنها أو التخلّص والنجاة منها، وهي بحاجة إلى رعاية وعناية إضافية واستثنائية، يتعاون عليها الوالدان والمدرسة والمجتمع بمؤسساته التربوية، بما فيها العيادات الطبية النفسية، وعلماء الدين ورجال الاصلاح.

أمّا الأسباب والمناشئ البيئية: فتحدّد بضعف التربية والتعليم وفقدان الثواب والعقاب، إضافة إلى الأجواء والظروف الخارجية، فالولد الذي يعيش مع والده يختلف عن الولد الذي يغيب عنه والده بموت أو طلاق أو سفر طويل، وكذا الحال مع البنت.

وتتحكّم كثرة الإخوة في ذلك، فالذكر الوحيد مع الأخوات الإناث يختلف نموه عن الذكر الذي يعيش مع أخوة ذكور، وكذا الحال مع البنت، وتتأثر العملية بالطبقة

الاجتماعية، فالطبقة الراقية تبطأ فيها عملية التوحّد مع الجنس وتنمو فيها عملية التشبه بالجنس المخالف، على العكس الطبقات الاجتماعية الدنيا.

وقد يؤدي تعامل المجتمع إلى هذه الظاهرة من حيث نظرته للذكر والأنثى بالتمييز والتفضيل والتقديم.

ويتمّ علاج ظاهرة التشبّه بالجنس المخالف بالتربية الصالحة والتثقيف الدائم والتشجيع، إضافة إلى استخدام العقاب في بعض الحالات، والاعتدال في اللين والشدة والاهمال والدلال، وتهيئة الأجواء الصالحة لنمو الطاقات والقابليات المختلفة.

ولا أبالغ إذا قلت بأن ظاهرة التشبّه بالجنس المخالف هي أساس جميع ألوان الانحراف والشذوذ الجنسي.

العادة السرية

قبل البدء في الحديث عن العادة السرية لدى الأطفال، يستحسن الفصل بين مصطلح الجنسية sexuality ومصطلح البلوغ الجنسي puberty.

فالجنسية: تبدأ من الطفولة عندما يبدأ الطفل باللعب بأعضائه التناسلية، ومهما يكن من براءة هذا السلوك فإنّه يعبّر عن ظاهرة جنسية تمنح الطفل لوناً من السرور والبهجة واللذة، والمثيرات هنا خارجية، على عكس مثيرات البلوغ الجنسي فإنّها مثيرات داخلية ذاتية.

ويبدأ البلوغ الجنسي: بنمو الغدد والأعضاء التناسلية، فالغدّة النخامية التي تقع في أسفل المخ تستثير هرموناتها المشاعر الجنسية، وتؤثّر هرمونات الغدة الكظرية في النمو الجنسي.

فالذي يثير الشهوة هو الإفراز الهرموني فيدفع بالإنسان إلى العمل من أجل إشباع شهوته الجنسية، وهذا الإفراز لا يبدأ إلّا في مرحلة البلوغ.

وعلى ضوء ذلك فالطفل غير ناضج جنسياً، ولا يوجد لديه مثير أو محفّز جنسي داخلي وذاتي، فالشعور الجنسي كامن في داخله له استجابات بطيئة للمثيرات الخارجية.

وغالباً ما تكون العادة السريّة مصاحبة لمرحلة البلوغ والنضج الجنسي إلّا أنّ ذلك لا يعني انعدامها لدى الاطفال، فبعض الأطفال يلتجؤون إلى العادة السرية للحصول على الهدوء والارتياح، وهي محاولة «لتخفيف أي نوع من التوتر».[1]

فهي وسيلة لتخفيف عن الآلام والهموم التي يعاني منها الأطفال، وقد تكون أحياناً وسيلة لإشباع التوتر الجنسي بسبب اضطراب نموه في هذه المرحلة.

ومهما قيل أو كتب عن العادة السريّة، فإنّها تبقى نادرة الحدوث في مرحلة الطفولة، فلم تمارس إلّا من قبل القليل من الذكور والأقل من الإناث، وبصورة متقطّعة في أوقات معينة من الشهر، فقد تمارس مرة واحدة كلّ شهر أو شهرين.

وإذا وجد من يمارسها باستمرار، فينصح بعرضه على طبيب نفساني،عليه السلام ليتابع أسبابها وعواملها ويرشد إلى العلاج النفسي لإيقافها.

وتبقى أسبابها ودوافعها محصورة، بالإثارة الجنسية وبالتوتر العاطفي والانفعالي وفقدان الأمن والاستقرار والهدوء داخل الأسرة وخارجها، والشعور بالحرمان والإحباط.

الجنسيّة المثليّة

نتيجة لانفصال الذكور عن الإناث في العلاقات الاجتماعية، تتعمّق العلاقات بين الأفراد من نفس الجنس، وهذا أمر طبيعي.

وهنالك فرق واضح بين الميول الجنسية المثلية وبين الممارسة الفعلية لها، فقد يحدث ميل جنسي نحو فرد من نفس الجنس، وهذا أمر طبيعي.

وهنالك فرق واضح بين الميول الجنسية المثلية وبين الممارسة الفعلية لها، فقد يحدث ميل جنسي نحو فرد من نفس الجنس يعبّر عنه، بالإعجاب والتعلّق العاطفي وتقليد مظاهر الشخصية، وهذا الميل ظاهرة طبيعية ما دام في حدود الإعجاب والحبّ البريء، ويتحوّل

---

١. *علم نفس النمو*: ٢٥٤.

هذا الميل إلى انحراف إذا صاحبته رغبة جنسية كالتقبيل والعناق والتصاق الجسدين، ويصل الانحراف إلى قمته حينما يتحوّل إلى نشاط وممارسة جنسية كاللواط والسحاق.

والجنسية المثلية بين الأطفال؛ مظهر من مظاهر الانحراف والشذوذ الجنسي، وقد ينمو معهم إلى الكبر وقد ينتهي في عمر معيّن لانتهاء أسبابه وعوامله، وهو ظاهرة محدودة الانتشار ـ وخصوصاً في مجتمعاتنا الإسلامية ـ حيث يكون محصوراً بين الأطفال الذين ينحدرون من أسرة متفسّخة لا تؤمن بمقياس أخلاقي أو عرفي، وقد يصاب بها بعض الأطفال لاحتكاكهم المتزايد بالشواذ من الكبار.

وعلى الرغم من محدودية هذا لانحراف والشذوذ، إلّا أنّه يهدد مستقبل الإنسان بالخطر إن لم يعالج في مرحلة الطفولة.

أسباب وعوامل الجنسية المثلية

تتفاعل عدة أسباب وعوامل تساعد على الانحراف الجنسي في مرحلة الطفولة، وأهم الأسباب والعوامل هي ابتعاد الأسرة والمجتمع عن المنهج الإلهي في الحياة، وطغيان المفاهيم والقيم المادية على أفكار الناس وعواطفهم وممارساتهم، إضافة إلى ضعف التربية واللامبالاة، وغياب الرقابة الاجتماعية والقانونية الصالحة، وهنالك أسباب وعوامل ثانوية تهيئ الأجواء لنمو الممارسات المنحرفة والشاذة.

وأول هذه الأسباب هو شذوذ أحد الوالدين أو كليهما، حيث ينتقل هذا الشذوذ إلى الأبناء من خلال الملاحظة أو المحاكاة، أو من خلال عدم المبالاة التي يتّصف بها الوالدان، وفقدان العفة والغيرة بسبب انحرافهما، فلا يوجد رادع للطفل ولا موجّه ولا مربي، فيقع في براثن الانحراف والشذوذ.

ومن الأسباب المساعدة هو الاحتكاك بالكبار وخصوصاً بالشواذ جنسياً، إضافة إلى إقامة علاقات صداقة مع المنحرفين من الأطفال الأكبر سناً، ويساعد الغباء وضعف العقل على الانخداع بوساوس المنحرفين والشواذ.

ويقع الأطفال المنحدرون من أُسرٍ مفككة بالانفصال أو الهجر أو الطلاق، أو موت أحد الوالدين في براثن هذا الشذوذ.

وقد يلتجئ الطفل إلى الشذوذ الجنسي لحرمانه من المحبّة والعطف والتقدير داخل الأسرة وداخل المحيط الاجتماعي، بعد أن يبذل قصارى جهده للحصول على حبّ وعطف، فإذا عجز توجّه إلى الشذوذ ظناً منه أنّه علاج له، وقد يكون استسلاماً جنسياً للغير أو اعتداءً جنسياً.

ومن الأمثلة على ذلك: أنّ طفلاً فقد أمه في الطلاق وأقام مع زوجة أبيه، ثم بدأ يتهرّب من البيت بحثاً عن الأمن والاستقرار، فوقع أثناء تهرّبه على أحد رؤساء العصابات الذي يتمتّع بالقوة والسطوة، وقامت بينهما علاقات لواطية، أولع به رئيس العصابة وشعر الطفل بالحماية والحب والمكانة، وكان يعود إليه عندما يشعر بالحرمان، وكانت علاقات الشذوذ تشكّل ملاذاً له في صراعه مع العالم المحيط.[١]

وقد يكون للخوف من الكبار دور في الوقوع في الانحراف والشذوذ فيستسلمون للكبار مرة وأخرى ويستمر معهم تبعاً لدرجة الخوف التي يتّصفون بها، إضافة إلى ضعف العقل وعدم التفكير بالعواقب الوخيمة لهذا الشذوذ، وقد يطّلع أكثر من شخص على حالة الطفل من الأطفال فيهدّدونه بفضحه أمام أستاذه أو أمام المجتمع أو أمام والديه، فيستسلم لهم كلّما طلبوا منه ذلك.

وللعلاقة بين الوالدين تأثير على انحراف وشذوذ الطفل، فقد وجد من خلال دراسة بعض الظواهر، أنّ بعض الأطفال الشاذّين جنسياً ينحدرون من أُسر تكون الأم هي المسيطرة فيها على الأب، ويكون الأب فيها ضعيفاً أو غائباً.[٢]

وقد يلتجئ بعض الأطفال إلى الشذوذ الجنسي بدافع الحصول على المال من قبل

---

١. *الأحداث الجانحون*: ٢٩٩.

٢. *الجنس والنفس*: ٢٥٠.

الكبار، وقد يلتجئ الأطفال المترفون إلى الشذوذ أيضاً للحصول على الصداقات، أو لوجود أجواء الدلال والرعاية الزائدة عن المعتاد لهم، من أولاد الأغنياء والمترفين.

ومن العوامل المساعدة هو نوم الاطفال في غرفة واحدة وتحت غطاء واحد.

وأغلب الشذوذ سببه استغلال الكبار للطفل وإيقاعه في مهاوي الرذيلة والانحراف والانحطاط.

وقد يشبّ الطفل على الشذوذ سواءً كان فاعلاً أو مفعولاً به، أو يقوم بالدورين معاً، ويستمر معه الشذوذ إلى الكبر أو يبقى ملازماً له في جميع مراحل حياته، وهذا أمر خطير يهدّد سلامة المجتمع والأسرة، حيث تستشري الرذيلة والانحراف؛ لانحراف وشذوذ ربّ الأسرة الذي لا يبالي بما سيؤول إليه مصير أبنائه أو بناته.

وإذا وقع الطفل في براثن الانحراف، واشتهر بين رفاقه، فإنّه سيبقى ملاحقاً من قبل ألسنة الناس ونظراتهم حتى وإن أقلع عن الانحراف والشذوذ، وتبقى سمعته ملوّثة إلى الكبر، وقد تلاحق أبناءه وبناته سهام الناس وإن تاب توبة نصوحاً.

والشذوذ الجنسي يكاد يكون مقتصراً على الذكور أكثر من الإناث للظروف الاجتماعية التي يعيشها الجنسان.

الانحراف الجنسي الطبيعي

نقصد بالانحراف الجنسي الطبيعي: هو المباشرة الجنسية مع الجنس المخالف، وهذه الظاهرة قليلة الحدوث ونادرة أيضاً لابتعاد الذكور عن الإناث، وانعدام العلاقات بينهما، وغالباً ما يحدث بين الطفل والكبير، بين طفل ذكر وامرأة بالغة، أو طفلة ورجل بالغ.

وهذا الانحراف قليل الحدوث بين المتقاربين في السن، ويحدث غالباً في أجواء المنام في مكان واحد وتحت غطاء واحد.

والأسباب الأساسية للانحراف تنحصر بانحراف الأسرة والمجتمع عن المنهج الإلهي المرسوم للبشرية، ومن مظاهره ضعف التربية والمراقبة الاجتماعية، وعدم المبالاة، واستشراء الإثارات والمغريات الجنسية.

ومن أسبابه الثانوية: هو فقدان الأمن والاستقرار في الأسرة، وغياب السلطة الضاغطة والموجّهة للسلوك داخل الأسرة، وانحراف الوالدين أو أحدهما، إضافة إلى الأسباب والعوامل التي ذكرناها في البحث السابق، ونخصّ بالذكر علاقة الأطفال مع الكبار في السنّ من الجنس الآخر.

الوقاية من الانحراف والشذوذ الجنسي

ذكرنا في مقدمة الفصل، مسؤولية الوالدين في التنشئة النفسية والروحية والخلقية، وهذه المسؤولية إن روعيت مراعاة واقعية فإنّها كفيلة بتحصين الطفل من الانحراف والشذوذ الجنسي، فالطفل الذي يشعر بالحنان والمحبّة والتقدير، وينعم بالسعادة والهناء داخل أجواء الأسرة، لا يبحث عن حنان وتقدير وسعادة كاذبة ومخادعة خارج أُسرته، والطفل الذي يعيش مع والديه كالصديق لهما سيستغني عن علاقته مع الآخرين التي قد توقعه في الانحراف، والطفل الذي يعيش الانفتاح مع والديه سيتعاون معهما في حلّ جميع المشاكل والصعوبات التي تواجهه، وسيطرح جميع همومه وآلامه على والديه، وسيستشير والديه في جميع المواقف المراد اتخاذها، إضافة إلى تقبّله للنصائح والارشادات الموجّهة إليه.

والتربية الصالحة خير وسيلة للوقاية، حيث تنمو وتترعرع الأخلاق السامية في ظلّها.

والنمو الخلقي يسير في مراحل أربع:

١. مرحلة الحذر: حيث يعلم الطفل انّ بعض الأفعال لها نتائج ضارّة به، وبذلك يأخذ في السيطرة على دوافعه الغريزية.

٢. مرحلة السلطة: وهي مرحلة تحكيم رضا الناس وسخطهم في الممارسة والموقف العملي الصادر من الطفل.
٣. المرحلة الاجتماعية: وهي مسايرة الرأي العام الذي يرفض الانحراف والشذوذ.
٤. المرحلة الذاتية: وهي أرقى مراحل النمو الخلقي، حيث يكون الطفل قادراً على التحكّم في دوافعه.[١]

والأهم من جميع ذلك هو استشعار الرقابة الإلهية وإحاطتها بجميع حركات الإنسان وسكناته، وهذا الاستشعار خير وسيلة رادعة عن الانحراف ومحصّنة من الرذيلة.

ومن مظاهر الوقاية مساعدة الأطفال على قضاء أوقات الفراغ بممارسة الأعمال والنشاطات الحيوية البدنية والذهنية، وتشجيع الميول والهوايات، والمساعدة على إنجاز الأعمال الفنية، وإقامة معسكرات التدريب الرياضي والمهني والثقافي.

ومن مظاهر الوقاية والتربية في آن واحد فتح دورات لتعليم قراءة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فهي وسيلة من وسائل التربية والإصلاح الاجتماعي، إضافة إلى دورها الكبير في القضاء على أوقات الفراغ التي تحدث الملل في العقول والنفوس، ولارتياد المساجد وأماكن العبادة، دور كبير في تقوية الارتباط بالقيم الصالحة.

وينبغي التنسيق بين الأسرة والمدرسة والمربين والمصلحين، من أساتذة أو علماء دين؛ لكي تتمّ الإجراءات الوقائية على أفضل الصور والأشكال.

الوقاية الفعلية

أول بوادر الوقاية الفعلية والعملية هي إبعاد الطفل عن المثيرات الجنسية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي إمرأته وفي البيت صبي يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً، إن كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية.[٢]

---

١. *لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها*: ٢١٣.
٢. *وسائل الشيعة*: ١٣٣/٢.

فالنظر إلى المباشرة الجنسية أو سماع أحاديث الغرام أو الإنصات إلى النَفَس الناجم من الحركات الجنسية يثير في أعماق الطفل رغباته الجنسية الكامنة، ويدفعه حبّ الاستطلاع لإعادة ما رآه في ممارسة عملية، يقوم بها بنفسه مع الجنس المخالف، فيبقى يتحيّن الفرص المناسبة للتنفيذ، أو يستجيب لغيره إن أراد منه الاشتراك معه في الممارسة المنحرفة.

ومن أساليب الوقاية إبعاده عن جميع المثيرات الجنسية المرئية والمسموعة والمقروءة، كالأفلام والصور الخليعة، وأصوات المباشرة الجنسية التي يسجّلها بعض المنحرفين في آلة تسجيل، وإبعاد القصص والروايات الجنسية عن متناول يديه، وتجنّب الأحاديث المتعلّقة بالجنس الخليع أمام الطفل، حيث اعتاد بعض الآباء أو الشباب التندّر بالقصص والأحاديث الجنسية أثناء جلساتهم.

ويجب على الوالدين التفريق بين الأطفال في حال المنام، بوضع فاصلة بينهم، فلا ينامون تحت غطاء واحد بحيث يحتك جسم أحدهم بالآخر سواء كانوا أخوة أو غرباء أو أقارب.

وقد وردت روايات عديدة تأمر بالتفريق بين الصبيان في المضاجع ابتداءً من سنّ السادسة فصاعداً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يفرق بين الصبيان في المضاجع لستّ سنين».[١]

وقال أيضاً: «فرقوا بين أولادكم في المضاجع إذا بلغوا سبع سنين».[٢]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «...وفرّقوا بينهم في المضاجع إذا كانوا أبناء عشر سنين».

والتفريق مطلق بين الذكر والأنثى، وبين الذكر والذكر، والأنثى والأنثى بلا فرق.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصبي والصبي، والصبي والصبية، والصبية والصبيّة، يفرّق بينهم في المضاجع لعشر سنين».[٣]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٢٢٣.

٢. *المصدر*: ٢٢٣.

٣. *وسائل الشيعة*: ٢٠/٢٣١.

ونهى ﷺ عن تقبيل الطفل الذكر تقبيلاً شهوانياً؛ لأنّه يثير في نفسه الرغبة الجنسية، ويثيرها أيضاً في نفس المقبل.

قال ﷺ: «من قبّل غلاماً من شهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار».[١]

ونهى ﷺ في روايات عديدة عن تقبيل البنت إذا بلغت ستّ سنين، وعند وضعها في حجر الرجل الغريب الذي يحلّ عليها بالزواج، ونهى ﷺ عن تقبيل المرأة البالغة للولد إذا جاوز السبع سنين، وعن تقبيله لها، وهذا النهي هو احتياط في الوقاية، وسدّ الثغرات أمام المنحرفين الذين يقبّلون صغار السن بشهوة جنسية يجعلونها مقدمة لتنفيذ مآربهم المنحرفة والشاذة.

ومن الوقاية مراقبة الاطفال باستمرار في خلواتهم وفي علاقاتهم مع الآخرين، وعدم فسح المجال لهم بإقامة علاقات مع كبار السنّ إلّا في ظروف خاصة.

وللاحتياط الوقائي، يستحسن عدم تشجيع الطفل ذكراً كان أم أنثى في المبيت في منازل الأقارب والجيران مهما كانت الظروف، فقد تبعث بعض النساء على ابن الجيران أو الأقارب لينام في منزلها دفعاً للخوف من الوحشة والانفراد، أو تبعث على بنت مثلاً، فنحن نرى، أنّ الاحتياط الوقائي يتطلّب عدم السماح للابن أو البنت بالمبيت خارج منزلها.

ومن الخطأ أيضاً أن يترك الولد بمعيّة مدرّس أو مدرّسة بالغة، أو تترك البنت بمعيّة مدرّس من غير جنسها، وهذا ما يحدث في الدراسة الخصوصية.

علاج الانحراف والشذوذ الجنسي

المنهج الإسلامي، منهج واقعي ينظر إلى الإنسان من جميع مقوماته، وينظر إلى الواقع نظرة موضوعية، ولهذا قدم الوقاية على العلاج في جميع قواعد السلوك والعمل.

---

١. *الكافي*: ٥٤٨/٥.

والإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة، وعلى تهذيب النفوس، وتطهير الضمائر، وعلى الحساسية التي يثيرها في القلوب، فتتحرج من الإقدام على جريمة تقطع ما بين فاعلها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة، ولا يعاقب إلّا المتبجحين بالجريمة الذين يرتكبونها بطريقة فاضحة مستهترة فيراها الشهود.[١]

وللوقاية تأثير إيجابي على تهذيب النفوس، وتحصين الطفل والراشد من الوقوع في الانحراف والرذيلة، وتبقى الوقاية تعمل جنباً إلى جنب مع العلاج بالعقوبة وغيرها، لكي تصل بالإنسان إلى التكامل والسمو والارتقاء.

والعقوبة هي بنفسها وقاية، فالذي يفكّر بالعقوبة البدنية والمعنوية سيرتدع عن الانزلاق وراء الممارسات المنحرفة.

والعقاب مثير طبيعي للألم والخوف، وغالباً ما يكون العقاب قوة رادعة تكفّ الفرد عن القيام بالسلوك الذي يعاقب عليه، وتكرار ارتباط الذنب بالعقاب يجعل ارتكاب الذنب، بل مجرد التفكير في ارتكابه مثيراً شرطياً للخوف والألم من شأنه أن يمنع الطفل عن اقتراف ما ننهاه عن عمله؛ على هذا النحو نستطيع ان نعتبر الضمير مجموعة من استجابات شرطية، فالضمير هو جانب الشخصية الذي يوجّه سلوكنا، وينقد أعمالنا، ويردعنا عن إتيان مالا يرتضيه، ويعذّبنا بوخزه الشّديد الأليم ان انحرفنا عمّا لا يرتضيه.[٢]

وفي موضوع الانحراف الجنسي فانه لا ينفع في العلاج والإصلاح إلّا العقوبة البدنية، فالطفل الذي يتيقّن من عقوبة صارمة يمتنع عن فعل القبيح، وبما أنّ طبيعة الطفل في هذه المراحل تتأثر بالخوف والزجر أكثر من الكبار، فإنّ العقوبة هي الدواء والعلاج الوحيد الذي يحدّ من ظاهرة الانحراف.

---

١. *في ظلال القرآن*: ٦١/٦.

٢. *أصول علم النفس*: ٢٣٠ ـ ٢٣١.

فإذا وقع الانحراف فلابدّ من العقوبة الصارمة وإلّا فإنّ تأجيل العقوبة أو إلغائها أو الاكتفاء بالنصح والإرشاد لا يردع أبداً، بل قد يكون عاملاً مشجّعاً على التكرار لشعور الطفل بأن أباه لا يكترث بالأمر، أو يشعر بضعفه وعدم قدرته على اتخاذ موقف حاسم.

سئل الإمام جعفر الصادقعليه السلام عن غلام صغير لم يدرك ابن عشر سنين زنى بامرأة؟

قال: «يجلد الغلام دون الحدّ وتجلد المرأة الحدّ كاملاً».

وسئل عن جارية لم تبلغ، وجدت مع رجل يفجر بها؟

قال: «تضرب دون الحدّ، ويقام على الرجل الحدّ الكامل».[1]

ولو طبّق قانون العقوبات الإسلامي في مجتمعاتنا لأنحسر الانحراف الجنسي وغيره من ألوان الانحراف؛ ولما تطاول المنحرفون على أعراض ونواميس الناس، فإنّ تخيّل المنحرف للعقوبة الصارمة يردعه عن الانحراف، وهذه حقيقة موضوعية ومنطقية، لأنّ العقوبة أحياناً تجعل الإنسان يتخلّى حتى عن المفاهيم والقيم الصالحة إن منع من الترويج لها، والإنسان قد يتخلّى عن بعض معتقداته الراسخة خوفاً من العقاب الصارم، فكيف إذا كان الأمر مستهجناً عند الناس، فمن الأولى أن يتخلّى المنحرف عنه، إن علم بملاحقة العقوبة الصارمة له.

---

١. *الكافي*: ١٨٠/٧.

التربية الجنسية للأطفال

التربية الجنسية من أصعب وأعقد أنواع التربية، ولا يستطيع إنسان بمفرده أن يضع برنامجاً ثقافياً وتربوياً بخصوص المسائل الجنسية مهما وصل في دراسته وخبرته العملية، فليس الأمر يسيراً ولا سهلاً، لأنّ التربية ليست كلمة تقال أو خطاباً يلقى، وخصوصاً إن كانت مختصة بالأطفال.

والتربية الجنسية تولّد إحراجاً للوالدين وللمربين وللمصلحين وليس من السهل تحويلها إلى واقع محسوس.

ولا نبالغ إذا قلنا: بأن أغلب المعلومات والاتجاهات الجنسية، يحصل عليها الأطفال ـ وحتى المراهقين ـ من أقرانهم، وليس من والديهم أو معلّميهم، أو يحصلوا عليها من بعض الكتب والقصص التي تقع بين أيديهم.

وفي جميع الأحوال، فإن التربية الجنسية تختلف من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى تبعاً للمنهج التربوي المتبنّى، وتبعاً للعادات والتقاليد الحاكمة على المجتمع، وتبعاً لدرجة الإدراك والوعي التي يحملها المربي أو المراد تربيته، ولهذا نجد إفراطاً أو تفريطاً في كثير من أساليب التربية الجنسية، وخصوصاً في الإجابة على أسئلة الاطفال المتعلّقة بالجنس.

والتربية الجنسية هي جزء من التربية العامة، فينبغي الإبقاء عليها ملازمة للتربية العامة دون فصل أو قطع أو انفراد، فمثلاً لا يستحسن أن يتكلم الوالدان أو المربون عن مسألة جنسية في محاضرة كاملة أو جلسة كاملة دون ربطها بالمسألة التربوية العامة، والأوْلى أن لا يخصّص درساً باسم الثقافة والتربية الجنسية، وإنّما يبدّل الاسم والعنوان بما لا يثير الطفل أو الراشد، حيث يبحث الموضوع تحت عنوان علم الأحياء، أو علم الحيوان، أو علم الصحة، أو الوراثة، وغير ذلك من العناوين غير المثيرة.وفي مجال إلقاء المحاضرات أو التربية عن طريق الحوار أو القصة، يستحسن التطرّق إلى مفاهيم وقيم عامة، ثمّ التطرّق إلى مفاهيم وقيم الجنس في أثناء الموضوع العام.

المسؤول عن التربية الجنسية

إنّ التربية الجنسية إنما وضعت لمواجهة حاجة واقعية، مواجهة تقدّر الحاجة بحجمها وشكلها وظروفها كاملة، ثم تضع البرنامج والمنهج الذي يقابلها ويشملها وينطبق عليها انطباقاً كاملاً دقيقاً، وهي ليست نظرية تتعامل مع الظروف، بل هي واقع يتعامل مع الواقع.

وعلى هذا الأساس، فإن التربية الجنسية لا يستطيع القيام بأعبائها فرد واحد، فهي بحاجة إلى تعاون الجهود، وتكاتف جميع الإمكانيات والطاقات من أجل تفعيلها وتحريكها وتقرير أسسها في واقع الحياة.

والمسؤولية مسؤولية عامة ينبغي مساهمة الجميع في تحمّلها، وليس من الصحيح أن تترك لفرد معيّن أو صنف معيّن من الناس، فهي مسؤولية يجب أن يتعاون فيها كلٌّ من:

١. الوالدين.

٢. المعلمين.

٣. المربين.

٤. علماء النفس.

٥. علماء الدين.

٦. الأطباء.

٧. الجمعيات الإصلاحية.

٨. السلطات القائمة.

فلو تضافرت هذه الجهود، فإنّ خطوات التربية الجنسية ستقطع أشواطاً إيجابية باتّجاه سلامة الإدراك وسلامة الأخلاق، والأفضل تخصيص جلسات دورية يشترك بها الجميع لمناقشة مختلف المسائل والقضايا المتعلّقة بالتربية الجنسية، وإنّ من الأفضل أن يشترك الجميع في وضع منهج دراسي للتثقيف والتربية الجنسية في المدارس الابتدائية ثمّ الثانوية، ومن الخطأ الاقتصار على الأساتذة في ذلك.

أركان التربية الجنسية

تقوم التربية الجنسية على ركنين أساسيين هما: المعلومات والاتجاهات.

أما المعلومات الجنسية، فينبغي أن تبدأ بالحقائق الأوليّة المتعلّقة بتوالد النبات والحيوان، وبعض القواعد الصحية التي لابد من اطّلاع الأطفال عليها قبل سنّ البلوغ.

والأسلوب الأفضل هو فسح المجال للسؤال عن المسائل الجنسية والتحلّي بالمرونة، والتخلّي عن التزمّت في الإجابة، وأن تكون الإجابة بلغة يفهمها الطفل، وأن تكون الإجابات متشابهة سواءً كان المجيب هو الأب أو المعلم أو عالم الدين.

والأفضل الاقتصار على الجواب عن الأسئلة فقط دون الإسهاب في شرح الحقائق غير الضرورية.

وأما الاتجاهات الجنسية، فالمقصود منها هو إتباع منهج تربوي لصيانة الطفل من الانحراف والشذوذ، ومن هذه الاتجاهات:

١. أن يتعوّد على احترام الجنس المخالف.

٢. تدريب الطفل على الانضباط والسيطرة على الرغبات.

٣. أن ينظر إلى الجنس بعين الحياء والاحتشام المعتدل.

٤. الرضا بالجنس الذي ينتمي إليه.

٥. تشجيع الطفل على بناء الذات والشخصية.

٦. تربيته على الحيطة والحذر من اتخاذ موقف غير مدروس.

٧. توجيه أنظار الطفل إلى المستقبل لكي لا يخطأ خطأً يبقى ملاحقاً له.

٨ تقوية الضمير وتفعيل دوره.

٩. تدريب الطفل على محاسبة النفس وتقبّل انتقاد الآخرين له.

١٠. الإعداد التربوي لاستقبال التغيّرات التي ستطرأ في بداية البلوغ.

وأنا أجد أنّ القيام بتوضيح الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة التي تتطرّق إلى المسائل الجنسية؛ من شأنه تحقيق الغاية القصوى من التربية الجنسية، مع التركيز على الإيمان بالله تعالى والاقتداء بالنماذج الصالحة، واستشعار هول يوم القيامة وما تدّخره من ثواب وعقاب.

فإذا امتزجت التربية الجنسية مع التربية العامة، فإنّ فرص الانحراف والرذيلة ستتضاءل وتتلاشى.

وأنّ التربية في مرحلة الطفولة هي أساس بناء الشخصية الإنسانية المستقبلية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده:

...وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته.[1]

---

١. *نهج البلاغة*: ٣٩٣.

وينبغي أن يطّلع الوالدان وجميع من يشترك في المسؤولية التربوية على الفوارق التربوية بين زمان طفولتهم وزمانهم الحالي، لكي لا تكون أساليب التربية جامدة ومتحجّرة لا حراك فيها، فهنالك فارق بين زمان الوالدين وبين زمان الجيل الناشئ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».[١]

---

١. شرح *نهج البلاغة*: ٢٠/٢٦٧.

المصادر

القرآن الكريم.

١. الأحداث الجانحون، حجازي، د.مصطفى، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م.

٢. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٣. الاختصاص، (المفيد)، محمد بن محمد بن النعمان مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٢م.

٤. الأخلاق عند الطفل، كريمي، عبد العظيم، دار النبلاء، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، الحلبي، ابن زهرة، مطبعة مهر، قم، ١٤٠٥ق.

٦. إرشاد القلوب، الديلمي، الحسن بن محمد، منشورات الرضي، قم، ١٤٠٢ق.

٧. أساسيات في علم الوراثة، عائدة وصفي عبد الهادي، مطبعة الألوان الحديثة، سلطنة عمان، ١٤٠٦ق.

٨. الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، الدر، د.إبراهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤١٥ق.

٩. أسس الصحة النفسية، الحسيني، شهاب الدين، مركز الرعاية للدراسات التربوية، بغداد، ٢٠٠٦م.

١٠. الإسلام ومتطلبات العصر، المطهري، مرتضى، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٢م.

١١. أصول علم النفس، د.أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، ١٩٧٠م.

١٢. أضواء علي النفس البشرية، د.الزين عباس عمارة، دار الثقافة بيروت، ١٤٠٧ق.

١٣. إعلام الوري بأعلام الهدي، الطبرسي، الفضل بن الحسن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ق.

١٤. إقتصادنا، الصدر، الشهيد محمد باقر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٩ق.

١٥. الأمالي، الصدوق، محمد بن علي، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ ق.
١٦. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ق.
١٧. الإنسان والإيمان، مطهري، مرتضى، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٢ق.
١٨. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ق.
١٩. بداية الحكمة، الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥ق.
٢٠. تاريخ ابن الوردى، عمر بن مظفر (ابن الوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ق.
٢١. تاريخ الأديان وفلسفتها، الهاشمي، طه، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣ق.
٢٢. تاريخ الخميس، الديار بكري، حسين بن محمد، مؤسسة شعبان، بيروت، بدون تاريخ.
٢٣. تاريخ اليعقوبى، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢٤. تاريخ بغداد، البغدادي، أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٥. تأملات فى سلوك الإنسان، د.ألكسيس كارل، ترجمة د.محمد القصاص، مكتبة مصر، ١٩٤٩م.
٢٦. تحف العقول، الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠ق.
٢٧. التحليل النفسى للشخصية، د.فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م.
٢٨. تربية الإنسان الجديد، الجمالي، د.محمد فاضل، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، ١٩٦٧م.
٢٩. تربية مشاعر الطفل فى الأسرة، ي.إ.كولتشيتسكا، ترجمة د.عبد المطلب يوسف، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٧م.
٣٠. التربية وبناء الأجيال، الجندي، أنور، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥م.
٣١. الترغيب والترهيب، المنذري، عبد العظيم عبد القوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨ق.
٣٢. تصنيف غرر الحكم، الآمدي، عبد الواحد، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٨٧م.
٣٣. تفسير المراغى، المراغي، أحمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥ق.
٣٤. التكامل فى الإسلام، أحمد أمين، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣ق.
٣٥. تنبيه الغافلين، السمرقندي، نصر بن محمد، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٥ق.
٣٦. تهذيب الأحكام، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠ق.
٣٧. توجيه المتعلم فى ضوء التفكير التربوى الإسلامى، د.مقداد يالجن، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٢ق.
٣٨. ثواب الأعمال، الصدوق، محمد بن علي، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩١ق.
٣٩. جامع الأخبار، السبزوار،ي محمد بن محمد، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٤ق.

٤٠. جامع البيان فى تفسير القرآن، الطبري، أبوجعفر بن محمد بن جرير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ق.
٤١. جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي، جامعة النجف الدينية، النجف، ١٣٦٨ق.
٤٢. الجامع الصغير، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ق.
٤٣. جمع الفوائد، المغربي، محمد بن محمد، دار القبلة، جدة، ١٤٠٨ق.
٤٤. الجنس والنفس فى الحياة الإنسانية، د.علي كمال، دار واسط، لندن، ١٩٨٩م.
٤٥. حديث إلي الأمهات، دكتور سبوك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.
٤٦. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ق.
٤٧. حلية المتقين،المجلسي، محمد باقر، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٦م.
٤٨. الحياة الجنسية السليمة، د.هـ و.لونك، ترجمة د.نوري الحافظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٧م.
٤٩. الخصال، الصدوق، محمد بن علي، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ق.
٥٠. دائرة معارف القرن العشرين، وجدي، محمد فريد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١م.
٥١. دراسات فى الشخصية الإسلامية والعربية، عيسوي، د.عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م.
٥٢. دراسات فى علم النفس الإسلامى، البستاني، د.محمود عبدالحسيني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤ق.
٥٣. دعائم الإسلام، القاضي، النعمان بن محمد بن منصور التميمي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٣٨٥ق.
٥٤. دور الدين فى حياة الإنسان، الآصفي، محمد مهدي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٥ق.
٥٥. ديوان الإمام الشافعى، بلطة جي، تصحيح محمد علي، دار الخير، بيروت، ١٤٠٩ق.
٥٦. ديوان الإمام على، خفاجي، تحقيق د.محمد بن المنعم، دار ابن زيدون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٢ق.
٥٧. الرسائل العشرة الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣ق.
٥٨. روائع البيان، الصابوني، محمد علي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٣١٤ق.
٥٩. روضة الواعظين، النيسابوري، محمد بن الفتّال، منشورات الرضي، قم، ١٣٨٦ق.

٦٠. السرائر، الحلّي ابن إدريس، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠ق.
٦١. سنن ابن ماجة، القزويني، محمد بن يزيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤ق.
٦٢. سنن أبى داود، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١ق.
٦٣. سنن الأوزاعى، الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمر، دار النفائس، بيروت، ١٤١٣ق.
٦٤. سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢ق.
٦٥. سنن الدار قطنى، قطني، لي بن عمر الدار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨ق.
٦٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ق.
٦٧. السيرة النبوية ـ أحمد زيني دحلان ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩ق.
٦٨. السيرة النبوية، إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٣ق.
٦٩. السيرة النبوية، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ق.
٧٠. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، مطبعة البابي، مصر، ١٣٥٥ق.
٧١. سيكولوجية النمو والارتقاء، د.عبد الفتاح دويدار، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣م.
٧٢. الشخصية وأثر معاملة الوالدين فى تكوينها، إنطون رحمة، مطبعة الحياة، دمشق، ١٤٠٢ق.
٧٣. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٣ق.
٧٤. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ق.
٧٥. الصحيفة السجادية الجامعة، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤١١ق.
٧٦. صفة الصفوة، ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ق.
٧٧. الصواعق المحرقة، الهيثمي، أحمد بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ق.
٧٨. الطفل السوى وبعض انحرافاته، مشارلس.و.فالنتاين، ترجمة د.عبد العلي الجسماني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤١٤ق.
٧٩. الطفل بين الوراثة والتربية، فلسفي، محمد تقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢ق.
٨٠. الطفولة، الحمداني، د.موفق، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٥م.
٨١. عدة الداعى، الحلي، أحمد بن فهد، مكتبة الوجداني، قم، ١٤٠٢ق.
٨٢. عقاب الأعمال، الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩١ق.
٨٣. العقد الفريد، الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربّة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ق.
٨٤. العقد النصيبى الفريد للملك السعيد، مطبعة الوطن، القاهرة، ١٣٠٦ق.

٨٥ العلاج النفسى الجماعى للأطفال، كاميليا عبد الفتاح، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م.
٨٦ علل الشرايع، أبو جعفر الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ق.
٨٧ علم اجتماع العائلة، د.صبيح عبد المنعم أحمد، مليحة عوني القصير، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤م.
٨٨ علم الاجتماع، د.نقولا الحداد، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٢م.
٨٩ علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، القوصي، د.عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
٩٠. علم النفس الاجتماعى، د.حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.
٩١. علم النفس التربوى، الدكتور علي منصور، مطبعة طربين، دمشق، ١٤٠٨ق.
٩٢. علم النفس التربوى، الدكتور فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.
٩٣. علم النفس التكوينى، صباح حنا هرمز، يوسف حنا إبراهيم، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.
٩٤. علم النفس العام، الكناني، د.إبراهيم عبد الحسن، د.مصطفى عيسى، د.محمد مهدي محمود، وزارة التربية، بغداد، ١٤٠٨ق.
٩٥. علم النفس العلاجى، د.إجلال سري، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٩٦. علم النفس المعاصر، المليجي، د.حلمي، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٨م.
٩٧. علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية، الجسماني، د.عبد العلي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤١٥ق.
٩٨. علم النفس، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٤ق.
٩٩. علم النفس، فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
١٠٠. علم نفس النمو، زهران، د.حامد عبد السلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٠١. عيون أخبار الرضا، الصدوق، أبو جعفربن محمد بن علي، انتشارات جهان، طهران، ١٣٧٨ق.
١٠٢. عيون التواريخ، الكتبي، محمد بن شاكر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٠٣. الفحص النفسى، حجازي، د.مصطفى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م.
١٠٤. فرائد السمطين، الجويني، إبراهيم بن محمد، مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٣٩٨ق.
١٠٥. فردوس الأخبار، الديلمي، شيرويه بن شهردار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ق.
١٠٦. الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر، البهي، د.محمد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م.

١٠٧. فلسفة التربية، أوليفية ربول، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦م.
١٠٨. فلسفة في التربية والحرية، د.علي ماضي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
١٠٩. في ضلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
١١٠. قاموس الطفل الطبي، إعداد محمد رفعت، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٥م.
١١١. قضايا المرأة، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠م.
١١٢. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، دار صعب، بيروت، ١٤٠١ق.
١١٣. الكامل في التاريخ،(ابن الأثير)، علي بن عبد الواحد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ق.
١١٤. كتاب الحياة، بيروت، ١٩٨٨م.
١١٥. كنز العمال، المتقي الهندي، علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ق.
١١٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ق.
١١٧. لمحات في وسائل التربية وغاياتها، المصري، د.محمد أمين، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
١١٨. مجمع البحرين، الطريحي، فخر الدين، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم، ١٤٠٥ق.
١١٩. مجمع الزوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢ق.
١٢٠. مجموعة ورّام، ورام بن أبي فراس، دار صعب، بيروت، ١٤٠٣ق.
١٢١. المحاسن، البرقي، أحمد بن محمد، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٣٣١ش.
١٢٢. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضي، جامعة المدرسين، قم، ١٣٨٣ق.
١٢٣. مختصر تاريخ دمشق، أبن منظور، محمد بن مكرم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ق.
١٢٤. مختصر صحيح البخاري، أحمد بن عبد اللطيف الزيدي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤ق.
١٢٥. مدخل علم النفس، لندال.دافيدوف، منشورات مكتب التحرير، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٢٦. مدخل في علم النفس، السامرائي، د.هاشم جاسم، مطبعة منير، بغداد، ١٤٠٨ق.
١٢٧. المستدرك علي الصحيحين، النيسابوري، الحاكم، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ق.
١٢٨. مسند الإمام زيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ق.
١٢٩. مشاكل الآباء في تربية الأبناء، د.سبوك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
١٣٠. المصنّف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله محمد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٢ق.

١٣١. المصنّف، الصنعاني، عبد الرزاق بن همان، المجلس العلمي، بيروت، ١٣٩٢ق.
١٣٢. مع الطب فى القرآن الكريم، د.عبد الحميد دياب، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤ق.
١٣٣. المعجم الفلسفى، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
١٣٤. المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٣٥. المغازى، محمد بن عمر بن واقد، نشر دانش إسلامي، قم، ١٤٠٥ق.
١٣٦. مكارم الأخلاق، الطبرسي، الحسن بن الفضل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٢ق.
١٣٧. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، جماعة المدرسين، قم، ١٣٩٢ق.
١٣٨. مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن علي السروي، دار الأضواء، ١٤١٢ق.
١٣٩. المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، عبد الرحمن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ق.
١٤٠. الموسوعة النفسية الجنسية، الحنفي، د.عبد المنعم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٢ق.
١٤١. نظام الحياة فى الإسلام، المودودي، أبو الأعلى، دار الفكر، بيروت، بدون تأريخ.
١٤٢. نظرة عامة فى العبادات، الصدر، السيد محمد باقر، مؤسسة الثقافة الدينية، بغداد، ٢٠٠٧م.
١٤٣. النفس البشرية عند ابن سينا، د.البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٥م.
١٤٤. النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، د.علي كمال، دار واسط، بغداد، ١٩٨٩م.
١٤٥. نهاية الحكمة، الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣ق.
١٤٦. نهج البلاغة، تحقيق د.صبحي الصالح، بيروت، ١٣٨٧ق.
١٤٧. نيل الأوطار، الشوكاني، محمد بن علي، دار الجيل، بيروت، ١٣٧٨ق.
١٤٨. وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٨ق.
١٤٩. الوسيلة إلي نيل الفضيلة، الطوسي، محمد بن علي بن حمزة، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٨ق.
١٥٠. الوفا بأحوال المصطفي، إبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، دار الكتب الحديثة، عابدين مصر، ١٣٨٦ق.
١٥١. وفيات الأعيان، إبن خلكان، أحمد بن محمد، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ق.